

# شِعْر مُهَمَّةُ النَّاسِ

حَمِيدُ عَبْدِ الْجَلِيلِ

إِشْرَافٌ وَتَقْدِيمٌ

مَرْكَزُ الدِّرَاسَاتِ التَّخْصِصِيَّةِ الْأَمْعَلِيَّةِ الْمَهَارِيَّةِ

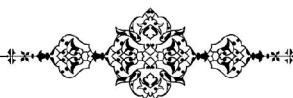
شَجَاعَةِ الْمُلْكِ

حَمِيدٌ عَبْدُ الْجَلِيلِ

إِشْرَافٌ وَتَقْدِيمٌ



مَرْكَزُ الدِّرَاسَاتِ الْمُخْصَصَةِ لِلْعُلُومِ الْمَهَارَاتِ



مِنَ الْأَرَادَاتِ الْخَصْصِيَّةِ لِلْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ

اسم الكتاب: ..... شرح دعاء الندبية  
تأليف: ..... حميد عبد الجليل  
إشراف وتقديم: ..... مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي (ع)  
رقم الإصدار: ..... ٣٣٨  
الطبعة: ..... الأولى ١٤٤٧هـ  
عدد النسخ: ..... طبعة محدودة

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز

العراق- النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٩٧٤٤٤٧٤

٠٢٨١٦٧٨٧٢٢٦

[www.m-mahdi.com](http://www.m-mahdi.com)

[info@m-mahdi.com](mailto:info@m-mahdi.com)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة المركز:

الدُّعَاءُ مِفْتَاحُ الرَّجَاءِ، وسَلَاحُ الْأَرْوَاحِ السَّامِيَّةِ، ووسِيلَةُ الْعَبْدِ إِلَى مَوْلَاهُ  
حِينَ تَنْقُطُ بِهِ السُّبُلُ، وَتُضْيِقُ بِهِ الدُّنْيَا بِمَا رَحِبَتْ.

لَيْسَ الدُّعَاءُ مُجَرَّدًا لِفَاعْلَىٰ تُرَدَّدُ أَوْ عَبَارَاتٍ تُسْتَعَادُ، بَلْ هُوَ مَعْرَاجُ الْقَلْبِ إِلَى  
السَّمَاءِ، وَسَبِيلُ الْإِنْسَانِ إِلَى كَشْفِ الْضَّرِّ وَجَلْبِ الْخَيْرِ، وَتَوْثِيقِ الْصَّلَةِ بِالْخَالِقِ  
(جَلَّ شَانُهُ)، يَكْفِي أَنَّ الْصَّلَةَ الْوَثِيقَةَ الَّتِي تَرْبَطُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ، وَالَّتِي تَجْعَلُ  
الْبَارِيَّ (جَلَّ وَعَلَا) يَعْبَأُ بِالْعَبْدِ هُوَ الدُّعَاءُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْ  
لَا دُعَاءُكُمْ﴾ (الْفَرْقَان: ٧٧).

هَذَا، وَإِنَّ مِنْ أَهْمَّ مَا تَكْبِرُ بِهِ مَذَهَبُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ الْمُبَارَكَةُ هُوَ ثَرَاؤُهُ بِنَصْوصِ  
الْأَدْعَى الَّتِي غَطَّتْ مُخْتَلِفَ جُوَانِبِ الْحَيَاةِ، فَلَا تَجِدُ حَاجَةً فِي حَاجَاتِ الدُّنْيَا إِلَّا  
وَلِلْمَعْصُومِ فِيهَا دُعَاءٌ خَاصٌّ، حَتَّىٰ إِنَّكَ لَنْ تُعْدَمْ أَدْعَى فِي أَبْسَطِ الْحَاجَاتِ إِلَّا  
أَعْظَمُهَا، الْأَمْرُ الَّذِي أَغْنَانَا عَنِ اخْتِرَاعِ الْأَدْعَى مِنْ جَهَةِ، وَضَمَّنَ لَنَا مَفْتَاحًا  
لِفَتْحِ أَبْوَابِ الْإِجَابَةِ.

وَمِنَ الْلَّافَتِ لِلنَّظَرِ، أَنَّ أَدْعَى أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ الْمُبَارَكَةُ لَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى طَلْبِ  
الْحَوَائِجِ وَبِطَرِيقَةِ التَّعْبُدِ الْمَحْضِ، وَالَّذِي لَا هُدْفُ وَرَاءِهِ سُوَى تَحْصِيلِ الشَّوَابِ  
وَقَضَاءِ الْحَوَائِجِ، كَلَّا، وَإِنَّمَا اشْتَمَلَتِ الْأَدْعَى عَلَى مَعَارِفٍ مُتَنَوِّعَةٍ مُتَعَلِّقةٍ بِالدِّينِ  
وَمَفَاهِيمِهِ وَمَفَاصِلِهِ، وَبِالرَّجُوعِ إِلَى الظَّرُوفِ الْمُحيَّةِ بِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ الْمُبَارَكَةُ آنذاكَ،  
قَدْ نَكْتَشِفُ أَنَّ كَمًا كَبِيرًا مِنْ بَثِّ تَلْكَ الْمَفَاهِيمِ ضَمِّنَ الْأَدْعَى كَانَ مَقْصُودًا

لهم **عليه السلام**، ومن هنا، فإنَّ (الفهارس الموضوعية) قد كشفت أنَّ الأدعية الواردة عنهم **عليه السلام** قد غطَّت الكثير من المفاهيم الدينية بأسلوب الدعاء.

هذا، وقد سطعَت في تراثنا أدعيةٌ عميقةُ المبنِّي، بليةُ المبنِّي، جمعت بين الخصوصِ والخشوعِ، والاعترافِ بالعجزِ، والإقرارِ بقدرةِ الله وعظمته، حتَّى غدت مدارسَ روحيةٍ وفكريَّةٍ قائمةٌ بذاتها، كما في أدعيةِ الصَّحِيفَةِ السَّجَادِيَّةِ، وعمومِ أدعيةِ الموصومين **عليه السلام**.

ومع هذا العمق الروحيِّ والبيانِيِّ، تبرُّز الحاجةُ الماسَّةُ إلى (شرح الأدعية)، فهي التي تُجلِّي أسرارَ العباراتِ، وتبينُ المقاصدَ العقائدِيَّةَ والفقهيَّةَ والتربويَّةَ الكامنةَ خلفَ كلِّ فقرةٍ.

فالدعاةُ - في كثيرٍ من الأحيانِ كما أشرنا - يحملُ في طياتِه إشاراتٍ إلى التوحيدِ، والعدلِ، والنبوةِ، والمعادِ، والإمامَةِ، كما يربطُ المضمونَ الروحيَّ بالواقفِ العمليةَ، والتوكيلِ الشرعيِّ اليوميِّ.

لذا فإنَّ شرُوحَ الأدعيةِ تُعدُّ جسوراً معرفيةً بينَ المتكلَّمي ونصوصِ الدعاءِ، تُعينُه على التذوقِ الوعيِّ، وتكسبُه فهماً نفسياً وروحيًّا وفقيهياً عميقاً، فيتحولُ الدعاءُ من طقسٍ شكليًّا إلى مدرسةٍ في العقيدةِ والتزكيةِ والسلوكِ.

ومن بين تلك الأدعية ذات المضمون العالية، هو دعاء الندبة المبارك، الذي عدهُ العلماء أحدَ أهمِّ الأدعية التي ينبغي للمؤمن التزامها زمن الغيبة الكبرى للإمام المهدي **عليه السلام**، وهو مما يقرأ في متنوع المناسبات الدينية والأعياد الإسلامية المهمَّة، بدءاً من يوم الجمعة، مروراً بعيدي الفطر والأضحى، وانتهاءً بيوم الغدير عيد الله الأكبر.

هذا الكتاب الذي بين يديك، جهد مبارك قام به ساحةُ الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي، عمد فيه إلى متابعةِ كلماتِ الدعاء المبارك، وشرحها

بالتفصيل، وتنقيط الإفادات العقائدية والفقهية وغيرها، ولم يأل جهداً في تتبع ما يمكن أن يُشار من إشكالات أو شُبه في أيٍ فقرة منه، ضمن مباحث ونقاط متعددة، مما نأمل أن يملأ فراغاً في مكتبة شروح الأدعية عموماً، والأدعية المهدوية خصوصاً، نسأل الله تعالى أن يُوفّق أخانا الفاضل لما فيه مرضاته، وأن يجعله له ولنا ذخراً في يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلّا من أتى الله بقلب سليم.

ونحن، إذ نُقدّم هذا الكتاب للقارئ الكريم، ندعو جميع الكُتاب والمشتّفين، إلى أن يُشّمّروا عن ساعد الجدّ في شرح وبيان الأدعية والروايات والزيارات المهدوية، وبمتنوع الطرق المنهجية، وسنكون مستعدّين لتابعة كتاباتهم وتحقيقها وصولاً إلى إخراجها وطباعتها فنشرها، خدمةً لمذهب أهل البيت عليهما السلام، ومولانا الإمام الحجّة بن الحسن عليهما السلام.

مركز الدراسات التخصصية

في الإمام المهدى عليه السلام

(١٤٤٧هـ)



## إهداء

سَيِّدِي يَا حَجَّةَ اللَّهِ تَعَالَى هَذِهِ بِضَاعَةٍ مِّنْ جَاهَةِ ..  
﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ .  
(يوسف: ٨٨)



## شكر وامتنان

قال الإمام الرضا عليه السلام : «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْمُنْعَمَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى» <sup>(١)</sup> .

أتقدّم بالشكر الجزيل، والثناء الجميل لكلّ منْ كان عوناً في هذا العمل، سواء بالتشجيع ورفع الهمة وتقوية العزيمة، أو بالدعاء والسؤال والتحثّث على المواصلة، رغم العوائق العديدة والمشاغل الكثيرة، إلّا أنّهم كانوا نعم السند طيلة هذه الفترة وهي ليست بالقليلة، راجياً الله تعالى أنْ يشملنا جميعاً بطريق رعايته وجميل عنایته، وأنْ تكون مصداقاً لمن يُصنع على عينه.

\* \* \*

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام (ج ٢ / ص ٢٧ / باب ٣١ / ح ٢).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة المؤلف:

هذا الشرح رحلة في أعماق (دعاة الندبة)، ذاك الدعاء الذي لا يُتلّى إلّا وفيه حزن قلب، أو دمع عين، أو حنين روح ظمائي إلى الإمام الغائب المتضرر عليه السلام، فهو نداء من زمّن مكلوم، وصدى لعقيدة لا تموت، وبوح أرواح احتزلت وجداً لها في نداء: أين الحسين؟ أين ابن الحسن؟

وقد آثرنا أن نفتح هذا الشرح بتمهيدٍ تلقي فيه الضوء على قيمة الدعاء في ذاته، لا بوصفه التماساً لحاجةٍ فحسب، بل باعتباره سر العروج، ولسان الولاية، ومدار الوصل بين الأرض والسماء، ثم تُخصّص الحديث للدعاء المهدوي، بما هو صوت الغيبة الناطق، ومرآة الانتظار الصادق، وجمع حنين الوالهين حين تكتحل أرواحهم بذكر الإمام الذي غاب جسده وبقيت أنفاسه تنبض في قلوب أوليائهم.

ثم نمضي مع الدعاء في مراحله الثلاث، فنبدأ بفصلٍ تكتشف فيه أنوار النبوة، إذ يستعرض مقام الأنبياء عليهما السلام بوصفهم جسوراً ممتدّاً بين الخلق والخلق، ويُبيّن كيف كانت المشارطة الإلهية مع كلّنبيّ عهداً من نور، منْ وفي به رفعه الله تعالى، وكيف تجلّى هذا الوفاء في صفوتهم، محمد عليهما السلام، الذي اصطفاه الله عزّوجلّ على العالمين، وختم به الرسالات، وأودع فيه جوهر الدين الذي لا يزول.

حين تتأمّل دعاة الندبة، تكتشف أنّ بداياته ليست استهلالاً مجرّداً، بل إطلالة على شرف النبوة من باهها الأعلى: من باب العهد الإلهي، والمشارطة

المقدّسة، والميثاق الذي لم يُعَدْ على ورق، بل خُطّ على صفحات الأرواح الطاهرة. فالله تعالى لم يجعل النبوة عطية مجرّدة من الشرط، بل قرّنها بعهدٍ بينه وبين المصطفين من عباده، يُبَايِعُونَ فِيهِ عَلَى طهارة النّفْسِ، وصدق السير، وتحمّل التكاليف الجسام، فِي كُونُونِ لِلسَّمَاءِ أَمْنَاءَ، وَعَلَى الْأَرْضِ خَلْفَاءَ.

ثم ينبعط الدعاء نحو ذرية النبوة، أهل بيت العصمة عليهما السلام، فيجري ذكرهم جري الماء في العروق، متفرّعين عن دوحة المصطفى عليهما السلام، ومتصلين بسلالة الخليل إبراهيم عليهما السلام، مشرّعين بآيات التطهير والمودة، مبيّنين فيهم أنّ السبيل إلى الله يعذّل، بعد رسول الله عليهما السلام، لا يكون إلّا بآياته أمير المؤمنين عليهما السلام، وأنّ نور الإمامة استمرّ من فاطمة الزهراء عليها السلام، وأنّ الكيد الذي وُجّه للنبي عليهما السلام، كان من حيث أرادوا ضرب أهل بيته عليهما السلام، وأنّ البلاء الذي جرى على الأوّصياء بعد النبي هو صفحة سوداء في تاريخ البشرية، يستنهض الدعاء فيها وجدان المؤمن ليواسيهم لا بدمعة فحسب، بل بواعي متقدٍ وفاءً لحقهم واعترافاً بظلمه عليهم.

ثم تأتي ذروة الدعاء، فصل الندبة للإمام المهدى عليه السلام، حيث يتجلّى المؤمل الموعود، فيُستعرض في فقراته وصف الإمام، وأثاره، وامتداد نسبه، وموقعه من الوعد الإلهي، ويرتسم في كلّ عبارة مشهد الشوق إلى اللقاء، واللهفة إلى ظهوره، حتّى ليُخيّل للقلب أنَّ الإمام عليه السلام بيننا، ولكنَّ الحجاب كثيف. ويتحوّل الدعاء إلى ضربٍ من الفداء القلبي، حيث يُعلن المؤمن استعداده للبذل والنصرة، ويتوسل إلى الله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بأقدس الوسائل، من النبيِّ إلى الزهراء إلى الأئمَّة عليهم السلام، ليُعجل فرج الإمام ويقرُّ به عيون المتظَّرين، ثمَّ يُختم الدعاء بآدعيَّة الطاعة والتوفيق، وكأنَّ المؤمل ليس فقط أنْ يظهر الإمام، بل أنْ تكون نحن أهلاً لظهوره، مستعدِّين للقاءه، قادرين على حمل رايته.

إنَّ (دعاة الندبة) ليس مجرَّد نصٌّ يُقرَأُ، بل مشهدٌ عقائديٌّ شاملٌ، وسفرٌ وجداً لا يحدهُ الزمان، وقد سعينا في هذا الشرح أنْ نستنطق كلماته، لا بعيون اللغة وحدها، بل بعيون الولاء، لنكشف للقلوب عن كنوز الغيبة، وسرٌّ من أسرار الانتظار، والله المستعان.

\* \* \*



تمهيد:

أهمية الدعاء عموماً

والدعاء المهدوي خصوصاً



يُعتبر الدُّعاء من أهمِّ الأركان التي يستند إليها الإنسان في مسيرته نحو الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾ (الفرقان: ٧٧)، وورد في الرواية: «الدُّعاء مُخْالفةٌ لِلْعِبَادَةِ»<sup>(١)</sup>، وبعد هذا لا يمكن لنا بأيِّ حالٍ من الأحوال إغفال الدُّعاء أو القفز عليه رضوخاً لبعض الإشكالات التي تُشار هنا أو هناك.

فمع وضوح دعوة القرآن الكريم والروايات الشريفة إلى التزام منهجه الدعاء في حياة الإنسان المؤمن، لا ينبغي الإصغاء لمثل تلكم المقولات، ولكن ظهرت عندنا بعض النظريات التي ترفض هذا المنهج.

#### الدُّعاء سبِيلٌ إِلَيْهِ رَغْمَ مُخَالَفَةِ الْبَعْضِ:

تتعددُ ألسنة الذاهبين إلى رفض الدُّعاء وأهميَّته في نظام الارتباط مع الله سبحانه وتعالى، وتتأثِّرُه على الحياة الدنيوية والآخرية معاً أو أحدهما.

فطائفة من هؤلاء يذهبون إلى أنَّ الدُّعاء يصطدمُ مع نظام الأسباب والمبنيات الذي خلقَ الكون على أساسه وجرت مقادير الأمور على نظامه، فما دام لكُلِّ شيءٍ سبب، وأنَّ هذا السبب لا يختلف ولا يتخلَّف، فالدعاء على هذا الأساس يكون من قبيل الأمور العجيبة، فليس هو لا حاجة له وحسب، بل قد يستلزم التصرُّف العجيري، والذي قد يجرُّ في بعض الأحيان إلى الابتلاء بالمحذور الشرعي ومخالفة الأحكام الإلهية الموضحة في محلها.

---

(١) الدعوات للراوندي (ص ١٨ / ح ٨).

والجواب عن هذه الإشكالية يتضح من خلال عدّة زوایا:

فمن زاوية نقول: إنَّ هذا النَّظام الأُسْبَابِي ليس حتميًّا، بمعنىًّا أنه ليس بنحو لا يختلف ولا يختلف، وإنَّما هو بنحو الاقتضاء، أي بمعنىًّا أنَّ لو جرت مقدادير الأمور دون دخول عناصر أخرى لها التأثير في التغيير لكان الأمر مبرماً ويجري النَّظام كما هو. وعلى سبيل المثال فإنَّ موادَ البناء تتبع جداراً يتحمَّل الصدَّمات ويعطِي الفيء والوقاية من الشمس ويُسْتَرُ الجالس تحته إذا كان البناء ضمن الموازين والنِّسب المعتبرة، ودون تدخل ظرف جويٍّ حاكم ومتحكِّم في التأثير على البناء وإزالته أو إضعافه، أمَّا مع وجود هذا الحاكم من زلازل وألات عملاقة وظروف جوية وغيرها من العناصر المؤثرة، فإنَّ البناء وإنْ كان بحسب اقتضائه لا يختلف ولا يختلف إلاًّ أنه تختلف الآن لوجود القاهر الحاكم عليه.

ومن زاوية أخرى فإنَّ هذا الكون الخاضع لنظام الأسباب والمسبيات هو بجملته مخلوق لله تعالى القادر الحكيم، وهو الذي سَنَّ أثر الدعاء في التغيير، كما دَلَّت عليه الآيات على ما يأتي، فالذي خلق الأشياء وأوجدها، وسَنَّ نظام السببية، هو نفسه الذي أمر بالدعاء وحثَّ عليه، ويبيَّن من خلال جملة وافرة من آيات ذكره وأحاديث أوليائه أنَّ الدعاء يمتلك من القدرة الهائلة على تغيير وتبدل حتى ما أُبرم إبراماً، فمن يُذَعِّن أنَّ الخالق لنظام الأسباب والمسبيات هو الله لا بدَّ أنْ يُذَعِّن أنه هو بنفسه تعالى خالق لنظام الدعاء وأثاره وأمر به. وبعبارة واضحة: إنَّ الدعاء نفسه يُعبِّر عن مفردة من مفردات نظام الأسباب والمسبيات، وليس هو مخالفًا لها أو خارقاً لنظامها.

هذا إذا كان حديثنا عن الأثر التكويني المترتب على الأشياء وتغييرها بالدعاء، أمَّا إذا تحدَّثنا عن الآثار المترتبة على الذنوب والمعاصي والتي هي بطبيعة الحال متأخِّرة زماناً عن فعل المعصية، فالذنب الصادر من العاصي في الدنيا

يُعاقب عليه في الآخرة، وبعد صدور الذنب يكون هناك مجال واسع لأن يستغفر ويتب ويدعو الله تعالى أن يمحو الآثار العقابية المترتبة على معصيته، فهو وإن استحق العقاب إلا أن منجزيته متاخرة، والدعاء يُحدث أثره في الزمان الواقع بينهما، وهذه الصورة أوضح حالاً في كون الدعاء يؤثر في رفع الأثر المترتب وإن كان تكوينياً على المعصية من الصورة المتقدمة.

إذا قلنا في الأولى بالإمكان، وقادنا الدليل إلى الواقع، فمن باب أولى هنا نقول به، خصوصاً بعد أن نصت جملة من الروايات على ذلك كما سيأتي.

طائفة أخرى تقول: إن الدعاء لا أثر له، ليس لعدم المقتضي فيه، كلاً، بل الدعاء قادر على التغيير، ولكن المؤمن الموحد الذي يؤمن بأن كل ما يقع عليه من ابتلاءات وامتحانات ومصائب هي لأجل رفع مرتبته وزيادة حظه في القرب من الله تعالى، فيكون الدعاء بعد هذه المعرفة خدشاً في توحيد الموحد، وهبوطاً في مرتبة إيمانه، فالله يعلم العالم بحال المؤمنين يغنينهم عن سؤاله ورفع ما وقع عليهم بسببهم أو بسبب غيرهم، فمن كان موحداً على الدرجة مؤمناً مكتملاً الإيمان لا يدعوه.

والجواب عن هذا الإشكال له عدة مقامات نقتصر منها على واحد، وبيانه: أن مرتبة التوحيد وسموها وعلو الإيمان ودرجته نابع من أصل العبودية والخضوع، فمتى ما تجللت العبودية بأبرز صورها ارتقى التوحيد وارتفع الإيمان إلى أعلى درجاته، وبعد أن أمر الله تعالى وحث وأكَّد على الدعاء كان لزاماً على المؤمن أن يأخذ به سبيلاً ليرفع مرتبته وإن كان لا يرجو أثره المادي - ولو ترثلاً - فالمدار في كون الإيمان يسير في سُلُّم التكامل للوصول إلى أعلى درجة منه هو العبودية التي يُمثل الدعاء حجر الزاوية فيها.

وقد يُستشهد لهؤلاء المستشكلين بجملة من الآيات كقوله تعالى: ﴿وَأَنْ

لَيْسَ لِإِلَّا سَعَىٰ (٣٩) (النجم: ٣٩)، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَوْلٍ  
ذَرَّةً خَيْرًا يَرَهُ (٧)﴾ (الزلزلة: ٧)، فهاتان وغيرهما من الآيات تُؤيّد ما ذهب إليه  
 أصحاب هذا القول إن لم يُستدلّ لهم بها، ووجه الدلالة أنَّ السعي والعمل  
ووحدهما من يرتهن وضع الإنسان بهما، ولا يُؤثّر غيرهما فيه.

والجواب عنه واضح، فإنَّ الدعاء هو أيضاً من السعي والعمل الذي لا  
يُضيع وإنْ كان بمقدار الذرَّة، فضلاً عن الآيات الكثيرة التي سوف نقرؤُها  
والتي نصَّت على أثر الدعاء، وأنَّه من المؤثّرات العمليَّة في تغيير حياة الإنسان.  
هذا، وهناك إشكالاتٌ أخرى وإنْ اختلفت حدودها الوسطىً ككون الله عالماً  
بالغيب، فإنه يقتضي عدم الدعاء، وكونه تعالى قادرًا يقتضي عدمه أيضاً، وهكذا.  
إلا أنَّنا لا نخوض في تفصيلها فضلاً عن ردّها بعد أنْ بينَنا فيها تقدُّم  
المفصل الأساس الذي يتَّكئ عليه الرافضون للدعاء وردَّه.

وفي قبال هذا الرفض المطلق تأتي مقوله أُخْرَى تَتَكَبَّرُ عَلَى جَمِيلَةِ مِنِ  
النَّصْوَصِ الْقَرآنِيَّةِ فِي الْإِلْتِجَاءِ إِلَى الدُّعَاءِ وَقِبَوْلِهِ بِشَكْلِ مُطْلَقٍ بَعِيدٍ عَنْ أَيِّ  
أَسْبَابٍ وَمَقْوِّمَاتٍ أُخْرَى.

وهو قول لا يمكن المصير إليه.

لأنَّنا نعتقد أنَّ هناك نظاماً قائماً على أساس الأسباب والمسبيات، وأنَّ هذا  
النظام التكويوني يتَّأثر بالدعاء بشكل واضح، حاله حال تأثير الأشياء الأخرى في  
النُّظم التكويينية، فلا يمكن أنْ نلغي هذا النظام ونعتمد على الدعاء فقط. فكما أنَّ  
للدعاء قسطاً من التأثير في مجريات العالم كذلك لبقية الأسباب أقسامها الوافرة  
في التأثير، والوسطية هي قوام الأشياء - فهي نظرية أهل البيت عليهما السلام في نظام  
الارتباط مع الذات والصفات والآثار المرتبطة بها - فالدعاء له أثره كما أنَّ  
العمل له أثره، وهذا ما ينبغي أنْ يكون عليه العقلاء.

فالدعاء يبقى صاحب الأثر البالغ في تقوية الارتباط الروحي والاجتماعي وتغيير كثير من الحياة على كل المستويات، فالدعاء هو المادة الأساسية للغذاء الروحي للإنسان، إذ كما يحتاج الإنسان إلى غذاء الجسم، فكذا العقل، هو بحاجة إلى غذاء الروح، والدعاء ينمي الروح وينشطها، وبالتالي ينشط الجسم والعقل، لذلك نرى علماء النفس يؤكّدون أن المجتمع الذي يعيش حالة الدعاء تقلّ فيه نسب الجرائم والعدوان<sup>(١)</sup>، فالدعاء كممارسة عملية ليس مقصوراً على الأفراد الذين لهم ارتباط وحياني بالسماء، إنما هو حالة روحية يعيشها أفراد - البشر دونها استثناء - تُوحّد فيهم آثاراً مختلفة، وتوهّلهم لراحل متقدمة من الرقيّ الروحي الإنساني، وإذا ما رجعنا إلى الأديان السماوية فإنّنا نجد أنَّ الله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه الكريم الدعاء مكرراً<sup>(٢)</sup>، وأكّدت الروايات على أنَّ منْ أُعطي الدعاء فقد أُعطي الإجابة<sup>(٣)</sup>.

بل إنَّ الله سبحانه وتعالى أكّد في بعض آياته أهمية الدعاء، إذ قال: ﴿فُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاوْكُمْ فَقَدْ كَدَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾ (الفرقان: ٧٧)، فهذه الآية الكريمة تُقرّر مبدأ الأهمية والاهتمام من الله سبحانه وتعالى بالناس أجمعهم، وأنَّه متفرّع على الدعاء.

(١) أضواء على دعاء كميل للسيد عز الدين بحر العلوم (ص ٨).

(٢) قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٠)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَنْ يُسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ (الأعراف: ١٩٤)، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَ الْإِنْسَانَ صُرُّ دَعَا رَبَّهُ﴾ (الزمر: ٨)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ (إبراهيم: ٣٩).

(٣) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلِيِّلَةَ، قَالَ: «مَنْ أُعْطِيَ ثَلَاثَةَ لِمْ يُمْنَعُ ثَلَاثَةَ مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ أُعْطِيَ الْإِجَابَةَ... وَقَالَ: «أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» [غافر: ٦٠]. الكافي (ج ٢ / ص ٦٥ / باب التفويض إلى الله والتوكّل عليه / ح ٦).

فلا بد أن يلتفت الإنسان إلى الأسباب التي تجعل الله تعالى لا يعيا به<sup>(١)</sup> ويزيلها، لأن عدم إزالتها يعني عدم وجود طريق يسلكه إلى الله سبحانه وتعالى. من هنا تأتي حقيقة الدعاء وما هي وماذا يشکل في المنظومة الدينية من أهمية. **﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ ﴾** (غافر: ٦٠).

### الدعاء لُبُ التوحيد ومح العبادة:

التوحيد الذي ينشده الكل، والذي يعتمد على مؤشرات عبادية وقربية يُستكشف من خلاها - أي المقدّمات - مقامات الموحدين، إذ يُمثل الدعاء في هذه المنظومة التوحيدية اللب.

الدعاء حالة إشعار النفس الإنسانية بالافتقار وضرورة اللجوء والإلتقاء إلى الوجود الغني المفيس، وهذه الحقيقة عينها حقيقة التوحيد<sup>(٢)</sup>، فيمكن أن نقول: إن حقيقة الدعاء هو التوحيد بعينه، لأن الدعاء<sup>(٣)</sup> يعبر عن حالة الانكسار

(١) سنذكر في نماذج توحيدية في الدعاء المهدوي أن هناك أشرطاً وأسباباً لاستجابة أو لرفض الدعاء تحدثت عنها الروايات فضلاً عن الآيات الشرفية.

(٢) في من لا يحضره الفقيه (ج ١ / ص ٢٨ و ٢٩ / ح ٥٨): **وَلَمَّا نَاجَى اللَّهُ مُوسَى بْنَ عَمْرَانَ [عَلَى تَبِيَّنِ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ مُوسَى]: «يَا رَبِّ، أَبْعِدْ أَنْتَ مِنِّي فَلَادِيَّكَ، أَمْ فَرِبْ فَلَانِحِيَّكَ؟»، فَأَوْحَى اللَّهُ جَلَّ جَلَّ إِلَيْهِ: «أَنَا جَلِيلٌ مَنْ ذَكَرَ فِي...»، وَأَيُّ تَوْحِيدٌ أَعْلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ جَلِيلًا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى؟!**

(٣) قسم بعض العلماء الدعاء لله تعالى إلى ثلاثة وجوه: ضرب منها: توحيد...، مثل قوله تعالى: **﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ ﴾** [غافر: ٦٠].

والضرب الثاني: مسألة العفو والرحمة وما يقرب منها، كقولهم: (اللَّهُمَّ اغفر لنا).

والضرب الثالث: مسألة الحظ من الدنيا، كقولهم: (اللَّهُمَّ ارزقني مالاً وولداً).

راجع: أضواء على دعاء كميل للسيد عز الدين بحر العلوم (ص ١٤).

والتدليل والتجوؤ والعبودية إلى ذلك الوجود الكريم المفيس الغني القادر، وإذا دققنا النظر في الآية الكريمة الآنفة الذكر نلاحظ أنها تلمح إلى هذا المعنى، إذ تعبّر أنَّ الله لا يعبأ بالعبد ما لم يكن صاحب دعاء، بينما الآيات القرآنية الكريمة الأخرى تقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَنَّ يُشْرِكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ (النساء: ١١٦)، فبملاحظة الآيتين وإرخاء العنان لبصرب القلب ليجول في الأحاديث الشريفة<sup>(١)</sup> يجد المرء هذه الحقيقة، وهي أنَّ الدعاء لُبُ التوحيد، ماثلة أمام عينيه.

جاء في كتاب الدُّعاء من (الكافي) عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قال: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الْدُّعَاءُ»<sup>(٢)</sup>، وفي (فلاح السائل) عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْدُّعَاءُ عَمُودُ الدِّينِ»<sup>(٣)</sup>، وفي (الدعوات) عن النبي ﷺ: «الْدُّعَاءُ مُنْخَعِلٌ عَبَادَةً»<sup>(٤)</sup>.

فهذه الأحاديث الشريفة خصوصاً الآخيرة منها تعبّر عن هذه الحالة التي ذكرناها، فعمود الدين وأفضل العبادة، بل مخْهُما هو الدعاء، ونحن نعلم أنَّ المخ هو لُبُ العقل - ليس المراد به المادي، بل ذاك الذي تعبّر عنه بعض الروايات بروح العقل وجوهره، فالدعاء على هذا المعنى يُمثل جوهر العبادة التي هي عمود الدين -.

(١) ففي الكافي (ج ٢ / ص ٤٦٦) باب فضل الدعاء والحمد عليه / ح ١) بسنده عن زُرَارَةَ، عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ يَقُولُ: إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ ﴿٦٠﴾» [غافر: ٦٠]، قال: «هُوَ الدُّعَاءُ»، فالإمام هنا يعبّر عن العبادة بأئمَّها الدعاء، وأنَّ التكبُّرَ عنها يوجب دخول جهنَّم.

وفي نص آخر في الكافي (ج ٢ / ص ٤٦٧) باب فضل الدعاء والحمد عليه / ح ٧) بسنده عن عُيَيْدِ بْنِ زُرَارَةَ، عن أَبِيهِ، عن رَجُلٍ، قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، وهو مطلق يشمل العبادات الجوارحية أو الحوانية.

(٢) الكافي (ج ٢ / ص ٤٦٦) باب فضل الدعاء والحمد عليه / ح ١).

(٣) فلاح السائل (ص ٢٨).

(٤) الدعوات للراوندي (ص ١٨ / ح ٨).

فعلى هذا تكون حقيقة الدُّعاء في الشريعة هي روح العبادة، وهو مُخُّها، والعبادة بلا مُخٌّ كإنسان من غير عقل.

فارقٌ حالات الإنسان وهي العبوديَّة التي تجُمل بها رسول الله ﷺ، **هُوَ** الذي يُرْزِلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ (الحديد: ٩)، لا تكون إِلَّا بذلك المُخٌّ، ولا تقف إِلَّا على هذا العمود، وهو الدُّعاء. فحقيقة الدُّعاء بكلمة واحدة أَنَّه روح التوحيد، وحقيقة الإيمان، وقلب الإسلام.

فهل يمكن للإنسان أن يصل إلى الله سبحانه وتعالى دون هذه الحقيقة ودون الاعتماد عليها؟

### كيف يقوم الدُّعاء بعملية التأثير؟

إنَّ لِكُلِّ ظاهرة من ظواهر الوجود مجموعة من القوانين تحكمها، وظاهرة الدُّعاء من بين هذه الظواهر، فلا بدَّ أن تكون هناك مجموعة من القواعد تضبط هذه الحقيقة، وتجعلها مؤثرة وفعالة.

وإذا رجعنا إلى الروايات الشريفة وجدنا أَنَّها تُعطي للدُّعاء خصائص لا تُعطيها لغيره من وسائل القرب الإلهي، فتصفه بعض الروايات بأنَّه مفاتيح النجاة، وأنَّه نور السماوات والأرضين، وأنَّه سلاح الأنبياء<sup>(١)</sup>، وهذه الأوصاف

(١) أمالى الطوسي (ص ٦ / ح ٥)، حيث ورد فيها: عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «مَا فُتَحَ لِأَحَدٍ بَابٌ دُعَاءٌ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ لَهُ فِيهِ بَابٌ إِجَابَةٌ، فَإِذَا فَتَحَ لِأَحَدِكُمْ بَابٌ دُعَاءٍ فَلْيَجْهُدْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ لَا يَمْلُكُ حَتَّى تَمَلُّوا».

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَيْنَانٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عَالِيَّا يَقُولُ: «الدُّعَاءُ يَرْدُ القَضَاءَ بَعْدَ مَا أُبْرِمَ إِمْرَاماً، فَكَثُرَ مِنَ الدُّعَاءِ فَإِنَّهُ مُفْتَاحُ كُلِّ رَمَمَةٍ، وَنَجَانُ كُلِّ حَاجَةٍ، وَلَا يُتَأْلَمُ مَا عِنْدَ اللَّهِ يَعْلَمُ إِلَّا بِالدُّعَاءِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ بِأَبٍ يُكْثِرُ قَرْعَهُ إِلَّا يُوْشِكُ أَنْ يُفْتَحَ لِصَاحِبِهِ». الكافي (ج ٢ / ص ٤٧٠ ح ٧).

وغيرها إنما ت يريد أن تُعبر عن حالة يتمتع بها الدعاء، وعن خصوصية يمتاز بها، وهي أنَّ له قدرة وفاعلية، على حد تعبير بعض الروايات: إنَّه يُردُّ القضاء المبرم<sup>(١)</sup>، فهذه المعاني الروائية ت يريد أن تفتح لنا ولأبصارنا نافذة نطلُّ من خلالها على تلك الحقيقة النورانية التي يمتلكها الإنسان، والتي لها القدرة على تغيير كل شيء، والتأثير في كل شيء إلى حد إنما تغيير ما قدر وأبرم.

وعلمية التأثير لا تكون إلا في ضمن شرائط وعوامل بعضها غيبي لا سبيل لمعرفته إلا من المعصوم.

### المعرفة للإمام عليه السلام موجبة لدعائه غير محجوب:

ذكرت جملة من الأحاديث أنَّ المعرفة والإيمان لا يكونان في فرد ما لم يؤمن بالإمام عليه السلام، وأنَّ دعاء الإيمان لا يصحُّ من شخص ما لم يكن هذا الدعاء مقوًناً منه بالاعتقاد والإيمان به عليه السلام، على حد تعبير الآية: «وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» (الحجرات: ١٤).

ف تكون معرفة الإمام والإيمان به هي الأرضية الأولى التي ينطلق منها الفرد لترتيب الآثار على هذا الإيمان.

ومن بين تلك النصوص ما ورد عن ابن أذينة، قال: حَدَّثَنَا غَيْرٌ وَاحِدٌ عَنْ أَحَدِهِمَا عَلَيْهِمَا أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُؤْمِنًا حَتَّىٰ يَعْرِفَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأَئِمَّةَ كُلَّهُمْ وَإِمَامَ زَمَانِهِ، وَيَرُدَّ إِلَيْهِ وَيُسَلِّمَ لَهُ...»<sup>(٢)</sup>.

⇒ وَعَنْ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ، وَعَمُودُ الْدِّينِ، وَنُورُ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ». الكافي (ج ٢ / ص ٤٦٨ / باب أنَّ الدعاء سلاح المؤمن / ح ١).

(١) عَنْ حَمَادِ بْنِ عُثْمَانَ، قَالَ سَمِعْتُهُ [أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ] يَقُولُ: «إِنَّ الدُّعَاءَ يُرُدُّ الْقَضَاءَ، يَنْقُضُهُ كَمَا يُنْقُضُ أَسْلُكُ وَقَدْ أَبْرَمَ إِبْرَاماً». الكافي (ج ٢ / ص ٤٦٩ / باب أنَّ الدعاء يُردُّ البلاء والقضاء / ح ١).

(٢) الكافي (ج ١ / ص ١٨٠ / باب معرفة الإمام والرَّدُّ إليه / ح ٢).

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرَ عَلَيْهِ الْكَفَافُ يَقُولُ: «إِنَّمَا يَعْرِفُ اللَّهَ عَبْدُهُ وَيَعْبُدُهُ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَعَرَفَ إِمَامَهُ مِنَ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ عَبْدُهُ وَلَا يَعْرِفُ الْإِمَامَ مِنَ أَهْلِ الْبَيْتِ فَإِنَّمَا يَعْرِفُ وَيَعْبُدُ عَيْرَ اللَّهِ، هَكَذَا وَاللَّهُ صَلَالًا»<sup>(١)</sup>.

فَالإِيمَانُ بِمُقْتَضِيِّ هَذِهِ النُّصُوصِ الشَّرِيفَةِ مَرْهُونٌ بِالْإِمَامِ الْمُهَدِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَأَنَّ الْإِمَامُ هُوَ السَّالِكُ بِالْعِبَادَةِ فِي كُلِّ الْطُّرُقِ، فَمَنْ يَرِدُ أَنْ يُثْبِتَ إِيمَانَهُ وَيُعَظِّمَ وَيُنَمِّي لَا بَدَّ لَهُ مِنْ قَائِدٍ يَقُودُهُ، وَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْقَائِدُ عَارِفًا بِتُلُكَ الْطُّرُقِ وَمَنْعِرِجَاتِهَا، وَأَنْ تَكُونُ مَعْرِفَتُهُ تُلُكَ الْدُّنْيَا لِيَأْمُنَ السَّالِكُونَ خَلْفَهُ مِنَ الْوَقْوَعِ فِي مَنْزِلَاتِ الْطَّرِيقِ، وَقَدْ أَشَارَ الْإِمَامُ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ الْكَفَافُ إِلَى هَذَا بِحَدِيثِهِ إِلَى أَبِي حَمْزَةَ قَائِلًا لَهُ: «يَا أَبَا حَمْزَةَ، يَخْرُجُ أَحَدُكُمْ فَرَاسِخَ فَيَطْلُبُ لِنَفْسِهِ دَلِيلًا، وَأَنْتَ بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَجْهَلُ مِنْكَ بِطُرُقِ الْأَرْضِ، فَاطْلُبُ لِنَفْسِكَ دَلِيلًا»<sup>(٢)</sup>.

وَالدُّعَاءُ سَفَرٌ فِي طُرُقِ السَّمَاءِ، فَلَا بَدَّ أَنْ نَطْلُبَ لَهُ دَلِيلًا.

فَمَنْ هُوَ الدَّلِيلُ؟

يُحِبِّ الْإِمَامُ الرَّضَا عَلَيْهِ الْكَفَافُ بِقَوْلِهِ: «الْإِمَامُ... وَالدَّلِيلُ فِي الْمَهَالِكِ، مَنْ فَارَقَهُ فَهَالِكُ...، الْإِمَامُ أَمِينُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، وَحُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَخَلِيقَتُهُ فِي بِلَادِهِ، وَالدَّاعِي إِلَى اللَّهِ...»<sup>(٣)</sup>.

وَفِي حَدِيثِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ الْكَفَافُ يُرَوَى فِيهِ خُطْبَةُ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَ فِيهَا: «وَالنَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَاللُّزُومُ لِجَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ دَعْوَتِهِمْ مُحِيطَةٌ مِنْ وَرَائِهِمْ...»<sup>(٤)</sup>.

(١) الكافي (ج ١ / ص ١٨١) / باب معرفة الإمام والرَّدُّ إِلَيْهِ ح ٤.

(٢) الكافي (ج ١ / ص ١٨٤ و ١٨٥) / باب معرفة الإمام والرَّدُّ إِلَيْهِ ح ١٠.

(٣) الكافي (ج ١ / ص ٢٠٠) / باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته / ح ١.

(٤) الكافي (ج ١ / ص ٤٠٣) / باب ما أَمْرَ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنَّصِيحَةِ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ... / ح ١).

فإنَّ دعاء الأنَّمَةَ عَلَيْهِ لِلْمُؤْمِنِينَ يكفيهم ويحيط بهم من جوانبهم ويحفظهم، بل إنَّ الْإِمَامَ عَلَيْهِ يُصَرِّحُ بذلك في توقيعه المرويٍّ في (الاحتجاج): «إِنَّا مِنْ وَرَاءِ حِفْظِهِمْ بِالدُّعَاءِ الَّذِي لَا يُحْجَبُ عَنْ مَلِكِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، فَلَيَطْمَئِنَّ بِذَلِكَ مِنْ أُولَائِنَا الْقُلُوبُ...»<sup>(١)</sup>.

فالإمام عَلَيْهِ من خلال هذا النص الشريف ضمن الدعاء لأوليائه الذين تحدَّث النصوص عنهم في الأمر الأوَّل، وأنَّ هذا الدعاء منه عَلَيْهِ موجب لاطمئنان نفوسهم - إنْ كانوا أولياءَ حَقّاً -، وهذا الدعاء سنته أَنَّه لا يحتجب عن مَلِكِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

فمَمَّا لا شكَّ فيه أنَّ الدعاء الصادر من الإمام عَلَيْهِ يكون موجباً لتنمية إيمان الأفراد والمجتمعات.

ولم يكتفِ الأنَّمَةَ عَلَيْهِ بهذه المرتبة لتقوية إيمان المؤمنين بهم بتعقب دعائهم وتنمية إيمانهم، بل تجاوز الأمر إلى متابعة شؤونهم الشخصية، والشعور بها ينالهم من همٍ وحزن، فقد ورد أنَّ أمير المؤمنين عَلَيْهِ خاطب أحد أصحابه قائلاً له: «يَا رُمِيلَةَ لَيْسَ مِنْ مُؤْمِنٍ يَمْرُضُ إِلَّا مَرْضَنَا بِمَرْضِهِ، وَلَا يَحْزُنُ إِلَّا حَزَنَنَا بِحُزْنِهِ، وَلَا يَدْعُو إِلَّا أَمَّنَا لِدُعَائِهِ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَّا دَعَوْنَا لَهُ...»، ثم قال له عَلَيْهِ: «يَا رُمِيلَةَ، لَيْسَ يَغِيبُ عَنَّا مُؤْمِنٌ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَلَا فِي غَربِهَا»<sup>(٢)</sup>.

والنصُّ واضح الدلالة في أنَّ الإمام عَلَيْهِ يسعى إلى تقوية دعاء الداعي، فإنْ لم يكن في البين دعاء تصدِّي هو بنفسه للدعاء عنه، نعم لا بدَّ أنْ يكون المؤمن بتلك المرتبة التي تُؤْهِله لذلك، إذ المقتضي لا بدَّ أنْ يكون منه. هذا، وقد سجَّلت الروايات الشريفة للإمام المهدوي عَلَيْهِ أنَّ محض وجوده

(١) الاحتجاج (ج / ٢ ص ٣٢٤ و ٣٢٥).

(٢) بصائر الدرجات (ص ٢٧٩ و ٢٨٠ ج ٥ / باب ١٦ ح ١).

المبارك هو دافع للبلاء عن شيعته وأهله، كما في النصّ الوارد عن طريق أبي نصر، قال: دَخَلْتُ عَلَى صَاحِبِ الْزَّمَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: «... أَنَا خَاتَمُ الْأَوْصِيَاءِ، وَبِي يَدْفَعُ اللَّهُ يُعَذِّلُ الْبَلَاءَ عَنْ أَهْلِي وَشِيعَتِي»<sup>(١)</sup>.

فمن مجموع النصوص المتقدمة يمكن أن يستفاد التالي:

١ - أنَّ الإيمان مقرون بالإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢ - أنَّ الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يباشر هذه المهمة من خلال عدَّة تدبرات، ويقوم بخطوات متعددة، ومن بين تلك الخطوات التي يقوم بها عَلَيْهِ السَّلَامُ التأمين على الدعاء، حيث نصَّت بعض الأخبار المتقدمة أنَّ التأمين على دعاء المؤمنين حالة ثابتة من الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ لمن كان منهم في شرق الأرض أو غربها، فإنْ لم يكن منهم دعاء تبرَّع الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بالدعاء لهم.

٣ - أنَّ دعاء الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يتمتَّع بخصوصية أنَّه لا يحجب عن الله تعالى. هذا، وقد عثرت أثناء التتبع في النصوص الشريفة التي تدور رحاحها حول هذا الموضوع على رواية شريفة بمفادِ عالٍ جدًا ويتضمنون راقي تتحدث عن حقيقة المؤمن ومكانته لدى إمامه، حيث كتب السيد ابن طاووس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب (كشف المحاجة) في وصيَّته لولده في ما يحفظ فيه للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ من حُقُّ، وأنَّ يعرض حواججه عليه، جاء فيه: (وَمَا أَقُولُ لَكَ يَا وَلَدِي مُحَمَّدُ مَلَأَ اللَّهُ بِعْلَمَكَ وَقَلْبَكَ مِنَ التَّصْدِيقِ لِأَهْلِ الصَّدْقِ وَالْتَّوْفِيقِ فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ أَنَّ طَرِيقَ تَعْرِيفِ اللَّهِ جَلَّ جَلَّ لَكَ بِجَوَابِ مَوْلَانَا (الْمَهْدِي) صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَى قَدْرَتِهِ جَلَّ جَلَّ وَرَحْمَتِهِ، فَمَنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْكُلَيْنِيُّ فِي كِتَابِ (الْوَسَابِلِ) عَمَّا سَمِّاهُ، قَالَ: كَتَبْتُ إِلَيْ أَبِي الْحُسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الرَّجُلَ يَحِبُّ أَنْ يُفْضِيَ إِلَيْ إِمَامِهِ مَا يَحِبُّ

(١) كمال الدين (ص ٤٤١ / ٤٤٣ / باب ١٢). ح

تمهيد: أهمية الدعاء عموماً والدعاء المهدوي خصوصاً ..... ٢٩

أنْ يُفْضِيَ إِلَى رَبِّهِ؟ قَالَ: فَكَتَبَ: «إِنْ كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ فَحَرِّكْ شَفَّيْكَ، فَإِنَّ الْجَوَابَ يَأْتِيْكَ...»<sup>(١)</sup>.

ولا يهمُنا التعرُض لسند الحديث باعتبار أنه حسب الظاهر موافق للمبادئ العامة التي عليها النصوص العقائدية، والملاحظ فيه أنَّ الحديث عن السرعة في الإجابة بمجرد تحريك الشفتين.

#### نماذج صرُح فيها بدعاء الأئمة عليهما السلام للأصحاب:

نذكر تحت هذا العنوان العديد من النماذج التي صرَّحت النصوص بدعاء الأئمة عليهما السلام لبعض أصحابهم، ولا شكَّ في ترتب آثار هذا الدعاء على مجمل شؤونهم، وهي:

الأول: عبد العزيز بن المهدى بن محمد بن عبد العزيز الأشعري القمي الثقة الذي قيل فيه - والقائل الفضل بن شاذان - : (ما رأيت قميًّا يشبهه في زمانه)<sup>(٢)</sup>، قال الشيخ الطوسي في كتاب (الغيبة) في فصل في ذكر المحمودين من وكلاء الأئمة عليهما السلام : خَرَجَ فِيهِ - عبد العزيز بن المهدى - عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا: «عَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَلَهُمُ الذُّنُوبَ، وَرَحِمَنَا وَإِيَّاكُمْ»، وَخَرَجَ فِيهِ: «عَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ، وَرَحِمَنَا وَإِيَّاكَ، وَرَضِيَ عَنْكَ بِرِضَائِي عَنْكَ»<sup>(٣)</sup>.

والنصُّ واضح الدلالة في أنَّ الإمام عليهما السلام طلب الرضا لعبد العزيز مما يستدعي ثباته على الحقّ.

(١) كشف المحاجة (ص ١٥٣). وهذا الحديث المنقول على لسان السيد يحيى بن حبيب من كتاب (الوسائل) وإنْ كان ليس بآيدينا مصدره إلَّا أنَّ نقله على لسانه وإرساله بهذا الشكل يكشف عن كون تلك النسخة كانت بيده أو قرأت عليه، هذا فضلاً عن كونه موافقاً للأصل وليس فيه خالفة، وإنما أوردناه كشاهد في بيان المطلوب على لسان الأئمة عليهما السلام.

(٢) رجال الكشي (ج / ٢ / ص ٧٩٥ / ح ٩٧٣).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ٣٤٩ / ح ٣٠٥).

الثاني: أبان بن تغلب بن رباح ... بن صعب بن عليٍّ بن بكر بن وائل، عظيم المنزلة، من أصحاب الأئمة عليهما السلام، قال له الإمام الباقر عليهما السلام: «إجلس في مسجد المدينة وأفت الناس، فإني أحب أن يرى في شيعتي مثلك»<sup>(١)</sup>، وقال عنه الإمام الصادق عليهما السلام: «رحمة الله، أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان»<sup>(٢)</sup>، وفي نص آخر: «أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان»<sup>(٣)</sup>.

فلاحظ دعاء الإمام عليهما السلام وترجمه عليه، بل وتوسّع قلبه على فقده.

الثالث: المسيب بن زهير، وهو أحد من حبس الإمام الكاظم عليهما السلام في داره لثقة هارون به، وهو من خلص الشيعة، وقد طلب من الإمام الكاظم عليهما السلام أن يدعوه له، فدعاه له أن يثبت يقينه<sup>(٤)</sup>، وفي محاورة بينه وبين الإمام الكاظم عليهما السلام ينقلها الشيخ الصدوق عليهما السلام: «يا مسيب»، قال: لبيك يا مولاي، قال: «إني ظاعن في هذه الليلة إلى المدينة جدي رسول الله عليهما السلام لاعهد إلى عليٍّ ابني ما عهده إلى أبي، وأجعله وصيبي وخلفيتي، وأمره أمرني»، قال المسيب: فقلت: يا مولاي، كيف تأمرني أن أفتح لك الأبواب وأففها وأحرس معى على الأبواب؟ فقال: «يا مسيب، صعف يقينك بالله يجل وفينا»، قلت: لا، يا سيدى، قال: «فمه؟»، قلت: يا سيدى، أدع الله أن يثبتني، فقال: اللهم ثبته...»<sup>(٥)</sup>.

والقصة واضحة في طلب الدعاء من الإمام عليهما السلام لتشييد اليقين والعقيدة الحقة، وفي استجابة الإمام عليهما السلام لذلك.

(١) رجال النجاشي (ص ١٠ / الرقم ٧).

(٢) رجال الكشي (ج ٢ / ص ٦٢٢ / ح ٦٠١).

(٣) رجال النجاشي (ص ١٠ / الرقم ٧).

(٤) راجع: قاموس الرجال (ج ١٠ / ص ٧٨ / الرقم ٧٥٥٤).

(٥) عيون أخبار الرضا عليهما السلام (ج ١ / ص ٩٤ و ٩٥ / باب ٨ / ح ٦).

الرابع: أحمد بن إبراهيم، يكنى أبا حامد الماغي، وهو من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام<sup>(١)</sup>، وقد خرج فيه من صاحب الأمر عليه السلام توقيع على يد محمد بن أحمد بن جعفر القمي العطار: «وقفت على ما وصفت به أبا حامد أعزه الله بطاعته، وفهمت ما هو عليه، تم الله ذلك له بحسنه، ولا أخلاقه من تفضيله عليه، وكان الله ولية، أكثر السلام وأخصه...»<sup>(٢)</sup>.

والتوقيع واضح في الدعاء بأحسن ما يمكن أن يتفضل الله على عبده المؤمن، وأن يتولاه، وأن لا يخليه مما تفضل به عليه.

الخامس: عبد الملك بن أعين الذي دعا له الإمام الصادق عليه السلام، واجتهد في الدعاء وترحم عليه، وزار قبره، وقال: «اللهم إن أبا الضربيين كنا عندك خيرك من خلقك، فصيّر في ثقل محمد عليه السلام يوم القيمة...»<sup>(٣)</sup>.

وهو واضح الدلالة في الدعاء له والترحم عليه، بل وأن يُخسر مع محمد وآل محمد عليهم السلام يوم القيمة، ولا يخفى ما لزيارة الإمام عليه السلام لقبر هذا الرجل من دلالات ليس هنا محل ذكرها.

السادس: عبد الله بن أبي يعفور، إذ ينقل علي بن الحسين العبيدي، قال: كتب أبو عبد الله عليه السلام إلى مفضل بن عمر الجعفري حين مرض عبد الله بن أبي يعفور: «يا مفضل، عهدت إليك عهدي كان إلى عبد الله بن أبي يعفور (صلوات الله عليه)، فمضى (صلوات الله عليه) موفياً لله بذلك ورسوله ولإماميه بالعهد المعهود لله، وقبض (صلوات الله على روحه) محموداً آثراً، مشكوراً سعياً، مغفوراً له، مرحوماً برضاء الله ورسوله وإماميه عنه، فولادتي

(١) رجال الطوسي (ص ٣٩٧ / الرقم ٥٨٣٠ / ١٤).

(٢) رجال الكشي (ج ٢ / ص ٨١٥ / ح ١٠١٩).

(٣) رجال الكشي (ج ١ / ص ٤١١ / ح ٣٠١).

مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا كَانَ فِي عَصْرِنَا أَحَدٌ أَطْوَعَ اللَّهَ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِهِ مِنْهُ، فَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى قَبَصَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ بِرَحْمَتِهِ، وَصَيَّرَهُ إِلَى جَنَّتِهِ، مُسَاكِنًا فِيهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمَا، أَنْزَلَهُ اللَّهُ بَيْنَ الْمُسْكَنَيْنَ مَسْكَنَ مُحَمَّدٍ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا) ...»<sup>(١)</sup>.

السابع: محمد بن علي بن الحسين الصدوقي، حيث ينقل شيخ الطائفة قبيل قصة ولادة الشيخ الصدوقي قبيل حيث كاتب والده السفير الثالث قبيل وطلب من الحضرة أن يدعوه أن يرزقه أولاً فقهاء، فجاء الجواب: «إِنَّكَ لَا تُرْزَقُ مِنْ هَذِهِ، وَسَتَمْلِكُ جَارِيَةً دِيَلِمِيَّةً وَتُرْزَقُ مِنْهَا وَلَدِينَ فَقِيهِينَ»<sup>(٢)</sup>.

وهناك نماذج أخرى من الدعاء في حوائج متعددة صدرت من الأئمة عليهم السلام لأشخاص كثُر نأخذ على سبيل المثال:

١ - عبد الحميد بن أبي العلاء الذي رفع الإمام الصادق عليه السلام يديه بالدعاء له أن يخلصه من سجن أبي جعفر، ثم التفت إلى صاحبه محمد بن عبد الله ابن الحسين، وخاطبه قائلاً: «يَا مُحَمَّدُ، قَدْ وَاللَّهُ خُلِّيَ سَيِّلُ صَاحِبِكَ»<sup>(٣)</sup>.

٢ - بشر بن طرخان النخاس الذي دعا له الإمام الصادق عليه السلام بكثرة المال والولد<sup>(٤)</sup>.

٣ - حماد بن عيسى الذي دعا له الإمام عليه السلام حيث قال: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِمَا، فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أُدْعُ اللَّهَ لِي أَنْ يَرْزُقَنِي دَارًا وَزَوْجَةً وَوَلَدًا وَخَادِمًا وَالْحَجَّ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ،

(١) رجال الكشي (ج ٢ / ص ٥١٨ / ح ٤٦١).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٠٨ و ٣٠٩ / ح ٢٦١).

(٣) دلائل الإمامة (ص ٢٥٨ / ح ١٨٦ / ٢٢).

(٤) راجع: رجال الكشي (ج ٢ / ص ٥٩٩ / ح ٥٦٣).

تمهيد: أهمية الدعاء عموماً والدعاء المهدوي خصوصاً ..... ٣٣

وَأَرْزُقْهُ دَاراً وَزَوْجَةً وَوَلَدًا وَخَادِمًا وَالْحَجَّ حَمْسِينَ سَنَةً»، قَالَ حَمَّادُ: فَلَمَّا إِشْتَرَطَ حَمْسِينَ سَنَةً عَلِمْتُ أَنِّي لَا أَحْجُّ أَكْثَرَ مِنْ حَمْسِينَ سَنَةً<sup>(١)</sup>.

### الدعاء بتعجيل الفرج:

فقد ذُكر في النصوص الشريفه أنه ﷺ خاطب أتباعه ومريديه بالإكثار من دعاء الفرج له، فقد روى الشيخ الطوسي رض بسنده عن جعفر بن محمد بن قولويه وأبي غالب الزرايري وغيرهما، عن محمد بن يعقوب الكليني، عن إسحاق بن يعقوب، قال: سألتُ محمدَ بْنَ عُثْمَانَ الْعَمْرِيَّ رض أَنْ يُوْصَلَ لِي كِتَاباً قَدْ سَأَلْتُ فِيهِ عَنْ مَسَائِلِ أَشْكَلَتْ عَلَيَّ، فَوَرَدَ الْتَّوْقِيْعُ بِخَطْ مَوْلَانَا صَاحِبِ الدَّارِ علیه السلام: «أَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ أَرْشَدَ [كَ] اللَّهُ وَبَتَّكَ مِنْ أَمْرِ الْمُنْكَرِينَ لِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِنَا وَبَنِي عَمْنَا، فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ يَعْلَمُ وَبَيْنَ أَحَدٍ قَرَابَةً، وَمَنْ أَنْكَرَ فِيْنِي مِنِّي...، وَإِنِّي لَأَمَانُ أَهْلِ الْأَرْضِ كَمَا أَنَّ النُّجُومَ أَمَانُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ، فَأَغْلِقُوا أَبْوَابَ السُّؤَالِ عَمَّا لَا يَعْنِيْكُمْ، وَلَا تَسْكَلُفُوا عَلَى مَا قَدْ كُفِيْتُمْ، وَأَكْثُرُوا الْدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الْفَرَجِ فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَجُوكُمْ...»<sup>(٢)</sup>.

فإن الغوص في أعماق هذا الدعاء يُري أنَّ فيه نموذجاً توحيدياً وانتهاءً عقائدياً كبيراً.

### الدعاء من الإمام علیه السلام على الأشخاص وأثره:

على العكس مما يقف الدعاء على الأشخاص موقف المانع من تحصيل الكمالات، بل وفي بعض الأحيان موقف سلب المقتضي. ومن النماذج التي برزت في التاريخ والتي سُجّلت عليها هذه الملاحظة من قبل الأئمة الموصومين عليهم السلام:

(١) رجال الكشي (ج / ٢ / ص ٦٠٤ و ٦٠٥ / ح ٥٧٢).

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٢٩٣ - ٢٩٠ / ح ٢٤٧).

## أولاً: عروة بن يحيى النخاس الدهقان:

حيث روى الكشي رحمه الله، قال: حدثني محمد بن قولويه الجمال، عن محمد ابن موسى الهمداني أن عروة بن يحيى البغدادي المعروف بالدهقان (لعنة الله) وكان يكذب على أبي الحسن علي بن محمد بن الرضا عليهما السلام وعلى أبي محمد الحسن ابن علي عليهما السلام بعده، وكان يقطع أمواله لنفسه دونه ويكذب عليه، حتى لعنه أبو محمد عليهما السلام وأمر شيعته بلعنها، وألدعاه عليه لقطع الأموال، لعنه الله. قال علي بن سليمان بن رشيد العطار البغدادي: فلعن أبو محمد عليهما السلام، وذلك أنه كانت لأبي محمد عليهما خزانة، وكان يليها أبو علي بن راشد عليهما السلام، فسلمت إلى عروة، فأخذ منها لنفسه ثم أحرق باقي ما فيها، يغاظ بذلك أبا محمد عليهما السلام، فلعن أبوه منه ودعا عليه، فما أمهل يومه ذلك وليته حتى قبضه الله إلى النار، فقال عليهما: «جلست لربِّ ليتني هذِه كذا وكذا جلسة، فما انفجر عمود الصبح ولا انطفأ ذلك النار حتى قتل الله عدوه (لعنة الله)»<sup>(١)</sup>.

وأنت تلاحظ جلياً أثر دعاء الإمام، فإنه ما إن طلع الصباح حتى سلط الله تعالى على هذا الرجل من يقتله بسبب دعاء الإمام عليه، وبقي ذكره السني إلى يومنا هذا.

## ثانياً: أحمد بن هلال العبرتائي:

الذي دعا عليه الإمام عدة مرات ولعنه وبرأ منه، وذكر أن ما أوجب حصول ما حصل لابن هلال هو «لم يدع المرء ربَّه بِأَنَّ لَا يُرِيغَ قَلْبُه بَعْدَ أَنْ هَدَاهُ، وَأَنْ يَجْعَلَ مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِ مُسْتَقَرًّا وَلَا يَجْعَلَهُ مُسْتَوْدَعًا، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْدَّهْقَانِ (عليه لعنة الله) وَخِدْمَتِهِ وَطُولِ صُحْبَتِهِ، فَأَبْدَلَهُ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ كُفُراً حِينَ فَعَلَ مَا فَعَلَ، فَعَاجَلَهُ اللَّهُ بِالنِّقْمَةِ وَلَا يُمْهِلُهُ».

(١) رجال الكشي (ج / ٢ / ص ٨٤٢ و ٨٤٣ / ح ١٠٨٦).

وإليك النص الكامل الذي رواه الكشي في رجاله عن أحمد بن هلال: عَلَيْهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ قُتْبَيَّةَ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو حَامِدٍ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَرَاغِيُّ، قَالَ: وَرَدَ عَلَى الْقَاسِمِ بْنِ الْعَلَاءِ نُسْخَةٌ مَا خَرَجَ مِنْ لَعْنِ إِبْنِ هَلَالٍ، وَكَانَ ابْنَيْدَاءُ ذَلِكَ أَنْ كَتَبَ عَلَيْهِ لِلَّهِ إِلَيْهِ قُوَّامِهِ بِالْعَرَاقِ: «اْحْذِرُوا الصُّوفَى الْمُتَصَنِّعَ»، قَالَ: وَكَانَ مِنْ شَانِ أَحْمَدَ بْنِ هَلَالٍ أَنَّهُ قَدْ كَانَ حَجَّ أَرْبَعاً وَحُمْسِينَ حَجَّةً، عِشْرُونَ مِنْهَا عَلَى قَدْمَيْهِ، قَالَ: وَكَانَ رُوَاةً أَصْحَابِنَا بِالْعَرَاقِ لَقُوَّهُ وَكَتُبُوا مِنْهُ، وَأَنْكَرُوا مَا وَرَدَ فِي مَذَمَّتِهِ، فَحَمَلُوا الْقَاسِمَ بْنَ الْعَلَاءِ عَلَى أَنْ يُرَاجِعَ فِي أَمْرِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ: «قَدْ كَانَ أَمْرُنَا نَفَدَ إِلَيْكَ فِي الْمُتَصَنِّعِ إِبْنَ هَلَالٍ (لَا رَحْمَةُ اللَّهِ) بِمَا قَدْ عَلِمْتَ، لَمْ يَرُلْ (لَا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذَنْبُهُ وَلَا أَقْالَهُ عَشْرَتُهُ) يُدَاخِلُ فِي أَمْرِنَا بِلَا إِذْنِ مِنَّا وَلَا رِضَى، يَسْتَبِدُ بِرَأْيِهِ، فَيَتَحَمَّى مِنْ دُيُونِنَا، لَا يُمْضِي مِنْ أَمْرِنَا إِلَّا بِمَا يَهْوَاهُ وَبِرِيدُ، أَرْدَاهُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَصَبَرَنَا عَلَيْهِ حَتَّى تَبَرَّ اللَّهُ بِدَعْوَتِنَا عُمْرُهُ، وَكُنَّا قَدْ عَرَفْنَا خَبَرَهُ قَوْمًا مِنْ مَوَالِيْنَا فِي أَيَّامِهِ (لَا رَحْمَةُ اللَّهِ)، وَأَمْرَنَا هُمْ بِالْقَاءِ ذَلِكَ إِلَى الْخَاصِّ مِنْ مَوَالِيْنَا، وَنَحْنُ نَبْرُأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِبْنِ هَلَالٍ (لَا رَحْمَةُ اللَّهِ) وَمَنْ لَا يَبْرُأُ مِنْهُ. وَأَعْلَمُ الْإِسْحَاقِيَّ (سَلَّمَهُ اللَّهُ) وَأَهْلَ بَيْتِهِ مِمَّا أَعْلَمْنَاكَ مِنْ حَالٍ هَذَا الْفَاجِرِ، وَجَمِيعُ مَنْ كَانَ سَأَلَكَ وَيَسَّأَلُكَ عَنْهُ مِنْ أَهْلِ بَلْدِهِ وَالْخَارِجِينَ، وَمَنْ كَانَ يَسْتَحِقُ أَنْ يَطْلَعَ عَلَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لَا عُذْرٌ لِأَحَدٍ مِنْ مَوَالِيْنَا فِي الْشَّكِيكِيَّ فِيمَا يُؤَدِّيَهُ عَنَّا ثَقَانَا، قَدْ عَرَفُوا بِأَنَّا نُفَا وَضُبِّهُمْ سِرَّنَا، وَنَحْمِلُهُ إِيَّاهُ إِلَيْهِمْ، وَعَرَفْنَا مَا يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى». وَقَالَ أَبُو حَامِدٍ: فَبَثَتْ قَوْمٌ عَلَى إِنْكَارِ مَا خَرَجَ فِيهِ، فَعَاوَدُوهُ فِيهِ، فَخَرَجَ: «لَا شَكَرَ اللَّهُ قَدْرُهُ، لَمْ يَدْعُ الْمَرْءُ رَبَّهُ بِأَنْ لَا يُزِيغَ قَلْبُهُ بَعْدَ أَنْ هَدَاهُ، وَأَنْ يَجْعَلَ مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِ مُسْتَقَرًّا وَلَا يَجْعَلَهُ مُسْتَوْدَعًا، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْدَّهْقَانِ (عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ) وَخِدْمَتِهِ وَطُولِ صُحبَتِهِ، فَأَبْدَلَهُ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ كُفْرًا حِينَ فَعَلَ مَا فَعَلَ،

فَعَاجِلُهُ اللَّهُ بِالنَّقْمَةِ وَلَا يُمْهِلُهُ، وَاحْمَدُ اللَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»<sup>(١)</sup>.

لاحظ معي هذه المقاطع المتعددة من دعاء الإمام عليه السلام على هذا الرجل الذي كان من أصحاب الإمام الهادي وال العسكري عليه السلام، والذي عاش عمرًا قارب التسعين سنة حيث ولد (١٨٠ هـ) وتوفي (٢٦٧ هـ)، فيكون عمره (٨٧) سنة تقريباً ولم ينحرف إلا أواخر عمره حيث إنَّه كان يرى إمامة الإمام المهدى عليه السلام، وأنَّ السفير الأول عثمان بن سعيد العمري عليه السلام هو وكيل للإمام المهدى عليه السلام، وكان يرى نفسه المؤهل للوكلة بعد السفير الأول، ولما عين الإمام المهدى عليه السلام السفير الثاني وهو ابن العمري، أي محمد بن عثمان الخلاني، توقف ولم يقل بنيابته عن الإمام، فقال له جماعة من الشيعة: أَلَا تَقْبُلُ أَمْرَ أَبِي جعفرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عُثْمَانَ وَتَرْجُعُ إِلَيْهِ وَقَدْ نَصَّ عَلَيْهِ الْإِمَامُ الْمُفْتَرُضُ الْطَّاغُةُ؟ فَقَالَ لَهُمْ: لَمْ أَسْمَعْهُ يَنْصُّ عَلَيْهِ بِالْوَكَالَةِ، وَلَيْسَ أُنْكِرُ أَبَاهُ - يَعْنِي عُثْمَانَ بْنَ سَعِيدِ -، فَأَمَّا أَنْ أَقْطَعَ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ وَكَيْلَ صَاحِبِ الْزَّمَانِ فَلَا أَجْسِرُ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: قَدْ سَمِعْتُهُ غَيْرُكَ، فَقَالَ: أَنْتُمْ وَمَا سَمِعْتُمْ، وَوَقَفَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ، فَلَعْنُهُ وَتَرَءُوا مِنْهُ<sup>(٢)</sup>، وقد خرجت توقعات بالبراءة منه نقلنا إليك نصوص بعضها.

فلاحظ وأنت تقرأ النص الأنف الذكر كيف أنَّ الإمام عليه السلام أكثر من الدعاء على هذا الرجل، حيث قال عليه السلام: «لَا رَحْمَةُ اللَّهِ لَهُ ذَنْبُهُ وَلَا أَقَالَهُ عَشْرَةَ»، «أَرْدَاهُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»، «تَبَرَّ اللَّهُ بِدَعْوَتِنَا عُمْرَهُ»، «لَا رَحْمَةُ اللَّهِ»، «تَبَرَّ إِلَى اللَّهِ مِنِ ابْنِ هِلَالٍ لَا رَحْمَةُ اللَّهِ»، «لَا شَكَرَ اللَّهُ قَدْرَهُ». هذه أدعية من

(١) رجال الكشي (ج ٢ / ص ٨١٦ و ٨١٧ / ح ١٠٢٠)؛ وفي بحار الأنوار (ج ٥٠ / ص ٣١٨

و ٣١٩ / ح ١٥)؛ «لَمْ يَدَعْ الْمَرْزَةَ بِأَنْ لَا يُزِيغَ قَبْلَهُ»، ولم يظهر لي ذلك.

(٢) الغيبة للطوسي (ص ٣٩٩ / ح ٣٧٤).

إمام مفترض الطاعة وهو الإمام المهدى عليه السلام، بل إنَّ الإمام في التوقيع الآنف الذكر يبرأ إلى الله ممَّن لا يبرأ منه، فأيُّ فعلٍ شنيعٍ قام به هذا ليقع فيها وقع فيه، ويصدر ما صدر عن إمام الزمان عليه السلام عليه؟!

أتعلم أيُّها القارئ العزيز أنَّ هذا الرجل عاش ما يقرب من ثمانين سنة من عمره على ظاهر الاستقامة، وأنَّه إنَّما انحرف في السينين الأخيرة من عمره؟!

دقَّقْ معى فيما سأنقل لك، ولاحظ أثر دعاء الإمام عليه السلام على الإنسان وما يجلبه من شقاء وهلاك أبدى، حيث ينقل الصدوق عليه السلام عن شيخه محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد عليه السلام، قال: سمعتَ سعدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ يَقُولُ: (مَا رَأَيْنَا وَلَا سَمِعْنَا بِمُتَشَيِّعٍ رَجَعَ عَنِ التَّشَيُّعِ إِلَى النَّصْبِ إِلَّا أَحْمَدَ بْنَ هَلَالِ) <sup>(١)</sup>.

تأمل أيُّها العزيز في كلام محدث الطائفة الفقيه الصدوق عليه السلام وهو ينقل عن أستاذه هذه المقالة، وتذَبَّر آثار دعاء الإمام عليه السلام وما يجلبه من شقاء على الإنسان، ولا شكَّ أنَّ هذا الشخص لو لا الاستعداد الذاتي في داخله واقتضاء الانحراف في قلبه لما آلت أموره إلى ذلك، فكان ما يحمل من علم ومكانة في المجتمع وبالاً عليه وحسرةً يوم القيمة.

#### دعاء الندبة:

يعتبر دعاء الندبة من الأدعية المشهورة المعروفة، وفقراته موافقة مضموناً لما عليه الروايات المعتبرة على ما يأتي من ذكر جملة من الروايات عند توضيح وشرح كلٍّ فقرة فقرة من هذا الدعاء المبارك.

وفي هذا الصدد فإنَّه لا ينبغي التوقف كثيراً في سند دعاء الندبة، وذلك لأنَّ المتن فيه من المصامين العالية ما يجلب الاطمئنان إلى صدورها من معادن الوحى.

(١) كمال الدين (ص ٧٦).

وقد ذكر جملة من أساطين المذهب أنَّ بعض المضامين المذكورة في المعاجم الحديثيَّة وكتُب الأدعية والزيارات تكشف عن صدورها من معدن العصمة عليهما، ومنَّ قال ذلك - وفي موارد مختلفة - جماعة، منهم:

\* **الميرداماد** عليه السلام في (الرواشح): (... ويُعرف كون الحديث موضوعاً باقراره واضعه بالوضع...، وقد يُعرف أيضاً برकاتة الفاظ المرويٍّ وسخافة معانيها وما يجري بجري ذلك، كما قد يُحكم بصحَّة المتن - مع كون السند ضعيفاً - إذا كان فيه من أساليب الرزانة وأفانين البلاغة وغمضات العلوم وخفَّيات الأسرار ما يأبِّي إلَّا أنْ يكون صدوره من خزنة الوحي، وأصحاب العصمة، وحزب روح القدس، ومعادن القوَّة القدسية. وللمضطلين بعلم الحديث ملكة قوية، وثقافة شديدة يعرفون بها الصحيح والمكذوب، ويُميِّزون الموضوع من المسموع<sup>(١)</sup>).

\* **السيِّد عبد الله شُبَّر** عليه السلام في (الأنوار اللامعة): (اعلم أنَّ هذه الزيارة - الجامعة - قد رواها جملة من أساطين الدين وحملة علوم الأئمَّة الطاهرين، وقد اشتهرت بين الشيعة الأبرار اشتهر الشمس في رابعة النهار، وجواهر مبانيها وأنوار معانيها دلائل حقٍّ وشواهد صدقٍ على صدورها عن صدور حملة العلوم الربَّانية وأرباب الأسرار الفرقانية<sup>(٢)</sup> المخلوقين من الأنوار الإلهيَّة، فهي كسائر كلامهم الذي يُعني فصاحة مضمونه وبلاغة مشحونة عن ملاحظة سنته، كنهج البلاغة والصحيفة السجَّادية وأكثر الدعوات والمناجاة...).

(١) الرواشح السماوية (ص ٢٧٧ و ٢٧٨).

(٢) في القاموس المحيط (ج ٣ / ص ٢٧٤): (فرق بينهما فرقاً وفُرقاناً - بالضمّ - فصل، و﴿فيها يُفرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان: ٤]، أي يُقضى، ﴿وَفَرَّقْنَا فَرْقَتَاهُ﴾ [الإسراء: ١٠٦]: فَصَلَنَاهُ وَأَحْكَمْنَاهُ، ﴿وَإِذْ فَرَّقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ﴾ [البقرة: ٥٠]: فلقناه، و﴿الْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴾ [المرسلات: ٤]: الملائكة تنزل بالفرق بين الحقِّ والباطل، والفرق: الطريق في شعر الرأس...).

(٣) الأنوار اللامعة (ص ٣١).

\* **العلامة المجلسي** رحمه الله في (ملاذ الأخيار): (باب زيارة جامعة لسائر المشاهد (على أصحابها السلام): الحديث الأول: مجهول، لكن الزيارة نفسها شاهد عدل على صحتها)<sup>(١)</sup>.

\* **الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء** رحمه الله في معرض جوابه عن سؤال وجّه له حول سند دعاء الصباح، قال رحمه الله: (وللائمة (سلام الله عليهم) أسلوب خاص في الثناء على الله والحمد لله والضراوة له والمسألة منه، يعرف ذلك من مارس أحاديثهم وأنس بكلامهم وخاص في بحار أدعيةهم، ومن حصلت له تلك الملكة وذلك الأنس لا يشك في أن هذا الدعاء صادر منهم، وهو أشبه ما يكون بأدعية الأمير عليه السلام مثل دعاء كميل وغيره، فإن لكل إمام هجة خاصة وأسلوباً خاصاً على تقاربها وتشابهها جمياً، وهذا الدعاء في أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة والمتانة والقوّة مع تمام الرغبة والخصوص والاستعارات العجيبة، انظر إلى أول فقرة منه: «يا من دلَّع لسانَ الصَّبَاحِ بِنُطْقِ تَبَلِّجِه»<sup>(٢)</sup> واعجب لبلاغتها وبديع استعاراتها. وإذا اتجهت إلى قوله: «يا من دلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ»<sup>(٣)</sup> تقطع بأنّها من كلامهم (سلام الله عليهم) مثل قول زين العابدين عليه السلام: «بِكَ عَرَفْتُكَ وَأَنْتَ دَلَّتِي عَلَيْكَ»<sup>(٤)</sup>، وبالجملة فما أجد ما قال بعض علمائنا الأعلام: إنّا كثيراً ما نُصْحِحُ الأسانيد بالمتون، فلا يضرُّ بهذا الدعاء الجليل ضعف سنته مع قوّة متنه، فقد دلَّ على ذاته بذاته...»<sup>(٥)</sup>.

\* **السيد الخوئي** قده في (مصباح الفقاهة): (... ولا إشكال في جواز

(١) ملاذ الأخيار (ج ٩ / شرح ص ٢٤٧).

(٢) زاد المعاد (ص ٣٨٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) إقبال الأعمال (ج ١ / ص ١٥٧).

(٥) الفردوس الأعلى (ص ٥١).

ارتزاق القاضي من بيت المال في الجملة كما هو المشهور، لأنَّ بيت المال معدٌّ لمصالح المسلمين والقضاء من مهمَّاتها، ولما كتبه عليٌّ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مالك الأشتر في عهد طویل، فقد ذكر عَلَيْهِ السَّلَامُ فيه صفات القاضي، ثمَّ قال: «وَأَفْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عَلَيْهِ، وَتَقْلُ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ»<sup>(١)</sup>، والعهد وإنْ نُقلَ مرسلاً إلَّا أنَّ آثار الصدق منه لائحة، كما لا يخفى للناظر إليه...<sup>(٢)</sup>.

\* الشیخ الوحید الخراسانی (دام ظلُّه) في درس الفقه من يوم الثلاثاء (١١/ جمادی الثانية/ ١٤١٨هـ)، حيث أكَّدَ عَلَى اعتبار كتاب (نهج البلاغة) وبعض الروایات عالیة المضامین، فقد عَبَرَ عن روایة واردة في (عيون أخبار الرضا [عَلَيْهِ السَّلَامُ]) بأنَّها روایة شریفة، وقال: (إِنَّ نَفْسَ مَضْمُونَهَا شَاهِدٌ عَلَى صُدُورِهَا مِنْ إِلَمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ)، ثُمَّ قال في موضع آخر تعليقاً على حديث: «الْإِسْلَامُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى عَلَيْهِ»<sup>(٣)</sup> بعد أنْ ذکر أئمَّها من مرسَلات الصدوق [عَلَيْهِ السَّلَامُ] التي لا دلیل عَلَى حجَّیَّتها: (وَفِي رَأْيِنَا إِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْجُمَلَ صَادِرَةٌ عَنْهُمْ، وَلَا يَنْبَغِي الظَّرْفُ فِي سُنْدِهَا، وَلَذَا إِنَّا مِنَ الْخَطَأِ إِدْرَاجُ بَعْضِ الْرَوَايَاتِ ذَاتِ الْمَضَامِينِ الْعَالِيَةِ ضَمِّنَ مَبْحَثَ صَحَّةِ السُّنْدِ فِي الْأُصُولِ، إِذَا وَجَهَ مَعَ عَلَوْهُ الْمَضْمُونُ لِصُدُورِ الْعَبَارَةِ عَنِ الْغَيْرِ الْمَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمِنْ هَنَا فَلَا حَاجَةُ لِلْبَحْثِ فِي سُنْدِ مُثْلِ كَلِمَاتِ (نهج البلاغة)).<sup>(٤)</sup>.

فَكَوْنُ آثار الصدق لائحة من المضامون مَمَّا يوجِبُ التصديق بالصادر رغم الإرسال في السنَد، وهذا لا يخُصُّ بما ذكرناه من موارد ذُكِرَتْ في كلماتهم (قدَّستْ أُسْرَارَهُمْ)، ويُمْكِنُ أنْ يشتمل مورد كلامنا.

\* \* \*

(١) نهج البلاغة (ص ٤٣٥ / ح ٥٣).

(٢) مصباح الفقاهة (ج ١ / ص ٤٢٢).

(٣) من لا يحضره الفقيه (ج ٤ / ص ٣٣٤ / ح ٥٧١٩).

(٤) حوار مع فضيل الله حول الزهاء (سلام الله عليها) (ص ٢٩٢).

الفصل الأول:

الوساطة بين السماء والأرض

وخصائص الأنبياء ودرجاتهم



## الفقرة الأولى

«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمَيْنَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا».

والحديث في شرح هذه الفقرة يكون في نقطتين:

### النقطة الأولى: بيان معنى الحمد:

تعدّدت الأقوال في تحديد معناه، وإن اتفقت على أنَّ الحمد هو الثناء على الله تعالى والشكر له، بل عبرت عنه العديد من الروايات بأنَّه هو الشكر<sup>(١)</sup> تعبيراً عن معناه العام بأبرز مصاديقه، ولأجل الاستئناس نمُر على جملة من الروايات ونلحظ بعض كلمات المفسّرين ممَّن تعرَّض لمعاني الحمد في القرآن الكريم خصوصاً تفسير سورة الحمد.

قال الشيخ الطبرسي رحمه الله: (معنى الحمد لله: الثناء عليه، والشكر له)<sup>(٢)</sup>.

وقال رحمه الله: (الحمد والمدح والشكر متقاربة المعنى، والفرق بين الحمد والشكر: أنَّ الحمد نقىض الذمّ، كما أنَّ المدح نقىض الهجاء. والشكر نقىض الكفران. والحمد قد يكون من غير نعمة، والشكر يختصُّ بالنعمة، إلَّا أنَّ الحمد يُوضع موضع الشكر، ويقال: الحمد لله شكرأً، فينصب (شكراً) على المصدر، ولو لم يكن الحمد في معنى الشكر لما نصبه، فإذا كان الحمد يقع موقع الشكر،

(١) سيأتي في الرواية الثانية ذلك.

(٢) مجمع البيان (ج ١ / ص ١٤٩).

فالشكر هو الاعتراف بالنعمـة مع ضرب من التعظيم، ويكون بالقلب، وهو الأصل، ويكون أيضاً باللسان. وإنما يحب باللسان لنفي تهمة الجحود والكفران. وأمـا المدح فهو القول المنـيـع عن عـظـم حال المـدوـح مع القـصـد إـلـيـهـ. وأمـا الرـبـ: فـلهـ معـانـ، مـنـهـاـ: السـيـدـ المـطـاعـ...، وـمـنـهـاـ: الـمـالـكـ...، وـمـنـهـاـ: الصـاحـبـ...، وـمـنـهـاـ: الـمـرـبـ، وـمـنـهـاـ: الـمـصـلـحـ، وـاشـتـاقـاقـهـ منـ التـرـبـيـةـ يـقـالـ: رـبـيـتـهـ وـرـبـيـتـهـ بـمـعـنـيـ، وـفـلـانـ يـرـبـ صـنـيـعـتـهـ: إـذـاـ كـانـ يـنـمـمـهـاـ، وـلـاـ يـطـلـقـ هـذـاـ الـاسـمـ إـلـاـ عـلـىـ اللهـ، وـيـقـيـدـ فـيـهـ، فـيـقـالـ: رـبـ الدـارـ، وـرـبـ الـضـيـعـةـ<sup>(١)</sup>.

في (عيون أخبار الرضا علـيـهـ الـلـهـ عـلـيـهـ) يـاـسـنـادـهـ عـنـ الـحـسـنـ بـنـ عـلـيـ بـنـ مـوـمـدـ بـنـ عـلـيـ بـنـ مـوـسـىـ بـنـ جـعـفـرـ بـنـ مـوـمـدـ بـنـ عـلـيـ بـنـ الـحـسـيـنـ بـنـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ عـلـيـهـ الـلـهـ عـلـيـهـ، عـنـ جـدـهـ عـلـيـهـ الـلـهـ عـلـيـهـ، قـالـ: «جـاءـ رـجـلـ إـلـىـ الـرـضـاـ عـلـيـهـ الـلـهـ عـلـيـهـ، فـقـالـ لـهـ: يـاـ إـبـنـ رـسـوـلـ اللهـ، أـخـرـيـنـ عـنـ قـوـلـ اللهـ عـلـيـهـ: الـحـمـدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ<sup>(٢)</sup>» [الفاتحة: ٢، ما تفسـيـرـهـ؟ فـقـالـ: «لـقـدـ حـدـثـنـيـ أـبـيـ، عـنـ جـدـيـ، عـنـ الـبـاقـرـ، عـنـ زـيـنـ الـعـابـدـيـنـ، عـنـ أـبـيـهـ عـلـيـهـ الـلـهـ عـلـيـهـ أـنـ رـجـلاـ جـاءـ إـلـىـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـ الـلـهـ عـلـيـهـ، فـقـالـ: أـخـرـيـنـ عـنـ قـوـلـ اللهـ عـلـيـهـ: الـحـمـدـ لـلـهـ رـبـ الـعـالـمـيـنـ<sup>(٣)</sup>»، ما تفسـيـرـهـ؟ فـقـالـ: «الـحـمـدـ لـلـهـ» هـوـ أـنـ عـرـفـ عـبـادـهـ بـعـضـ نـعـمـهـ عـلـيـهـمـ جـمـلاـ، إـذـ لـاـ يـقـدـرـونـ عـلـىـ مـعـرـفـةـ جـمـيعـهـاـ بـالـتـفـصـيلـ، لـاـنـهـاـ أـكـثـرـ مـنـ أـنـ تـحـصـيـ أـوـ تـعـرـفـ، فـقـالـ هـمـ: قـوـلـواـ: الـحـمـدـ لـلـهـ عـلـىـ مـاـ أـنـعـمـ بـهـ عـلـيـنـاـ. رـبـ الـعـالـمـيـنـ<sup>(٤)</sup>، وـهـمـ أـجـمـاعـاتـ مـنـ كـلـ مـخـلـوقـ مـنـ الـجـمـادـاتـ وـالـحـيـوـانـاتـ...»<sup>(٥)</sup>.

في (الفقيـهـ): عـنـ الرـضـاـ عـلـيـهـ الـلـهـ أـنـهـ قـالـ: «الـحـمـدـ لـلـهـ» إـنـهـ هـوـ أـدـاءـ لـمـاـ أـوـجـبـ اللهـ عـلـيـهـ عـلـىـ خـلـقـهـ مـنـ الـشـكـرـ، وـشـكـرـ لـمـاـ وـفـقـ عـبـدـهـ مـنـ الـخـيـرـ<sup>(٦)</sup>.

(١) مـجـمـعـ الـبـيـانـ (جـ ١ـ صـ ٥٥ـ).

(٢) عـيـونـ أـخـبـارـ الرـضـاـ عـلـيـهـ الـلـهـ (جـ ١ـ صـ ٢٥٤ـ ٢٥٦ـ بـابـ ٢٨ـ حـ ٣٠ـ).

(٣) مـنـ لـاـ يـحـضـرـهـ الـفـقـيـهـ (جـ ١ـ صـ ٩٢٦ـ حـ ٣١٠ـ).

## الفصل الأول: الوساطة بين السماء والأرض، وخصائص الأنبياء ودرجاتهم ..... ٤٥

وعليه فالحمد هو الثناء لله تعالى وشكره على إحسانه بعد معرفة نعمه، لأنّه يفترض أنَّ العبد - وهو كذلك - متنعم بنعيم كثيرة، لا يمكن إحصاؤها ولا شكرها إلَّا بشكر منعمها والمفيض لها، وهو الله سبحانه وتعالى، حيث تُعطى فقرة الحمد - التي تعني لزوم الشكر من العبد، ولزوم التخُضُّع والتذلل للعبد - درساً في العبودية للمشكور، لأنَّ الفقرة التي بعدها عندما وصفت المحمود بأنه رب العالمين، كانَّا هي تقول للعبد: أَنْبَأَكَ اللَّهُ أَنَّكَ تُشَكَّرْ هَذِهِ النِّعَمُ الَّتِي لَا تُحْصَى، لأنَّ مُصْدِرَهَا الْوِجُودُ الَّذِي لَا يَنْبَعِثُ مِنْهُ إلَّا الْخَيْرُ، هَذَا الْوِجُودُ هُوَ الْوِجُودُ الْإِلَهِيُّ الْغَنِيُّ الَّذِي مِنْ أَبْرَزِ صَفَاتِهِ أَنَّهُ مَدْبُرُ هَذَا الْكَوْنِ.

وبكلمة: فإنَّ هذه الفقرة وعلى صغر حجمها تتحدث عن محورية رب والنعمة والإحاطة، من خلال الكلمات الأربع التي تضمُّنُتها، فـ«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» تتكلّم عن النعيم التي يجب أن تُحمد والتي لا بدَّ أن تعود إلى منعم غني، هو مجمع صفات الكمال والخلال، وأنَّ أبرز ما يُظهره من إنعامه أنه رب مدبر، ليعقبها بـ«الْعَالَمَيْنَ» إشارةً إلى الإحاطة الربوية لكُلِّ العوالم.

### النقطة الثانية: بيان معنى الصلاة:

ثمّ أعقبها بالصلاحة على محمد ﷺ، معرّفاً إياه بأنه (السيّد النبّيُّ)، ومثنياً بالصلاحة والسلام على آلِه ﷺ، والحديث في الصلاة على النبيّ وأدابها وآثارها حديث طويل شيق، فالصلاحة على النبيّ ﷺ شفاء من أخطر الأمراض التي يواجهها الإنسان، حيث قال ﷺ كما في (الكافي): «الصَّلَاةُ عَلَيَّ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِي تَذَهَّبُ بِالنَّقَاقِ»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكرت الأحاديث الشرفية أنَّ للصلاحة على النبيّ ﷺ جملة من الآثار

(١) الكافي (ج ٢ / ص ٤٩٢ / باب الصلاة على النبيّ محمد وأهل بيته ﷺ / ح ٨).

والفوائد، منها: إجابة الدعاء حيث قال ﷺ: «صَلَاتُكُمْ عَلَيَّ إِجَابَةٌ لِدُعَائِكُمْ»<sup>(١)</sup>، وغيرها فراجع.

### حقيقة سيادة النبي ﷺ:

سيادة النبي ﷺ وهبّة من الله تعالى لما يحمله من الكمالات الروحية والمعنوية.

وممّا دلّ على سيادة النبي الأكرم ﷺ وآلـهـ الأطهـارـ عليهـ عـدـةـ روـاـيـاتـ لا يـبـعـدـ القـوـلـ بـتـوـاتـرـهاـ،ـ منهاـ:

#### روايات السيادة:

وهي تدلّ على أنه ﷺ سيد ولد آدم عليهما السلام، ومنها ما رواه الشيخ الصدوق عليه السلام بسنده عن عائشة، قالت: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ عَلَيْيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليهما السلام، فَقَالَ: «هَذَا سَيِّدُ الْعَرَبِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَكَسْتَ سَيِّدَ الْعَرَبِ؟ قَالَ: «أَنَا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ، وَعَلَيْيَّ سَيِّدُ الْعَرَبِ»، فَقُلْتُ: وَمَا أَسَيِّدُ؟ قَالَ: «مَنْ أُفْرِضَتْ طَاعَتُهُ كَمَا أُفْرِضَتْ طَاعَتِي»<sup>(٢)</sup>.

وإذا سألتَ: مَنْ هُمُ الْعَرَبُ؟ يقال لكَ: هي قوميّة من القوميات المعروفة يرتبط أفرادها برابطة اللغة والنّسب وجملة من العادات والتقاليد والأعراف، لكن الروايات الشريفة ذكرت أنَّ الْعَرَبَ يُقصد بها - على نحو التأويل أو التصرُّف الحكومي - الشيعة بالخصوص، وأنَّهم الموالين لعلي عليهما السلام، ولعلَّ تصريح الخبر المتقدّم بأنَّ أمير المؤمنين عليهما السلام سيد الْعَرَب يشير إلى هذا المعنى.

(١) أمالى الطوسي (ص ٢١٥ / ح ٣٧٦ / ٢٦).

(٢) أمالى الصدوق (ص ٩٣ و ٩٤ / ح ٧١ / ١١).

### الشيعة هم العرب:

ومن بين تلك الروايات ما ورد:

- \* في (الكافي) بسنده عن إسحاق بن عمّار أو غيره، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «نحن بنو هاشم، وشيعتنا العرب، وسائر الناس الأعراب»<sup>(١)</sup>.
- \* وفيه بسنده عن زرارة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «نحن قريش، وشيعتنا العرب، وسائر الناس علوج الروم»<sup>(٢)</sup>.
- \* وفي (معاني الأخبار) بسنده عن صریح بن عبد الملك، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «نحن قريش، وشيعتنا العرب، وعذونا العجم»<sup>(٣)</sup>.
- \* وفيه بسنده عن عمر بن سعيد بن خثيم، عن أخيه معمر، عن محمد بن علي عليهما السلام، قال: «نحن العرب، وشيعتنا مينا، وسائر الناس هجاج أو هباج»، قال: قلت: وما همجون؟ قال: «الذباب»، قلت: وما هباج؟ قال: «الباق»<sup>(٤)</sup>.

ولهذه الحكومة والتفسير شاهد يقلل من الاستيحاش في تقبل معنى أنَّ العرب هم الشيعة بالخصوص وإن اختلفت قومياتهم، وأنَّ غيرهم خارج دائرة العروبة الدينية والعقائدية، أو قل: خارج دائرة العروبة لأهل البيت عليهما السلام، وهو ما ورد في روايات جعل رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليهما السلام الأب لهذه الأمة، ومنها ما ورد:

- \* في (أمالي الصدوق) بسنده عن ثابت بن أبي صفيحة، عن سيد العابدين علي بن الحسين، عن سيد الشهداء الحسين بن علي، عن سيد الوصيin أمير

(١) الكافي (ج/٨/ص ١٦٦/ح ١٨٣).

(٢) الكافي (ج/٨/ص ١٦٦/ح ١٨٤).

(٣) معاني الأخبار (ص ٤٠٣ و ٤٠٤ / باب معنى نوادر المعاني / ح ٧١).

(٤) معاني الأخبار (ص ٤٠٤ / باب معنى نوادر المعاني / ح ٧٢).

الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ سَيِّدِ النَّبِيِّنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْخَاتَمِ النَّبِيِّنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَرَضَ عَلَيْكُمْ طَاعَتِي، وَنَهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَتِي، وَأَوْجَبَ عَلَيْكُمْ اتِّبَاعَ أَمْرِي، وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ طَاعَةِ عَلِيٍّ بَعْدِي مَا فَرَضَهُ مِنْ طَاعَتِي، وَنَهَاكُمْ مِنْ مَعْصِيَتِي عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ مِنْ مَعْصِيَتِي، وَجَعَلَهُ أَخْيَرَ وَوَزِيرِي وَصِيَّيْ وَوَارِثِي، وَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، حُبُّهُ إِلَيَّهُ أَنْ يُغْضِهُ كُفُرُ، وَمُحِبُّهُ مُحِبُّي، وَمُبْعِضُهُ مُبْغِضِي، وَهُوَ مَوْلَى مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ، وَأَنَا مَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، وَأَنَا وَإِيَّاهُ أَبُوا هَذِهِ الْأُمَّةِ»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (كمال الدين) بسنده عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن أبيه عليه السلام، قال: قال رسول الله عليه السلام: «أنا سيد من خلق الله تعالى، وأنا خير من جبريل وميكائيل وإسرافيل وحملة العرش وجميع ملائكة الله المقربين وأنبياء الله المرسلين، وأنا صاحب الشفاعة والحضور الشريف، وأنا وعلي أبوه هذه الأمة، من عرفنا فقد عرف الله تعالى، ومن أنكرنا فقد أنكر الله تعالى، ومن على سبط أمتي، وسيدا شباب أهل الجنة: الحسن وأحسين، ومن ولد الحسين تسعة أئمه طاعتهم طاعتي، ومحضتهم معصيتي، تابعهم قائمهم ومهد لهم»<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) أمالى الصدوق (ص ٦٥ / ح ٣٠ / ٦).

(٢) كمال الدين (ص ٢٦١ / باب ٢٤ / ح ٧).

المبحث الأول:

المشارطة الإلهية

مع الأنبياء وآثار الوفاء بها



## الفقرة الثانية

«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا جَرَىٰ بِهِ قَضَاؤُكَ فِي أُولَائِكَ الَّذِينَ إِسْتَخْلَصْتُهُمْ لِنَفْسِكَ وَدِينِكَ، إِذَا خَرَّتَ لَهُمْ جَزِيلًا مَا عِنْدَكَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ الَّذِي لَا رَوَالَ لَهُ وَلَا إِضْمَحْلَالَ».

تشتمل هذه الفقرة على جملة من المطالب المهمة، وهي تحتاج إلى توسيعة في الكلام وشرح يناسب ما تحتويه من مخزون علمي وعرفي، ولكن حيث إنَّ هذا الشرح مبنيٌّ على الاختصار وبيان المطلب بنحو الإجمال، فيترك التفصيل إلى حمله.

والمطلب التي ينبغي تسليط الضوء عليها تناولها على شكل نقاط:

### النقطة الأولى: البُعد العقائدي:

#### بحث القضاء والقدر:

مسألة القضاء والقدر من المسائل الكلامية التي دارت حولها - ومنذ القِدَم - العديد من المناقشات، وخضعت للعديد من القراءات، وتذهب بسببيها عدَّة مذاهب وفرق، ولا زالت مقالات هذه المسألة تُلقي بظلالها على الواقع الفكري والديني.

#### القضاء والقدر في القرآن والروايات:

ذُكر القضاء والقدر في الكتاب العزيز في عدَّة آيات كريمة، من بينها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر: ٤٩).

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾ (الأحزاب: ٣٨).

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢١).

وقد ورد في الروايات الشريفة تعريفهما والحديث عن جملة من تفاصيلهما،

وممّا ورد:

\* في (الفصول المختارة) بسنده عن أبي إسحاق السباعي، قال: قال شيخ من أهل الشّام حضر صفين مع أمير المؤمنين عليهما السلام بعد انصاراهم من صفين: أخبرنا يا أمير المؤمنين عن مسيرنا إلى الشّام أكان بقضاء من الله وقدر؟ قال: «نعم يا أخا أهل الشّام، والذي فلق الحبة وبرأ السّمة ما وطناً ولا هبتنا وادياً ولا علّونا تلعة إلا بقضاء من الله وقدره»، فقال الشامي: عند الله تعالى أحسب عنائي إذا يا أمير المؤمنين، وما أظن أن لي أجرًا في سعيي إذا كان الله قضاه على وقدره لي، فقال أمير المؤمنين عليهما السلام: «إن الله قد أعظم لكم الأجر على مسيركم وانتم سائرون، وعلى مقامكم وانتم مقيمون، وهم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، ولا إليها مضطرين، ولا عليها مجبرين»، فقال الشامي: فكيف يكون ذلك والقضاء والقدر ساقانا، وعنهما كان مسيراً وانصرافاً؟ فقال له أمير المؤمنين عليهما السلام: «ويحك يا أخا أهل الشّام، لعلك ظنت قضاء لازماً وقدراً حتى، لو كان ذلك كذلك لبطل الشّواب والعقاب، وسقط الوعد والوعيد، والأمر من الله تعالى والنّهي منه، وما كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المسيء، ولا المسيء أولى بعقوبة الذنب من المحسن، تلك مقالة عبادة لا وثان، وحزب الشيطان، وخصماء الرحمن، وشهداء الزور، وقدريّة هذه الأمة ومجوسيها، إن الله أمر عباده تحذيراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يطع مكرهاً، ولم يعص مغلوباً، ولم يكلف عسيراً، ولم يرسل

الأنبياء لعيًا، ولم ينزل الكتب على العباد عيناً، وما خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار، قال الشامي: في القضاء والقدر اللذان كان مسيرون بهما وعنهما؟ قال: «الأمر من الله تعالى في ذلك، وأحکم منه»، ثم تلا: «وكان أمر الله قدرًا مقدوراً» [الأحزاب: ٣٨]...»<sup>(١)</sup>.

فأمير المؤمنين عليهما يصرّح أنَّ القضاء والقدر الإلهي لا يوجب الإجاء والجبر على الإنسان في أفعاله، وإلا لبطل الثواب والعقاب، فالإنسان مختار في أفعاله في إطار قضاء الله تعالى وتقديره.

\* وفي (الكافي) بسنده عن يُونس بن عبد الرحمن، قال: قال لي أبو الحسن الرضا عليهما: «يا يُونس، لا تقل بقول القدرية، فإن القدرية لم يقولوا بقول أهل الجنة، ولا بقول أهل النار، ولا بقول إبليس، فإن أهل الجنة قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله» [الأعراف: ٤٣]، وقال أهل النار: «ربنا غلبت علينا شفوتنا وكنا قوماً ضالين» [المؤمنون: ١٠٦]، وقال إبليس: «رب بما أغويتني» [الحجر: ٣٩]، فقلت: والله ما أقول بقولهم، ولكنني أقول: لا يكون إلا بما شاء الله وأراد وقدر وقضى، فقال: «يا يُونس، ليس هكذا لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدر وقضى. يا يُونس، تعلم ما المنشية؟»، قلت: لا، قال: «هي الذكر الأول، فتعلم ما الإرادة؟»، قلت: لا، قال: «هي العزيمة على ما يشاء، فتعلم ما القدر؟»، قلت: لا، قال: «هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء»، قال: ثم قال: «والقضاء هو الإبرام وإقامة العين»، قال: فاستأذنته أن أقبل رأسه، وقلت: فتحت لي شيئاً كنت عنه في غفلة<sup>(٢)</sup>.

فالقضاء والقدر في عقيدة أهل البيت عليهما حقيقة تقع بين الجبر

(١) الفصول المختارة (ص ٧٠ - ٧٢).

(٢) الكافي (ج ١ / ص ١٥٧ و ١٥٨ / باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين / ح ٤).

والاختيار، فُعطي للإنسان مساحة واسعة تسمح له أن يصل إلى المقامات العليا من الكمالات التي ينبغي له الوصول إليها، وفي نفس الوقت لا يعني ذلك الوقوع في التفويض والخروج عن القدرة الإلهية، فمن أجمل التركيبات التي تمتاز بها العقيدة الإمامية أنها نظمت هذا البحث بشكل ينسجم مع الوجдан والعقل والواقع، في حين أنَّ الغير لم يتمكَّن من الخروج من هذه المعضلة بما ينسجم مع العقل والوجدان وما دلَّت عليه الآيات الكريمة.

#### مراتب القضاء والقدر:

من البحوث التي تطرَّق لها العلماء في هذه المسألة هو بيان مراتب القضاء والقدر، حيث ترتب على اختلاف المراتب حلُّ العديد من عُقد هذه المسألة وجملة من الغازها، ومتى ذُكر في هذا الصدد:

#### القضاء والقدر في عالم التشريع والاعتبار:

ويُراد منه ما يُعبَّر عن إرادة المولى التشرعيَّة، وقد أشارت كلمة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى هذا المعنى حين قال للرجل الذي سأله عن معناهما: «الْأَمْرُ بِالطَّاعَةِ، وَالنَّهُمَّ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، وَالْتَّمْكِينُ مِنْ فِعْلِ الْحَسَنَةِ وَتَرْكِ الْسَّيِّئَةِ...»<sup>(١)</sup>.

#### القضاء والقدر في عالم التكوين:

فهو ما يرجع إلى حقائق هذا الكون ووجوداته، حيث عبرت عنهم بعض الروايات فيما تقدَّم بأنَّ القدر هو الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء، والقضاء هو الإبرام وإقامة العين.

إنْ قيل: أَلَا يلزم من القول بالقضاء والقدر، وأنَّ جميع ما في الكون مقدَّر ومقضى بعلم الله تعالى وواقع تحت سلطانه وقدرته، أَلَا يلزم منه الجبر؟ فإِنَّه يقال: لا يلزم منه القول بالجبر، على ما يبيَّنه الروايات الشرفية

(١) الإرشاد (ج ١ / ص ٢٢٥ و ٢٢٦).

المتقدمة، ولأنَّ الموجودات التي خلقها الله تعالى على نحوين: مجردة وغير مجردة، والمجردة تقديرها تلك الحدود التي رسمها الله تعالى لها، فيما الموجودات غير المجردة يكون تقديرها في إطار الزمان والمكان، فعندما تتحقق ضرورات وجود الشيء من عَلَّه وشرائطه يُعبَّر عنه أَنَّه مُقْضي ومُقدَّر.

وحيث إنَّ الإنسان خُلِق بقيد أَنَّه مختار، فلا يكون تقدير الله تعالى سلباً لحرَّيته، وقضاء عليه بما هو خارج عن إرادته وقدرته.

قال الشيخ المفيد فقيه: (والوجه عندنا في القضاء والقدر بعد الذي بَيَّنَاه في معناه أَنَّ الله تعالى في خلقه قضاء وقدر، وفي أفعالهم أيضاً قضاء وقدر معلوماً، ويكون المراد بذلك أَنَّه قد قضى في أفعالهم الحسنة بالأمر بها، وفي أفعالهم القبيحة بالنهي عنها، وفي أنفسهم بالخلق لها، وفيما فعله فيهم بالإيجاد له، والقدر منه سبحانه فيما فعله إيقاعه في حَقّه وموضعه، وفي أفعال عباده ما قضاه فيها من الأمر والنهي والثواب والعقاب، لأنَّ ذلك كُلُّه واقع موقعه، موضوع في مكانه لم يقع عبثاً ولم يُصنع باطلأً، فإذا فُسِّرَ القضاء في أفعال الله تعالى والقدر بما شرحته زالت الشنعة منه، وثبتت الحجَّة به، ووضَّحَ الحقُّ فيه لذوي العقول، ولم يلتحقه فساد ولا إخلال)<sup>(١)</sup>.

### النقطة الثانية: الْبُعْد القيمي والأخلاقي التربوي:

فإنَّ هذه الفقرة التي تبتدئ بذكر الله سبحانه وتعالى، وتنسب كُلَّ فيض من الوجود إلى الْوَهْيَة، هي في عين الوقت تلزم الإنسان بأنْ يخضع إذ عانَ لوليَّ تلك النِّعَم، وإيقاناً بأنَّ كُلَّ نعمة صدرت وتصدر إنَّها هي من معدن ومنبع الْأُلُوهِيَّة، فجميع ما يُمثِّله الحمد من مثاليل في اللغة هي صور يُعبَّر بها الداعي

(١) تصحيح اعتقادات الإمامية (ص ٥٦).

في دعائه إلى الله سبحانه وتعالى من خلال هذا المقطع، وإن كانت تلك النعم في ظاهرها ابتلاءات، فالنفس المستخلصة والتي وقع عليها الاختيار الإلهي ترى أنَّ ذلك يوجب الحمد، وأنَّه في كل الأحوال لا يُفرق فيه بين سراء أو ضراء، كما في حديث الإمام الباقر عليه السلام مع جابر بن عبد الله الأنصاري حينما سأله عليه السلام عن أحواله، فقال جابر: أَنَا فِي حَالَةٍ أَحِبُّ فِيهَا الشَّيْخُوخَةَ عَلَى الشَّبَابِ، وَالْمَرْضَ عَلَى الصَّحَّةِ، وَالْمَوْتَ عَلَى الْحَيَاةِ، فَقَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَمَا أَنَا يَا جَابِرُ فَإِنَّ جَعَلْنِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ شَيْخًا أَحِبُّ الشَّيْخُوخَةَ، وَإِنْ جَعَلْنِي شَابًا أَحِبُّ الشَّيْبُوْبَةَ، وَإِنْ أَمْرَضَنِي أَحِبُّ الْمَرْضَ، وَإِنْ شَفَانِي أَحِبُّ الشَّفَاءَ وَالصَّحَّةَ، وَإِنْ أَمَّتَنِي أَحِبُّ الْمَوْتَ، وَإِنْ أَبْقَانِي أَحِبُّ الْبَقَاءَ»<sup>(١)</sup>.

فما يشير إليه المقطع، هو ما يُصرّح به الإمام الباقر عليه السلام حيث يجعل النفس المستخلصة، والتي انتُخبَت وأُختيرت للولاية نموذجاً أسوياً يُحتذى به.

ولا تخفي الإشارات اللطيفة التي يتضمنها هذا المقطع من سموّ النفس ورقّها وتهذيبها وإعطائها نوعاً من الدرية في الممارسات السلوكية نتيجةً لما يسمعه الإنسان المؤمن عن الذي جرى على الأولياء، فتلك المعاني الخلقية التي تتولّد لدى المؤمن من إذعانه، وكلما اشتَدَّ به البلاء إنما هي أملأً في استخلاص نفسه للباري تعالى وذوبان وجوده في دينه، وهذا السموُّ الرفيع هو النموذج الذي أُمرنا بالاقتداء به والمتمثل بتلك المكارم التي إنما بُعثَ رسول الله عليه السلام ليُتمّها في النفس الإنسانية.

### النقطة الثالثة: البُعد المعرفي والمفاهيمي:

يُسلط المقطع الضوء على منظومة إلهيَّة لا يمكن أنْ تستقيم إلَّا بسُنَّ

(١) أنوار الحقيقة (ص ٢٥٩).

تقوينية، من أبرزها سُنَّة الابلاء والامتحان من أجل تحقيق الهدف الأسمى، فخلاصة المعرفة البشرية والتجربة العقلائية تقول: إنَّ الامتحان والبلاء ضرورة في تحقيق الأهداف العظام، وهي سُنَّة إلهيَّة جارية على جميع الناس، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (العنكبوت: ٢ و ٣).

فإنَّ جريان هذه السُّنَّة في الابلاءات على خصوص الإنسان المؤمن تولَّد لدى المضحي قدرة هائلة في أَنَّه لا يتوانى في البذل من أجل تحقيق الغاية القصوى، وهذا المقطع الذي يعكس لنا الحمد على ما جرى به القضاء في الأولياء لأجل الاستخلاص يُبرِّز هذه الحقيقة بشكلٍ جليٍّ واضحٍ.

ففي جملة من الروايات جاء التعبير بشدَّة الابلاء مقروراً بدرجة الإنسان، فقد ذُكِرَ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْبَلَاءُ وَمَا يَحْصُّ اللَّهُ بِعِنْدِهِ مِنْ مُؤْمِنٍ، فَقَالَ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ أَشَدُ النَّاسِ بَلَاءً فِي الدُّنْيَا؟ فَقَالَ: النَّبِيُّونَ، ثُمَّ الْأَمْمَلُ فَالْأَمْمَلُ، وَيُبَتَّلُ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِ وَحُسْنِ أَعْمَالِهِ، فَمَنْ صَحَّ إِيمَانُهُ وَحَسْنُ عَمَلِهِ إِشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَمَنْ سَخَّفَ إِيمَانُهُ وَضَعَفَ عَمَلُهُ قَلَّ بَلَاؤُهُ»<sup>(١)</sup>.

وفي نفس المصدر بسنته عن حُمَّرَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ الْكَلَمُ لَيَتَعَااهُدُ الْمُؤْمِنُ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَتَعَااهُدُ الرَّجُلُ أَهْلَهُ بِالْهُدْيَةِ مِنَ الْغَيْبَةِ، وَيَحْمِيهُ الدُّنْيَا كَمَا يَحْمِيَ الْطَّيِّبَ الْمَرِيضَ»<sup>(٢)</sup>.

فإنَّ النعيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال يحصل للإنسان بعد التسليم بالقضاء الصادر من الله سبحانه وتعالى.

علماً أنَّ الفقرة التي تحدثنا عنها تكتنز الكثير من المفاهيم والمعارف

(١) الكافي (ج / ٢ / ص ٢٥٢ / باب شدَّة ابتلاء المؤمن / ح ٢).

(٢) الكافي (ج / ٢ / ص ٢٥٥ / باب شدَّة ابتلاء المؤمن / ح ١٧).

العظيمة، فمنْ له همَّة المتابعة سيقف على بحرٍ زاخرٍ من المعرف من خلال هذا المقطع المبارك.

\* \* \*

### الفقرة الثالثة

«بَعْدَ أَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الْزُّهْدَ فِي دَرَجَاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدُّنْيَةِ  
وَزُخْرُفِهَا وَزِبْرِجَهَا، فَشَرَطُوا لَكَ ذَلِكَ وَعَلِمْتَ مِنْهُمُ الْوَفَاءِ  
بِهِ».

في هذه الفقرة جملة مطالب ومفاهيم تناولها في ضمن النقاط الآتية:

#### النقطة الأولى: الزهد في الدنيا:

تحدَّث هذه الفقرة عن فضيلة الزهد في الدنيا، والوفاء بالعهد، والرؤبة  
التي ينبغي للمؤمن أن ينظر بها للدنيا.

قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الزَّهَادَةُ قِصْرُ الْأَمْلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النَّعْمِ،  
وَالْتَّوْرُعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ»<sup>(١)</sup>.

الدنيا أدنى مراتب الوجود، ومتاز بظاهر جيل براق مزخرف جذاب،  
يُصرف الإنسان عن باطنها الديني، ويبعد المؤمن عن القرب من الله تعالى، هذا لو  
انطلق منها لتحقيق الأهداف الضيقة.

وأماماً لو انطلق منها من خلال السمو الروحي والتعالي على زخرفها  
وزبرجها فإنه يستطيع أن يصل إلى الحياة الأبديَّة والمستقرُّ السامي الذي لا بديل  
عنه.

---

(١) نهج البلاغة (ص ١٠٦ / ح ٨١).

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وَإِنَّمَا فِيهَا أَهْلَهَا لِيَعْلَمَ أَئُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، وَلَسْنَا لِلَّدُنْيَا خُلْقُنَا، وَلَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا، وَإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبَتَّلَ بِهَا...»<sup>(١)</sup>.

وعن علي بن هاشم البريد، عن أبيه، عن أبي جعفر عليهما السلام أن رجلا سأله عن الزهد، فقال: «الزهد عشرة أشياء، فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع، وأعلى درجات الورع أدنى درجات اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا. ألا وإن الزهد في آية من كتاب الله عز وجل: ﴿لِكِيلًا تَأْسُوا عَلَىٰ مَا فَائَكُمْ وَلَا تَفْرُحُوا بِمَا آتَيْكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]»<sup>(٢)</sup>.

وفي الخبر الصحيح عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليهما السلام، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «إن علامة الراغب في ثواب الآخرة زهد في عاجل زهرة الدنيا. أما إن زهد الزاهد في هذه الدنيا لا ينفعه مما قسم الله عز وجل له فيها وإن زهد، وإن حرص الحريص على عاجل زهرة الحياة الدنيا لا يزيده فيها وإن حرص، فالمغبون من حرم حظه من الآخرة»<sup>(٣)</sup>.

فمن لا يقف عند زخرف الدنيا وزيتها المزروقة وذهبها البراق، ولا يؤثر فيه زبرجها ولعانيا وحسنها، سيتجاوز أصعب عقبة كؤود يمر بها بعد صفاء قلبه وسلامة فكره وعقيدته.

ولذا كان هذا الامتحان من بين أصعب امتحانات البشرية من عالم الإشهاد إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.  
والزخرف الزينة المزروقة.

(١) نهج البلاغة (ص ٤٤٦ / ح ٥٥).

(٢) معاني الأخبار (ص ٢٥٢ / باب معنى الزهد / ح ٤).

(٣) الكافي (ج ٢ / ص ١٢٩ / باب ذم الدنيا والزهد فيها / ح ٦).

### النقطة الثانية: عالم الذر:

تحدّث هذه الفقرة أيضاً عن عالم المشارطة مع الله سبحانه وتعالى، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَّسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ (الأعراف: ١٧٢)، فهناك حيث محمد وآل محمد وعالم الأنوار، ذلك العالم الذي صار النور الإلهي المفاض على أهل البيت عليهما مصدراً للفيض الرباني.

ترشّدنا هذه الفقرة إلى تلك المشارطة التي ينبغي الإيمان بها، وأنّ ما ناله محمد عليهما وآلهم وكنّا غيرهم من الرسول والأنبياء عليهما والعلماء والأولياء والصلحاء - كلّ حسب سعته الوجودية وقابلياته في العلم والعمل - إنّما هو نتيجة لتلك المشارطة بالتنازل عن هذه الدنيا من أجل الدين وهداية الناس، وأنّ ما عندهم من فضائل وكرامات راجع إلى ذلك العالم وتلك المشارطة. وفي الروايات الشريفة حديث مفصل ومتعدد الجوانب عن هذا العالم، بل وغيره.

### النقطة الثالثة: علم الله تعالى:

يُحدّثنا هذا المقطع عن علم الله سبحانه وتعالى الشامل لكلّ شيء، وأنّ الله سبحانه وتعالى عالم بكلّ شيء ومحيط به، ولأجل كونه سبحانه وتعالى خالقاً ومحيطاً بكلّ مخلوق فهو يعلم به قبل إيجاده، ومع وجوده في هذا العالم، وبعد انتقاله إلى عالم آخر، فهو سبحانه وتعالى عالم بكلّ الأشياء ماضيّها وحاضرها ومستقبلها. ومن هذا العلم علمه سبحانه وتعالى بها سيصدر من الإنسان من أقوال وأفعال، ولا ينافي هذا العلم - المسبق بما سيحصل للإنسان - حرّية هذا

## الفصل الأول: الوساطة بين السماء والأرض، وخصائص الأنبياء ودرجاتهم ..... ٦١

الإنسان و اختياره في القيام بما ينبغي القيام به، على ما تقدم في المقطع المتقدم من أن مشيئة الله سبحانه و تعالى اقتضت أن يخلق الإنسان في هذه الدنيا بقيد أنه مختار بلا تفويض ولا جبر، فخلقة الإنسان عبارة عن وجود من ذاتياته الاختيار، فليس هو موجوداً مجراً و مسلوب الإرادة والاختيار في هذه الدنيا.

وقد روي في هذا المعنى عن محمد بن أبي عبد الله و محمد بن يحيى جميعاً رفعاً إلى أبي عبد الله عليهما السلام أن أمير المؤمنين عليهما السلام استنهض الناس في حرب معاوية في المرة الثانية، فلما حشد الناس قام خطيباً، فقال: «الحمد لله الواحد ألاحد الصمد المفرد الذي لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان...، ابتدأ ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب، وكل صانع شيء فمن شيء صنع والله لا من شيء صنع ما خلق، وكل عالم فمن بعد جهل تعلم والله لم يجهل ولم يتعلم، أحاط بالأشياء علماً قبل كونها، فلما يزداد بكونها علماً، علمنا بها قبل أن يكونها كعلمه بعد تكوينها، لم يكونها لتشديد سلطان، ولا خوف من زوال ولا نقصان، ولا استعانة على ضد منا ولا ند مكابر ولا شريك مكابر، لكن خلائق مربوبون، وعباد داخرون، فسبحان الذي لا يؤوده خلق ما ابتدأ، ولا تدبر ما برأ...»<sup>(١)</sup>.

فالمقطع النبوي يتحدث عن بيان لوعة فريدة تنقلنا من هذه الدنيا إلى العالم التي سبقتها، ويصور الحوار الذي دار بين رب العزة والجلالة وبين أولياءه وأنبياءه وأهل بيت النبي عليهما السلام خاصة عن الدنيا وما فيها، وكيف أنهم عليهما السلام رفضوها بكلها من أجل دين الله تعالى وهداية الناس.

\* \* \*

---

(١) الكافي (ج ١ / ص ١٣٤ و ١٣٥ / باب جوامع التوحيد / ١).

#### الفقرة الرابعة

«فَقَبِلُوكُمْ وَقَرَبُوكُمْ، وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعُلِيَّ وَالشَّاءَ الْجَلِيلَ».

تحدّث هذه الفقرة عن نتائج تلك المشارطة وما ترتب عليها، ونجعله ضمن النقاط الآتية:

**النقطة الأولى: قبول المشارطة وثبت الوفاء من أهل البيت عليهما السلام والتقديم من الله تعالى:**

هذه الفقرة تشير إلى أنَّ الله سبحانه وتعالى قبل من أهل البيت عليهما السلام والأنبياء المشارطة، بل من كُلِّ مَنْ يُسِيرُ عَلَى نَهْجَهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأُولَاءِ، وَمَعْنَى قَبُولِهِ يَعْلَمُ وَتَقْرِيبُهُ لَهُمْ أَنَّهُ تَعَالَى قَبِيلٌ لِأَفْعَالِهِمْ وَأَقْوَاهُمْ، وَصَنْعُهُمْ بِصُنْعِهِ عَلَى حُدُودٍ قَدَّمَهُمْ تَعَالَى: «وَلَيُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي» (٣٩).

فَكُلُّ مَا عِنْدِ الْمَعْصُومِ عَلَيْهِمَا الْمَصْنُوعُ بَعْنَ اللَّهِ تَعَالَى هُوَ بِالْوَحِيِّ الَّذِي يُوحِي اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ وَبِرُوحِ الْقُدْسِ الَّذِي يُسَدِّدُهُ، وَقَدْ وَرَدَ فِي هَذَا الْمَعْنَى - أَيْ - فِي قِبَوْلِهِمْ وَقُرْبَهُمْ - عَدَّةُ رِوَايَاتٍ، مِنْهَا:

\* في (مصابح التهجد) بسنده: «وَأَنْتَ الْمُنْفَضِلُ عَلَيْهِمْ حَيْثُ قَرَبُوكُمْ مِنْ مَلَكُوتِكَ، وَإِخْتَصَصْتُمْ بِسِرِّكَ، وَإِصْطَفَيْتُمْ لَوْحِيكَ، وَأَوْرَثْتُمْ غَوَامِضَ تَأْوِيلِكَ، رَحْمَةً بِخَلْقِكَ، وَلُطْفًا بِعِبَادِكَ، وَحَنَانًا عَلَى بَرِيَّتِكَ، وَعِلْمًا بِمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ ضَمَائِرُ أَمْنَائِكَ، وَمَا يَكُونُ مِنْ شَأْنٍ صَفْوَتِكَ، وَطَهَّرَتِهِمْ فِي مَنْشَئِهِمْ وَمُبْتَدَئِهِمْ...»<sup>(١)</sup>.

\* وفي كتاب (سليم بن قيس): عَنْ أَحْسَنِ بْنِ عَلَيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِمَا فِي

(١) مصابح التهجد (ص ٧٦٦).

الفصل الأول: الوساطة بين السماء والأرض، وخصائص الأنبياء ودرجاتهم ..... ٦٣

قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠ و ١١]، قال: «إِنِّي أَسْبَقُ السَّابِقِينَ إِلَىَّ اللَّهِ وَإِلَىَّ رَسُولِهِ، وَأَقْرَبُ الْمُقْرَبِينَ إِلَىَّ اللَّهِ وَإِلَىَّ رَسُولِهِ»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (تفسير القمي)، قال: (أشرف شرائب أهل الجنة يأتىهم في عاليٍ تسبّيم، وهي عينٌ يشرب بها المقربون) [المطففين: ٢٨]، والمقربون آل محمد ﷺ، يقول الله: ﴿السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠ و ١١]، رسول الله ﷺ وخديجه وعلي بن أبي طالب وذرياتهم تلحق بهم، يقول الله: «اللَّهُنَّا بِهِمْ ذُرِّيَّتُهُمْ» [الطور: ٢١]، والمقربون يشربون من تسبّيم بحثاً صرفاً، وسائر المؤمنين مزوجاً<sup>(٢)</sup>.

وينبغي أن يلتفت إلى أن قبوله سبحانه له مراتب، قال تعالى: «إِنَّمَا كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلآخرة أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا» [الإسراء: ٢١]، وقال تعالى: «تَلَكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ» [البقرة: ٢٥٣].

وقوله (عز اسمه) لأهل البيت عليهما السلام قبولاً بأعلى مرتبة، ويمكن لنا أن نصيغ هذا القبول دليلاً على عصمتهم، لأنّ قبوله لهم قبول مطلق، وهو ما يعني قبول كلّ ما يصدر عنهم، وليس ذلك إلّا معنى العصمة، وممّا يشهد للأمر بطاعتهم عدّة نصوص، منها:

\* في (الكافي) عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرار، عن أبي جعفر عليهما السلام، قال: «ذروة الامر وسنانه وفتحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعة للامام بعد معرفته»، ثم قال:

(١) كتاب سليم بن قيس (ص ٤٥٦ / ح ٧٤).

(٢) تفسير القمي (ج ٢ / ص ٤١٢ و ٤١١).

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: 『مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا』» [النساء: ٨٠] <sup>(١)</sup>.

### النقطة الثانية: أقرب المقربين:

لقد قرَّبَ الله تعالى نبيه الكريم ﷺ بأعلى درجات القرب منه بما لم يحصل لأيٍ مخلوقٍ من مخلوقاته (عَزَّ اسمه)، قال تعالى: «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۝» [النجم: ٨ و ٩].

وجاء في تفسيره وتأويله عدَّة روایات، منها:

\* في (تفسير القمي) عن أبي الحسن الرضا عَلَيْهِ الْكَفَافِ، قال: «ما بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا صَاحِبَ مِرَّةٍ سَوْدَاءَ صَافِيَةً، وَقُولُهُ: 『وَهُوَ بِالْأَقْرَبِ إِلَى الْأَعْنَى ۝』» يعني رسول الله ﷺ، «ثُمَّ دَنَا» يعني رسول الله ﷺ مِنْ رَبِّهِ يَعْلَمُ، «فَتَدَلَّ ۝»، قال: «إِنَّمَا نَزَّلْتُ هَذِهِ: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّ، ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۝»، قال: «كَانَ مِنَ اللَّهِ كَمَا يَبْيَنُ مَقْبِضِ الْقَوْسِ إِلَى رَأْسِ السَّيِّدِ» <sup>(٢)</sup>، «أَوْ أَدْنَى ۝ أَيْ مِنْ نِعْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ»، قال: «بَلْ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ، ۝ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۝» [النجم: ٧ - ١٠]، قال: «وَحْيٌ مُشَافَّهٌ» <sup>(٣)</sup>.

\* وفيه بسنده عن الحسين بن العباس، عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَفَافِ في قوله: «ما ضلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ۝»، يقول: «ما ضلَّ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ الْكَفَافِ وَمَا غَوَى، ۝ وَمَا يَنْطِقُ ۝ فِيهِ 『عَنِ الْهَوَى ۝』» [النجم: ٢ و ٣]، وما كانَ مَا قالَ فِيهِ إِلَّا بِالْوَحْيِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْهِ» <sup>(٤)</sup>.

(١) الكافي (ج / ١ / ص ١٨٥ و ١٨٦ / باب فرض طاعة الأئمة عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ / ح ١).

(٢) السيدة أي سيدة القوس، وما عُطِفَ من طرفيه.

(٣) تفسير القمي (ج / ٢ / ص ٣٣٤).

(٤) المصدر السابق.

### النقطة الثالثة: الذكر العلي والثناء الجلي:

مما ترتب على تلك المشارطة أنَّ الله سبحانه وتعالى قدَّم لأوليائه وأنبيائه وأهل البيت عليهما الذكر العلي والثناء الجلي في أعلى مراتبه، ويمكن لغيرهم إذا التزم بالمشارطة أن يحصل على مرتبة من مرتب هذا الذكر والثناء بمقدار سعيه وإخلاصه وعمله، فمن يزهد في هذه الدنيا مشارطاً الله سبحانه بذلك فإنه لا محالة يتربَّع على ذلك بقاء الذكر والثناء من قبل الله تعالى.

ولا بأس بالإشارة إلى عدَّة فوائد مستفادة مما تقدَّم:

١ - أنَّ للقبول أنواعاً وأصنافاً مختلفة، كالقبول العبادي والقبول الأخلاقي والقبول الاجتماعي، وعلى الإنسان السعي في أن يكون مقبولاً في كل الميادين عند الله تعالى كما كان أهل البيت عليهما مقبولين عنده كذلك، وكذلك يأتي الكلام في القرب.

٢ - وأنَّ الذكر والثناء منه ما هو قولي، ومنه ما هو عملي، فلا بدَّ من الالتفات لذلك.

\* \* \*

### الفقرة الخامسة

«وَأَهْبَطْتَ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَتَكَ، وَكَرَّمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ».

هذه الفقرة متصلة بالسابقة عليها، ومن الآثار المترتبة على قضية المشارطة بين الله سبحانه وبين الأولياء والأنبياء وأهل البيت عليهما، والكلام في نقاط:

### النقطة الأولى: الملائكة وجودهم وحقيقة معناهم:

الملائكة موجودات جعلها الله تعالى الكثير منها وسائل بينه وبين العالم المشهود ووكيلهم بأمور العالم التكوينية والتشريعية<sup>(١)</sup>.

ولذا أطلق القرآن الكريم وصف الرسول عليهم، قال تعالى: «**حَتَّىٰ إِذَا  
جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّهُ رُسُلُنَا**» (الأنعام: ٦١).

قال العلامة المجلسي رحمه الله: (اعلم أنه أجمع الإمامية، بل جميع المسلمين إنَّ مَنْ شَدَّ مِنْهُمْ مِنَ الْمُتَفَلِّسِينَ الَّذِينَ أَدْخَلُوا أَنفُسَهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِتَخْرِيبِ أَصْوَلِهِمْ وَتَضْيِعِ عَقَائِدِهِمْ عَلَىٰ وَجْهِ الْمَلَائِكَةِ، وَأَنَّهُمْ أَجْسَامٌ لَطِيفَةٌ نُورَانِيَّةٌ أُولَئِكَ الْمُجْنَحَةُ مُثْنَىٰ وَثَلَاثٌ وَرَبَاعٌ وَأَكْثَرٌ، قَادُرُونَ عَلَىٰ التَّشْكُّلِ بِالْأَشْكَالِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُورَدُ عَلَيْهِمْ بِقَدْرَتِهِ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأَشْكَالِ وَالصُّورِ عَلَىٰ حَسْبِ الْحِكْمَ وَالْمَصَالِحِ، وَلَهُمْ حَرَكَاتٌ صَعُودًا وَهَبُوطًا، وَكَانُوا يَرَاهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأُوْصِيَاءُ عَلَيْهِمُ الْأَيْمَانُ. وَالْقُولُ بِتَجْرِيْدِهِمْ وَتَأْوِيلِهِمْ بِالْعُقُولِ وَالنُّفُوسِ الْفَلَكِيَّةِ وَالْقَوْيِّ وَالْطَّبَائِعِ وَتَأْوِيلِ الْآيَاتِ الْمُنَظَّفَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمُنَوَّتَرَةِ تَعْوِيْلًا عَلَىٰ شُبُّهَاتِ وَاهِيَّ وَاسْتِبَعَادَاتِ وَهُمَيَّةِ زِيغٍ عَنْ سَبِيلِ الْهُدَىِ، وَاتِّبَاعِ لِأَهْلِ الْجَهَلِ وَالْعُمَىِ)<sup>(٢)</sup>.

### النقطة الثانية: ما هي أدوارهم، وأصنافهم؟

نعلم بمقتضى ظواهر جملة من الآيات والروايات، أنَّ وظائف الملائكة متعددة، من قبيل قبض الأرواح، والتصريف في بعض موجودات الكون بإذن الله تعالى، وإنزال الشرائع على الرسول، وغيرها.

في (نهج البلاغة) يُصنف أمير المؤمنين عليه السلام الملائكة إلى عدَّة أصناف بعد

(١) راجع: تفسير الميزان (ج ١٧ / ص ١٢).

(٢) بحار الأنوار (ج ٥٦ / ص ٢٠٢ و ٢٠٣).

أن يذكر عدّة خصائص وحالات يمتازون بها، حيث قال عَزَّلَهُ اللَّهُ: «ثُمَّ فَتَّقَ مَا يَئِنَّ السَّمَاوَاتُ الْعُلَى، فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَارًا مِّنْ مَلَائِكَتِهِ، مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَتَّصِبُونَ، وَصَافُونَ لَا يَتَّرَكِلُونَ، وَمُسَبِّبُونَ لَا يَسَّامُونَ، لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمٌ الْعَيْوَنُ، وَلَا سَهُوُ الْعُقُولُ، وَلَا فَرْهَةُ الْأَبْدَانُ، وَلَا غَفْلَةُ النَّسْيَانُ، وَمِنْهُمْ أَمْنَاءُ عَلَى وَحِيهِ، وَالْسِنَةُ إِلَى رُسُلِهِ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ، وَمِنْهُمْ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، وَالسَّدَّنَةُ لِبَوَابِ جَنَانِهِ، وَمِنْهُمُ الْأَثَابَةُ فِي الْأَرْضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَالْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلِيَا أَعْنَاقُهُمْ، وَالْخَارِجَةُ مِنَ الْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، وَالْمَنَسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ، نَاكِسَةُ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ، مُتَلَّفُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ مَنْ دُوَّهُمْ حُجْبُ الْعِزَّةِ، وَأَسْتَأْرُ الْقُدْرَةِ، لَا يَنَوْهُمُونَ رَبَّهُمْ بِالْتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوِعِينَ، وَلَا يَحْدُونَهُ بِالْأَمَاكِنِ، وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ»<sup>(١)</sup>.

وعن اختلاف وظائفهم وتعدد مهامهم ذكرت العديد من الآيات القرآنية

ذلك<sup>(٢)</sup>:

- ١ - حملة العرش، قال تعالى: «وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةً»<sup>(١٧)</sup> (الحاقة: ١٧).
- ٢ - الحافون حول العرش، قال تعالى: «وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»<sup>(٧٥)</sup> (الزمر: ٧٥).
- ٣ - النزول بالوحي، قال تعالى: «نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ»<sup>(١٩٣)</sup> (الشعراء: ١٩٣).
- ٤ - الإرسال، قال تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ

(١) نهج البلاغة (ص ٤١ و ٤٢ / الخطبة ١).

(٢) راجع: بحار الأنوار (ج ٥٦ / ص ٢٠٦ وما بعدها).

الْمَلَائِكَةُ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْنِحَةٌ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخُلُقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ (فاطر: ١).

٥ - التوكيل ببني آدم، قال تعالى: ﴿إِذْ يَنَّقُّ الْمُتَلَقِّيَانَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدِيهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٧﴾ (ق: ١٧ و ١٨).

٦ - التدبير، قال تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ (النازعات: ٥).

وعن عَلَّةَ توكيتهم بالناس جاءت عَدَّةَ روايات، منها ما روى عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمَ، قَالَ: سَأَلَ أَنَّزَنْدِيُّقُ [فِيمَا سَأَلَ] أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: مَا عِلَّةُ الْمَلَائِكَةِ الْمُوَكَّلِينَ بِعِبَادِهِ يَكْتُبُونَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ، وَاللَّهُ عَالِمُ الْأَسْرِ وَمَا هُوَ أَخْفَى؟ قَالَ: «إِسْتَعْبَدُهُمْ بِذَلِكَ، وَجَعَلَهُمْ شُهُودًا عَلَى خَلْقِهِ، لِيَكُونُوا عِبَادُ مُلَازِمَتِهِمْ إِيَّاهُمْ أَشَدُّ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ مُوَاظَبَةً، أَوْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ أَشَدَّ اِنْقِبَاضًا، وَكُمْ مِنْ عَبْدٍ يَهُمْ بِمَعْصِيَةٍ فَذَكَرَ مَكَانَهَا فَأَرْعَوْيَ وَكَفَّ، فَيَقُولُ: رَبِّيَ يَرَانِي، وَحَفَظَتِي عَلَيَّ بِذَلِكَ تَشَهِّدُ. وَإِنَّ اللَّهَ بِرَأْفَتِهِ وَلُطْفِهِ أَيْضًا وَكَلَّهُمْ بِعِبَادِهِ يَذْبُبُونَ عَنْهُمْ مَرَدَةً أَلَشَّاَطِينَ وَهَوَامَّ الْأَرْضِ وَآفَاتِ كَثِيرَةٍ مِنْ حَيْثُ لَا يَرُونَ بِيَدِنِ اللَّهِ، إِلَى أَنْ يَجِيءَ أَمْرُ اللَّهِ بِعَنْكِلٍ»<sup>(١)</sup>.

وفي رعايتهم لنا ودفع المكاره عَنَّا يقول الإمام الباقي عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (الرعد: ١١): «بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي رَكِيٍّ، أَوْ يَقَعَ عَلَيْهِ حَائِطٌ، أَوْ يُصْبِيُهُ شَيْءٌ، حَتَّى إِذَا جَاءَ الْقَدْرُ خَلَوَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ يَدْفَعُونَهُ إِلَى الْمَقَادِيرِ، وَهُمَا مَلَكَانِ يَحْفَظُهُمَا بِاللَّيْلِ، وَمَلَكَانِ بِالنَّهَارِ يَتَعَاقَبَانِهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) بحار الأنوار (ج ٥٦ / ص ١٧٩ / ح ١٥)، عن الاحتجاج (ج ٢ / ص ٩٥).

(٢) تفسير القمي (ج ١ / ص ٣٦٠).

### النقطة الثالثة: هل ينزلون على غير الأنبياء<sup>(١)</sup>؟

تقدّم في تسميتهم عدم اختصاص وظائفهم بالنزول على الأنبياء عليهما السلام، فإنَّ الإيحاء لم يقتصر على الأنبياء والمرسلين عليهما السلام، فقد أوحى الله تعالى إلى:

\* مريم عليهما السلام، قال تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرِيمَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَظَهَرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾** (آل عمران: ٤٢).

\* سارة زوجة خليل الرحمن عليهما السلام، قال تعالى: **﴿وَامْرَأَهُ قَائِمَةٌ فَصَحِّكْتَ فَبَشَّرْنَاها بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾** <sup>٧٦</sup> **﴿فَالَّتِي يَا وَيْلَتَنِي أَلَّهُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾** <sup>٧٧</sup> **﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾** (هود: ٧٠ - ٧٣).

وممَّا جاء من الروايات في نزول الملائكة على أهل البيت عليهما السلام الكثير حتَّى أنَّ الشيخ الكليني روى في (الكافي) باباً تحت عنوان: (أنَّ الأئمَّةَ عليهما السلام تدخل الملائكة بيوتهم وتطأُ سُطُّفهم وتأتِيهم بالأخبار)، وممَّا رواه فيه بسنده عن مسمع كردين البصري، قال: كُنْتُ لَا أَزِيدُ عَلَىٰ أَكْلَةِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَوَبِأَنِّي إِسْتَأْذَنْتُ عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَجِدُ الْمَائِدَةَ قَدْ رُفِعَتْ لَعَلَّيْ لَا أَرَاهَا يَيْنَ يَدِيهِ،

(١) لم تقف دعوى نزول الملائكة على الكُمل من الناس ومن نصَّ عليهم القرآن الكريم عند بعض الفرق، بل أدعوا نزولهم على بعض الأفراد العاديين، فقد ورد عندهم نزول الملائكة على عمران

ابن الحصين الخزاعي المتوفى سنة ٥٥٢ هـ، إذ قالوا: (كان يسمع تسليم الملائكة عليه حتَّى

اكتوِي بالنار فلم يسمعهم عاماً ثم أكرمه الله برِّ ذلك). شذرات الذهب (ج ١ / ص ٥٨).

ومنهم أبو المعالي الصالح، المتوفى سنة ٤٢٧ هـ، ذكروا أنَّ كلامه الملائكة في صورة طائر.

راجع: المتظم في تاريخ الأمم (ج ١٧ / ص ٨٢ / الرقم ٣٧٣٤)، وغيرها.

ولسنا في مقام إحصاء مَنْ ذكرروا نزول الملائكة عليه، ولكن لَمَّا يصل الأمر إلى آل محمد عليهما السلام

تبيَّس قلوبهم وتخشَّب عقولهم ولا تقبل بما أثبته الله تعالى لهم من الفضل، بل الفضل للملائكة

أنْ تترَّف بهم كما في الأخبار الآتية.

فَإِذَا دَخَلْتُ دَعَاءِهَا فَأُصِيبَ مَعَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَلَا أَتَأْذِي بِذَلِكَ، وَإِذَا عَقَبْتُ بِالطَّعَامِ عِنْدَ غَيْرِهِ لَمْ أَفْدِرْ عَلَى أَنْ أَقْرَرَ وَلَمْ أَنْمِ مِنَ النَّفْخَةِ، فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَأَخْبَرْتُهُ بِأَنِّي إِذَا أَكَلْتُ عِنْدَهُ لَمْ أَتَأْذِي بِهِ، فَقَالَ: (يَا أَبَا سَيَّارٍ، إِنَّكَ تَأْكُلُ طَعَامَ قَوْمٍ صَالِحِينَ تُصَافِحُهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِهِمْ)، قَالَ: قُلْتُ: وَيَظْهَرُونَ لَكُمْ؟ قَالَ: فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَى بَعْضِ صِبَيْنِهِ، فَقَالَ: «هُمْ أَلْطَافٌ بِصَبِيَانِنَا مِنَّا بِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

**النقطة الرابعة: محل الملائكة من الأنبياء وأولياء الله:**  
 إنَّ الله سبحانه وتعالى بعد أنْ علمَ أنبياءه وأولياءه عليهما السلام وفاءهم له بالزهد في جميع درجات هذه الدنيا كرَّمهم بأنْ جعلَ محالهم مهبطاً لجميع الملائكة، بل وخدمتهم، وما ورد في هذا المعنى من الروايات:

\* في (إرشاد القلوب): عنْ أَبِي ذَرٍ رض، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صل يَقُولُ: «إِفْتَخَرَ إِسْرَائِيلُ عَلَى جَبْرِائِيلَ، فَقَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْكَ، قَالَ: وَلَمْ أَنْتَ خَيْرٌ مِنِّي؟ قَالَ: لِأَنِّي صَاحِبُ الشَّمَائِيلَةِ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، وَأَنَا صَاحِبُ النَّفْخَةِ فِي الْصُّورِ، وَأَنَا أَقْرَبُ الْمَلَائِكَةِ إِلَى اللهِ عَزَّلَهُ، قَالَ جَبْرِائِيلُ صل: أَنَا خَيْرٌ مِنْكَ، فَقَالَ: بِمَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنِّي؟ قَالَ: لِأَنِّي أَمِينُ اللهِ عَزَّلَهُ عَلَى وَحْيِهِ، وَأَنَا رَسُولُهُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ صل، وَأَنَا صَاحِبُ الْكُسُوفِ وَالْخُسُوفِ، وَمَا أَهْلَكَ اللهُ عَزَّلَهُ أُمَّةً مِنَ الْأَمْمِ إِلَّا عَلَى يَدِيَّ، فَأَخْتَصَّتِي إِلَى اللهِ (حَلَّ وَعَلَا)، فَأَوْحَى اللهُ عَزَّلَهُ إِلَيْهِمَا أَنِ اسْكُنْنَا فَوْعَزِي وَجَلَالِي لَقَدْ خَلَقْتُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمَا، قَالَا: يَا رَبُّ، أَوْتَخْلُقُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنَّا وَنَحْنُ خُلِقْنَا مِنْ نُورِ اللهِ عَزَّلَهُ؟ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: نَعَمْ، وَأَوْمَأْ إِلَى الْقُدْرَةِ أَنِّي أَنْكِشِفُ، فَانْكَشَفَتْ فَإِذَا عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ الْأَيْمَنِ مَكْتُوبٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُحَمَّدُ رَسُولُ اللهِ، وَعَلَيْهِ وَفَاطِمَةُ وَالْحُسَنُ وَالْحُسْنَى صل أَحِبَّاءُ اللهِ، فَقَالَ جَبْرِائِيلُ صل: يَا

(١) الكافي (ج ١ / ص ٣٩٣) / باب أنَّ الْأَئِمَّةَ صل تدخل الملائكة بيوتهم... / ح ١).

الفصل الأول: الوساطة بين السماء والأرض، وخصائص الأنبياء ودرجاتهم ..... ٧١

رَبِّ، فَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّهِمْ عَلَيْكَ إِلَّا جَعَلْتَنِي خَادِمَهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: قَدْ فَعَلْتُ، فَجَبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَإِنَّهُ لَخَادِمُنَا»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (تفسير القمي) بسنده عن حماد، عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه سُئلَ: هل الملائكة أكثر أم بُنُو آدم؟ فقال: «والَّذِي نَسْبِي بِيَدِهِ لَعَدْدُ مَلَائِكَةِ اللَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْتُّرَابِ فِي الْأَرْضِ، وَمَا فِي السَّمَاءِ مَوْضِعٌ قَدَمٌ إِلَّا وَفِيهَا مَلَكٌ يُسَبِّحُهُ وَيُقَدِّسُهُ، وَلَا فِي الْأَرْضِ شَجَرَةٌ وَلَا مَدْرَرٌ إِلَّا وَفِيهَا مَلَكٌ مُوَكِّلٌ بِهَا يَأْتِي اللَّهَ كُلَّ يَوْمٍ بِعَمَلِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِهَا، وَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَيَتَقَرَّبُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى اللَّهِ بِوَلَائِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيَسْتَغْفِرُ لِحِبْبِنَا، وَيَأْلِعُنْ أَعْدَاءَنَا، وَيَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُرِسِّلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ إِرْسَالًا»<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

#### الفقرة السادسة

«وَرَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ، وَجَعَلْتَهُمُ الْذَّرِيعَةَ إِلَيْكَ، وَالْوَسِيلَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ».

والبحث عنها في عدَّة نقاط:

#### النقطة الأولى: الرفد بالعلم:

من نتائج المشارطة المتقدمة الحديث عن علوم الأنبياء والأولياء وأهل البيت عليهما السلام، وسعتها وعظمتها لا يستوعبه هذا المختصر، ولكن ما يمكن أنْ

(١) إرشاد القلوب (ج ٢ / ص ٤٠٣ و ٤٠٤).

(٢) تفسير القمي (ج ٢ / ص ٢٥٥).

يقال: إنَّ العلوم التي عندهم من حيث التنوُّع عديدة، فعندهم العلم الحاصل من الوحي، وعند بعضهم بعض علم الكتاب، بل عند أهل البيت عليه السلام علم الكتاب، وعند أهل البيت عليه السلام خاصة العلم الذي علَّمهم رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما يتداولونه ويتوارثونه بينهم، وقد أفردت أغلب كُتب الحديث التي دونت خصائصهم عدَّة طوائف تتحدث عن أصناف علومهم وسعتها، وسيأتي التعرُّض لبعضها في طيَّات هذا الشرح بحسب الموضع المناسب.

### النقطة الثانية: «وَجَعَلْتُهُمُ الْذَرِيعَةَ إِلَيْكَ»:

الذرِيعَةُ ما يُسْتَنَدُ إِلَيْهَا كَالْحَجَّةُ وَالْوَسِيلَةُ، يقال: حَجَّتِي وَذَرَعْتِي إِلَى الرَّئِيسِ، وَذَرَاعِي الْأَسْبَابُ وَالْوَسَائِلُ، فَهِيَ بِمَعْنَى الْوَسِيلَةِ وَالْعَدْرِ وَالْحَجَّةِ وَمَا يُسْتَرَّ بِهِ وَالسَّبِبُ إِلَى الشَّيْءِ، وَجَمِيعُهَا: ذَرَائِعٌ<sup>(١)</sup>.

وفي (الصحيفة السجَّادِيَّةِ)، قال عليه السلام: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقْمَتَهُ عَلَيْهِ لِعِبَادِكَ، وَمَنَّا رَأَيْتَ فِي بِلَادِكَ، بَعْدَ أَنْ وَصَلَّتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَجَعَلْتَهُ الْذَرِيعَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ، وَأَفْرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَحَدَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَأَمْرَتَ بِإِمْتِشَالِ أَمْرِهِ، وَالْإِنْتِهَاءِ عِنْدَ هَمِّهِ، وَأَنْ لَا يَتَقَدَّمَهُ مُتَقَدِّمٌ، وَلَا يَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ، فَهُوَ عِصْمَةُ الْلَّائِذِينَ، وَكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ، وَعُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَبَهَاءُ الْعَالَمِينَ»<sup>(٢)</sup>.

وهذا المقطع الشريف يكشف عن عظيم مقام الأولياء من أهل البيت عليه السلام والأنبياء عليه السلام ممن لهم هذا المقام في عالم التأثير والتكون، وأنَّ بهم عليه السلام تُقضى

(١) في عدَّة مصادر لغوية، منها: الإفصاح في فقه اللغة (ج / ٢ / ص ١٢٩٠): (الذَّرِيعَةُ: الذَّرِيعَةُ والذُّرُوعَةُ: الْوَسِيلَةُ وَالسَّبِبُ إِلَى الشَّيْءِ)، يقال: فلان ذَرَعْتِي إِلَيْكَ أي سببي ووصلتي الذي أَسْبَبَ بِهِ إِلَيْكَ، ذَرَعٌ لَهُ عِنْدَهُ يَذْرُعًا وَذَرَعًا: شَفَعٌ. وَذَرَعٌ: الشَّفَعُ. وَتَذَرَّعٌ إِلَيْهِ بِذَرِيعَةٍ: تَوَسَّلَ بِهَا).

(٢) الصحيفة السجَّادِيَّةِ (ص ٣٢٢ و ٣٢٣ / دعاؤه عليه السلام في يوم عرفة).

الفصل الأول: الوساطة بين السماء والأرض، وخصائص الأنبياء ودرجاتهم ..... ٧٣.....

جميع الحاجات، نعم مقتضي وجودنا في عالم الدنيا وحدودية إدراكنا لصالحنا قد يخفى علينا كيفية قضاءهم حاجتنا وتلبية طلبنا من قبلهم عليهما .  
فكون الولي أو النبي أو الإمام ذريعة إلى رضوان الله تعالى ووسيلة لتحقيق ذلك مما لا ينبغي أن يعتريه الشك والتوقف .

### النقطة الثالثة: الوسيلة إلى الرضوان:

عقيدتنا بالأولياء من الأنبياء وأهل البيت عليهما نابعة من عمق إيماننا بأنَّ ما نقوم به جاء به القرآن الكريم وما صحَّ عن النبي ﷺ وآله الأطهار عليهما في هذه العقيدة الحقة، فقد وردت العديد من الآيات الكريمة والروايات الشريفة في بيان معنى التوسل ومتعلقاته، ونذرت الناس إليه، ومما جاء في ذلك:  
\* قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوِسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَةَ وَيَخَافُونَ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ حَذُورًا﴾ (الإسراء: ٥٧).

\* وقال تعالى: ﴿وَأَنُوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَعْفِرُوا اللَّهَ وَاسْتَعْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ٦٤).  
\* وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَعُوا إِلَيْهِ الْوِسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٣٥)، والآية مطلقة من جهة مصاديق ما يصحُّ التوسل به، فكلُّ ما يمكن أنْ يتوسل به إلى الله تعالى ينبغي أنْ يُبتغى ويُتَّخَذَ وسيلةً، إِلَّا إِذَا دَلَّ دَلِيلٌ خاصٌّ عَلَى مَنْعِ فِرَادِهَا ومصاديقها.

وقد ذكرت العديد من النصوص والروايات عدَّة موارد ومصاديق للتوسل، ومنها:

\* في (نوح البلاغة): ﴿إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ

وَتَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ، وَالْجِهادُ فِي سَيِّلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ، وَكَلْمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَةُ، وَإِيَّاتُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةُ وَاجِبَةٌ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَاحٌ مِّنَ الْعِقَابِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهَا يَنْهِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الدَّنَبِ، وَصَلَةُ الرَّحْمِ فَإِنَّهَا مُثْرَأةُ فِي الْمَالِ وَمَنْسَأَةُ فِي الْأَجَلِ، وَصَدَقَةُ السُّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفَّرُ الْخَطِيَّةَ، وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَّةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيَّتَهُ الْسُّوءِ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِيَ مَصَارِعَ الْهُوَانِ، أَفَيُضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الدُّكْرِ، وَارْعَبُوا فِيهَا وَعَدَ الْمُتَقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ، وَاقْتُلُوا بِهِدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهُدَىِ، وَاسْتَوْا بِسُرُّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى الْكُسْنِ»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (الكافي) بسنده عن علي بن سعيد، قال: كتبت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام وهو في الحبس كتاباً أسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة، فاختبس أجبواب على أشهرأ، ثم أجابني بجواب هذه نسخته: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي بِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ أَبْصَرَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ عَادَهُ الْجَاهِلُونَ، وَبِعَظَمَتِهِ وَنُورِهِ ابْتَغَى مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَيْهِ الْوَسِيلَةُ بِالْأَعْمَالِ الْمُخْلَفَةِ وَالْأَدِيَّانِ الْمُتَضَادَةِ، فَمُصِيبٌ وَغَطْسٌ وَضَالٌ وَمُهْتَدٍ وَسَمِيعٌ وَأَصْمُ وَبَصِيرٌ وَأَعْمَى...»<sup>(٢)</sup>.

وممَّا ورد في كون أجي وأبرز مصاديق ما يتوسل به إلى الله تعالى هم الأنبياء والأولياء وأهل البيت عليهما عدَة روايات منها:

\* وفي (مناقب آل أبي طالب): قال أمير المؤمنين [عليه السلام]: «فَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ، أَنَا وَسِيلَتُهُ...»<sup>(٣)</sup>.

(١) نهج البلاغة (ص ١٦٣ / الخطبة ١١٠).

(٢) الكافي (ج ٨ / ص ١٢٤ / ح ٩٥).

(٣) مناقب آل أبي طالب (ج ٢ / ص ٢٧٣).

\* وفي (عيون أخبار الرضا عليه السلام) بإسناده، قال: قال رسول الله عليه السلام: «الآئمة من ولد الحسين عليه السلام، من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله بذلك، هم العروة الوثقى، وهم الوسيلة إلى الله بذلك»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (دلائل الإمامة) بسنده عن زيد بن علي، عن أبيه عليهما السلام، قالوا: «لما بلغ فاطمة عليها إجماع أبي بكر على منعها فدك، وانصرف عاملها منها، لافت حمارها، ثم أقبلت في لمه من حذتها ونساء قومها، تطاً ذيولها، ما تخرب مشية رسول الله عليه السلام، حتى دخلت على أبي بكر، وقد حفل حوله المهاجرون وأنصار، ففيطت ذوتها ملأة، ثم أنت آنجهش لها القوم بالبكاء، ثم أمهلت حتى هدأت فورتهم، وسكنت روعتهم، وافتتحت الكلام، فقالت: ... بعظامه ونوره ابتغى من في السماءات ومن في الأرض إليه الوسيلة، فنحن وسليته في خلقه، ونحن آل رسوله، ونحن حججه غييه، ووراثة أئبيائه...»<sup>(٢)</sup>.

هذه الأحاديث العالية المضامين تكشف بوضوح أن عقيدتنا في جعل أهل البيت عليهما واسطة ووسيلة لم تكن لبدعة ابتدعها أتباعهم وشيعتهم، وإنما كان ذلك اتباعاً لمنهج رسمه لهم الأولياء والصلحاء والأنبياء عليهما على طول الخط.

\* \* \*

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام (ج ٢ / ص ٦٣ / باب ٣١ / ح ٢١٧).

(٢) دلائل الإمامة (ص ١٠٩ - ١١٤ / ح ٣٦ / ٣٦).



المبحث الثاني:

خصائص الأنبياء عليهما السلام

ممن ذُكِرُوا في الدعاء



## الفقرة السابعة

«فَبَعْضُ أَسْكَنَتْهُ جَتَّكَ إِلَى أَنْ أَخْرَجْتَهُ مِنْهَا، وَبَعْضُ حَمَلَتْهُ  
فِي فُلْكِكَ وَنَجَيْتَهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ الْأَهْلَكَةِ بِرَحْمَتِكَ، وَبَعْضُ  
إِخْدَتْهُ لِنَفْسِكَ خَلِيلًا، وَسَأَلَكَ لِسَانَ صَدْقٍ فِي الْأَخْرِينَ  
فَأَجَبْتَهُ، وَجَعَلْتَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، وَبَعْضُ كَلْمَتَهُ مِنْ شَجَرَةِ  
تَكْلِيْمًا، وَجَعَلْتَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ رَدْءًا وَوَزِيرًا، وَبَعْضُ أَوْلَادَتْهُ مِنْ  
غَيْرِ أَبٍ، وَأَتَيْتَهُ أَبْيَانَاتٍ، وَأَيَّدْتَهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ».

تتضمن هذه الفقرة نقاطاً:

النقطة الأولى: إشارات تاريخية إلى أهمّ خصائص ومقامات  
الأنبياء عليهما السلام:

يشير المقطع إلى أنَّ الأدوار المختلفة، للأنبياء والأولياء عليهما السلام، فكُلُّ نبِيٍّ  
من الأنبياء عليهما السلام له دور مُحدَّد.

ولأجل أنْ نقف ونعرف دور كُلِّ واحدٍ منهم علينا أنْ نلحظ تلك  
الخصوصيات وما ذكرته الروايات عن ذلك، وما ذُكر فيها من تفاصيل الآتي:  
قال أمير المؤمنين عليهما السلام: «... وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءً، أَخَذَ عَلَى  
الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرَّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ  
إِلَيْهِمْ، فَجَهَلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا أَلْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ،  
وَأَقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَّرَ إِلَيْهِمْ أَبِيَاءُهُ، لَيَسْتَأْدُو هُمْ مِيثَاقَ

فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوْهُمْ مَنْسِيًّا نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُوا عَلَيْهِمْ بِالْتَّبْلِيغِ، وَيُشِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ...، وَلَمْ يُخْلِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةً لَازِمَةً، أَوْ حَجَّةً قَائِمَةً، رُسُلٌ لَا تُقْصَرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقِ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَفَهُ مَنْ قَبْلَهُ، عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ وَمَضَتِ الْدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الْأَبَاءُ وَخَلَفَتِ الْأَبْنَاءُ إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ وَإِتَامِ نُوبَتِهِ، مَأْخُوذًا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِيَّاهَتُهُ، كَرِيمًا مِيلَادُهُ...»<sup>(١)</sup>.

فتبلیغ الرسالة - بعد أخذ الميثاق -، وكذا تذکیر الناس بمیثاق الفطرة وما نسوه من نعم الباری عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإثارة دفائن العقول بالحجج التامة الصحيحة، من أهم أدوار الأنبياء والأولیاء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

### قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ من القصص التي اكتنفها الغموض، وأدخلت فيها الأديان المحرفة الكثير مما لا معنی له، ولأجل أن تُؤَخَذْ من معینها لا بد من أخذها عن طريق القرآن الكريم وروایات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ المعتبرة، فلا سبیل لنا لمعرفة الكثير من التفاصیل المشوقة والأسئلة الشائكة حول قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلَّا من خلا لهم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا ورد في قصته عَلَيْهِ السَّلَامُ:

### كيفية خلقه عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ورد فيها العديد من الآيات والروایات، ومنها:

\* قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُنَقَّدُ

(١) نهج البلاغة (ص ٤٣ و ٤٤ / الخطبة ١).

لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٢٠٠ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِاسْمَاءِ هُؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢١٠ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ٢٢٠ قَالَ يَا آدَمُ أَئْتِهِمْ بِاسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِاسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ عَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبَدِّلُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ٢٣٠ (البقرة: ٣٠ - ٣٣).

والآية تتحدث عن إيجاد آدم عليه السلام وخلقه، وما جرى في ذلك العالم، وعن علمه ومقامه.

ومن التفاصيل التي تعرّض لها الكتاب العزيز عنه عليه السلام الآتي:

\* قال تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شَئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُنَا مِنَ الظَّالِمِينَ ٢٤٠ فَأَزَّلْنَاهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٌ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ٢٥٠ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ٢٦٠ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْ هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَائِي فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرُثُونَ ٢٧٠) (البقرة: ٣٥ - ٣٨).

\* وفي (نهج البلاغة): «... ثُمَّ جَمِعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلَهَا، وَعَذْبَهَا وَسَبَخَهَا، ثُرْبَةَ سَنَهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، وَلَا طَهَا بِالْبَلَةِ حَتَّى لَرَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ وَأَعْضَاءٍ، وَفُصُولٍ أَجْمَدَهَا حَتَّى إِسْتَمْسَكَتْ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلَصَلَتْ لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ وَأَمْدَ مَعْلُومٍ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوْحِهِ، فَمَثَلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُحِيلُّهَا، وَفِكْرٌ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحٌ يَخْتَدِمُهَا، وَأَدَوَاتٍ يُقْلِبُهَا، وَمَعْرِفَةٌ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْأَذْوَافِ وَالْمَسَامِ وَالْأَلَوَانِ وَالْأَجْنَاسِ...، ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَارًا أَرْغَدَ فِيهَا عِيْشَهُ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّهُ، وَحَذَرَهُ إِنْلِيسَ وَعَدَاؤَهُ، فَاغْتَرَهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ، وَمُرَافَقَةً الْأَبْرَارِ،

فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكٍّ، وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، وَاسْتَبَدَلَ بِالْجُنُلِ وَجَلَّا، وَبِالْأَغْرِارِ نَدَمًا، ثُمَّ  
بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ، وَلَقَاهُ كَلِمَةُ رَحْمَتِهِ، وَوَعْدَهُ الْمَرَدُ إِلَى جَنَّتِهِ، وَأَهْبَطَهُ  
إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ وَتَنَاسُلِ الْذُرِّيَّةِ...»<sup>(١)</sup>.

وهذا المقطع من (نهج البلاغة) يتحدث عن تفاصيل لا يسع الإنسان معرفتها لو لا إفاضة أمير المؤمنين عليهما السلام لها، ولاحظ بديع ما نسجته كلماته عليهما السلام وكانت لوعة فنية غاية في الجمال والإبداع والنسق عن قصة الخلق، التي صارت مثار الإشكال في هذه الأعصار - كما كانت - بوتيرة متصاعدة.

أين جنة آدم عليهما السلام التي خرج منها؟

وقع كلام في موقع الجنة التي خرج منها آدم عليهما السلام، وهذه المسألة ليست مما يُلتبس معرفتها إلا بواسطة الغيب والسؤال من أهل البيت عليهما السلام، ولذلك نجد جملة من الأصحاب كانوا يسألون عن هكذا مسائل من الأئمة عليهما السلام، وفي هذا بالخصوص حيث سُئل الإمام الصادق عليهما السلام عن جنة آدم أم من جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة؟ فقال [عليهما السلام]: «كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس والقمر، ولو كانت من جنان الآخرة ما أخرج منها أبداً آدم ولم يدخلها إبليس...، فجاءه إبليس، فقال: إنكما إن أكلتما من هذه الشجرة التي نهَاكما الله عنها صرتما ملكين، وبقيتما في الجنة أبداً، وإن لم تأكلا منها آخر جنكم الله من الجنة، وحلفت لها الله لها ناصح، كما قال الله تعالى حكاية عنه: «ما نهَاكما ربكم عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين»<sup>(٢)</sup> وقاسمهما إيني لكما لمِن الناصحين»<sup>(٣)</sup>، فقبل آدم قوله، فأكل من الشجرة، فكان كما حكى الله «بدأت لهما سوأتهما»، وسقط عنهم ما ألبسهما الله من لباسِ الجنة، وأقبلَا يُسْتَرِان بورق الجنة، «وناداهما ربُّهما ألم أنهما عن تلکما

(١) نهج البلاغة (ص ٤٢ و ٤٣ / الخطبة ١).

الشَّجَرَةِ وَأَقْلَلَ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾، فَقَالَا كَمَا حَكَى اللَّهُ عَزَّلَهُ عَنْهُمَا: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٧﴾»، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّلَهُمَا: «اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٌ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٨﴾» [الأعراف: ٢٠ - ٢٤]، قَالَ: «إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَوْلُهُ: «فَأَرَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقْرٌ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٩﴾» [البقرة: ٣٦]، فَهَبَطَ آدُمُ عَلَى الصَّفَا، وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الصَّفَا لِأَنَّ صَفْوَةَ اللَّهِ نَزَّلَ عَلَيْهَا، وَنَزَّلَتْ حَوَاءُ عَلَى الْمَرْوَةِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الْمَرْوَةُ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ نَزَّلَتْ عَلَيْهَا، فَبَقَيَ آدُمُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا سَاجِدًا يَبْكِي عَلَى أَجْنَنَةِ، فَنَزَّلَ عَلَيْهِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا آدُمُ، أَلَمْ يَخْلُقَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيْكَ مِنْ رُوْحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: وَأَمْرَكَ أَنْ لَا تَأْكُلَ مِنَ الشَّجَرَةِ، فَلِمَ عَصَيْتَهُ؟ قَالَ: يَا جَبْرِيلُ، إِنَّ إِبْلِيسَ حَلَفَ لِي بِاللَّهِ إِنَّهُ لِي نَاصِحٌ، وَمَا ظَنَّتُ أَنَّ حَلْقًا يَخْلُقُهُ اللَّهُ أَنْ يَخْلُفَ بِاللَّهِ كَادِيًا»<sup>(١)</sup>.

وذيل الحديث لوحده مدرسة في عظمة الحلف بالله تعالى.

وفي قصته عَلَيْهِ السَّلَامُ تفاصيل عديدة يُخْرِجُنا الخوض فيها عن الرسم المعدّ لهذا الشرح، وعلى هذا نسير فيما نتعرّض له من حياة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في شرح فقرات هذا الدعاء المبارك.

شبهة معصية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وجوابها:

يتمسّك البعض في إثبات المعصية لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله تعالى: «وَعَصَى آدُمُ رَبَّهُ فَغَوَى»<sup>(٢)</sup> (طه: ١٢١).

والجواب عن هذه الشبهة:

١ - من الواضح أنَّ الأحكام الشرعية على أنحاء خمسة - الواجب

(١) تفسير القمي (ج ١ / ص ٤٣ و ٤٤).

والحرام والمكروه والمستحب والماباح -، وقد يُعبر في بعض الأحيان عن ترك المستحب أو فعل المكروه بالمعصية، خصوصاً إذا كان ذلك من أصحاب المقامات العالية، بل قد يُعبر بذلك في بعض الأحيان بالمعصية في مقام الإتيان بعض المباحثات فيها لو كانت منافية لما ينبغي تركه من قبل هذا العظيم. ولعلَّ التعبير الوارد في الآية من هذا القبيل.

٢ - قد يقال: إنَّ ما حصل مع آدم عليهما السلام في دار غير هذه الدار، وأنَّ ما فيها ليس تكليفاً بالمعنى المصطلح، بل مناطاته وملائكته مختلفة عن هذه الدار، والقياس بينهما قياس مع الفارق، فالتعبير وإنْ ورد في القرآن الكريم ولكنه يُلحظ فيه تلك الدار، نظير ما يُلحظ في التعبير عنه من أوصاف الجنة وما فيها.

٣ - كانت المشيئة الإلهية قائمة على خلق خليفة في الأرض، وإيداع آدم عليهما السلام في الجنة مع عدم معصيته لا يناسب هذه المشيئة ولا يناسب هذا الغرض، فإن رادة الباري عليهما السلام قد انعقدت على خلق آدم عليهما السلام للأرض، وليس الجنة سوى محطة مؤقتة سيرتحل عنها لكي يعود إليها بنحو آخر.

المعصية تعلَّقت بأمر بقاءه - آدم عليهما السلام - غير الإلزامي، فالتعبير أنَّه عصى أي عصى أمر بقاءه - غير الإلزامي - ونزل باختياره، لذلك نجد أنَّ الآية بيَّنت له ما سيحصل له لو أكل من الشجرة.

شبهة التنازل في أبناء آدم عليهما السلام وجوابها:

يتوَهَّم البعض أنَّ التنازل بين أبناء آدم عليهما السلام حصل من زواج الإخوة بالأخوات، وهذا تصور فاحش ومرفوض جداً، ولا يرد إلى الذهن السليم والروح النقية السوية، ولكن مع ذلك نجيب عنه بالأتي:

الجواب عن التوَهُّم الآنف:

١ - أنَّ الله تعالى خلق لأولاد آدم عليهما السلام بنات يتزوجون بهنَّ، ومنهنَّ

حصل التنازل وتكاثرت ذرية آدم عليهما السلام، وقد دلت جملة من الروايات على ذلك، منها:

\* في (قصص الأنبياء) بسنده عن زرار، قال: سئل أبو عبد الله عليهما السلام عن بدء النسل من آدم (صلوات الله عليه) كيف كان، وعن بدء النسل من ذرية آدم، فإن أنساً عندنا يقولون: إن الله تعالى أوحى إلى آدم أن يزوج بناته من بنيه، وأن هذا الخلق كلهم أصله من الإخوة والأخوات، فمنع أبو عبد الله عليهما السلام عن ذلك، وقال: «بنت أن بعض البهائم تذكرت له اخته، فلما نزأ عليها ونزل ثم علم أنها اخته قبض على عزموله بأسنانه حتى قطعه...، ثم وهب الله له شيئاً، وهو هبة الله، وهو أول وصي أوليه من بنى آدم في الأرض، ثم ورأه بعده يافث، فلما أدركه وأراد الله أن يبلغ بالرسول ما ترؤن أنزل بعد العصر يوم الخميس حوراء من الجنة اسمها نزلة، فأمر الله أن يزوجها من شيث، ثم أنزل الله بعد العصر من العيد حوراء من الجنة اسمها منزلة، فأمر الله آدم أن يزوجها من يافت فزوجها منه، فولد لشيث علام ولهايفت جارية، فأمر الله آدم عليهما السلام حين أدركها أن يزوج بنت يافت من ابن شيث، ففعلا، فولد الصفوة من النبيين والمرسلين من سلتها، ومعاذ الله أن يكون ذلك ما قالوه من الإخوة والأخوات ومتاكيهم...»<sup>(١)</sup>.

ورواها العلامة المجلسي في (بحاره) عن (علل الشرائع)<sup>(٢)</sup>.

٢ - قيل: إن أبناء آدم عليهما السلام تزوجوا من كانت من النساء من قبل آدم عليهما السلام من البشر، وهذا لا يقطع مادة النزاع، إذ أولئك كيف تناسلوا؟ ولعل ما ورد من روايات بهذا الصدد تتحمل على التقية، لأن الجمهور يميل إلى هذا، راجع بحار الأنوار (ج ١١ / ص ٢١٨ / الباب الخامس).

(١) قصص الأنبياء للراوندي (ص ٥٧ و ٥٨ / ح ٣٢).

(٢) بحار الأنوار (ج ١١ / ص ٢٢٣ و ٢٢٤ / ح ٢)، عن علل الشرائع (ج ١ / ص ١٨ - ٢٠ / باب ١٧ / ح ٢).

### قصة نوح عليه السلام :

ورد ذكر نوح عليه السلام في العديد من الآيات الكريمة، ومنها:

\* قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ بَنَوْا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُوا أَيْدِيهِمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ (إبراهيم: ٩).

\* قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُوبَ وَبُوئُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوِدَ رَبُورَا﴾ (النساء: ١٦٣).

\* قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْقُلُّ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ (الأعراف: ٦٤).

اسمه عليه السلام وبعض خصائصه:

وهو أول أنبياء أولي العزم عليه السلام، وسيأتي في الخبر الصحيح ما يتحدث عن عدّة تفاصيل متممة لقصة آدم ومبينة لقصة نوح عليه السلام. والظاهر أنّ قوم نوح عليه السلام أول الأقوام التي عذّبها الله تعالى بسبب كفرهم، ولم يُعذّب قوماً قبلهم.

وقد ذكرت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهما السلام العديد من الصفات الخلقية والأوصاف التي تخلّي بها عليه السلام، ومنها: صفة بشيخ الأنبياء عليه السلام، وأنّه كان عبداً لله يُشكّل كثيراً من الشكر، وتحمّل من قومه صنوف العذابات والسخرية، ولم يثقل عن تحمل مهمّته إلى وفاته ودفنه في الغري على ما هو صريح الزيارة: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَى ضَجِيْعَيْكَ آدَمَ وَنُوحٍ، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ»<sup>(١)</sup>.

(١) المزار لابن المشهدى (ص ١٩٢).

### روایات عظیماتان:

#### الرواية الأولى: رواية الوصاية في أعقاب الأنبياء وذرارهم:

\* روى الشيخ الكليني رحمه الله بسنده صحيح عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «... فلما أكل آدم عليه السلام من الشجرة أهبط إلى الأرض...، فلما انقضت نبوة آدم عليه السلام واستكمل أيامه أوحى الله تعالى إليه أن يا آدم، قد انقضت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وأثار علم النبوة في العقب من ذريتك عند هبة الله، فإني لن أقطع العلم وأاليمان والاسم الأكبر وأثار النبوة من العقب من ذريتك إلى يوم القيمة، ولن أدع الأرض إلا وفيها عالم يُعرف به ديني، ويعرف به طاعتي، ويكون نجاة لمن يولد فيما بيتك وفيه نوح. وبشر آدم بنوح عليه السلام، فقال: إن الله تبارك وتعالى باعث نبيا اسمه نوح، وإن يدعوه إلى الله (عز ذكره)، ويُكذبه قومه...، حتى يبعث الله نوح عليه السلام، وظهرت وصيّة هبة الله حين نظروا في وصيّة آدم عليه السلام، فوجدوا نوح عليه السلام نبيا قد بشر به آدم عليه السلام، فامنوا به واتبعوه وصدقوا. وقد كان آدم عليه السلام وصيّ هبة الله أن يتعاهد هذه الوصيّة عند رأس كل سنة، فيكون يوم عيدهم، فيتعاهدون نوحًا وزمانه الذي يخرج فيه، وكذا جاء في وصيّة كلنبيٍ حتى يبعث الله محمدًا صلوات الله عليه، وإنما عرفوا نوحًا بالعلم الذي عندهم، وهو قول الله تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ...﴾** إلى آخر الآية [هود: ٢٥]، وكان من بين آدم ونوح من الأنبياء مُستخفين، ولذلك خفي ذكرهم في القرآن فلم يسموا كما سمي من استعمل من الأنبياء (صلوات الله عليهم أجمعين)، وهو قول الله تعالى: **﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَا هُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلٍ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾** [النساء: ١٦٤]، يعني لم أسم المستخفين كما سمي من المستعملين من الأنبياء عليهم السلام،

فَمَكَثَ نُوحٌ عَلَيْهِ لَا فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا حَمْسِينَ عَامًا...، حَتَّىٰ اِنْتَهَتِ إِلَىٰ يُوسُفَ اِبْنِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ لَا، ثُمَّ صَارَتِ مِنْ بَعْدِ يُوسُفَ فِي أَسْبَاطِ إِخْوَتِهِ حَتَّىٰ اِنْتَهَتِ إِلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ لَا، فَكَانَ بَيْنَ يُوسُفَ وَبَيْنَ مُوسَىٰ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ لَا، فَأَرْسَلَ اللَّهُ مُوسَىٰ وَهَارُونَ عَلَيْهِ لَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ، ثُمَّ أَرْسَلَ الرَّسُولَ تَتَرَىٰ، 《كُلُّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَثَبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثٍ》 [المؤمنون: ٤٤]، وَكَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَقْتُلُ نَبِيًّا وَأَنْبَانَ قَائِمًا، وَيَقْتُلُونَ إِنْبَانَ وَأَرْبَعَةَ قِيَامٍ حَتَّىٰ إِنَّهُ كَانَ رُبَّمَا قَتَلُوا فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ سَبْعِينَ نَبِيًّا وَيَقُومُ سُوقٌ قَتْلِهِمْ أَخْرَى النَّهَارِ، فَلَمَّا نَزَّلَتِ الْتَّوْرَاهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ عَلَيْهِ لَا بَشَّرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَانَ بَيْنَ يُوسُفَ وَمُوسَىٰ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَكَانَ وَصِيُّ مُوسَىٰ يُوشَعَ بْنُ نُونٍ عَلَيْهِ لَا، وَهُوَ فَتَاهُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ، فَلَمْ تَزَلِ الْأَنْبِيَاءُ تُبَشِّرُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّىٰ بَعَثَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىَ الْمَسِيحَ عِيسَىٰ بْنَ مَرِيمَ، فَبَشَّرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: 《يَحِدُونَهُ》 يَعْنِي الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىِ، 《مَكْتُوبًا》 يَعْنِي صِفَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، 《عِنْدَهُمْ》 يَعْنِي 《فِي التَّوْرَاهِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ》 [الأعراف: ١٥٧]، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ يُخْبِرُ عَنِ عِيسَىٰ: 《وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحَمْدُ》 [الصف: ٦]، وَبَشَّرَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ بِمُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا بَشَّرَ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِ لَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ حَتَّىٰ بَلَغَتْ مُحَمَّدًا ﷺ، فَلَمَّا قَضَى مُحَمَّدٍ ﷺ بُوَّبَتْهُ وَأَسْتَكْمِلَتْ أَيَّامُهُ أَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَيْهِ: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ قَضَيْتَ بُوَّبَتَكَ وَإِسْتَكْمَلَتْ أَيَّامَكَ، فَاجْعَلِ الْعِلْمَ الَّذِي عِنْدَكَ وَالْإِيمَانَ وَالْإِسْمَ الْأَكْبَرَ وَمِيرَاثَ الْعِلْمِ وَأَثَارَ عِلْمِ النُّبُوَّةِ فِي أَهْلِ بَيْتِكَ عِنْدَ عِلْيَ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ لَا، فَإِنِّي لَمْ أَقْطِعِ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ وَالْإِسْمَ الْأَكْبَرَ وَمِيرَاثَ الْعِلْمِ وَأَثَارَ عِلْمِ النُّبُوَّةِ مِنَ الْعَقِبِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ كَمَا لَمْ أَقْطِعْهَا مِنْ بُيُوتَاتِ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَبِيكَ آدَمَ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: 《إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا

الفصل الأول: الوساطة بين السماء والأرض، وخصائص الأنبياء ودرجاتهم ..... ٨٩.....

وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عُمَرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ٢٣ ذُرَيْةَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٤ ﴿آل عمران: ٣٣ و ٣٤...﴾<sup>(١)</sup>.

والحديث بعد لم يكتمل ونقلنا بعضه، وكان الداعي من وراء نقله وهو بهذه السعة والحجم الذي قد يوجب تململ القارئ عند قراءته، أنه خبر صحيح السندي، والفوائد التي تضمنها والتفاصيل التي ذكرها لا نجد لها في غيره بهذا الإسناد والتفصيل والربط المنقطع النظير، فلا تمل من قراءته، وإذا تركته فعاود الرجوع إليه واقرأه بتذرُّر، وعلى الأقلْ بتأنِّ.

الرواية الثانية: شاهدة الإمام الحجَّةَ ﷺ بالنبيِّ نوح عليهما السلام:

وقد ورد في عجيب قصته عليهما السلام وتشبيه ما مرَّ به بها سيمُرُّ به مولانا

الحجَّةَ ﷺ رواية جليلة المعنى دقيقة الوصف، وهي:

\* ما رواه الشيخ الصدوق عليهما السلام بسنده عن سيدِير الصَّيرِفي، قال: دخلت أنا والملقب بن عمر وأباً بصیر وأباً بن تغلب على مولانا أبي عبد الله الصادق عليهما السلام، فرأيناه جالساً على التراب، وعليه مسح خيريٌّ، مطوق بلا جيب، مقصِّر الْكُمَيْنِ، وهو يبكي بكاء الوالِه الشَّكْلِي، ذات الْكَبِد الْحَرَّي، قد نال الحزن من وجنتيه، وشاع التَّغَيِّر في عارضيه، وأباً الْدُّمُوع محرِّيَه، وهو يقول: «سَيِّدِي عَيْتُكْ نَفَتْ رُقَادِي، وَضَيَّقْتْ عَلَيَّ مَهَادِي، وَرَبَّرَتْ مِنِي رَاحَةَ فُؤَادِي، سَيِّدِي عَيْتُكْ أَوْصَلْتْ مُصَابِي بِفَجَائِعِ الْأَبَدِ، وَفَقَدْ الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ يُفْنِي الْجَمْعَ وَالْعَدَدَ، فَمَا أُحِسْ بِدَمْعَةٍ تَرَقَى مِنْ عَيْنِي، وَأَنِينٌ يَقْتُرُ مِنْ صَدْرِي عَنْ دَوَارِجِ الرَّزَائِيَا وَسَوَالِفِ الْبَلَائِي إِلَّا مُثْلٌ بِعَيْنِي عَنْ غَوَابِرِ أَعْظَمِهَا وَأَفْطَعِهَا، وَبَوَاقِي أَشَدَّهَا وَأَنْكَرِهَا، وَنَوَاتِبِ مَحْلُوَةٍ بِغَضَبِكَ، وَنَوَازِلَ مَعْجُونَةٍ بِسَخَطِكَ»، قال سيدِير: فَاسْتَطَارَتْ عُقُولُنَا وَهَا، وَتَصَدَّعَتْ قُلُوبُنَا جَزَعاً مِنْ ذَلِكَ الْخُطْبِ

(١) الكافي (ج/٨ ص ١١٣ - ١٢٠ ح ٩٢).

الْهَائِلِ، وَالْحَادِثِ الْغَائِلِ، وَظَنَّا أَنَّهُ سَمَّتْ لِكْرُوهَةَ قَارِعَةَ، أَوْ حَلَّتْ بِهِ مِنَ الْدَّهْرِ بَائِقَةَ، فَقُلْنَا: لَا أَبْكِيَ اللَّهُ يَا ابْنَ خَيْرِ الْوَرَى عَيْنَيْكَ، مِنْ أَيَّةِ حَادِثَةٍ تَسْتَزِفُ دَمْعَتَكَ، وَتَسْتَمْطِرُ عَبْرَتَكَ؟ وَأَيَّةِ حَالَةٍ حَتَّمَتْ عَلَيْكَ هَذَا الْمَاتُمَ؟ قَالَ: فَزَفَرَ الْصَّادِقُ عَلَيْهِ رَفْرَةً إِنْتَفَخَ مِنْهَا جَوْفُهُ، وَانْشَدَّ عَنْهَا خَوْفُهُ، وَقَالَ: «وَيْلَكُمْ نَظَرُتُ فِي كِتَابِ الْجَفْرِ صَبِيحةَ هَذَا الْيَوْمِ، وَهُوَ الْكِتَابُ الْمُشَتَّمُ عَلَى عِلْمِ الْمَنَّاِيَا وَالْبَلَائِيَا وَالرَّزَائِيَا وَعِلْمِ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي خَصَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّداً وَالْأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِ عَلَيْهِ، وَتَأَمَّلْتُ مِنْهُ مَوْلَدَ قَائِمِنَا وَغَيْبَتِهِ وَإِبْطَاءِهِ وَطُولِ عُمُرِهِ وَبَلَوْيِ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ الْزَّمَانِ، وَتَوَلَّدَ الشُّكُوكُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ طُولِ غَيْبَتِهِ، وَارْتَدَادُ أَكْثَرِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَخَلْعُهُمْ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ أَعْنَاقِهِمُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ (تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ): «وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَرْمَنَاهُ طَائِرٌ فِي عُنْقِهِ» [الإِسْرَاء: ١٣]، يَعْنِي الْوَلَائِيَّةَ، فَأَخْدَتْنِي الْرِّقَّةُ، وَاسْتَوَلَتْ عَلَيَّ الْأَحْزَانُ»، فَقُلْنَا: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، كَرِّمَنَا وَفَضَّلَنَا بِإِشْرَاكِكَ إِيَّانَا فِي بَعْضِ مَا أَنْتَ تَعْلَمُهُ مِنْ عِلْمِ ذَلِكَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَدَارَ لِلْقَائِمِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَدَارَهَا فِي ثَلَاثَةَ مِنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمْ، قَدَرَ مَوْلَدُهُ تَقْدِيرَ مَوْلِدِ مُوسَى عَلَيْهِ، وَقَدَرَ غَيْبَتِهِ تَقْدِيرَ غَيْبَةِ عِيسَى عَلَيْهِ، وَقَدَرَ إِبْطَاءِهِ تَقْدِيرَ إِبْطَاءِ نُوحٍ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ لَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عُمُرَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ أَعْنَى الْخَضْرِ عَلَيْهِ دَلِيلًا عَلَى عُمُرِهِ»، فَقُلْنَا لَهُ: إِكْشِفْ لَنَا يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ عَنْ وُجُوهِ هَذِهِ الْمَعَانِي، قَالَ عَلَيْهِ: «... وَأَمَّا إِبْطَاءُ نُوحٍ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَمَّا إِسْتَنْزَلَتِ الْعُقُوبَةَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْسَّمَاءِ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْرُّوحَ الْأَمِينَ عَلَيْهِ سَبْعَ نَوَيَّاتٍ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لَكَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ خَلَائِقِي وَعِبَادِي، وَلَسْتُ أُبَيْدُهُمْ بِصَاعِقَةٍ مِنْ صَوَاعِقِي إِلَّا بَعْدَ تَأْكِيدِ الْدَّعْوَةِ وَإِلْزَامِ الْحُجَّةِ، فَعَاوِدِ اجْتِهَادَكَ فِي الْدَّعْوَةِ لِقَوْمِكَ فَإِنِّي مُشِبِّكَ عَلَيْهِ، وَأَغْرِسْ هَذِهِ النَّوَى فِي نَبَاتَهَا وَبُلُوغُهَا وَإِدْرَاكُهَا إِذَا أَثْمَرَتِ الْفَرَاجَ وَالْخَلَاصَ، فَبَشِّرْ بِذَلِكَ مَنْ تَبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَلَمَّا نَبَتِ الْأَشْجَارُ

وَتَأَزَّرَتْ وَتَسَوَّقَتْ وَتَعَصَّبَتْ وَأَثْمَرَتْ وَرَزَّهَا التَّمْرُ عَلَيْهَا بَعْدَ زَمَانِ طَوِيلٍ إِسْتَنْجَرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعِدَّةُ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَغْرِسَ مِنْ نَوْيِي تِلْكَ الْأَشْجَارِ وَيُعَاوِدَ الصَّبَرَ وَالْأَجْتِهَادَ وَيُؤْكِدَ الْحُجَّةَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ الْطَّوَافِفَ الَّتِي آمَنَتْ بِهِ، فَأَرْتَدَ مِنْهُمْ ثَلَاثِيَّةَ رَجُلٍ، وَقَالُوا: لَوْ كَانَ مَا يَدَعُهُ نُوحٌ حَقَّا لَمَا وَقَعَ فِي وَعْدِ رَبِّهِ خُلْفٌ. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَزِلْ يَأْمُرُهُ عِنْدَ كُلِّ مَرَّةٍ بِأَنْ يَغْرِسَهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى إِلَى أَنْ غَرَسَهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ الْطَّوَافِفُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَرْتَدُ مِنْهُ طَافِفَةً بَعْدَ طَافِفَةٍ إِلَى أَنْ عَادَ إِلَى نَيْقَ وَسَبْعِينَ رَجُلًا، فَأَوْحَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَقَالَ: يَا نُوحُ، الآنَ أَسْفَرَ الْصُّبْحَ عَنِ الْلَّيْلِ لِعَيْنِكَ حِينَ صَرَحَ الْحُكُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَصَفَا الْأَمْرُ وَالْإِيمَانُ مِنَ الْكَدَرِ بِإِرْتِدَادِ كُلِّ مَنْ كَانَتْ طِبِّيَّتُهُ خَيْثَةً، فَلَوْ أَنِّي أَهْلَكْتُ الْكُفَّارَ وَأَبْقَيْتُ مَنْ قَدِ ارْتَدَ مِنَ الْطَّوَافِفِ الَّتِي كَانَتْ آمَنَتْ بِكَ لَمَا كُنْتُ صَدَقْتُ وَعْدِيَ السَّابِقِ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا الْتَّوْحِيدَ مِنْ قَوْمِكَ، وَرَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِ بُوَوَّتِكَ بِأَنَّ أَسْتَخْلِفَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَأُمَكِّنَ لَهُمْ دِيَّهُمْ وَأَبْدِلَ خَوْفَهُمْ بِالْأَمْنِ لِكَيْ تَخْلُصَ الْعِبَادَةُ لِي بِذَهَابِ الْشَّكِّ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَكَيْفَ يَكُونُ الْإِسْتِخْلَافُ وَالْتَّمْكِينُ وَبَدْلُ الْخُوفِ بِالْأَمْنِ مِنِّي لَهُمْ مَعَ مَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ ضَعْفِ يَقِينِ الَّذِينَ ارْتَدُوا وَخُبْثَ طِينِهِمْ وَسُوءِ سَرَائِرِهِمُ الَّتِي كَانَتْ نَتَائِجَ النَّفَاقِ...»<sup>(١)</sup>.

### قصة إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام:

ورد ذكر إبراهيم عليه السلام في العديد من الآيات الكريمة، ومنها:  
\* قوله تعالى: «وَإِذَا ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» (البقرة: ١٢٤).

(١) كمال الدين (ص ٣٥٢ - ٣٥٧ / باب ٣٣ / ح ٥٠).

\* قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتَّلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُرِيكُهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾١٦٩ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾١٧٠ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلَمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾١٧١ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوْتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾١٧٢ (البقرة: ١٢٩ - ١٣٢).

\* قوله تعالى: ﴿فُولُوا آمَنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾١٣٦ (البقرة: ١٣٦).

### قصة إبراهيم عليه السلام في الروايات:

تناولت العديد من الروايات قصة إبراهيم عليه السلام، وتحدّثت عن الكثير من التفاصيل التي لا يسعنا ذكرها.

\* روى الشيخ الصدوق عليه السلام: «... فَلَمْ يَرِلْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الْكِتَابَ فِي الْغَيْبَةِ، مَخْفِيًّا لِشَخْصِيهِ، كَاتِبًا لِأَمْرِهِ، حَتَّى ظَهَرَ فَصَدَعَ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى ذُكْرُهُ، وَأَظْهَرَ اللَّهُ قُدْرَتَهُ فِيهِ، ثُمَّ غَابَ عَلَيْهِ الْغَيْبَةَ الْثَّانِيَةَ، وَذَلِكَ حِينَ نَفَاهُ الْطَّاغُوتُ عَنْ مِصْرَ، فَقَالَ: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوكُمْ رَبِّي عَسَى أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيقًا ﴾١٦٨، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلُّا جَعَلْنَا لَهِمَا ﴾١٦٩ وَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقِي عَلَيْهِ ﴾١٧٠ [مريم: ٤٨ - ٥٠]، يعني به علي بن أبي طالب عليه السلام، لأنَّ إِبْرَاهِيمَ قَدْ كَانَ دَعَا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لَهُ لِسَانَ صِدْقِي فِي الْآخِرِينَ، فَجَعَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ وَلِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ لِسَانَ صِدْقِي عَلَيْهِ ﴾.

فأخبر عليٌ عليه السلام بأنَّ القائم هو الحادي عشر من ولده، وأنَّه المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ...<sup>(١)</sup>.  
فوائد من سيرة إبراهيم عليه السلام:

\* في (علل الشرائع) بسنده عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، قال: سمعت عليَّ بن محمد العسكري عليهما السلام يقول: إنَّما أتَّخَذَ الله تعالى إبراهيم خليلاً لكثرَةِ صَلَاتِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ (صلواتُ الله عَلَيْهِمْ)<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد في سبب اتخاذ الله تعالى لإبراهيم خليلاً غير ذلك، من قبيل كثرة إطعامه للطعام، وصلاته بالليل والناس نيا<sup>(٣)</sup>.

مشابهة الإمام المهدي عليهما السلام لإبراهيم عليهما السلام:

\* في (كمال الدين) بسنده عن سعيد بن جبير، قال: سمعت سيد العابدين عليَّ بن الحسين عليهما السلام يقول: في القائم مثنا سنتان من الأنبياء، سنة من أبينا آدم عليهما السلام، وسنة من نوح، وسنة من إبراهيم، وسنة من موسى، وسنة من عيسى، وسنة من أيوب، وسنة من محمد (صلواتُ الله عَلَيْهِمْ). فاما من آدم ونوح فطول العمر، وأاما من إبراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس، وأاما من موسى فالخوف والغيبة، وأاما من عيسى فاختلاف الناس فيه، وأاما من أيوب فالفرج بعد البلوى، وأاما من محمد عليه السلام فالخروج بالسيف<sup>(٤)</sup>.

والروايات التي تتحدث عن قصص الأنبياء وتذكر تفاصيل حياتهم عليهما السلام كذلك كتب التاريخ وغيرها كثيرة، ولم نتعرض إلا إلى أقل القليل من ذلك.

(١) كمال الدين (ص ١٣٨ و ١٣٩ / باب ٤ / ح ٧).

(٢) علل الشرائع (ج ١ / ص ٣٤ / باب ٣٢ / ح ٣).

(٣) راجع: علل الشرائع (ج ١ / ص ٣٥ / باب ٣٢ / ح ٤).

(٤) كمال الدين (ص ٣٢١ و ٣٢٢ / باب ٣١ / ح ٣).

\* قال الشيخ المفید فییث: (أجمع العلماء من الملل على ما كان من ستر ولادة أبي إبراهيم الخليل عَلَیْهِ السَّلَامُ وأمه لذلك، وتدبرهم في إخفاء أمره عن ملک زمانه لخوفهم عليه منه. وبستر ولادة موسى بن عمران عَلَیْهِ السَّلَامُ، وبمجيء القرآن بشرح ذلك على البيان، والخبر بأنَّ أمه ألقته في اليم على ثقة منها بسلامته وعوده إليها، وكان ذلك منها بالوحي إليها به بتدبر الله (جل وعلا) لمصالح العباد. فما الذي ينكر خصوم الإمامية من قولهم في ستر الحسن عَلَیْهِ السَّلَامُ ولادة ابنه المهدي عن أهله وبني عمّه وغيرهم من الناس؟ وأسباب ذلك أظهر من أسباب ستر من عدّناه وسمّيَناه...).<sup>(١)</sup>.

#### الإمامية في إبراهيم عَلَیْهِ السَّلَامُ وذرّيته:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ابْتَلَنَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الطَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤).

\* في (الكافي) بسنده عن زيد الشحام، قال: سمعت أبا عبد الله عَلَیْهِ السَّلَامُ يقول: «إنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيًّا، وَإِنَّ اللهَ اتَّخَذَهُ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولًا، وَإِنَّ اللهَ اتَّخَذَهُ رَسُولًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلًا، وَإِنَّ اللهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُ إِمَاماً، فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ الْأَشْيَاءَ قَالَ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً»، قال: «فَمَنْ عِظَمَهَا فِي عَيْنِ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الطَّالِمِينَ»، قال: «لَا يَكُونُ السَّفِيهُ إِمَامَ الْتَّقِيِّ».<sup>(٢)</sup>

\* وفي (الغيبة للنعماني) روى اللهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رواية عن الإمام الرضا عَلَیْهِ السَّلَامُ يفصل فيها خصائص الإمامة ويتحدث عن الإمام عَلَیْهِ السَّلَامُ، جاء فيها: «فَأَبْطَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِمَاماً كُلَّ ظَالِمٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَصَارَتْ فِي الصَّفْوَةِ، ثُمَّ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ جَعَلَهَا

(١) المسائل العشر في الغيبة (ص ٥٨).

(٢) الكافي (ج ١ / ص ١٧٥ / باب طبقات الأنبياء والرُّسُل والأئمَّة عَلَیْهِمُ السَّلَامُ / ح ٢).

في ذرِّيَّتِهِ أَهْلِ الصَّفْوَةِ وَالْطَّهَارَةِ، فَقَالَ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾٧٣ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الرِّزْكَةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾٧٤﴾ [الأنبياء: ٧٢ و ٧٣]، فَلَمْ تَرَلْ فِي ذرِّيَّتِهِ يَرِثُهَا بَعْضٌ عَنْ بَعْضٍ قَرَنَا فَقَرَنَا حَتَّىٰ وَرِثَهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ عَجِلُكَ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا التَّيُّّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾٦٨﴾ [آل عمران: ٦٨]، فَكَانَتْ لَهُ خَاصَّةً، فَقَلَّدَهَا ﷺ عَلَيًّا عَلَيْهِ الْمَسْكَنُ بِأَمْرِ اللهِ (عَزَّ إِسْمُهُ) عَلَى رَسْمٍ مَا فَرَضَهُ اللهُ، فَصَارَتْ فِي ذرِّيَّتِهِ الْأَصْفِيَاءُ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللهُ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ بِقَوْلِهِ عَجِلُكَ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَيْثُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثَ﴾ [الروم: ٥٦]، فَهِيَ فِي وُلْدِ عَلَيٰ عَلَيْهِ الْمَسْكَنُ خَاصَّةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِذْ لَا نَبِيٌّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَمِنْ أَيْنَ يَخْتَارُ هُؤُلَاءِ الْجُهَّالُ الْإِمَامَ؟ إِنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ مَنْزِلَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِرْثُ الْأَوْصِيَاءِ، إِنَّ الْإِمَامَةَ خِلَافَةُ اللهِ، وَخِلَافَةُ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَقَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمِيرَاثُ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا...﴾<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ أبو الصلاح رحمه الله في معرض استعراضه أدلة إمامية أهل البيت عليهم السلام وأمير المؤمنين عليهم السلام: (ومنها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾٦٦﴾، فنفي سبحانه أن ينال الإمامة ظالم، وهذا يمنع من استحقّ سمة الظلم وقتاً ما من الصلاح للإمامية، لدخوله تحت الاسم المانع من استحقاقها. وأيضاً فإنه سبحانه أخبر بمعنى الأمر أنَّ الظالم لا يستحقُها، وخبره متعلقٌ بالمخبر على ما هو به، فيجب فساد إمامية من يجوز كونه ظالماً، وذلك يقتضي وقوف صلاحها على المعصوم، ويوجب فساد إمامية أبي بكر وعمر وعثمان والعباس، لوقوع الظلم منهم، ولعدم القطع على

(١) الغيبة للنعماني (ص ٢٢٥ و ٢٢٦ / باب ١٣ / ح ٦).

عصمتهم، وإذا بطلت إماماً هؤلاء ثبتت إماماً علىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأنَّه لا قول لأحدٍ من الأُمَّةِ خارج عن ذلك.

وتبطل إمامتهم من الآية بأنَّ جوابه تعالى بنفي الإمامة عن الظالم خرج مطابقاً لسؤال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذلك يقتضي اختصاصه لمن كان ظالماً ثمَّ تاب، لقبح سؤال الإمامة للكافر في حال كفره، ووقوع الكفر من هؤلاء معلوم، فيجب دخولهم تحت النفي.

وليس لأحدٍ أنْ يقدح في بعض ما مضى بأنَّ التائب من الظلم لا يكون ظالماً.

لأنَّ ظالماً من أسماء الفاعلين في اللغة كقاتل وضارب، وليس باسم شرعي، وأسماء المشتقة من الأفعال ثابتة بعد التوبة كثبوتها قبلها، يقولون: هذا قاتل زيد، وضارب عمرو، وخاذل عليٰ، وإنْ تابوا ممَّا اقترفوه، ولو كان من أسماء الشرعية لقبح هذا الإطلاق بعد التوبة كفاسق وكافر.

ولأنَّ العرب ما تصف فاعل الضرر الخالص بظالم كما تصفه الشريعة، ولو كان منقلاً يجري مجرِّي مصلٌّ ومزكٌّ، لا اختصاصه بعرف الشرع كذين الاسمين، وإقرار الشريعة له علىٰ أصل الوضع يُسقط الشبهة، لأنَّها مبنية علىٰ قبح الوصف به بعد التوبة، وما قرَّرته الشريعة من أسماء علىٰ أصله لا يجوز سلبه للتائب بلا خلاف بين العلماء بأحكام الخطاب<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر العلَّامة الطباطبائي رَحْمَةُ اللَّهِ في (تفسير الميزان) بحثاً مفصلاً حول الآية الشريفة والآيات المرتبطة بها نأخذ منه ما يناسب بحثنا، قال رَحْمَةُ اللَّهِ : (قوله تعالى: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً**، قول من يعتقد لنفسه ذرَّية، وكيف يسع منْ له أدنى دربة بأدب الكلام وخاصَّةً مثل إبراهيم الخليل في خطاب يخاطب به ربَّه

(١) تقريب المعارف (ص ١٩١ و ١٩٢).

الفصل الأول: الوساطة بين السماء والأرض، وخصائص الأنبياء ودرجاتهم ..... ٩٧

الجليل أن يتفوه بها لا علم له به؟ ولو كان ذلك لكان من الواجب أن يقول: (ومن ذرَّيْتِي إِنْ رَزَّقْتِي ذَرْيَّةً) أو ما يُؤْدِي هذا المعنى، فالقصة واقعة كما ذكرنا في أواخر عهد إبراهيم بعد البشارة.

على أن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَبْتَأَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، يدل على أن هذه الإمامة الموهوبة إنما كانت بعد ابتلاه بها ابتلاه الله به من الامتحانات، وليست هذه إلا أنواع البلاء التي ابتليَّ بها في حياته، وقد نص القرآن على أن من أوضحتها بلاء قضية ذبح إسماعيل، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنْيَ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ...﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ [الصافات: ١٠٦ - ١٠٦]. والقضية إنما وقعت في كبر إبراهيم، كما حكى الله تعالى عنه من قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبِيرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]... وقد ظهر مما تقدم من البيان أمور:

الأول: أن الإمامة لجعله.

الثاني: أن الإمام يجب أن يكون معصوماً بعصمة إلهية.

الثالث: أن الأرض وفيه الناس، لا تخلو عن إمام حق.

الرابع: أن الإمام يجب أن يكون مؤيداً من عند الله تعالى.

الخامس: أن أعمال العباد غير محجوبة عن علم الإمام.

السادس: أنه يجب أن يكون عالماً بجميع ما يحتاج إليه الناس في أمور

معاشهم ومعادهم.

السابع: أنه يستحيل أن يوجد فيهم من يفوقه في فضائل النفس.

فهذه سبعة مسائل هي أمميات مسائل الإمامة، تعطيها الآية الشريفة بما

ينضم إليها من الآيات، والله الهادي.

فإن قلتَ: لو كانت الإمامة هي الهدایة بأمر الله تعالى، وهي الهدایة إلى الحق الملازم مع الاهتداء بالذات كما استفيد من قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحُقُّ أَنْ يُتَّبَعَ...﴾ الآية [يونس: ٣٥] كان جميع الأنبياء أئمَّةً قطعاً، لوضوح أنَّ نبوَّةَ النبِيِّ لا يتمُّ إلَّا باهتداء من جانب الله تعالى بالوحي، من غير أن يكون مكتسِّباً من الغير، بتعلُّمِ أو إرشادٍ ونحوهما، حينئذٍ فموهبة النبوَّة تستلزم موهبة الإمامة، وعاد الإشكال إلى أنفسكم.

قلتُ: الذي يتحصل من البيان السابق المستفاد من الآية أنَّ الهدایة بالحق وهي الإمامة تستلزم الاهتداء بالحق، وأمَّا العكس وهو أنْ يكون كُلُّ مَنِ اهتدى بالحق هادياً لغيره بالحق، حتَّى يكون كُلُّ نبِيٍّ لاهتدائه بالذات إماماً، فلم يتبيَّن بعد...<sup>(١)</sup>.

### شَبَهَةُ الشَّكْ فِي اللَّهِ تَعَالَى وَجَوَابُهَا:

يَزَعُمُ مَنْ لَا مَعْرِفَةَ لَهُ بِحَالِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ وَيَظْنُ مُتَوَهِّمًا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الْكَلَمُ عَلَى عَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ وَكَبِيرِ مَقَامِهِ قَدْ حَصَلَ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لَيْسَ مَرَّةً بَلْ مَرَّاتٍ! مِنْهَا مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة: ٢٦٠)، فكيف لمثل إبراهيم عَلَيْهِ الْكَلَمُ وهو قلب الإيمان أنْ يحمل في قلبه الشَّكُّ، وأنْ يتردَّد ويطلب الاطمئنان، بل وأنْ يخاطب من قِبَلِ رَبِّ الْعَزَّةِ وَالْجَلَالَةِ: ﴿أَوْلَمْ تُؤْمِنْ﴾؟!

هذه مَرَّة، والثانية في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ تُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوْقِنِينَ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلَيْنَ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَارِغاً قَالَ هَذَا

(١) تفسير الميزان (ج ١ / ص ٢٦٨ - ٢٧٥).

## الفصل الأول: الوساطة بين السماء والأرض، وخصائص الأنبياء ودرجاتهم ..... ٩٩.....

رَبِّيْ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّيْ لَاَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمَ إِنِّي بَرِيِّئٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ (الأنعام: ٧٥ - ٧٨)، فكيف بحامل لواء التوحيد، ومهدم الأصنام أن لا يعرف ربّه، أو أن يقول للقمر أو الشمس أنها ربّه؟! وهذا أمر عجيب، والأعجب أن يُذَنَّ بإبراهيم عليه السلام هذا فضلاً عن أن يُعتقد فيه.

والجواب عن هذه الشبهة:

- ١ - أن الآيات الكريمة هي بنفسها تضمنت الإجابة، حيث نفت الشك عنه، وأنه إنما طلب ذلك زيادة في اليقين، ودفعاً لما يمكن أن يتوهم، وللأنبياء عليهما طلب زيادة اليقين والسعى نحو مراتب الكمال التي لا حدّ لها، وطلبها كمال ممدوح.
- ٢ - أنه عليهما يقول ذلك على لسان قومه ومجاراة لهم، لمزيد من الاحتجاج وإثبات التوحيد، فهو يريد إقناعهم بأنّ ما يمكن اعتقاده في المخلوقات وإن عظمت ينتهي إلى الأفول والزوال.
- ٣ - توجد قاعدة مفادها: أنّ ما ليس بقطعي ومحكم يتم إرجاعه إلى المحكم من الأمور، وعصمة الأنبياء عليهما أمر محكم وقطعي، فكلّ ما يخالفه لا بدّ من تأويله.

شبهة كذب إبراهيم عليهما والجواب عنها:

من خلال هذا يتضح الحال في آيات أخرى قد تفسّر خطأً كقوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ (الأنبياء: ٦٣)، وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ (الصافات: ٨٩).

### قصة موسى كليم الرب ﷺ:

هو موسى، وبالعبرية م Yoshi بن عمران، أو عمرام، أو عمرم بن قاheet بن لاوي ابن نبی الله يعقوب ﷺ، وقيل في اسمه: موسى بن عمران بن عازر بن لاوي بن يعقوب ﷺ.

وسيأتي في الرواية التي ذكرت الأوصياء بعد يعقوب ﷺ غير ذلك، حيث يقع بينه وبين يعقوب عدد من الأوصياء من ولد لاوي يتجاوز ما ذكر أعلاه، والأمر سهل، ولكن رغبنا بذكره لمزيد من المعرفة والاطلاع على النسل المبارك له.

### في القرآن الكريم:

ورد ذكر موسى ﷺ في العديد من الآيات، ومنها:

\* قوله تعالى: ﴿وَهُلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۝ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ أَمْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِيَّ أَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبِيسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى التَّارِهِنَّ ۝﴾ (طه: ٩ و ١٠)، ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ (القصص: ٣٠).

\* قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۝ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطِلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ۝﴾ (الشعراء: ١٢ و ١٣).

### في الروايات الشريفة:

\* في (إثبات الوصيّة): وكان يوسف ﷺ إماماً ملِكًا، وملك اثنين وسبعين سنة، وعاش مائة وعشرين سنة، وكان له ابنان يقال لأحدهما: افرائيم، وهو جد يوشع بن نون، والآخر ميشا. فلما قربت وفاته أوحى الله إليه عَجَّلَ أن استودع نور الله وحكمته وجميع المواريث التي في يديك ببرز بن لاوي بن يعقوب، فأحضر ببرز بن لاوي وجمع آل يعقوب، وهم يومئذ ثمانون رجلاً،

## الفصل الأول: الوساطة بين السماء والأرض، وخصائص الأنبياء ودرجاتهم ..... ١٠١

فقال لهم: إنَّ هؤلاء القبط سيظهرون عليكم، ويسمونكم سوء العذاب، ونعوت الإمامة مكتومة، ثمَّ ينجيكم الله ويُفرج عنكم برجل من ولد لاوي اسمه موسى بن عمران طوال جعد آدم مفلل الشعر أحاج على لسانه شامة وعلى أربنة أنفه شامة، ولن يظهر حتَّى يخرج قبله سبعون كذاباً، (وروي خمسون) كلَّ يدَّعى أَنَّهُ هو، ثمَّ يظهر وينصر الله بني إسرائيل ويُفرج عنهم. وسلم التابوت والنور والحكمة وجميع المواريث إلى بربز بن لاوي عليهما ومضى (صلَّى الله عليه).

قام بربز بن لاوي بن يعقوب عليهما بأمر الله (جلَّ وعزَّ) يُدبره على سبيل آبائه عليهما، فروي أَنَّهُ كان إذا وُلدَ في بني إسرائيل كُلُّ واحدٍ منهم يدَّعى أَنَّهُ هو ويُسمَّى عمران، ثمَّ يأتي عمران ولد فيُسمَّى الولد موسى، يتعرَّضون بذلك لقيام القائم موسى عليهما. فما ظهر موسى حتَّى خرج سبعون كذاباً (وروي خمسون) من بني إسرائيل كُلُّ واحدٍ منهم يدَّعى أَنَّهُ هو.

واشتَدَّ أمر الغيبة في توقُّعه وانتظاره على بني إسرائيل، وكانوا يتجمَّسون من خبره بالليل والنهار، وغلوظ عليهم سيرة فرعون وجنوده، فخرجوا في ليلة مقمرة إلى فقيه لهم، وكان الاجتماع عنده يتعدَّر عليهم ويخافون، فقالوا له: قد كنَّا نستريح إلى الأحاديث فتحتَّى متى؟ فقال لهم: لا تزالون في هذا أبداً حتَّى يأتي الله بموسى بن عمران ويظهر في الأرض. وأخذ يصف لهم وجهه وطوله ولحيته وعلاماته إذ أقبل موسى عليهما وقد كان خرج إلى الصيد على بغلة له شهباء وعليه طيلسان خزْر، فوقف عليهم، فرفع العالم رأسه فنظر إليه فعرفه فوثب إليه، ثمَّ قال له: ما اسمك يرحمك الله؟ فقال له: موسى بن عمران، فانكبَّ على يده ورجله فقبلَّها، وثار القوم فقبلوا يده ورجله، وقالوا له: الحمد لله الذي لم يمتننا حتَّى أرناك. فلم يزد على أنْ قال: أرجو أنْ يُعجل لكم الفرج، فاتَّخذهم شيعة

من ذلك اليوم. ثم غاب بعد ذلك بضعة عشر سنة، ثم خرج من الدار إلى السفينة...<sup>(١)</sup>.

### قصة عيسى عليه السلام:

المسيح عيسى بن مريم، (عيسو) بالعبرية القديمة، و(يسوع) بالعبرية المعاصرة، و(يسوع) في العهد الجديد، من أولى العزم من الرسل عليه السلام، أُرسل إلى بني إسرائيل.

ورد ذكر عيسى عليه السلام في العديد من الآيات القرآنية، منها:

- \* قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلْمَةٍ مِنْهُ أَسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾٤٦﴾ (آل عمران: ٤٥ و٤٦).
- \* قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا يَبْيَنُ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾٦﴾ (الصف: ٦).
- \* قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾٥٩﴾ (آل عمران: ٥٩).

وورد ذكره عليه السلام في العديد من الروايات، منها:

### علة خلقه عليه السلام من غير أب:

- \* في (علل الشرائع) بسنده عن أبي بصير، قال: قلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِأَبِي عِلْلَةِ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّلَهُ آدَمَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَأُمٍّ، وَخَلَقَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ،

(١) راجع: إثبات الوصيّة (ص ٤٩ - ٥٤)؛ والقصة مفصلة أخذنا منها موضع الحاجة مع تعديل العبارة بما يناسب الغرض من الشرح.

الفصل الأول: الوساطة بين السماء والأرض، وخصائص الأنبياء ودرجاتهم ..... ١٠٣

وَخَلَقَ سَائِرَ النَّاسِ مِنَ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ؟ فَقَالَ: «لِيَعْلَمَ النَّاسُ تَمَامًا قُدْرَتِهِ وَكَمَا هُنَّا، وَيَعْلَمُوا أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا مِنْ أُنْثَى مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ، كَمَا هُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَهُ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى، وَأَنَّهُ يَعْلَمُ فَعَلَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»<sup>(١)</sup>.

شباهة الإمام الحجّة عليه السلام بعيسى عليه السلام:

ذكرت العديد من الروايات شباهة الإمام الحجّة عليه السلام بالنبيّ عيسى عليه السلام،

ومنها:

\* في (كمال الدين) بسنده عن سدير الصيرفي، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «... وَأَمَّا غَيْرُهُ عِيسَى عليه السلام فَإِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى إِنْفَقَتْ عَلَى أَنَّهُ قُتِلَ، فَكَذَّبُهُمُ اللَّهُ (جَلَّ ذِكْرُهُ) بِقَوْلِهِ: «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبَّهَ لَهُمْ» [النساء: ١٥٧]، كَذَّلِكَ غَيْرُهُ الْقَائِمِ فَإِنَّ الْأُمَّةَ سَتُنَكِّرُهَا لِطُولِهَا، فَمَنْ قَاتَلَهُ يَهُدِي بِأَنَّهُ لَمْ يَلِدْ، وَقَاتَلَهُ يَقُولُ: إِنَّهُ يَتَعَدَّ إِلَى ثَلَاثَةِ عَشَرَ وَصَاعِدًا، وَقَاتَلَهُ يَعْصِي اللَّهَ يَعْلَمُ بِقَوْلِهِ: إِنَّ رُوحَ الْقَائِمِ يَنْطُقُ فِي هَيْكَلٍ غَيْرِهِ...»<sup>(٢)</sup>.

النقطة الثانية: أهمية هذه الأدوار في التأثير على الإيمان واكتساب التدين:

يُؤثّر هذا التنوّع في الأدوار على الناس في تلقّيهم للدين وفي ثبات التدين، إذ يعطيها مزيداً من القوّة والصلابة في مواجهة الصعاب، والمرونة في حالة التعايش وتحمل المؤمنين، وعلى إثر ذلك يتتوّع خطابنا للأفراد، فعندما نريد أن نُبيّن للناس حالة التشتّت والمخالفة وعصيان الأوامر نذكر ما حصل مع قوم

(١) عَلَلُ الشَّرَائِعِ (ج ١ / ص ١٥ / باب ١٢ ح ١).

(٢) كمال الدين (ص ٣٥٤ و ٣٥٥ / باب ٣٣ ح ٥٠).

موسىٰ وهارون عليهما السلام، أما إذا أردنا أن ننظر حالة الصلابة والقوّة والمنعة الفردية فنذكر الدور الإبراهيمي، وكيف ثبت رغم كونه عليهما السلام فرداً تجاه قومه، وإذا أردنا أن نخاطب الناس لأجل أن نكسبهم ونصبرهم ونشجّعهم للحظ حالة الصبر عند نوح عليهما السلام ومطاؤلته مع قومه لما يقارب الألف سنة وعدم تعلمهم رغم قلة ناصريه، وكذلك الحال مع موسى عليهما السلام، فرغم حاجة قومه وعنادهم إلا أنه صبر عليهم وأحسن صحبتهم.

على أن هذه الأدوار وغيرها مما يأتي ذكرها إنما هو للدلالة على وجودها عند أهل البيت عليهما السلام أولاً، وأتها تؤثر في فهم القضية المهدوية من زوايا متعددة، إذ تنفع كثيراً الحالات المتنوعة التي مرّ بها الأنبياء عليهما السلام في فهم القضية المهدوية ومرورها بنفس هذه الحالات أو ما يشابهها، بل في بعض الأحيان بشكل أشدّ مما مرّ به بعض أتباع الأنبياء عليهما السلام من قلة الناصر والاضطرار إلى الاختفاء والغيبة والتواري، كي يلتفت الناس إلى أن ما في الحجّة عليهما السلام أشدّ مما جرى على الأنبياء عليهما السلام.

بل قد يقال: إن ما جرى على الأنبياء عليهما السلام هو لأجل ما سيجري على أهل البيت عليهما السلام.

ومن النصوص الدالة على ذلك:

\* في (كمال الدين) بسنده عن سدير الصيرفي، عن أبي عبد الله عليهما السلام، قال: «إن الله تبارك وتعالى أدار للقائم مثلاً ثلاثة أدارها في ثلاثة من الرسل عليهما السلام، قدر مولده تقدير موليد موسى عليهما السلام، وقدر غيته تقدير غيبة عيسى عليهما السلام، وقدر إبطاءه تقدير إبطاء نوح عليهما السلام، وجعل له من بعد ذلك عمر العبد الصالح - أعني الحاضر عليهما السلام - دليلاً على عمره...»<sup>(١)</sup>.

\* وفيه بسنده عن محمد بن مسلم التميمي الطحان، قال: دخلت على أبي

(١) كمال الدين (ص ٣٥٤ / باب ٣٣ / ح ٥٠).

جَعْفَرٌ مُحَمَّدٌ بْنُ عَلَيٌّ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ لَا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنِ الْقَائِمِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ)، فَقَالَ لِي مُتَبَدِّئًا: «يَا مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمٍ، إِنَّ فِي الْقَائِمِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ شَبَهًا مِنْ حَمْسَةِ مِنَ الرُّسُلِ: يُوسُفُ بْنُ مَتَّى، وَيُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٌ (صَلَّوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ)...»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (الغيبة للنعماني) بسنده عن أبي بصير، قال: سمعت أبا جعفر<sup>ا</sup> الباقيرا عليهما السلام يقول: «في صاحب هذا الأمر سنته من أربعة أنبياء: سنته من موسى، وسنته من عيسى، وسنته من يوسف، وسنته من محمد<sup>صلوات الله عليهما السلام</sup>...»<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) كمال الدين (ص ٣٢٧ / ٣٢ / ح ٧).

(٢) الغيبة للنعماني (ص ١٦٧ و ١٦٨ / ١٠ / باب / فصل ٣ / ح ٥).



المبحث الثالث:

ضرورة إقامة

المنذر في كلّ قوم



## الفقرة الثامنة

«وَكُلُّ شَرْعَتْ لَهُ شَرِيعَةً، وَنَهَجْتَ لَهُ مِنْهَا جَأً، وَتَخَيَّرْتَ لَهُ أُوْصِيَاءً، مُسْتَحْفِظًا بَعْدَ مُسْتَحْفِظٍ، مِنْ مُدَّةٍ إِلَى مُدَّةٍ».

### بيان معنى الشريعة والمنهج:

\* قال تعالى: «ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (الجاثية: ١٨).

\* وقال تعالى: «لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَأً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكُنْ لَيَبْلُوْكُمْ فِي مَا آتَيْتُمْ» (المائدة: ٤٨).

ورود لفظة الشريعة في عدة آيات قرآنية يعكس اهتمام الشارع المقدّس ببيان مفاد هذا المفهوم ومقدار تأثيره في الدين وعلى الناس في زاوية تعدد الشرائع، وما هي الأغراض التي رسمها من وراء هذا التعدد مع تيسير جعل الشرائع شريعة واحدة من قبله (عزّ اسمه).

قال الطريحي رحمه الله في (مجمع البحرين): «شَرَعَ لَكُمْ» [الشورى: ١٣]، أي فتح لكم وعرّفكم طريقه، قوله: «شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَأً»، الشّرعة - بالكسر - : الدين، والشرع والشريعة مثله، مأخوذ من الشريعة وهو مورد الناس للاستسقاء، سُمِّيت بذلك لوضوّحها وظهورها، وجمعها شرائع. والمنهج: الطريق الواضح المستقيم. فقوله: «شَرِيعَةً وَمِنْهَا جَأً» أي ديناً وطريقاً واضحاً. قوله: «عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ»، أي سُنّة وطريقة، وقيل: على دين وملة ومنهاج<sup>(١)</sup>.

(١) مجمع البحرين (ج ٤ / ص ٣٥٢ / مادة شرع).

والشريعة هي جملة أحكام مجعلة، فإنْ كان مصدرها السماء بأنْ نزل بها الوحي سُمِّيت شريعة سماوية، وإنْ كانت من وضع البشر سُمِّيت وضعية.

### قاعدة في المقام: الشريعة تحتاج إلى قانون ونظام:

والشريعة سواء جاءت عن طريق الوحي أو اخترعها الناس والمجتمعات تحتاج إلى المجتمعات كي تُنظَّم شؤون الحياة فيها، فلا شريعة ونظام بلا بشر ينساقون وراء أحكامها ويستفعون من قوانينها.

قال العلَّامة الطباطبائي رحمه الله في (تفسير الميزان): معنى الشريعة هي الطريقة والدين، وكذلك الملة طريقة متَّخذة، لكن الظاهر من القرآن أنه يستعمل الشريعة في معنى أخصٍ من الدين كما يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ومع ملاحظة قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعْلٍ نَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاء﴾ [المائدة: ٤٨]، يظهر أنَّ الشريعة أخصٌ.

ولعلَّ ذلك لما في لفظ (الشريعة) من التلميح إلى المعنى الحداثي، وهو تمهيد الطريق ونطبه، فمن الجائز أنْ يقال: الطريقة التي مهَّدَها الله، أو الطريقة التي مهَّدت للنبي أو للأمة الفلانية، ولا يقال ذلك في الدين.

نعم في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الشورى: ١٣]، ظهور في احتواء شريعة النبي صلوات الله عليه جملة مما حوته الشرائع الأخرى، فلا ينافي القول باختصاص الشريعة بقوم أو جماعة، إذ الآية إنَّما تدلُّ على أنَّ شريعة محمد صلوات الله عليه المشروعة لأُمَّته هي مجموع وصايا الله سبحانه لنوح وإبراهيم وموسى وعيسى مضافاً إليها ما أوحاه إلى محمد صلوات الله عليه، وهو كنایة إِمَّا عن كون الإسلام جاماً لزوايا جميع الشرائع السابقة وزيادة، أو عن كون الشرائع جميعاً ذات حقيقة واحدة بحسب اللَّبْ إنْ كانت مختلفة بحسب اختلاف الأمم في الاستعداد.

فمعنى الآية - والله أعلم - : لكل أمة جعلنا منكم (جعلناً تشرعياً) شرعةً ومنهاجاً، ولو شاء الله لأخذكم أمة واحدة وشرع لكم شريعة واحدة، ولكن جعل لكم شرائع مختلفة ليختنكم فيما آتاكم من النعم المختلفة، واختلاف النعم كان يستدعي اختلاف الامتحان الذي هو عنوان التكاليف والأحكام المعمولة، فلا حالة أقلى الاختلاف بين الشرائع<sup>(١)</sup>.

وقد ورد في العديد من الروايات الشريفة بيان الوجه من اختلاف الشرائع،

ومنها:

\* في (الكافي) بسنده عن سماعة بن مهران، قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: قول الله عز وجل: «فاصبر كمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» [الأحقاف: ٣٥]، فقال: «نُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمُحَمَّدٌ ﷺ»، قلت: كيف صاروا أولى العزم؟ قال: «لِأَنَّ نُوحًا بَعِثَ بِكِتَابٍ وَشَرِيعَةٍ، وَكُلُّ مَنْ جَاءَ بَعْدَ نُوحٍ أَخَذَ بِكِتَابٍ نُوحٍ وَشَرِيعَتِهِ وَمِنْهَا جِهٌ حَتَّىٰ جَاءَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالصُّحْفِ وَبِعِزِيمَةٍ تَرَكَ كِتَابَ نُوحٍ لَا كُفُرًا بِهِ، فَكُلُّ نَبِيٍّ جَاءَ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَذَ بِشَرِيعَةِ إِبْرَاهِيمَ وَمِنْهَا جِهٌ وَبِالصُّحْفِ حَتَّىٰ جَاءَ مُوسَىٰ بِالنُّورَةِ وَشَرِيعَتِهِ وَمِنْهَا جِهٌ وَبِعِزِيمَةٍ تَرَكَ الصُّحْفِ، وَكُلُّ نَبِيٍّ جَاءَ بَعْدَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَذَ بِالنُّورَةِ وَشَرِيعَتِهِ وَمِنْهَا جِهٌ حَتَّىٰ جَاءَ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْإِنْجِيلِ وَبِعِزِيمَةٍ تَرَكَ شَرِيعَةَ مُوسَىٰ وَمِنْهَا جِهٌ، فَكُلُّ نَبِيٍّ جَاءَ بَعْدَ الْمَسِيحِ أَخَذَ بِشَرِيعَتِهِ وَمِنْهَا جِهٌ حَتَّىٰ جَاءَ مُحَمَّدٌ ﷺ فَجَاءَ بِالْقُرْآنِ وَبِشَرِيعَتِهِ وَمِنْهَا جِهٌ، فَحَالَهُ حَالٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَحَرَامُهُ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَهُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ»<sup>(٢)</sup>.

\* وفيه عن أبا بن عثمان، عمن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنَّ

(١) راجع: تفسير الميزان (ج ٥ / ص ٣٥٠ - ٣٥٣)، مع تصرُّف يقتضيه المقام.

(٢) الكافي (ج ٢ / ص ١٧ و ١٨ / باب الشرائع / ح ٢).

الله تبارك وتعالى أعطى محمدًا ﷺ شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهما التوحيد والإخلاص وخلع الأنداد والفطرة الحنيفة السمحاء...»<sup>(١)</sup>.

### الاستحفاظ وتخير الأوصياء من مدة إلى مدة:

الوصاية من سُنن الله عَجَلَكَ في خلقه، وعندما خلق آدم عليهما - على ما مرَّ في قصته - كانت الوصاية من مهماته ووظائفه، وفيما ذكرنا من أخبار تقدّمت كفاية إلَّا أنَّ في بعضها الآتي توسيعة وإفاده مهمَّة، فقد ورد:

\* في (أمالي الصدوق) بسنده عن مُقاتل بْن سليمان، عن أبي عبد الله الصادق عليهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد النبئين، ووصيي سيد الوصيin، وأوصيائي سادة الأوصياء، إنَّ آدم عليهما سأله الله عَجَلَكَ أن يجعل له وصيًّا صالحًا، فأوحى الله عَجَلَكَ إليه: أني أكرمت الأنبياء بالنبوة، ثم اخترت خلقني، وجعلت خيارهم الأوصياء. ثم أوحى الله عَجَلَكَ إليه: يا آدم، أوص إلى شيء، فأوصي آدم إلى شيء...»<sup>(٢)</sup>.

\* وفي (الكافي) بسنده عن عبد الحميد بْن أبي الدليل، عن أبي عبد الله عليهما، قال: «أوصي موسى عليهما إلى يوشع بن نون، وأوصي يوشع بن نون إلى ولد هارون، ولم يوص إلى ولدِه ولا إلى ولد موسى، إنَّ الله تعالى له الخيرة يختار من يشاء من يشاء، وبشر موسى ويُوشع بالMessiah عليهما، فلما أن بعث الله عَجَلَكَ المسيح عليهما قال المسيح لهم: إنَّ سوف يأتي من بعدينبي اسمه أَحَمَّدٌ من ولد إسماعيل عليهما، يحيى بتصديقي وتصديقيكم، وعدري وعدريكم، وجَرْت من بعده في الحواريين في المستحفظين، وإنما سماهم الله تعالى المستحفظين لأنهم

(١) الكافي (ج / ٢ / ص ١٧ / باب الشرائع / ح ١).

(٢) أمالي الصدوق (ص ٤٨٦ و ٤٨٧ / ح ٣ / ٦٦١).

أَسْتَحْفَظُوا الْإِسْمَ الْأَكْبَرَ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي يُعْلَمُ بِهِ عِلْمٌ كُلُّ شَيْءٍ الَّذِي كَانَ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ)...، ثُمَّ أَتَاهُ جَبَرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدْ قَضَيْتَ نُبُوَّتَكَ، وَاسْتَكْمَلْتَ أَيَامَكَ، فَاجْعَلْ الْإِسْمَ الْأَكْبَرَ وَمِيرَاثَ الْعِلْمِ وَأَثَارَ عِلْمَ النَّبُوَّةِ عِنْدَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنِّي لَمْ أَتُرِكِ الْأَرْضَ إِلَّا وَلِيَفِيهَا عَالَمٌ تُعْرَفُ بِهِ طَاعَتِي وَتُعْرَفُ بِهِ وَلَا يَتَيَّي وَيَكُونُ حُجَّةً لِمَنْ يُولَدُ يَنْ قَبْضَ النَّبِيِّ إِلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ الْأَخْرِ...»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكرنا في وصيَّةَ آدم ونوح وإبراهيم عليهما السلام ما يُمِيز مُدَّ الأنبياء والأوصياء، وأنَّهم يتوارثون الأمر من مُدَّةٍ إلى مُدَّةٍ، على ما يأتي أيضًا في الفقرات الآتية.

#### قاعدة في المقام: وجود الشريعة سُنَّةُ إِلَهِيَّةٍ:

وجود الشرائع سُنَّةُ إِلَهِيَّةٍ تفتح مجال الرقي المعنوي، بل والمادي للإنسان، وأنَّ هذه السُّنَّةَ في سوق العباد نحو المعبد لا انقطاع لها<sup>(٢)</sup>، ويقف إلى جانب هذه السُّنَّةَ سُنَّةُ أُخْرَى وهي سُنَّةُ التَّخْيُرِ والاستحفاظ، فحيثما الشريعة والمنهج موجود فلا بدَّ للمستحفظ لها والوصيَّ القائم بها من وجود، وأنَّ جميل ما في هذا الأمر أنَّه حتَّى الكُتُبُ الْلُّغُوَيَّةُ قد أشارت إلى هذه الحقيقة في إضمام وجود الشريعة إلى ضرورة وجود المستحفظ لها، فعدم الانفكاك بين الاثنين ليس فقط أمرًا عقليًّا وعرفيًّا وشرعيًّا، بل أمرًا أدبيًّا ولغوًيا كما ساقته إلينا ألسنة العرب.

ففي مادة (شرع) من كتاب (لسان العرب) أنَّ العرب لا تُسمَّى الشريعة بشريعة حتَّى يكون مائتها لا انقطاع لها، ويكون ظاهراً معيناً لا يُسقَى بالرُّشاء<sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي (ج ١ / ص ٢٩٣ - ٢٩٦) / باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين عليهما السلام / ح ٣.

(٢) في الكافي (ج ١ / ص ٥٨) / باب البدع والرأي والمقاييس / ح ١٩) بسنده عن زُرَارَة، قال: سَأَلْتُ أَبِي عَيْدَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، فَقَالَ: «كَلَّا مُحَمَّدٌ حَالَّ أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يَكُونُ غَيْرُهُ، وَلَا يَحْيِيُ غَيْرَهُ».

(٣) لسان العرب (ج ٨ / ص ١٧٥) / مادة شرع).

وهذه هي الحقيقة، فالنهج الواضح المستعين الذي يضيء لنا الطريق لا بد أن يكون دائمًا معيناً لا انقطاع له، وهو ذلك الذي تخيره لنا الله سبحانه وتعالى، وجعله مستحفظاً بيد الأوصياء وعلى طول الزمان، ومن مدة إلى مدة، فالاستحفاظ الذي يعني لغة الحراسة والوكالة بالشيء والمواظبة والذب عن إثما هو سُنة ينص عليها هذا الدعاء، لا تبدل عنها ولا تحويل.

سُننِيَّة الاستحفاظ، وأنه نهج إلهي متخيَّر، حقيقة قرآنِيَّة، كما هي نبوية وولوَيَّة، فالإشارات القرآنية إلى كون الشراع لا تكون إلا بوجود هادِ وقيِّمٍ يبنَة بلا أدنى شكٍ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِ﴾ (الرعد: ٧). أما في البُعد النبوي لهذه الحقيقة فيُحدِّثنا حديث الاستحفاظ بين العترة والقرآن، وأنَّ ثقلَ أهلَ البيت عليهما السلام وثقلَ القرآن الكرييم بينهما تلازم دائم، وربط به يرتبط الدين بالقرآن والعترة، حيث جاء في الحديث المشهور: «إِنِّي تَارِكُ فِيْكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَإِنَّمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الْحُوْضَ»<sup>(١)</sup>. وهذا دليل على حقانِيَّة ما يعتقده أتباع أهلَ البيت عليهما السلام من ضرورة أن يكون لكل نبيٍّ أو صيَّادٍ حفظة<sup>(٢)</sup>.

وهذه الحقيقة النديَّة تُثبِّت أنَّ التشريع والاستحفاظ والتخيَّر متلازمان ولا تخلو مدة من وجودهما معاً.

\* \* \*

(١) كمال الدين (ص ٢٣٤ / باب ٢٢ / ح ٤٤).

(٢) في نصٍ يُذَكَّرُ فيه أسماء الأوصياء من لدن آدم عليهما السلام جاء فيه: «... ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَدَفَعَهَا إِلَيْهِ بُرْدَةً، وَأَنَا أَدْفَعُهَا إِلَيْكَ يَا عَلِيُّ، وَأَنْتَ تَدْفَعُهَا إِلَيَّ وَصِيَّكَ، وَبَدْفَعُهَا وَصِيَّكَ إِلَيَّ أَوْصِيَّاتِكَ مِنْ وُلْدِكَ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّىٰ تُدْفَعَ إِلَيَّ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ بَعْدَكَ...». كمال الدين (ص ٢١٣ / باب ٢٢ / ح ١).

### الفقرة التاسعة

«إِقَامَةً لِدِينِكَ، وَحُجَّةً عَلَىٰ عِبَادِكَ، وَلَئِلَّا يَزُولَ الْحُقْقُ عَنْ مَقْرَرٍ، وَيَغْلِبَ الْبَاطِلُ عَلَىٰ أَهْلِهِ، وَلَا يَقُولَ أَحَدٌ لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا مُنْذِرًا وَأَقْمَتَ لَنَا عِلْمًا هَادِيًّا فَتَتَّبَعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذَلَّ وَنَخْرَىٰ».

ورد ذكر هذه الفقرة في العديد من الآيات في القرآن الكريم، منها:

\* قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لَيَّلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ﴾ (النساء: ١٦٥).

\* قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِيٌ﴾ (الرعد: ٧).

تتحدث هذه الفقرة عن بقاء الحق واستمراريته ودوامه، وأن هناك أعلاماً للهداية يُستنار بهم عليهم السلام لسلوك درب الحق.

وفي مقابل ذلك وعلى نهج السنن الكونية الإلهية وجد الطريق الآخر، وهو طريق الباطل، وكذلك وجد له أعلام ضلال غايتها إبعاد الناس وحرفهم عن طريق الحق، كي يسلكوا بهم دروب الباطل والضلال والانحراف.

والذي يؤمن من للإنسان حالة الاستقرار في طريق الحق هو الشاخص الذي تحدث عنه الفقرة، وهو الرسول ﷺ الذي يقوم بوظيفة بيان الحق أولاً، وبيان طريق الباطل ثانياً، ويضع لطريق الحق موازين إذا تمسّك الناس بها لن يزولوا عن طريق الحق، بينما إذا تخلوا عن ذلك ولم يتمسّكوا بها فإنهم سيزولون عن طريق الحق ويتوجهون إلى طريق الضلال، وينتهي بهم الحال إلى السقوط في ظلمات الانحراف والتيه عن العقيدة الحقة، واتّباع الفتنة والباطل.

بحث قرآنی و روائی مرتبط بمقام إقامة الحجّة والهادی والمنذر:

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٤). (٢٤)

دلالة الآية على التلازم بين إرسال الرُّسُل وجود المنذر الهادی لهدایة الناس إلى الحق والدین بینة وظاهرة، فلا وجه للاستغراب من وجود النذير في كل أُمّة بعد وجود الشريعة المرتبطة بالله تعالى وبالسماء، لوضوح الحاجة إلى البيان والهداية، فإنَّ من سُنَّة الله تعالى وجود المنذر بنص الآية المتقدمة، وأشارت العديد من الروايات إلى هذه السنة وضرورة وجودها، ومن بينها:

\* في (الكافی) بسنده عن أبی جعفر علیه السلام، قال: «يَا مَعْشَرَ الشِّیعَةِ، خَاصِمُوا بِسُورَةِ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ تَفْلُجُوا، فَوَاللهِ إِنَّهَا حَجَّةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الْخُلُقِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّهَا لِسَيِّدَةِ دِينِكُمْ، وَإِنَّهَا لِغَايَةِ عِلْمِنَا. يَا مَعْشَرَ الشِّیعَةِ، خَاصِمُوا بِـ ﴿حَمٌ وَالْكِتَابُ الْمُبِینُ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٣﴾ [الدخان: ١ - ٣]، فَإِنَّهَا لِوَلَةِ الْأَمْرِ خَاصَّةً بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ. يَا مَعْشَرَ الشِّیعَةِ، يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]»، قيل: يَا أبَا جَعْفَرٍ، نَذِيرُهَا مُحَمَّدٌ ﷺ؟ قال: «صَدَقْتَ، فَهَلْ كَانَ نَذِيرٌ وَهُوَ حَيٌّ مِنَ الْإِعْنَةِ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ؟»، فَقَالَ السَّائِلُ: لَا، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ علیه السلام: «أَرَأَيْتَ بَعْيَثَهُ؟ أَلَيْسَ نَذِيرَهُ كَمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي بَعْيَثَهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى نَذِيرٌ؟»، فَقَالَ: بَلَى، قَالَ: «فَكَذَلِكَ لَمْ يَمُتْ مُحَمَّدٌ إِلَّا وَلَهُ بَعْيَثٌ نَذِيرٌ»، قَالَ: «فَإِنْ قُلْتَ: لَا، فَقَدْ ضَيَّعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ مِنْ أُمَّتِهِ»، قَالَ: وَمَا يَكْفِيهِمُ الْقُرْآنُ؟ قَالَ: «بَلَى إِنْ وَجَدُوا لَهُ مُفَسِّرًا»، قَالَ: وَمَا فَسَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: «بَلَى قَدْ فَسَرَهُ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ، وَفَسَرَ لِلْأُمَّةِ شَأْنَ ذَلِكَ الرَّجُلِ، وَهُوَ عَلَيْ بْنُ أبِي طَالِبٍ ﷺ»، فَقَالَ السَّائِلُ: يَا أبَا جَعْفَرٍ، كَانَ هَذَا أَمْرٌ

الفصل الأول: الوساطة بين السماء والأرض، وخصائص الأنبياء ودرجاتهم ..... ١١٧

خاصٌ لا يحتمله العامة، قال: «أَبِي أَلَّهِ أَنْ يُعْبَدَ إِلَّا سِرَّا حَتَّى يَأْتِي إِبَانُ أَجَلِهِ الَّذِي يَظْهُرُ فِيهِ دِينُهُ كَمَا أَنَّهُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ مَعَ خَدِيجَةَ مُسْتَرَّا حَتَّى أَمْرَ بِالْإِعْلَانِ»، قال السائل: يَبْغِي لِصَاحِبِ هَذَا الَّدِينِ أَنْ يَكُنْ، قال: «أَوَّلَمَا كَتَمْ عَلَيْ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ يَوْمَ أَسْلَمَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُهُ؟»، قال: بَلَى، قال: «فَكَذَلِكَ أَمْرُنَا حَتَّى يَلْغُ الْكِتَابُ أَجَلَهُ»<sup>(١)</sup>.

### إشكالية نفي عموم الإنذار والجواب عنها:

إنْ قلتَ: فكيف نفعل مع قوله تعالى: «لَتُنذَرَ قَوْمًا مَا أُنذَرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ»<sup>(٢)</sup> (يس: ٦)، فهي قد نفت عمومية الإنذار لـكُلّ قوم وفي كُلّ زمان؟  
قلتُ:

١ - لعلَ المراد بها أنَّ قومَ النَّبِيِّ ﷺ وما قارب زمان بعثته لم يُرسِلَ الله تعالى لهم النذير، لخصوصيَّة ما، لا أنها تنفي النذير مطلقاً، كيف والآية المتقدمة نصَّت عليه؟!

فالآية خاصَّة بقوم النَّبِيِّ ﷺ وتحصُّص ذاك العموم وتلك السُّنَّة الإلهيَّة.

٢ - لعلَ المراد بها أنَّ النذير الذي كان يأتي إلى العرب ليس منهم ومن قوميَّتهم، كإِبراهيم وإِسْمَاعِيل عليهما السلام، فهو لا يُنْسَا من العرب، وأنت يا رسول الله يا مُحَمَّد أَوَّل نذير للعرب منهم.

٣ - دَلَّت بعض الأخبار والآثار على تواتر النذير واستمراره إلى زمان النبي ﷺ، فالمقصود لا نذير بعنوان النَّبَّوة أو بعنوان الإمامة مثلاً، وليس لا نذير مطلقاً، ومن تلك الروايات:

\* في (نهج البلاغة): «... فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَّرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءُهُ،

(١) الكافي (ج ١ / ص ٢٤٩ و ٢٥٠) / باب في شأن (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقُدْرِ) وتفسيرها / ح ٦.

لِيَسْتَأْدُوْهُمْ مِيَثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوْهُمْ مَنْبِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُوا عَلَيْهِمْ بِالْتَّبْلِيغِ،  
وَيُشِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرِوِّهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٌ،  
وَمَهَادِ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٌ، وَمَعَايِشَ تُحْيِيْهِمْ، وَآجَالٍ تُفْنِيْهِمْ، وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ،  
وَأَحْدَادٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كَتَابٍ مُنْزَلٍ،  
أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ...»<sup>(١)</sup>.

\* وفيه بسنده عن درست بن أبي منصور أنَّه سأَلَ أباَ الحسنَ الْأَوَّلَ عَلَيْهِ: أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ مَحْجُوْجًا بِأَبِي طَالِبٍ؟ فَقَالَ: «لَا، وَلَكِنَّهُ كَانَ مُسْتَوْدِعًا  
لِلْوَصَايَا، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ»، قَالَ: قُلْتُ: فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْوَصَايَا عَلَى أَنَّهُ مَحْجُوْجٌ  
بِهِ؟ فَقَالَ: «لَوْ كَانَ مَحْجُوْجًا بِهِ مَا دَفَعَ إِلَيْهِ الْوَصِيَّةَ»، قَالَ: فَقُلْتُ: فَمَا كَانَ  
حَالُ أَبِي طَالِبٍ؟ قَالَ: «أَفَرَّ بِالنَّبِيِّ وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْوَصَايَا وَمَاتَ مِنْ  
يَوْمِهِ»<sup>(٢)</sup>.

\* وفي (كمال الدين) بسنده عن مقاتل بن سليمان بن دوال دوز، عن  
أبي عبد الله عَلَيْهِ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ: أَنَا سَيِّدُ النَّبِيِّنَ، وَوَصِيُّ سَيِّدِ  
الْوَصِيَّنَ، وَأَوْصِيَّاً وَهُ سَادَةُ الْأَوْصِيَّاءِ، إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ سَأَلَ اللَّهَ عَجَلَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ  
وَصِيًّا صَالِحًا، فَأَوْحَى اللَّهُ عَجَلَ إِلَيْهِ: أَنِّي أَكْرَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ بِالنُّبُوَّةِ، ثُمَّ إِخْرَجْتُ  
خَلْقِي فَجَعَلْتُ خِيَارَهُمُ الْأَوْصِيَّاءَ، فَقَالَ آدَمُ عَلَيْهِ: يَا رَبِّ، فَاجْعَلْ وَصِيًّي  
خَيْرَ الْأَوْصِيَّاءِ، فَأَوْحَى اللَّهُ عَجَلَ إِلَيْهِ: يَا آدَمُ، أَوْصِ إِلَيْ شَيْتٍ، وَهُوَ هَبَّةُ اللَّهِ  
إِبْنُ آدَمَ، فَأَوْصَى آدَمُ إِلَيْ شَيْتٍ، وَأَوْصَى شَيْتٍ إِلَيْ إِبْنِهِ...، وَدَفَعَهَا زَكَرِيَّا إِلَى  
عِيسَى بْنِ مَرِيمَ عَلَيْهِ، وَأَوْصَى عِيسَى إِلَيْ شَمْعُونَ بْنِ حَمْوَنَ الْأَصَفَا، وَأَوْصَى  
شَمْعُونُ إِلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا، وَأَوْصَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا إِلَى مُنْذِرٍ، وَأَوْصَى مُنْذِرٍ

(١) نهج البلاغة (ص ٤٣ / الخطبة ١).

(٢) الكافي (ج ١ / ص ٤٤٥ / باب مولد النبي عَلَيْهِ ووفاته / ح ١٨).

الفصل الأول: الوساطة بين السماء والأرض، وخصائص الأنبياء ودرجاتهم ..... ١١٩

إِلَيْ سُلَيْمَةَ، وَأَوْصَى سُلَيْمَةً إِلَيْ بُرْدَةَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَدَفَعَهَا إِلَيْ بُرْدَةَ، وَأَنَا أَدْفَعُهَا إِلَيْكَ يَا عَلِيُّ، وَأَنْتَ تَدْفَعُهَا إِلَيْ وَصِيْكَ، وَيَدْفَعُهَا وَصِيْكَ إِلَيْ أَوْصِيَائِكَ مِنْ وُلْدِكَ، وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى تُدْفَعَ إِلَى خَيْرِ أَهْلِ الْأَرْضِ بَعْدَكَ...»<sup>(١)</sup>.

فهذه الأخبار دالة على توادر الحجج وجود الأوصياء في الأمم.

\* \* \*

---

(١) كمال الدين (ص ٢١١ - ٢١٣ - ٢٢٢ / باب ٢٢ / ح ١).



المبحث الرابع:

اصطفاء النبيُّ الْأَكْرَم ﷺ

وخصائصه ووظائفه



## الفقرة العاشرة

«إِلَى أَنِ انْتَهِيَتِ بِالْأَمْرِ إِلَى حَيْبِكَ وَنَحِيْكَ مُحَمَّدَ ﷺ، فَكَانَ كَمَا اِنْتَجَبْتَهُ سَيِّدَ مَنْ خَلَقَتُهُ، وَصَفْوَةَ مَنِ اِصْطَفَيْتَهُ، وَأَفْضَلَ مَنِ اِجْتَبَيْتَهُ، وَأَكْرَمَ مَنِ اِعْتَمَدْتَهُ، قَدَّمْتَهُ عَلَى أَنْبِيَاّتِكَ، وَبَعْثَتَهُ إِلَى الْشَّقَّلَيْنِ مِنْ عِبَادِكَ».

الحديث في هذه الفقرة عن ولادة النبي ﷺ ورسالته وانتجابه وفضيله وإكرامه وتقديمه واعتقاده، لا يسعه أو تستوفيه كُتب أو مجلدات، فضلاً عن مختصر كحدثنا هذا، فقد سطّرت كُتب السير والحديث والتاريخ مكارمه وفضائله وشمائله وخصائصه، ولكننا نتحدث وضمن شرح فقرات هذا الدعاء المبارك في نقاط:

### النقطة الأولى: ضرورة النبوة:

ذكرت العديد من الروايات ضرورة النبوة، وما ورد:

\* في (الكافي) بسنده عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال للزَّنْدِيقَ الَّذِي سَأَلَهُ: مَنْ أَيْنَ أَثْبَتَ الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ؟ قَالَ: «إِنَّا لَمَّا أَثْبَتْنَا أَنَّ لَنَا خَالِقًا صَانِعًا مُتَعَالِيًّا عَنَّا وَعَنْ جَمِيعِ مَا خَلَقَ، وَكَانَ ذَلِكَ الصَّانِعُ حَكِيمًا مُتَعَالِيًّا، لَمْ يَجُزْ أَنْ يُشَاهِدَهُ خَلْقُهُ، وَلَا يُلَامِسُهُ فَيُبَاشِرُهُمْ وَيُبَاشِرُوهُ، وَيُحَاجِجُهُمْ وَيُحَاجِجُوهُ، ثَبَّتَ أَنَّ لَهُ سُفَرَاءَ فِي خَلْقِهِ، يُعَبِّرُونَ عَنْهُ إِلَى خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ، وَيَدُلُّهُمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ وَمَا بِهِ بَقَاءُهُمْ وَفِي تَرْكِهِ فَنَأُوهُمْ، فَثَبَّتَ الْأَمْرُونَ وَالنَّاهُونَ»

عَنِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ فِي خَلْقِهِ، وَالْمَعْبُرُونَ عَنْهُ (جَلَّ وَعَزَّ)، وَهُمُ الْأَنْتِيَاءُ عَلَيْهِمُ الْأَكْلُ وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، حُكَمَاءُ مُؤَدِّيَنَ بِالْحُكْمَةِ، مَبْعُوثُينَ هُنَّا عَيْرَ مُشَارِكِينَ لِلنَّاسِ عَلَى مُشَارِكَتِهِمْ هُمْ فِي الْخَلْقِ وَالْتَّرْكِيبِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْوَاهِهِمْ، مُؤَيَّدِيَنَ مِنْ عِنْدِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ بِالْحُكْمَةِ، ثُمَّ ثَبَتَ ذَلِكَ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَزَمَانٍ مِمَّا أَتَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَالْأَنْتِيَاءُ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ، لِكِيلًا تَخْلُو أَرْضُ اللَّهِ مِنْ حُجَّةٍ يَكُونُ مَعَهُ عِلْمٌ يُدْلِلُ عَلَى صِدْقِ مَقَالِهِ وَجَوَازِ عَدَالِهِ»<sup>(١)</sup>.

\* وفيه بسنده عن منصور بن حازم، قال: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ أَجَلُّ وَأَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُعْرَفَ بِخَلْقِهِ، بَلْ الْخَلْقُ يُعْرَفُونَ بِاللَّهِ، قَالَ: «صَدَقْتَ»، قُلْتُ: إِنَّ مَنْ عَرَفَ أَنَّ لَهُ رَبًا فَيُنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ لِذِلِّكَ الرَّبِّ رِضَا وَسَخَطًا، وَأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ رِضَاهُ وَسَخَطُهُ إِلَّا بِوَحْيٍ أَوْ رَسُولٍ، فَمَنْ مَيَّأْتَهُ الْوَحْيُ فَقَدْ يُنْبَغِي لَهُ أَنْ يَطْلُبَ الرُّسُلَ، فَإِذَا لَقَيْهُمْ عَرَفَ أَنَّهُمْ حُجَّةٌ، وَأَنَّهُمْ الطَّاعَةَ الْمُفْتَرَضَةَ، وَقُلْتُ لِلنَّاسِ: تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ هُوَ الْحُجَّةُ مِنَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ؟ قَالُوا: بَلَى...»<sup>(٢)</sup>.

**النَّبِيُّ مُحَمَّدُ ﷺ أَفْضَلُ الْخُلُقِ جَمِيعًا:**  
فيها يرتبط بعقيتنا به ﷺ، وأنه أفضل الخلق طرًا، فهو مما دلت عليه العديد من الأدلة الروائية، ومنها:

\* في (علل الشرائع) بسنده عن عبد السلام بن صالح الهرمي، عن عليٍّ ابن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن عليٍّ، عن أبيه عليٍّ بن الحسين، عن أبيه الحسين بن عليٍّ، عن أبيه عليٍّ بن

(١) الكافي (ج ١ / ص ١٦٨) / باب الاضطرار إلى الحجّة / ح ١).

(٢) الكافي (ج ١ / ص ١٦٨ و ١٦٩) / باب الاضطرار إلى الحجّة / ح ٢).

الفصل الأول: الوساطة بين السماء والأرض، وخصائص الأنبياء ودرجاتهم ..... ١٢٥

أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَفْضَلَ مِنِّي، وَلَا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنِّي، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّتَ أَفْضَلُ أُمَّةً جَبَرِيلُ؟ فَقَالَ: يَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَضَلَّ أَنْبِيَاءُ الْمُرْسَلِينَ عَلَى مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَفَضَّلَنِي عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْفَضْلُ بَعْدِي لَكَ يَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلِلْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِكَ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَخَدَّانُنَا وَخُدَّادُ مُحَبِّبِنَا...»<sup>(١)</sup>.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

كما جاءت كلمات جملة من أكابر الطائفة لترجم هذه العقيدة، ومنهم ما

قاله الشيخ الصدوق عليه السلام: (وليس في الأنبياء خير من النبي صلوات الله عليه وسلم، ولا في الأووصياء أفضل من أوصيائه، ولا في الأمم أفضل من هذه الأمة الذين هم شيعة أهل بيته في الحقيقة دون غيرهم، ولا في الأشرار شرّ من أعدائهم والمخالفين لهم)<sup>(٢)</sup>.

### النقطة الثانية: خصائص الأنبياء ونبوّتهم صلوات الله عليهم وسلم بالخصوص:

وهي عديدة ذُكرت تفصيلاتها في علم الكلام، ومنها:

#### الأولى: العصمة:

وقد دللت على وجوب عصمة النبي العديد من الأدلة القرآنية والروائية  
وغيرها، منها:

\* قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۚ﴾  
(النجم: ٣ و ٤).

\* قال الشيخ الصدوق عليه السلام: (وجوب عصمة الإمام: ولقوله رحمه الله: ﴿وَإِذْ

(١) عَلَلُ الشَّرَائِعِ (ج ١ / ص ٥ - ٧ / بَاب ٧ / ح ١).

(٢) الاعتقادات في دين الإمامية (ص ٨٨).

قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ حَلِيقَةً» [البقرة: ٣٠]...، أَنَّهُ يَعْلَمُ لَا يَسْتَخْلِفُ إِلَّا مَنْ لَهُ نَقَاءُ السَّرِيرَةِ لِيُبَعَّدُ عَنِ الْخِيَانَةِ، لَأَنَّهُ لَوْ اخْتَارَ مَنْ لَهُ نَقَاءُ لَهُ فِي السَّرِيرَةِ كَانَ قَدْ خَانَ خَلْقَهُ، لَأَنَّهُ لَوْ أَنَّ دَلَالًا قَدَمَ حَمَالًا خَائِنًا إِلَى تَاجِرٍ، فَحَمَلَ لَهُ حَمَالًا فَخَانَ فِيهِ كَانَ الدَّلَالُ خَائِنًا، فَكَيْفَ تَجُوزُ الْخِيَانَةَ عَلَى اللَّهِ يَعْلَمُ وَهُوَ يَقُولُ - وَقَوْلُهُ الْحُقُّ - : «أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ» [يوسف: ٥٢]، وَأَدَبَ مُحَمَّدًا ﷺ بِقَوْلِهِ يَعْلَمُ : «وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا» [النساء: ١٠٥]، فَكَيْفَ وَأَنَّ يَحْوِزُ أَنْ يَأْتِي مَا يَنْهَا عَنْهُ، وَقَدْ عَيَّرَ الْيَهُودَ بِسَمَةِ النُّفَاقِ، وَقَالَ : «أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْإِيمَانِ وَتَنْهَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَثْلُوْنَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» [البقرة: ٤٤]؟<sup>(١)</sup>.

### الثانية: الْوَحْيُ :

مَمَّا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الْكِرَمُ كَمْصَدِرٌ مِّنْ مَصَادِرِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفِ هُوَ الْوَحْيُ، وَالنَّصْوَصُ عَلَيْهِ لَا تَخْفِي، وَهُوَ كَثِيرٌ مِّنْهَا :

\* قَوْلُهُ تَعَالَى : «فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى» [النَّجْم: ١٠].

\* وَقَوْلُهُ تَعَالَى : «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوَحَّى إِلَيَّ» [الْكَهْف: ١١٠].

### الثالثة: الْعِلْمُ الْخَاصُّ، وَعِلْمُ الْغَيْبِ :

\* وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا» [إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ] [الْجَن: ٢٦ و ٢٧].

### الرابعة: التَّنْزُهُ عَنِ دَنَاءَةِ الْأَبَاءِ وَعَهْرِ الْأُمَّهَاتِ :

لَمَا لَلَّبِيَتِ الطَّاهِرُ مِنْ أَثْرٍ كَبِيرٍ فِي تَكْوِينِ شَخْصِيَّةِ النَّبِيِّ، كَمَا أَنَّ النَّاسَ لَا تَنْجُذِبُ إِلَى شَخْصٍ جَاءَ مِنْ بَيْتٍ مُّوْبَوْعَةٍ، عَلَى أَنَّ جَمْلَةَ مِنَ الْخَصَائِصِ تُكَتَّسَ بِالْوَرَاثَةِ.

(١) كِمالُ الدِّينِ (ص ١٠).

وما دلَّ على ذلك من الروايات – وهي عديدة –

\* في (كمال الدين) بسنده عن سليم بن قيس رض في حادثة طويلة عن أمير المؤمنين عليه السلام، جاء فيها: «... أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي نِلْتُمْ بِهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهِمْ، وَأَنَّ إِنَّمَا عَمِّي رَسُولُ اللهِ صلوات الله عليه قَالَ: إِنِّي وَأَهْلَ بَيْتِي كُنَّا نُورًا يَسْعَى بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ تعالى آدَمَ عليه السلام بِأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَلَمَّا خَلَقَ آدَمَ عليه السلام وَضَعَ ذَلِكَ النُّورَ فِي صُلْبِهِ وَأَهْبَطَهُ إِلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ حَمَلَهُ فِي السَّفِينَةِ فِي صُلْبٍ بُوْحٍ عليه السلام، ثُمَّ قَدَّفَ بِهِ فِي الْأَنَارِ فِي صُلْبٍ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، ثُمَّ لَمْ يَزَلِ اللهُ تعالى يَنْقُلُنَا مِنَ الْأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الظَّاهِرَةِ، وَمِنَ الْأَرْحَامِ الظَّاهِرَةِ إِلَى الْأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ مِنَ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، لَمْ يَلْتَقِ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى سَفَاحٍ قَطُّ؟»، فَقَالَ أَهْلُ السَّابِقَةِ وَالْقِدْمَةِ وَأَهْلُ بَدْرٍ وَأَهْلُ أُحْدٍ: نَعَمْ قَدْ سَمِعْنَا ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلوات الله عليه...<sup>(١)</sup>.

#### الخامسة: سلامة الخلقة:

ويقصد بها سلامته من التشوه، ومن الأمراض الموجبة لتنفس الناس عنه كالجذام والبرص وغيرها، فالأنبياء عليهم السلام في خلقهم وخلقهم على غاية الكمال.

#### السادسة: كمال العقل:

\* في (الكافي) بسنده عن أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ رَفَعَهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلوات الله عليه: «... وَلَا بَعْثَ اللهُ صلوات الله عليه بَيْنَهُ وَلَا رَسُولًا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ الْعَقْلُ، وَيَكُونَ عَقْلُهُ أَفْصَلَ مِنْ جَمِيعِ عُقُولِ أُمَّتِهِ...»<sup>(٢)</sup>.

(١) كمال الدين (ص ٢٧٥ / باب ٢٤ / ح ٢٥).

(٢) الكافي (ج ١ / ص ١٢ و ١٣ / كتاب العقل والجهل / ح ١١).

### وظائف الأنبياء عليهما السلام:

وهي عديدة، منها:

١ - إثبات التوحيد والأمر بالعبادة: قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٢٥)، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف: ٦٥).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (التحل: ٣٦).

٢ - التزكية، التعليم، الحكمة، تلاوة الآيات: قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيْهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُهُمْ مَا لَمْ تَكُنُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٥١).

٣ - إقامة الحجّة على الناس والتبشير والإنذار: قال تعالى: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء: ١٦٥).

٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحليل الطيبات وتحريم الخباث: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَبَعِّونَ الرَّسُولَ التَّيَّارَ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَابَ وَيَضْعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ (الأعراف: ١٥٧).

٥ - إحياء الأمة: قال تعالى: ﴿اسْتَحِيْبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبِّيْكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٤).

وهناك العديد من الوظائف.

### بعثة النبي ﷺ عامّة شاملة:

من ضرورات العقيدة أنّ بعثة النبي ﷺ كانت عامّة وشاملة ولم تختصّ ببعضهم، وأنّ دينه الذي أُرسّل به هو الدين العام للجميع، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ بَشِيرًاً وَنَذِيرًاً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٨). (سبأ: ٢٨).

وقد دلّ على ذلك جملة من الروايات، منها:

\* في (الكافي) بسنده عن أبي حمزة، عن أبي جعفر ع، قال: «إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَجَعَلَ مِنْ بَعْدِهِ أَنَّيْ عَشَرَ وَصِيَّاً، مِنْهُمْ مَنْ سَبَقَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقِيَ، وَكُلُّ وَصِيٍّ جَرَتْ بِهِ سُنَّةٌ، وَالْأَوْصِيَاءُ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى سُنَّةٍ أَوْ صِيَاءِ عِيسَى وَكَانُوا أَنَّيْ عَشَرَ، وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع عَلَى سُنَّةِ الْمَسِيحِ»<sup>(١)</sup>.

\* وفيه بسنده عن صفوان بن يحيى، قال: سأّلني أبو قرّة المحدّث أنْ أُدخله على أبي الحسن الرضا ع، فاستأذنته في ذلك، فاذن لي، فدخل عليه، فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله إلى التوحيد، فقال أبو قرّة: إنا رؤينا أنّ الله قسم الرؤية والكلام بينَ بيّن، فقسم الكلام لموسى وملحّد الرؤية، فقال أبو الحسن ع: «فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِ اللَّهِ إِلَى الْقَلَيْنِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» [الأنعام: ١٠٣]، و«لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» [طه: ١١٠]، و«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» [الشورى: ١١]، أليس محمد؟، قال: بل، قال: «كَيْفَ يَحْيِيُ رَجُلٌ إِلَى الْخَلْقِ جَمِيعًا فَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ بِأَمْرِ اللَّهِ، فَيَقُولُ: لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ، وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا»<sup>(٢)</sup>، و«لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»، ثمَّ يقول: أنا رأيته بعيني، وأحطت به علماً،

(١) الكافي (ج ١ / ص ٥٣٢) / باب فيما جاء في الثانية عشر والنص عليهم ع / ٩.

وَهُوَ عَلَىٰ صُورَةِ الْبَشَرِ؟ أَمَا تَسْتَحْوُنَ؟! مَا قَدَرَتِ الْرَّنَادِقَةُ أَنْ تَرْمِيهِ بِهَذَا أَنْ يَكُونَ  
يَأْتِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِشَيْءٍ ثُمَّ يَأْتِي بِخَلَافِهِ مِنْ وَجْهِ آخَرَ...»<sup>(١)</sup>.

وهذا الخبر النفيض دلّ على مطلبنا، وعلى ما هو دقيق في مسألة النظر وكيفية التعامل في مسائل العقيدة مع الخبر، لذلك نقلناه بطوله ولم نقتصر على شاهده.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

### صفات النبي ﷺ وأثارها:

الملحوظ أنَّ دعاء الندبة من أكبر الملاحم الدعائية، ومن أكثر الألواح الدُّينيَّة والوُجْدانيَّة التي رسمها أهل البيت عَلَيْهَا سَلَامٌ، وهذا الدعاء المبارك يتحدَّث عن النبي مُحَمَّد ﷺ من خلال جملة من الصفات والسمات التي تؤثُّر على الإجابة، وتوسِّس لحالة الندب في كُلٍّ فقرة من فقرات الدعاء، وأثرها على وجدان الداعي، ومكانتها عند المدعُو له وهو الإمام المُهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكيفية تأثيرها عليه.

وعليه فينبغي عدم قصر النظر على أنَّ ما ناله ﷺ من كُهُّلات جاءت بسبب ما قام به ﷺ في عالم وجوده الجسماني والمادي، فهذا الوجود الجسماني الذي عاش في زمن محدود لا يمكن أن يكون - بحالٍ من الأحوال ومهما طالت فترة وجوده في هذا العالم المحدود - ما هو سبب نيل تلك الكُهُّلات التي لم يتصف بها أحد غيره من البشر طُرُّا، بل لا بدَّ من أنْ يُنظر إليه من خلال مجموع صفاتِه ﷺ التي تحدَّث عنها الأئمَّة عَلَيْهَا سَلَامٌ مترجمون الآيات القرآنية، وخلاصتها أَنَّه ﷺ أَفْضَلُ الْخَلْقِ.

(١) الكافي (ج ١ / ص ٩٥ و ٩٦ / باب في إبطال الرؤية / ح ٢).

الفصل الأول: الوساطة بين السماء والأرض، وخصائص الأنبياء ودرجاتهم ..... ١٣١

فالدعاء المقدس يعطي للداعي نحوين من الصفات تخلّي بها النبي ﷺ، منها ما وُجد بوجوده ولاحظها من خالقه، ومنها ما خفيت على الناس ووُصف بها، بل التي سيتصف بها عند وجود رجعته، والتي سيتحدث عنها المقطع الآتي.

\* \* \*

### الفقرة الحادية عشر

«وَأَوْطَأَهُ مَشَارِقَكَ وَمَغَارِبَكَ، وَسَخَرْتَ لَهُ الْبُرَاقَ، وَعَرَجْتَ (بِهِ) بِرُوحِهِ إِلَى سَمَاءِكَ، وَأَوْدَعْتَهُ عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى إِنْقِضَاءِ خَلْقِكَ».

### وطء النبي ﷺ للمشارق والمغارب:

تتحدث هذه الفقرة عن الآثار التي أوجبها الله سبحانه وتعالى للنبي ﷺ الأكرم ﷺ، وما تترتب على تلك الآثار، فبعد أن جعل الله تعالى فيه ﷺ أعلى صفات الكمال، ووضعه منه بعده بأقرب مراتب القرب، كان لهذه الصفات وهذا القرب آثار قهريّة وأثار اختياريّة، وأثار آنية وأثار مستقبلية، تحدث عن بعضها هذا المقطع المبارك من الدعاء، وفي كونه ﷺ قد أطع مشارق الكون ومغاربه وليس مشارق الأرض فقط أو مغاربها. وكونه كذلك ﷺ وإن لم يكن فعليّاً، بمعنى أنه مارس إرادته وسلطته الفعلية على المشارق والمغارب، إلا أن المقطع الآخر الذي يتحدث عن وعد الإظهار للدين يعطي تفسيراً لهذا المقطع، فإن النبي ﷺ - بعد أن أثبت هذا المقطع ذلك - له هذه الحالة من الشمولية والسلطنة إلا أن الممارسة الفعلية ليست بالضرورة أن تكون فعلية وبنفسه، بل

اقنصلت الحكمة الإلهية أنْ تُفعَّل هذه الحالة على يد الإمام المهدي عليه السلام من خلال الوعد للنبي صلوات الله عليه بذلك، إذ تبرز حالة الإظهار الفعلى. وممَّا دلَّ من الروايات الشريفة عن حقيقة وطء النبي صلوات الله عليه للمشارق والمغارب - وهي كثيرة - الآتي:

\* في (تفسير القمي) بسنده عن عبد الله بن يكير الدجاني، قال: قال لي الصادق عليه السلام جعفر بن محمد عليه السلام: «أَخْرِنِي عَنْ رَسُولِ اللهِ صلوات الله عليه كَانَ عَامًا لِلنَّاسِ بَشِيرًا؟ أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ فِي مُحَكَّمٍ كِتَابِهِ: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَةً لِلنَّاسِ} [سبأ: ٢٨]، لِأَهْلِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَأَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ أَجْنَنَّ وَالْإِنْسِ...»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (إثبات الوصيَّة): روي عن أمِّه بنت وَهْبٍ أنها قالت: (لَمَّا قَرَبَتْ وِلَادَتُهُ صلوات الله عليه رَأَيْتُ جَنَاحَ طَائِرٍ أَيْضًا قَدْ مَسَحَ عَلَى فُؤَادِي، وَكَانَ قَدْ دَخَلَنِي رُعبٌ، فَذَهَبَ الْرُّعبُ عَنِّي...، ثُمَّ كَشَفَ اللَّهُ لِي عَنْ بَصَرِي سَاعَتِي تِلْكَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا، وَسَمِعْتُ مُنَادِيَ يُنَادِي: طُوفُوا بِمُحَمَّدٍ صلوات الله عليه الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ، وَأَعْرِضُوهُ عَلَى رُوْحَانِي أَجْنَنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ وَالسَّبَاعِ، وَأَعْطُوهُ صَفَاءَ آدَمَ، وَرِفَقَةَ نُوحَ، وَحُلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، وَلِسَانَ إِسْمَاعِيلَ، وَجَمَالَ يُوسُفَ، وَبُشْرَى يَعْقُوبَ، وَصَوْتَ دَاؤَدَ، وَصَبْرَ أَيُوبَ، وَرُهْدَ يَحْمِيَ، وَكَرَمَ عِيسَى. ثُمَّ إِنْكَشَفَ عَنْهُ، فَإِذَا أَنَا بِهِ وَبِيَدِهِ حَرِيرَةٌ خَضْرَاءُ قَدْ طُوِيَتْ طَيًّا شَدِيدًا، وَقَدْ قَبَضَ عَلَيْهَا وَقَائِلٌ يَقُولُ: قَدْ قُبِضَ مُحَمَّدٌ صلوات الله عليه عَلَى الْدُّنْيَا كُلُّهَا، لَمْ يَقُلْ شَيْءٌ إِلَّا دَخَلَ فِي قَبْضَتِهِ...»<sup>(٢)</sup>.

وقد دلَّت جملة من الأخبار أنَّ هذا الوطء سُيَّتحقَّ جليًّا للعيان ويراه الناس زمان ظهور الحجَّة الغائب عليه السلام، وممَّا دلَّ على ذلك:

\* في (كمال الدين) بسنده عن عبد السلام بن صالح أهروي، عن علي بن

(١) تفسير القمي (ج / ٢ ص ٢٠٢ و ٢٠٣).

(٢) إثبات الوصيَّة (ص ١١١ و ١١٢).

مُوسَى الْرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ أَبِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلَيٌّ، عَنْ أَبِيهِ عَلَيٌّ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلَيٌّ، عَنْ أَبِيهِ عَلَيٌّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَفْضَلَ مِنِّي، وَلَا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنِّي، قَالَ عَلَيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّتَ أَفْضَلُ أُمَّةً جَبْرِيلُ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا عَلَيٌّ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَضَلَّ أَنْبِيَاءُهُ الْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَفَضَلَّنِي عَلَىٰ جَمِيعِ النَّبِيِّنَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْفَضْلُ بَعْدِي لَكَ يَا عَلَيٌّ وَلِلْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِكَ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَحَدَّادُنَا وَخُدَّادُ مُحِبِّينَا...، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، وَمَنْ أَوْصِيَّاَنِي؟ فَنَوَّدِيْتُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ أَوْصِيَّاَنِي مَكْتُوبُونَ عَلَىٰ سَاقِ الْعَرْشِ، فَنَظَرَتُ أَخْضَرُ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ إِسْمُ كُلٍّ وَصِيَّ مِنْ أَوْصِيَّاَنِي، أَوْلُهُمْ عَلَيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَآخِرُهُمْ مَهْدِيُّ أُمَّتِي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، أَهُؤُلَاءِ أَوْصِيَّاَنِي مِنْ بَعْدِي؟ فَنَوَّدِيْتُ: يَا مُحَمَّدُ، هَؤُلَاءِ أَوْلَيَّاَنِي وَأَحْبَّاَنِي وَحُجَّجِي بَعْدَكَ عَلَىٰ بَرِّيَّتِي، وَهُمْ أَوْصِيَّاُوكَ وَخُلَفَاؤُوكَ وَخَيْرُ خَلْقِي بَعْدَكَ، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَظْهَرَنَّ بِهِمْ دِينِي، وَلَا عَلَيْنَّ بِهِمْ كَلِمَتِي، وَلَا تَهَّرَنَّ الْأَرْضَ بِآخِرِهِمْ مِنْ أَعْدَائِي، وَلَا مُلْكُنَّهُ مَسَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَلَا سُخْرَنَ لَهُ الْرِّيَاحُ، وَلَا ذَلَّلَنَّ لَهُ الْرِّقَابَ الصَّعَابَ، وَلَا رُقِيَّهُ فِي الْأَسْبَابِ، وَلَا نُصْرَنَّهُ بِجُنْدِي، وَلَا مِدَنَّهُ بِمَلَائِكَتِي حَتَّىٰ يُعْلَنَ دَعْوَقِي وَيُجْمَعَ الْحَلْقَ عَلَىٰ تَوْحِيدِي، ثُمَّ لَا دِينَ مُلْكُهُ، وَلَا دَوْلَنَّ الْأَيَّامَ بَيْنَ أَوْلَيَّاَنِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

### البراق وآليات التسخير الإلهية:

يتحدّث المقطع عن آليات التسخير، وعن آليات الإيطة وأدواته، ويضرب لنا مثلاًًاً لذلك وهو البراق، وهو وإن كان ابتداءً يشير إلى حقيقة

(١) كمال الدين (ص ٢٥٤ - ٢٥٦ / باب ٢٣ / ح ٤).

خارجية وأنَّ النَّبِيَّ ﷺ استخدمه في العروج إلى السماء إلَّا أَنَّهُ في نفس الوقت يمكن أنْ يكون كناية عن سعة التسخير للنبيِّ ﷺ. جاء في (الصحاح): (والبراق: اسم دابة ركبها رسول الله ﷺ) ليلة المعراج<sup>(١)</sup>.

وقد روي في بيان حقيقة هذا المخلوق العجيب ووظائفه عدَّة روايات، منها:

\* في (عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَام) بإسناده، قال: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لِي الْبُرَاقَ، وَهِيَ دَابَّةٌ مِنْ دَوَابِّ الْجَنَّةِ لَيْسَتْ بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالْطَّوِيلِ، فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَذِنَ لَهَا بِجَالَتِ الْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي جَرِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ أَحْسَنُ الدَّوَابِ لَوْنًا»<sup>(٢)</sup>.

\* وفي (الكافي) بسنده عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى الْكَاهِلِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَام في قولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَمَا تُغْنِي الْأَيَّاتُ وَالنُّدُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ» [يونس: ١٠١]، قال: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جَبْرِيلُ بِالْبُرَاقِ، فَرَكِبَهَا، فَأَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَلَقِيَ مَنْ لَقِيَ مِنْ إِخْرَانِه مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثُمَّ رَجَعَ فَحَدَّثَ أَصْحَاحَابَهُ: أَنِّي أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَرَجَعْتُ مِنَ الْلَّيْلَةِ، وَقَدْ جَاءَنِي جَبْرِيلُ بِالْبُرَاقِ فَرَكِبْتُهَا، وَآيَةً ذَلِكَ أَنِّي مَرَرْتُ بِعِيرٍ لَأَبِي سُفْيَانَ عَلَى مَاءِ لَبَنِي فُلَانٍ وَقَدْ أَصْلَلُوا جَمَلاً لَهُمْ أَحْمَرَ وَقَدْ هُمُ الْقَوْمُ فِي طَلَبِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضُ: إِنَّمَا جَاءَ الشَّامَ وَهُوَ رَاكِبٌ سَرِيعٌ، وَلَكِنَّكُمْ قَدْ أَتَيْتُمُ الشَّامَ وَعَرَفْتُمُوهَا، فَسَلَوْهُ عَنْ أَسْوَاقِهَا وَأَبْوَابِهَا وَجُنَاحِهَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ الْشَّامُ؟ وَكَيْفَ أَسْوَاقُهَا؟»، قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا سُئِلَ عَنِ الْشَّيْءِ لَا يَعْرُفُهُ شَقَّ عَلَيْهِ حَتَّى يُرَى ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ»، قال: «فَيَبْيَنُهُ هُوَ كَذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ

(١) الصحاح للجوهري (ج ٤ / ص ١٤٤٨ / مادة برق).

(٢) عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَام (ج ٢ / ص ٣٥ / باب ٣١ / ح ٤٩).

الشَّامُ قَدْ رُفِعَتْ لَكَ، فَالْتَّفَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ بِالشَّامِ يَأْبُوا إِلَيْهَا وَأَسْوَاقُهَا وَمُجَارِهَا، فَقَالَ: أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ الشَّامِ؟ فَقَالُوا لَهُ: فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَأَجَابَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ، فَلَمْ يُؤْمِنْ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: 《وَمَا تُعْنِي الْأَيَّاتُ وَالثُّدُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ》<sup>(١)</sup>، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: نَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ لَا نُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ ﷺ<sup>(٢)</sup>.

### العروج بالنبي ﷺ:

ثُمَّ تَحَدَّثُ المَقْطُعُ عَنِ الْعِرْوَجِ، (في بعض النُّسُخِ عِرْجَتْ بِرُوحِهِ)، معَ أَنَّ الْرَوَايَاتِ الشَّرِيفَةِ بَيَّنَتْ أَنَّ الْعِرْوَجَ كَانَ رُوْحِيًّا وَبَدِيًّا.

وَقَدْ تَنَوَّلَتِ الْعَدِيدُ مِنِ الْرَوَايَاتِ هَذِهِ الرُّحْلَةِ الْعَظِيمَةِ، وَمِنْهَا:

\* في (أمالى الصدق) بسنده عن ابن عباس، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعِلَيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا عَلَيُّ، أَنْتَ إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَائِدُ الْعَرَّ الْمَحَجَّلِينَ، وَحُجَّةُ اللَّهِ بَعْدِي عَلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَسَيِّدُ الْوَاصِيَّينَ، وَوَصِيُّ سَيِّدِ النَّبِيِّنَّ. يَا عَلَيُّ، إِنَّهُ لَمَّا عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَمِنْهَا إِلَى سِدْرَةِ الْمُسْتَهْيِ، وَمِنْهَا إِلَى حُجُبِ النُّورِ، وَأَكْرَمَنِي رَبِّي خَلَّهُ بِمُنَاجَاتِهِ، قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَيْكَ رَبِّي وَسَعْدِيَّكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، قَالَ: إِنَّ عَلَيَّاً إِمَامُ أُولَيَّاتِي، وَنُورُ مَنْ أَطَاعَنِي، وَهُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَلْزَمْتُهَا الْمُتَقِينَ، مَنْ أَطَاعَهُ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَاهُ عَصَانِي، فَبَشَّرَهُ بِذَلِكَ»، فَقَالَ عِلَيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلَغَ مِنْ قَدْرِي حَتَّى إِنِّي أُذْكُرُ هُنَاكَ؟»، فَقَالَ: «أَنَعَمْ يَا عَلَيُّ، فَأَشْكُرُ رَبَّكَ»، فَخَرَّ عَلَيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَاجِدًا شُكْرًا اللَّهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِرْفَعْ رَأْسَكَ يَا عَلَيُّ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ بَاهَيْ بِكَ مَلَائِكَتَهُ»<sup>(٢)</sup>.

\* وفي (الخرائج والجرائح): رُوِيَ عَنْ عَلَيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ «لَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثٍ

(١) الكافي (ج/ ٨/ ص ٣٦٤ و ٣٦٥ / ح ٥٥٥).

(٢) أمالى الصدق (ص ٣٧٥ و ٣٧٦ / ح ٤٧٥).

سِنِينَ مِنْ مَبْعَدِهِ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَعُرِجَ بِهِ مِنْهُ إِلَى السَّمَاءِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مِنْ لَيْلَتِهِ حَدَّثَ قَرِيشًا بِخَبَرِ مَعْرَاجِهِ، فَقَالَ جُهَّا هُنْ: مَا أَكْذَبَ هَذَا الْحَدِيثَ، وَقَالَ قَاتِلُهُمْ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَبِمَا نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ؟ قَالَ: مَرَرْتُ بِعِيرِكُمْ فِي مَوْضِعِ كَذَّا، وَقَدْ ضَلَّ لَهُمْ بَعْيِرٌ، وَعَرَفْتُهُمْ مَكَانَهُ، وَصَرَّتُ إِلَيْهِمْ رِحَالِهِمْ، وَكَانَتْ لَهُمْ قَرْبٌ مَمْلُوَّةٌ مِنَ الْمَاءِ، فَصَبَّبْتُ قِرْبَةً، وَالْعِيرُ تُوَافِيْكُمْ فِي الْيَوْمِ الْثَالِثِ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَأَوْلَى الْعِيرِ جَمْلًا أَحْمَرًا، وَهُوَ جَمْلُ فُلَانِ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْثَالِثُ خَرَجُوا إِلَى بَابِ مَكَةَ لِيَنْظُرُوا إِلَى صِدْقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَهُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَتِ الْعِيرُ عَلَيْهِمْ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ، فِي أَوَّلِهَا الْجَمْلُ الْأَحْمَرُ، فَتَعَجَّبُوا مِنْ ذَلِكَ، وَسَأَلُوا الَّذِينَ كَانُوا مَعَ الْعِيرِ، فَقَالُوا مِثْلُ مَا قَالَ مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِخْبَارِهِ عَنْهُمْ، فَقَالُوا: هَذَا أَيْضًا مِنْ سِحْرِ مُحَمَّدٍ»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (مناقب آل أبي طالب): عن الصادق عَلَيْهِ الْكَلَامُ أَنَّهُ كَانَ رَسُولُ اللهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ] يُكْثِرُ تَقْبِيلَ فَاطِمَةَ، فَانْكَرَتْ عَلَيْهِ بَعْضُ نِسَائِهِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهُ لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ أَخَذَ بِيَدِي جَبْرِيلَ فَأَدْخَلَنِي الْجَنَّةَ، فَنَاؤْلَنِي مِنْ رُطْبِهَا فَأَكَلْتُهَا»، وفي رِوَايَةٍ: «فَنَاؤْلَنِي مِنْهَا تُفَاجَّهَةً فَأَكَلْتُهَا، فَتَحَوَّلَ ذَلِكَ نُطْفَةً فِي صُلْبِي، فَلَمَّا هَبَطْتُ إِلَى الْأَرْضِ وَاقْعَتْ خَدِيجَةَ، فَحَمَلْتُ بِفَاطِمَةَ، فَفَاطِمَةُ حَوْرَاءُ إِنْسِيَّةٌ، فَكُلَّمَا إِشْتَقْتُ إِلَى رَائِحَةِ الْجَنَّةِ شَمَمْتُ رَائِحَةَ ابْنَتِي»<sup>(٢)</sup>.

### حقيقة العلم الموعَد في النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

ثُمَّ تَحَدَّثُ المَقْطُعُ عَنْ كُنْهِ ذَلِكَ الْعِلْمِ وَحَقِيقَتِهِ وَسُعْتِهِ، وَأَنَّهُ عِلْمٌ إِلَهِي لِدُنْيَ اخْتِصَاصِي وَاسِعٌ لَا يَنْالُهُ إِلَّا مَنْ اخْتَصَّ اللَّهُ بِسُبْحَانِهِ وَتَعَالَى بِهِ، وَهَذَا يَكْشِفُ عَنْ أَنَّ حَجَّيَّةَ الْخَاتَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ الْأَوْلَى فِي الْحُجَّاجِ، وَهِيَ الْآخِرَةُ مِنَ الْحُجَّاجِ، وَأَنَّ

(١) الخرائج والجرائح (ج ١ / ص ١٤١ / ح ٢٢٧).

(٢) مناقب آل أبي طالب (ج ٣ / ص ١١٤).

الفصل الأول: الوساطة بين السماء والأرض، وخصائص الأنبياء ودرجاتهم ..... ١٣٧

حجّيّته ثابتة منذ الخلق الأوّل، ولا تنتهي إلى آخر الخلق، وكلّ حجة ما عداه إنّما هي متفرّعة من حجّيّته وإمامته وسلطنته عليه السلام.

وقد أشارت بعض الأحاديث إلى ذلك، منها:

\* في (الغيبة للطوسي) بسنده عن أبي عبد الله الحسین بن علی بن سفیان البزوفري عليه السلام، قال: حدّثني الشیخ أبو القاسم الحسین بن روح عليه السلام، قال: اختلف أصحابنا في التقویض وغیره، فمضیت إلى أبي طاھر بن بلايل في أيام استقامته، فعرّفته الخلاف، فقال: آخرني، فآخرته أياماً، فعدت إليه، فخرج إلى حديثاً يسانده إلى أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا أراد [الله] أمراً عرضه على رسول الله عليه السلام، ثم أمير المؤمنين عليه السلام [وسائر الأئمة] واحداً بعد واحداً إلى أن يتّهی إلى صاحب الزمان عليه السلام ثم يخرج إلى الدنيا، وإذا أراد الملائكة أن يرفعوا إلى الله عجلاً عرض على صاحب الزمان عليه السلام، ثم يخرج على واحد [بعد] واحد إلى أن يعرض على رسول الله عليه السلام ثم يعرض على الله عجلاً، فما نزل من الله فعل أيديهم، وما عرّج إلى الله فعل أيديهم، وما استغنووا عن الله عجلاً طرفة عين»<sup>(١)</sup>.

فهو عليه السلام واسطة كلّ حجة في كلّ شيء.

\* وفي (معاني الأخبار): عن رسول الله عليه السلام، قال: «... لَقَدْ جَتْكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ تَقِيَّةً، وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا إِبْتَاعِي»<sup>(٢)</sup>.

فهذا الحديث، بل وغيره من المقاطع خصوصاً الزيارات والأدعية الواردة عنهم عليه السلام، تكشف لنا عن أنّ الحجّيّة الأولى ومصدر الفيض الإلهي هو النبيُّ الخاتم عليه السلام، ثمّ من بعده أئمّة أهل البيت عليه السلام، ثمّ الأنبياء عليه السلام ابتداءً وانتهاءً، على ما مرّ قریباً في مصادر علمهم عليه السلام.

\* \* \*

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٧ / ٣٥١ ح).

(٢) معاني الأخبار (ص ٢٨٢ / باب معنى المحاقلة والمزاينة...).



المبحث الخامس:

الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ

خاتِمُ الْأَدِيَانِ



## الفقرة الثانية عشر

«ثُمَّ نَصَرْتَهُ بِالرُّغْبِ، وَحَفَّفْتَهُ بِجَبْرِئِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَالْمُسَوَّمِينَ مِنْ مَلَائِكَتِكَ، وَوَعَدْتَهُ أَنْ تُظْهِرَ دِينَهُ عَلَى الْكُلِّ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ بَوَّأْتَهُ مُبَوَّأً صِدْقِ مِنْ أَهْلِهِ».

تحدّث هذه الفقرة المتّصلة مع التي سبقتها عن أسباب النصرة وسبلها، وعن نماذج التسخير الإلهي للنبي ﷺ، وقد قلنا هناك: إنَّ هذه السلطة والأسباب وإنْ كانت قد نُسِّبَت إلى النبي ﷺ بالأصلّة إلَّا أنَّها جارية في الأئمَّة عليهما السلام ما خلا المختصّ به ﷺ منها ودلل الدليل الخاصُّ عليه. أمَّا هذه الفقرة فالحديث فيها عن نماذج من التسخير الإلهي للرسول الأكرم ﷺ وللإمام علي عليهما السلام.

والحديث عنها يقع في عدَّة نقاط:

**النقطة الأولى: التسخير بالرُّغْب والنصر والإظهار بأهل البيت عليهما السلام:**  
بعد أنْ أوطأ الله سبحانه للنبي الأكرم ﷺ المشارق والمغارب، وأودعه علم ما كان وما يكون إلى انقضاء الخلق، ولأجل أنْ يتحقق التبُوء والإيطة للنبي ﷺ احتاج هذا الإيطة - ولو في بعض موارده - إلى آليات وأدوات يُتممّ بها الباري يُجْعَل ما وعده نبيه ﷺ به، فذكر المقطع بعض هذه النماذج، والتي منها النصر بالرُّغْب.

وقد تحدّث الكثير من الروايات عن هذا المعنى فيها يرتبط بما اختُصَّ

به ﷺ، أو بما تفرّع منه وب بواسطته ﷺ على أولياءه وخلفاءه، وبالخصوص الحجّة القائم الغائب ﷺ، فالرعب الذي سيكون مع الحجّة والذي ورثه ﷺ من جده ﷺ حسب تعبير الروايات يسير قبله ﷺ مسيرة شهر كامل، ولك أن تتصوّر جيشاً يقوده الإمام ﷺ يخترق الحصون البشرية قبل حصون المدن والبلدان، ويرعب الأعداء خوفاً من القادم إليهم، على ما يأتي في الفقرات الخاصة بالإمام ﷺ.

ومن أدوات التسخير الحفُّ والإحاطة، وهو من بين أبرز أسباب الانتصار، وانظر إلى من هم الذين يقومون بهذه الحالة، إنّهم جبرائيل وميكائيل والمسوّمين من الملائكة. والمسوّم المجهّز والمستعدُ بكافة الاستعدادات التي تؤهّله لتحقيق الهدف.

ومع اكتمال عوامل وأسباب الانتصار تتحقّق النتيجة، وهي الإظهار وحالة الاستحكام والتمكين بأهل البيت ع.

المقطع يحدّثنا عن أسباب النصر والإظهار للدين من جميع نواحيها، وأنّها ستكون مهيأة من أول مرحلة وهي حالة الاستكمان والسيطرة والتّبُوء الصدقي التي تمثّل القاعدة للانطلاق إلى حالة التمكّن من الوسائل الخارجية والميدانية وتجهيزها بكلّ ما من شأنه تحقيق الهدف إلى حالة القدرة المعنوية والثبات والرسوخ الداخلي إلى حالة الزلزلة عند الأعداء وإيجاد الروح الانهزامية والانكسار النفسي، وهنا يتحقّق الهدف لا محالة، مهما كان الهدف المراد تحقيقه ومهما كانت المساحة المراد نشر الهدف فيها.

\* قال تعالى: «فَاتَّاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَّفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّغْبَ» (الحشر: ٢).

\* وقال تعالى: «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَهِّرُ عَلَى الَّذِينَ كُلَّهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» (التوبه: ٣٣).

وما يشير إلى ما تقدم من روایات - وهي كثيرة - الآتي:

\* في (الكافي) بسنده عن أبي بن عثمان، عن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الله تبارك وتعالى أعطى محمداً صلوات الله عليه شرائع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهما السلام: التوحيد، والإخلاص، وخلع الأنداد، والفطرة الحنفية السمححة، ولا رهابانية ولا سياحة، أحل فيها الطيبات، وحرم فيها الخبائث...، وأحل له المغنم والغيء، ونصره بالرعب، وجعل له الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسله كافة إلى الآبيض والأسود والجنة والأنس، وأعطاه الجزية، وأسر المشركين، وفداهم، ثم كلف ما لم يكلف أحد من الأنبياء، وأنزل عليه سيف من السماء في غير عمده، وقيل له: «فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك» [النساء: ٨٤] <sup>(١)</sup>.

\* وفي (علل الشرائع) بسنده عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: «أنا أشبه الناس بآدم، وإبراهيم أشبه الناس بي...، ومن علي ربِّي وقال لي: يا محمد صلي الله عليك، فلقد أرسلت كل رسول إلى أمته بيسانها، وأرسلتك إلى كل أحمر وأسود من خلقي، ونصرتكم بالرعب الذي لم أنصر به أحداً...» <sup>(٢)</sup>.

### النقطة الثانية: تبوء النبي صلوات الله عليه مبوء الصدق:

ذكرت العديد من الآيات الشرفية هذا المعنى، ومنها:

\* قال تعالى: «وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت» [الحج: ٢٦].

\* وقال تعالى: «ولقد بوأنا ببني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات» [يونس: ٩٣].

(١) الكافي (ج / ٢ / ص ١٧ / باب الشرائع / ح ١).

(٢) علل الشرائع (ج / ١ / ص ١٢٧ و ١٢٨ / باب ١٠٦ / ح ٣).

\* قال العلامة الطباطبائي عليه السلام : («مُبَوَّأٌ صِدْقٌ») يدل على أنَّ الله سبحانه وَبَوَّأْهُم مُبَوَّأً يوجد فيه جميع ما يطلبه الإنسان...<sup>(١)</sup>.

\* وقال الفخر الرازي: (أي أسكنناهم مكان صدقٍ أي مكاناً مموداً، قوله: «مُبَوَّأٌ صِدْقٌ» فيه وجهان:

الأول: يجوز أن يكون («مُبَوَّأٌ صِدْقٌ») مصدرأً، أي بَوَّأْنَاهُم تبُوأْ صدق.

الثاني: أن يكون المعنى متزلاً صالحًا مرضيًّا، وإنَّما وصف المبُوأ بكونه صدقاً، لأنَّ عادة العرب أَنَّها إذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق تقول: رجل صدق، وقدم صدق، قال تعالى: (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) [الإسراء: ٨٠]، والسبب فيه أنَّ ذلك الشيء إذا كان كاملاً في وقت صالحًا للغرض المطلوب منه، فكُلُّ ما يُطَلَّبُ فيه من الخير فإنَّه لا بدَ وأنْ يصدق ذلك الظن<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) تفسير الميزان (ج ١٠ / ص ١٢٠).

(٢) تفسير الرازي (ج ١٧ / ص ١٥٨).

الفصل الثاني:

## أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة

(الخصائص، الآثار، الكمالات)



المبحث الأول:

تفرُّع أهل البيت عليهم السلام عن

النبي صلوات الله عليه وآله وارتباطهم بـ إبراهيم عليه السلام



### الفقرة الثالثة عشر

«وَجَعَلْتَ لَهُ وَلَهُمْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي يِكَّةَ  
مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ، فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامٌ إِبْرَاهِيمَ  
وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا».

الحديث في هذه الفقرة ضمن نقاط:

**النقطة الأولى: ما ورد عن أهل البيت عليهما السلام في القرآن الكريم:**

وهي عدّة آيات، منها:

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا  
تَقَبَّلَ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾١٧٧﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ دُرْبَتِنَا  
أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَثُبُّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴾١٧٨﴿ رَبَّنَا  
وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتَلَوُّ عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
وَيُزَكِّيَهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾١٧٩﴾ (البقرة: ١٢٧ - ١٢٩)، إشارة واضحة  
إلى ما تضمنته الفقرة.

أما فيما يخصُّ البَيِّنَاتُ وَالآيَاتُ، فقوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامٌ  
إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ  
سَبِيلًا﴾ (آل عمران: ٩٧).<sup>(١)</sup>

### النقطة الثانية: ما ورد عنهم في الروايات الشريفه:

الروايات التي تحدثت عن مقام البيت ومقام إبراهيم عليهما وأهميته وكيف صار ومن بناء المسجد الحرام والمشاعر المقدسة كثيرة جداً، وما يرتبط بمقامنا منها كثير أيضاً، نأخذ بعضاً منها بما يناسب الشرح والغرض منه، ومنها:

\* في (تفسير العيashi) بسنده عن جابر الجعفي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما، قال: «إن الله اختار من الأرض جميعاً مكة، واختار من مكة بكة، فأنزل في بكة سرادقاً من نور محفوفاً بالذر والياقوت...، فالركن الأسود باب الرحمة إلى ركن الشامي، فهو باب الإنابة، وباب الركن الشامي باب التوسل، وباب الركن الياني باب التوبة، وهو باب آل محمد عليهما وشيعتهم إلى الحجر، فهذا البيت حجة الله في أرضه على خلقه...»<sup>(١)</sup>.

بل توجد عدّة روايات تشير إلى أنَّ الأمان الذي وصف به من دخل البيت ليس على إطلاقه، وإنما قد قيدته الروايات بولاية أهل البيت عليهما ومعرفتهم، ومنها ما رواه الشيخ الكليني رض بسنده عن عبد الخالق الصيقل، قال: سأله أبا عبد الله عليهما عن قول الله سبحانه: «ومَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» [آل عمران: ٩٧]، فقال: «لقد سأله عن شيء ما سأله أحد إلا من شاء الله»، قال: «من أم هدا الْبَيْتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ الْبَيْتُ الَّذِي أَمْرَهُ اللَّهُ بِهِ وَعَرَفَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ حَقَّ مَعْرِفَتِنَا كَانَ آمِنًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»<sup>(٢)</sup>.

⇒ حيث ورد في تفسيرها العديد من الروايات منها ما رواه الشيخ الكليني رض بسنده المعتبر عن ابن سنان، قال: سأله أبا عبد الله عليهما عن قول الله سبحانه: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِسَكَنَهُ وَهُدَى لِلْعَالَمِينَ ٦٦ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ» [آل عمران: ٩٦ و ٩٧]، ما هذه الآيات البينات؟ قال: «مقام إبراهيم حيث قام على الحجر فثارت فيه قدماء، واحجر الأسود، ومتى إسماعيل عليهما».

(١) تفسير العيashi (ج ١ / ص ٣٩ و ٤٠ / ح ٢٢).

(٢) الكافي (ج ٤ / ص ٥٤٥ / باب التوادر / ح ٢٥).

لاحظ قوله عليهما السلام: إن هذا السؤال ما سأله أحد قبل عبد الخالق إلا من شاء الله تعالى، لأهميته وإلفالات الناس إلى أهمية ما سيُخبر به الإمام عليهما السلام.

### أهمية المكان في العقيدة:

ليس بمجاوزف من يرى بداعه ارتباط الدين بالمكان في بعض الأحيان، فاللجوء إلى الله تعالى لجوء روحي ومكاني، والدخول في مكان مقدس يضفي على الروح والنفس طمأنينة خاصة لا توجد في غيره.

عن أبي بصير، قال: سألتُ أبي عبد الله عليهما السلام عن العلة في تعظيم المساجد، فقال: «إنما أمر بتعظيم المساجد لأنها بيوت الله في الأرض»<sup>(١)</sup>.

وجود المكان المقدس أمر غاية في الأهمية في تشعيرات الأديان الإلهية، بل وحتى عند غيرها، فلا تجد ديناً إلا وله أمكنة عديدة معدة لمارسة طقوسه والتزود بالطاقة والسكنية الروحية، والقرب من ساحة المولى عز وجل.

فالالتزام بين الدين والمكان المقدس واضح، بل في جملة من النصوص أن الشارع المقدس شجّع الناس على اتخاذ أماكن خاصة للعبادة يضفي عليها نوعاً من الاحترام والتجليل والاهتمام، ليس ذلك إلا لجعل الناس في حالة انسداد دائم للمكان المعبّر لهم عن الارتباط ب المقدساتهم وما يلتمسونه من آثار هذا المكان على الأجواء الروحية وتأثيرها على عبادتهم وطقوسهم الدينية.

قال تعالى: «وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ» (يوسوس: ٨٧).

وعن مسمع، قال: كتب إلى أبي عبد الله عليهما السلام: «إني أحب لك أن تتَّخذَ في دارك مسجداً في بعض بيوتك...»، والمقصود من بعض البيوت أي ما هو المعروف في زماننا بُرْفَ الْبَيْتِ، أي أن يجعل له في بعض غُرَفِ بيته مكاناً خاصاً

(١) عَلَلُ الشَّرَائِعِ (ج ٢ / ص ٣١٨ / باب ٤ / ح ١).

للصلوة، لا حظوا تتميم الرواية وما قاله له الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ثُمَّ تَلْبِسَ ثَوَبَيْنِ طِمْرَيْنِ عَلَيْظَيْنِ، ثُمَّ تَسْأَلَ اللَّهُ أَنْ يُعْتَقَكَ مِنَ النَّارِ، وَأَنْ يُدْخِلَكَ الْجَنَّةَ، وَلَا تَتَكَلَّمْ بِكَلِمَةٍ بَاطِلٍ وَلَا بِكَلِمَةٍ بَغْيٍ»<sup>(١)</sup>.

### في أفضليّة أرض كربلاء:

من يطالع الروايات الشريفة في تفضيل الأماكن على بعضها، بل والأزمنة، يتجلّى له فضل بعضها على بعض.

وهذا التفضيل لا نلتمس له وجهاً لو لا أنَّ الروايات الشريفة بيَّنت ذلك، ونحن نتعَبَّد بما يأْتِي فيها.

وقد بيَّنت الروايات بذاتها فضل أرض كربلاء على الكعبة، بعد تفضيل أرض الكعبة على كُلِّ أرضٍ سواها.

وبهذا يندفع ما في نفوس البعض من حزاوة تقبُّل ذلك.

فالقاعدة التي ينبعي أنْ يكون عليها المؤمن الحقيقي هي قوله تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَاجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا»<sup>(٢)</sup> (النساء: ٦٥)، فما يُقل عنْه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وعنْ أهل بيته عَلَيْهِ السَّلَامُ فلا بدَّ أنْ يتلقَّاه المؤمن بالتسليم، وأنْ لا يجد في نفسه أيَّ حرج، وقد ورد عنْ عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ بَيَّاعَ السَّابِرِيِّ، عنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «إِنَّ أَرْضَ الْكَعْبَةِ قَالَتْ: مَنْ مِثْلِي وَقَدْ بُنِيَ بَيْتُ اللَّهِ عَلَىٰ ظَهْرِيِّ، وَيَأْتِينِي النَّاسُ مِنْ كُلِّ فَجَ عَمِيقٍ، وَجُعِلْتُ حَرَامَ اللَّهِ وَأَمْنَهُ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا: أَنْ كُفُّي وَقَرْيَ، فَوَعَزَّزَتِي وَجَلَّلَتِي مَا فَضَّلْتِ بِهِ فِيمَا أَعْطَيْتُ بِهِ أَرْضَ كَرْبَلَاءَ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ الْأَبْرَةِ عُمِسَتْ فِي الْبَحْرِ فَخَمَلْتُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ، وَلَوْلَا تُرْبَةُ كَرْبَلَاءَ مَا فَضَّلْتِكِ، وَلَوْلَا

(١) المحاسن (ج ٢ / ص ٦١٢ ح ٣١).

ما تَصَمَّتْهُ أَرْضٌ كَرْبَلَاءَ لَمَا حَلَقْتَنِي وَلَا خَلَقْتُ الْبَيْتَ الَّذِي افْتَخَرْتُ بِهِ، فَقَرِّي  
وَإِسْتَقْرِي وَكُونِي دُنْيَا مُتَوَاضِعًا ذَلِيلًا مَهِينَا، عَيْرَ مُسْتَنْكِفٍ وَلَا مُسْتَكْرِ لِأَرْضِي  
كَرْبَلَاءَ، وَإِلَّا سُخْتُ بِكِ وَهَوَيْتُ بِكِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»<sup>(١)</sup>.

### ارتباط الإمام عليهما السلام بالكعبة:

في هذه الفقرة نتحدث عن آلية أخرى من آليات إظهار الدين وارتباطه بالأماكن المقدسة في نفوس الناس، وما هذه الأماكن المقدسة من تأثير كبير على حركة الإمام المهدي عليهما السلام حين خروجه، فإذا دخال دعاء الندبة الخاص به عليهما السلام هذه الفقرة وغيرها يكشف عن أن هذه الحركة المباركة عندما تبدأ بإعلان الإمام عليهما السلام قيامه بالحق، فإنه عليهما السلام سيثبت ارتباطه بالحق وبالإسلام وبالدين الحنيف من خلال عدّة آليات وأفعال وتصرّفات، ومنها بيانه عليهما السلام لارتباطه بهذا البيت وبجده رسول الله عليهما السلام الذي جعله الله تعالى أمناً للناس، فالذي يخرج في هذا البيت ويُعلن دعوته منه سيكون إماماً وأماناً للناس، وأن ظهوره لأجل هذا الغرض وإحقاق الحق وبسط العدل.

فالمكانة المعنوية التي يتمتع بها البيت العتيق ومكّة المكرّمة في نفوس الناس تسهل لمن يثبت ارتباطه بها ويُعلن دعوته منها سبيل الانتصار والتمكين.

### أهل البيت عليهما السلام ودعوة إبراهيم عليهما السلام:

وممّا جاء في الروايات لأجل حكاية هذا المعنى، ما رواه الشيخ الكليني عليهما السلام بسنده عن زيد الشحام، قال: دخل قتادة بن دعامة<sup>(٢)</sup> على أبي جعفر عليهما السلام، فقال:

(١) كامل الزيارات (ص ٤٤٩ و ٤٥٠ ح / ٢٦٧).

(٢) من مشاهير محدثي العامة ومفسّريهم، روى عن أنس بن مالك وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب والحسن البصري. راجع: سير أعلام النبلاء (ج ٥ / ص ٢٦٩ / الرقم ١٣٢).

«يَا قَتَادَةُ، أَنْتَ فَقِيهُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ؟»، فَقَالَ: هَكَذَا يَزْعُمُونَ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بَلَغَنِي أَنَّكَ تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ»، فَقَالَ لَهُ قَتَادَةُ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بِعِلْمٍ تُفَسِّرُهُ أَمْ بِجَهْلٍ؟»، قَالَ: «لَا، بِعِلْمٍ»، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَإِنْ كُنْتَ تُفَسِّرُهُ بِعِلْمٍ فَأَنْتَ أَنْتَ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ»، قَالَ قَتَادَةُ: سَلْ، قَالَ: «أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَنِّي» فِي سَيِّبٍ: «وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيٍّ وَأَيَامًاً آمِنِينَ» <sup>١٨</sup> [سبأ: ١٨]، فَقَالَ قَتَادَةُ: ذَلِكَ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ بِزَادٍ حَلَالٍ وَرَاحِلَةً وَكِرَاءً حَلَالٍ يُرِيدُ هَذَا الْبَيْتَ كَانَ آمِنًا حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نَشَدْتُكَ اللَّهُ يَا قَتَادَةَ، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يَخْرُجُ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ بِزَادٍ حَلَالٍ وَرَاحِلَةً وَكِرَاءً حَلَالٍ يُرِيدُ هَذَا الْبَيْتَ فَيُقْطِعُ عَلَيْهِ الْطَّرِيقُ فَتُدْهَبُ نَفْقَتُهُ وَيُضَرَّبُ مَعَ ذَلِكَ ضَرْبَةً فِيهَا إِجْتِيَاحُهُ؟»، قَالَ قَتَادَةُ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَيُحَكَّ يَا قَتَادَةَ إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا فَسَرْتَ الْقُرْآنَ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِكَ فَقَدْ هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَخْدَتَهُ مِنَ الرِّجَالِ فَقَدْ هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ، وَيُحَكَّ يَا قَتَادَةَ ذَلِكَ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ بِزَادٍ وَرَاحِلَةً وَكِرَاءً حَلَالٍ يَرُومُ هَذَا الْبَيْتَ عَارِفًا بِحَقْنَا يَهْوَانَا قَلْبُهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَنِّي: «فَاجْعُلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهُوِي إِلَيْهِمْ» [إِبْرَاهِيمٍ: ٣٧]، وَلَمْ يَعْنِ الْبَيْتَ فَيَقُولَ إِلَيْهِ، فَنَحْنُ وَاللَّهُ دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي مَنْ هَوَانَا قَلْبُهُ قُبِلَتْ حَجَّتُهُ وَإِلَّا فَلَا. يَا قَتَادَةَ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ آمِنًا مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، قَالَ قَتَادَةُ: لَا جَرَمَ وَاللَّهُ لَا فَسَرَّتْهَا إِلَّا هَكَذَا، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَيُحَكَّ يَا قَتَادَةَ إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مِنْ خُوطَبَ بِهِ» <sup>(١)</sup>.

إِذْ لَا بَدَّ هَذَا الشَّخْصُ الْإِلَهِيُّ وَالَّذِي يُمْثِلُ الْاِمْتِدَادَ الْطَّبِيعِيَّ لِلْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالنَّبِيُّ مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهُوَ صَاحِبُ الصَّفَاتِ الْفَرِيدَةِ الَّتِي أُلْقِيَ

(١) الكافي (ج/٨ ص ٣١٢ و ٣١١) ح ٤٨٥.

على عاتقه مهمة لم تُلق على عاتق غيره، من مكان يناسب هذه المكانة في نفوس الناس وليس في نفوس خاصته وحسب، وليس هذا المكان إلا الكعبة المشرفة. فمقصد التوجّه عند المسلمين وتحضّعهم وركوعهم وسجودهم الذي لا ينazu في التوجّه إليه منهم منازع، هو هذا البيت المجعل قبلةً للناس، وهذا إنما جعل كذلك ومقصداً للتوجّه والطواف بعد قصد أهل البيت عليهما السلام كما دلت عليه الروايات المتقدّمة.

إذن فالناس إنما أمروا بالتوجّه في العبادة - والصلاحة التي هي عمود الدين - إلى مكّة المكرّمة لأجل شيء وراء هذا التوجّه، وهو إبداء الطاعة والعبوديّة لله سبحانه، وهو (عزّ اسمه) - بمقتضى جملة من الروايات تقدّم ذكر بعضها آنفًا - يُجبر بواسطة العترة الطاهرة عليهما السلام: أنّ الواسطة في قبول هذه العبادة أن يكون التوجّه الظاهري مقرورًا بالتوجّه المعنوي لأصحاب هذا البيت عليهما السلام، إنما أصحاب بيت العبادة والطاعة والتوجّه الإلهي.

ويوجد عندنا في الروايات مجموعة من الأخبار تشير إلى هذا المعنى مضافاً إلى ما تقدّم، منها:

\* عن الفضيل، عن أبي جعفر عليهما السلام، قال: نظر إلى الناس يطوفون حول الكعبة، فقال: «هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية، إنما أمروا أن يطوفوا بها ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولایتهم ومودتهم ويعرضوا علينا نصرتهم»، ثم قرأ هذه الآية: ﴿فاجعل أقيندَة مِنَ النَّاسِ تَهُوِي إِلَيْهِم﴾ [إبراهيم: ٣٧].<sup>(١)</sup>

\* وعن أبي عبيدة، قال: سمعت أبا جعفر عليهما السلام ورأى الناس بمكة وما يعملون، قال: «فعال كفعال الجاهلية، أما والله ما أمرنا بهذا، وما أمرنا

(١) الكافي (ج ١ / ص ٣٩٢ / باب أن الواجب على الناس بعد ما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام فيسألونه عن معالم دينهم... / ح ١).

إِلَّا أَنْ يَقْضُوا تَفَثِّهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ فَيَمْرُوا بِنَا فَيُخْبِرُونَا بِوَلَائِتِهِمْ وَيَعْرِضُوا عَلَيْنَا نُصْرَتِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

\* وَعَنْ سَدِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرَ عَلِيَّا وَهُوَ دَاخِلٌ وَأَنَا خَارِجٌ وَأَحَدٌ بِيَدِي ثُمَّ إِسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ، فَقَالَ: «يَا سَدِيرُ، إِنَّا أَمْرَ النَّاسِ أَنْ يَأْتُوا هَذِهِ الْأَحْجَارَ فَيَطْوُفُوا بِهَا ثُمَّ يَأْتُونَا فَيَعْلَمُونَا وَلَا يَتَّهِمُونَا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: «وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى»<sup>(٢)</sup> [طه: ٨٢] - ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ - إِلَى وَلَائِتِنَا»، ثُمَّ قَالَ: «يَا سَدِيرُ، فَأُرِيكَ الْصَّادِينَ عَنْ دِينِ اللَّهِ؟»، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ وَسُفْيَانَ الْشَّوَّرِيِّ فِي ذَلِكَ أَزْمَانٍ وَهُمْ حَلْقُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: «هُؤُلَاءِ الْصَّادُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ بِلَا هُدًى مِنَ اللَّهِ وَلَا كِتَابٌ مُّبِينٌ، إِنَّ هُؤُلَاءِ الْأَخَبِثَ لَوْ جَلَسُوا فِي بُيُوتِهِمْ فَجَالَ النَّاسُ فَلَمْ يَجِدُوا أَحَدًا يُخْبِرُهُمْ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعَنْ رَسُولِهِ ﷺ حَتَّى يَأْتُونَا فَنُخْبِرَهُمْ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعَنْ رَسُولِهِ ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

(١) الكافي (ج / ١ / ص ٣٩٢) باب أَنَّ الواجب عَلَى النَّاسِ بَعْدَ مَا يَقْضُونَ مِنْ أَسْكَنِهِمْ أَنْ يَأْتُوا إِلَيْهِمْ فَيَسْأَلُونَهُ عَنْ مَعَالِمِ دِينِهِمْ... / ح ٢).

(٢) الكافي (ج / ١ / ص ٣٩٢ و ٣٩٣) باب أَنَّ الواجب عَلَى النَّاسِ بَعْدَ مَا يَقْضُونَ مِنْ أَسْكَنِهِمْ أَنْ يَأْتُوا إِلَيْهِمْ فَيَسْأَلُونَهُ عَنْ مَعَالِمِ دِينِهِمْ... / ح ٣).

المبحث الثاني:

آية التطهير

وتمييز أهل البيت عليهم السلام



## الفقرة الرابعة عشر

«وَقُلْتَ: 《إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا》 [الأحزاب: ٣٣].»

تمهيد:

قد يسأل سائل: أَنَّه لَمْ جُعِلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَآلِهِ عَلَيْهَا هَذِهِ الْمَكَانَةُ؟ جاء الجواب على لسان الدعاء: لِمَكَانٍ مَا تَقْدَمُ مِنْ وَفَائِهِمْ وَسَبْقِهِمْ بِالْإِقْرَارِ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَا مَرَّ مِنْ حَدِيثِ الْمَشَارِطَةِ، وَكَذَا لَطَهَارَتِهِمْ وَعَصَمَتِهِمْ صَارُوا كَذَلِكَ، فَلَا هُمْ أَهْلُ الْوَفَاءِ الَّذِينَ لَا رِجْسُ فِيهِمْ اسْتَحْقَوْا هَذَا، فَهَذَا الْمُقْطَعُ يَصُحُّ أَنْ يَقَالُ عَنْهُ: إِنَّهُ مَتَّمَ لِجَوَابِ مَنْ يَسْأَلُ: لَمْ جُعِلَ أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهَا هَذِهِ الْمَكَانَةُ؟ فَجَاءَ الْجَوابُ بِنَصْصِ الدَّعَاءِ: «وَقُلْتَ: 《إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا》 [٣٣]»، فَكَوْنُهُمْ عَلَيْهَا أَهْلُ الْبَيْتِ الْإِلَهِيُّ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ نَابِعًاً وَمُتَفَرِّعًاً مِنْ أَصْلِ اقْضَى هَذَا التَّمْيِيزِ، وَذَلِكَ هُوَ التَّطْهِيرُ وَإِذْهَابُ الرِّجْسِ بَعْدِ الْوَفَاءِ بِالْمَشَارِطَةِ.

وَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ مَرَّةً أُخْرَى: إِنَّ كَثِيرًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُخَلَّصِينَ قَدْ طُهِّرُوا وَأُذْهِبَ عَنْهُمُ الرِّجْسُ، فَلَمْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ عَلَيْهَا. فَيَأْتِي الْجَوابُ: أَنَّ التَّطْهِيرَ هُنَا تَطْهِيرٌ بِأَعْلَى الْمَرَاتِبِ، بَلْ وَأَنَّ التَّطْهِيرَ لِلْغَيْرِ وَإِذْهَابُ الرِّجْسِ عَنِ الْغَيْرِ أَيًّا مَا كَانَ إِنَّمَا جَاءَ لِأَجْلِ مُتَابِعَتِهِمْ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهَا، وَقَدْ مَرَّ عَلَيْكَ مَا فِي أَحَادِيثِ عَالَمِ الْمِيثَاقِ وَالذِّرْ وَخَلْقِ الْأَكْوَانِ مِنْ دَلَالَةٍ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى، فَرَاجِعٌ.

وَكَيْفَيَا كَانَ، فَالْبَحْثُ يَقْعُدُ فِي نَقَاطٍ:

### النقطة الأولى: تفسير آية التطهير وأئمّا وحصرها بأهل البيت عليهما السلام:

وهي كثيرة، منها:

\* في (الكاف): عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يوئس.  
وعلي بن محمد، عن سهل بن زياد أبي سعيد، عن محمد بن عيسى، عن يوئس،  
عن ابن مسكان، عن أبي بصير، قال: سأله أبا عبد الله عليهما السلام عن قول الله تعالى:  
﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فقال:  
«نَزَّلْتِ فِي عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ»، فقلت له: إنَّ النَّاسَ  
يَقُولُونَ: فَمَا لَهُ لَمْ يُسَمِّ عَلِيًّا وَأَهْلَ بَيْتِهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ؟ قال: فَقَالَ:  
«قُولُوا لَهُمْ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَّلَتْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ، وَلَمْ يُسَمِّ اللَّهُ لَهُمْ ثَلَاثًا  
وَلَا أَرْبَعًا حَتَّىٰ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الَّذِي فَسَرَّ ذَلِكَ لَهُمْ، وَنَزَّلَتْ عَلَيْهِ  
الرَّزْكَةُ، وَلَمْ يُسَمِّ لَهُمْ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا دِرْهَمٌ حَتَّىٰ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
هُوَ الَّذِي فَسَرَّ ذَلِكَ لَهُمْ، وَنَزَّلَ الْحَجُّ، فَلَمْ يَقُلْ لَهُمْ: طُوفُوا أُسْبُوعًا حَتَّىٰ كَانَ  
رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الَّذِي فَسَرَّ ذَلِكَ لَهُمْ، وَنَزَّلَتْ: ﴿أطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا  
رَسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ﴾، وَنَزَّلَتْ فِي عَلَيِّ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، فَقَالَ  
رسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَلِيٍّ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ، وَقَالَ عَلِيٌّ: أُوصِيكُمْ  
بِكِتَابِ اللَّهِ وَأَهْلِ بَيْتِيِّ، فَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا حَتَّىٰ يُورِدُهُمَا  
عَلَيَّ الْحُوْضَ، فَأَعْطَانِي ذَلِكَ، وَقَالَ: لَا تُعْلَمُوهُمْ فَهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ، وَقَالَ:  
إِنَّهُمْ لَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بَابِ هُدَىٰ، وَلَنْ يُدْخِلُوكُمْ فِي بَابِ ضَلَالٍ، فَلَوْ  
سَكَّتَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمْ يُمِّنْ مَنْ أَهْلَ بَيْتِهِ لَدَعَاهَا أَلْ فُلَانٍ وَأَلْ فُلَانٍ،  
وَلَكِنَّ اللَّهَ عَلَيْكُمْ أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ تَصْدِيقًا لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ  
عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، فَكَانَ  
عَلَيِّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَفَاطِمَةُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَأَدْخَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحْتَ

الْكِسَاءِ فِي بَيْتِ أُمٍّ سَلَمَةَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَهْلًا وَثَقَلاً، وَهُؤُلَاءِ  
أَهْلُ بَيْتِي وَثَقَلِي، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: أَلَسْتُ مِنْ أَهْلِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ،  
وَلَكِنَّهُؤُلَاءِ أَهْلِي وَثَقَلِي، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَيْهِ أَوْلَى النَّاسِ  
بِالنَّاسِ، لِكَثْرَةِ مَا بَلَغَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِقَامَتِهِ لِلنَّاسِ، وَأَخْذَهُ يَدِهِ، فَلَمَّا  
مَضَى عَلَيْهِ لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِعُ عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ أَنْ يُدْخِلَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ وَلَا  
الْعَبَّاسَ بْنَ عَلِيٍّ وَلَا وَاحِدًا مِنْ وُلْدِهِ، إِذَا لَقَالَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ: إِنَّ اللَّهَ  
تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْزَلَ فِينَا كَمَا أَنْزَلَ فِيكَ، فَأَمَرَ بِطَاعَتِنَا كَمَا أَمَرَ بِطَاعَتِكَ، وَبَلَغَ  
فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا بَلَغَ فِيكَ، وَأَذْهَبَ عَنَّا الْرِّجْسَ كَمَا أَذْهَبَهُ عَنْكَ، فَلَمَّا  
مَضَى عَلَيْهِ عَلَيْهِ كَانَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ أَوْلَى بِهَا لِكِبِيرِهِ، فَلَمَّا تُوْفِيَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ  
يُدْخِلَ وُلْدَهُ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ وَاللَّهُ عَلَيْهِ يَقُولُ: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ  
أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» [الأنفال: ٧٥]، فَيَجْعَلُهَا فِي وُلْدِهِ، إِذَا لَقَالَ  
الْحُسَيْنُ: أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَتِي كَمَا أَمَرَ بِطَاعَتِكَ وَطَاعَةَ أَبِيكَ، وَبَلَغَ فِي رَسُولِ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا بَلَغَ فِيكَ وَفِي أَبِيكَ، وَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنِي الْرِّجْسَ كَمَا أَذْهَبَ عَنْكَ  
وَعَنْ أَبِيكَ، فَلَمَّا صَارَتْ إِلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَسْتَطِعُ  
أَنْ يَدَعِيَ عَلَيْهِ كَمَا كَانَ هُوَ يَدَعِي عَلَى أَخِيهِ وَعَلَى أَبِيهِ لَوْ أَرَادَا أَنْ يَصْرِفَا  
الْأَمْرَ عَنْهُ وَلَمْ يَكُونَا لِيَفْعَلَا، ثُمَّ صَارَتْ حِينَ أَفْضَتْ إِلَى الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ  
فَجَرَى تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ  
اللَّهِ»، ثُمَّ صَارَتْ مِنْ بَعْدِ الْحُسَيْنِ لِعَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ، ثُمَّ صَارَتْ مِنْ بَعْدِ عَلِيٍّ  
بْنِ الْحُسَيْنِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا، وَقَالَ: الْرِّجْسُ هُوَ الشَّكُّ، وَاللَّهُ لَا تَشُكُّ  
فِي رَبِّنَا أَبَدًا»<sup>(١)</sup>.

(١) الكافي (ج / ١ / ص ٢٨٦ - ٢٨٨) / باب ما نصَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا وَاحِدًا فَواحدًا / ح ١).

### النقطة الثانية: الإرادة الإلهية في إذهب الرجس:

اعلم أن كل ما جاء به علماء اللغة والبيان من معنى الرجس بمقتضى الإطلاق منفي عنهم عليهما .

فالآية مطلقة، والرجس محل بألف ولام الجنس، فالآية الشريفة ترفع وتفيد نفي جميع الخبائث والقبائح وكل نقص ممكن أن يتلبّس به أحد عنهم عليهما .  
بجميع المراتب الظاهرية والباطنية.

فبمقتضى علم الله الأزلي بهذا الانصياع والإرادة التامة لطاعة الله تعالى والنابعة من ذواتهم عليهما، ولأن هذا القرب بهذه المرتبة التي لم تخطر على قلب بشير سواهم يحتاج إلى أعلى مرتبة من التطهير، يرافقها إذهب أدنى مرتبة من إذهب الرجس، أي التّنّزه عن مطلق الرجس وإن كان قليلاً.

فلكي يكونوا عليهما محلّ هذا القرب، فلا بد أن لا يكون هناك رجس ولو بأدنى مراتبه، ولا بد أن يكون هناك تطهير بأعلى مراتبه، كانت إرادة الله تعالى أن يطهّرهم، فقال: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾** (٢٢).  
قال العلامة الطاطبائي عليه السلام: (فمن المعين حمل إذهب الرجس في الآية على العصمة، ويكون المراد بالتطهير في قوله: **﴿وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾** - وقد أكّد بالصدر - إزالة أثر الرجس بإيراد ما يقابلها بعد إذهب أصلها، ومن المعلوم أن ما يقابل الاعتقاد الباطل هو الاعتقاد الحق، فتطهيرهم هو تجهيزهم بادراك الحق في الاعتقاد والعمل، ويكون المراد بالإرادة أيضاً غير الإرادة التشريعية لما عرفت أن الإرادة التشريعية التي هي توجيه التكاليف إلى المكلف لا تلائم المقام أصلاً. والمعنى: أن الله سبحانه تستمرة إرادته أن يخصّكم بموهبة العصمة بإذهب الاعتقاد الباطل وأثر العمل السيء عنكم أهل البيت وإيراد ما يزيل أثر ذلك عليكم، وهي العصمة) (١).

(١) تفسير الميزان (ج ١٦ / ص ٣١٢ و ٣١٣).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ١٦٣

\* في (الكافي) بسنده عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله عليهما السلام «أنَّ بعضَ قُرَيْشٍ قالَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِأَيِّ شَيْءٍ سَبَقْتَ الْأَنْبِيَاءَ وَأَنْتَ بُعْثَتَ آخِرَهُمْ وَخَاتَمَهُمْ؟ قَالَ: إِنِّي كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ أَمَنَ بِرَبِّي، وَأَوَّلَ مَنْ أَجَابَ حِينَ أَخَذَ اللَّهُ مِيشَاقَ النَّبِيِّينَ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ: ﴿الَّسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فَكُنْتُ أَنَا أَوَّلَ نَبِيٍّ قَالَ: بَلَىٰ، فَسَبَقْتُهُمْ بِالْإِقْرَارِ بِاللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (علل الشرائع) بسنده عن عبد السلام بن صالح الهرمي، عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب عليهما السلام، قال: «قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا أَفْضَلَ مِنِّي، وَلَا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنِّي، قَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَنْتَ أَفْضَلُ أُمَّ جَبَرِيلٍ؟ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَضَلَّ أَنْبِيَاءُ الْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ مَلَائِكَتِهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَفَضَّلَنِي عَلَىٰ جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْفَضْلُ بَعْدِي لَكَ يَا عَلِيُّ وَلِلْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِكَ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَخَدَامُنَا وَخُدَامُ حُبِّيْنَا. يَا عَلِيُّ، الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِوَلَائِتِنَا. يَا عَلِيُّ، لَوْلَا نَحْنُ مَا خَلَقَ اللَّهُ أَدَمَ وَلَا حَوَاءَ، وَلَا أَجْنَّةَ وَلَا النَّارَ، وَلَا أَسْمَاءَ وَلَا أَرْضَ، فَكَيْفَ لَا نَكُونُ أَفْضَلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَقَدْ سَبَقْنَاهُمْ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ رَبِّنَا وَتَسْبِيحِهِ وَتَمْلِيلِهِ وَتَقْدِيسِهِ؟ لِأَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ بَعْدَ خَلْقِ أَرْوَاحِنَا، فَانْطَقَنَا بِتَوْحِيدِهِ وَتَحْمِيدِهِ، ثُمَّ خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ، فَلَمَّا شَاهَدُوا أَرْوَاحَنَا نُورًا وَاحِدًا إِسْتَعْظَمُوا أَمْرَنَا، فَسَبَّحُنَا لِتَعْلَمَ الْمَلَائِكَةُ أَنَّا خَلَقْتَ مَحْلُوقَوْنَ، وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ صِفَاتِنَا، فَسَبَّحَتِ الْمَلَائِكَةُ بِتَسْبِيحِنَا، وَنَزَّهَتُهُ عَنْ صِفَاتِنَا، فَلَمَّا شَاهَدُوا عِظَمَ شَانِنَا هَلَّنَا، لِتَعْلَمَ الْمَلَائِكَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،

(١) الكافي (ج ١ / ص ٤٤١ / باب مولد النبي ﷺ ووفاته / ح ٦).

وَأَنَّا عَيْدُ وَلَسْنَا بِآهَةٍ يَحِبُّ أَنْ نُعْبَدَ مَعَهُ أَوْ دُونَهُ، فَقَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَمَّا شَاهَدُوا كَبَرَ مَحَلُّنَا كَبَرُوا، لِتَعْلَمَ الْمَلَائِكَةُ أَنَّ اللَّهَ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُتَالَ عَظَمُ الْمَحَلِّ إِلَّا يَهُ...»<sup>(١)</sup>.

### هل آية التطهير تشمل غير أهل البيت عليهم السلام؟

قد يقال: إنَّ الآية الشريفة وبسياقها تشمل نساء النبي صلوات الله عليه وسلم ولا تختصُّ بأهل البيت عليهم السلام، والسياق حجَّةً.

والجواب عنه: حجَّية السياق لو سُلِّمتْ - وهي محلُّ نقاشٍ تعرَّض له علماء الأصول -، فإنَّا نكون في المقام أنَّه قد نزل دفعَةً وجملةً واحدةً، فيكون بعضه حجَّةً على بعضٍ ومفسِّراً لما عُمِّيَ معناه وخفَّيتَ دلالته، أمَّا مع العلم بعدم النزول لجميع آيات سورة الأحزاب دفعَةً واحدةً - أو خصوص الآيات التي قيل بوحدة السياق فيها - وأنَّها نجوماً مختلفةً وفي مواطن متعددةٍ، فلا تنفع على هذا وحدة السياق كقرينةٍ على تفسير المراد بأهل البيت عليهم السلام، بل يكفينا احتمال ذلك.

ومن شواهد ذلك تعدد ذكرها على لسان النبي صلوات الله عليه وسلم على بيت الإمام علي عليه السلام والصدِّيقَةِ الطاهرة عليها السلام، كما رواه السيوطي: ... لَمَّا دخل علي صلوات الله عليه وسلم بفاطمة رضي الله عنها جاء النبي صلوات الله عليه وسلم أربعين صباحاً إلى بابها يقول: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الْصَّلَاةُ رَحْمَكُمُ اللهُ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا»<sup>(٢)</sup>، أنا حَرْبٌ لِمَا حَارَبْتُمْ، أنا سِلْمٌ لِمَا سَالَتُمْ»<sup>(٢)</sup>.

بل القرينة الداخليَّة قاضيةٌ باختلاف الخطاب بين حديثه عن نساء

(١) عَلَلُ الشَّرَائِعِ (ج١ / ص٥ - ٧ / بَاب٧ / ح١).

(٢) الْذُّكْرُ المُشَوَّرُ (ج٥ / ص١٩٩).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ١٦٥

النبي عليهما السلام وعن أهل البيت عليهما السلام، ففي الخطاب لهنّ يأتي التعبير: **﴿ثُرِدَنَ﴾** مكرّراً له ومحذراً لهنّ، وفي مخاطبتهما عليهما السلام يأتي التعبير منه **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾** مادحاً ومشيناً، وشتان بين التعبيرين.

على أنه لو سلم العموم فهو قد خصص بما ذكرناه من روایات فسرت وحصرت وحصرت أهل البيت بالأئمة والصديقية الطاهرة عليهما السلام.

بل في هذا المجال ذكر علماء الكلام ومنذ القديم العديد من القرائن على نفي دعوى دخول نساء النبي عليهما السلام في أهل البيت عليهما السلام، من شاء فليطلبهم من محلها.

\* \* \*

### الفقرة الخامسة عشر

«ثُمَّ جَعَلْتَ أَجْرَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَوَدَّتَهُمْ فِي كِتَابِكَ، فَقُلْتَ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]، وَقُلْتَ: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُم﴾ [سبأ: ٤٦]، وَقُلْتَ: ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٥٧]، فَكَانُوا هُمُ السَّبِيلُ إِلَيْكَ، وَالْمَسْلَكُ إِلَى رِضْوَانِكَ».

الفقرة الشريفة تتحدث عمّا ترتب على ما بذله النبي عليهما السلام تجاه أمته. فكونه الشخص الذي أوطى مشارق الأرض ومحاربها، وأودع علم ما كان وما يكون، وأنه مستخلص الله تعالى ومستخلص دينه، وأنه واسطة الفيض ومحرّي نزول الرحمة وكل أمر حكيم، فذات بهذه الصفات - وتقديم هذه الهمات

والمكرمات للبشرية، بل للكون - لا بد أن يترتب على ما تقوم به من أعمال لا نظير لها في عالم البشرية، بل ولا غيره، أجر عظيم على حد تعبير الآية في الدعاء. نحن نعرف جيداً أن القانون الإلهي الكوفي يقضي بأن «من يعمل مثقالاً ذرّة حيراً يرها» (الزلزلة: ٧)، وأنه سوف يرى أثرها في الدنيا أو الآخرة، بل وفيهما معاً.

فالعمل الصغير لا بد أن يقع بإزائه أجر مناسب، بل مضاعفٌ بأضعافٍ كثيرة، أقلها أن الحسنة بعشر أضعافها.

فكيف بعمل النبي ﷺ وما قدمه للأمة؟

المقطع الندي المبارك يتحدث عن ثلاثة ألوان من الأجر المترتب على تحمل الرسالة من قبل النبي ﷺ، وهي:

### الأول: الأجر على مودة الأمة لأهل البيت عليهما السلام:

فيجب على الأمة أن تود أهل البيت عليهما السلام، لأن الإسلام جعل عقداً فاشتراه المسلمون بأجر المودة، قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ»، ثم قال (عز من قائل): «فَاسْتَبِشُرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَأَيْعُثُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (التوبه: ١١١)، وكل من لم يعط هذا الأجر سيكون غاصباً.

\* وقد بوب البرقي رحمه الله في (محاسنه) بباباً كاملاً تحت عنوان: «فُلْ لَا أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى» روى فيه العديد من الروايات، منها:

ما رواه بسنده عن حجاج الحشّاب، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لابي جعفر الأحرى: «ما يقول من عندكم في قول الله تبارك وتعالى: «فُلْ لَا

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ١٦٧

أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةِ فِي الْقُرْبَى؟»، فَقَالَ: كَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ: فِي أَفْرِبَائِي مِنَ الْعَرَبِ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَكِنِّي أَقُولُ لِقَرْبَيْشِ الَّذِينَ عِنْدَنَا: هِيَ لَنَا خَاصَّةً، فَيَقُولُونَ: هِيَ لَنَا وَلَكُمْ عَامَّةً، فَأَقُولُ: خَبْرُ وِنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ شَدِيدَةٌ مِنْ خَصَّهَا؟ أَلِيْسَ إِيَّانَا خَصَّهَا حِينَ أَرَادَ أَنْ يُلَاِعِنَ أَهْلَ نَجْرَانَ أَخْذَ بِيَدِهِ عَلَيِّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَيَوْمَ بَدْرٍ قَالَ لِعَلَيِّ وَحْمَزَةَ وَعَبْيَةَ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: «فَأَبْوَا يُقْرُونَ لِي، أَفْلَكُمُ الْحُلُوَّ وَلَنَا الْمُرُّ؟!»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (تفسير القمي) بسنده عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر عليهما السلام يقول في قول الله: «قُلْ لَا أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةِ فِي الْقُرْبَى»: «يعني في أهل بيته»، قال: «جاءت الأنصار إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إنا قد آتينا ونصرنا، فخذ طائفة من أموالنا فاستعن بها على ما نابك، فأنزل الله: «قُلْ لَا أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا» يعني على النبوة، «إِلَّا الْمَوَدَّةِ فِي الْقُرْبَى» يعني في أهل بيته»، ثم قال: «ألا تراني أن الرجل يكون له صديق، وفي نفس ذلك الرجل شيء على أهل بيته فلا يسلم صدراه؟ فراراً الله أن لا يكون في نفس رسول الله شيء على أهل بيته [أمته]، ففرض عليهم المودة في القربى، فإن أخذوا أخذوا مفروضاً، وإن تركوا تركوا مفروضاً»، قال: «فانصرفوا من عنده وبغضهم يقول: عرضنا عليه أموالنا، فقال: قاتلوا عن أهل بيته من بعدي، وقالت طائفة: ما قال هذا رسول الله، واجحدوه وقالوا كما حكم الله: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا»، فقال الله: «فَإِنْ يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ» [الشورى: ٢٤...]<sup>(٢)</sup>.

(١) المحاسن ج ١ / ص ١٤٤ و ١٤٥ / ح ٤٧.

(٢) تفسير القمي (ج ٢ / ص ٢٧٥).

### الثاني: الأجر هو للناس:

قال تعالى: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ (سبأ: ٤٧).

وهو أجر يتفرع على المودة، ويتحقق منه نفس المشتري، وقد ذكرته الآية الثانية صريحاً، فإنَّ مَنْ يشتري طعاماً ليأكله كي يقي نفسه من الوقوع في الحلكة، فهو يعلم جيداً أنه لو لم يشتري الطعام فإنه سيهلك، والطعام هنا ليس بهادي وإنما هو الطعام الذي أنزله الله تعالى بواسطة أوليائه لإيصال البشرية إلى الهدف والغاية من وجودها في هذا الكون، وقد جاء السؤال عنه في الروايات الشريفة.

وممَّا ذُكر في هذا المجال:

\* في (الكافي) بسنده عن جابرٍ، عن أبي جعفرٍ عليهما السلام في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَرِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشوري: ٢٣]، قال: «مَنْ تَوَلََّ الْأَوْصِيَاءَ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَرَاتِبَ آثَارَهُمْ فَذَاكَ يَزِيدُهُ وَلَا يَةَ مَنْ مَضَى مِنَ النَّبِيِّنَ وَالْمُؤْمِنِينَ الْأَوَّلِينَ حَتَّىٰ تَصِلَّ وَلَا يَتَّهِمُ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ [النمل: ٨٩]، يُدخله الجنة، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَجَلَّ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ: ٤٧]، يقول: أجر المودة الذي لم أسائلكم غيره فهو لكم، تهتدون به وتنجون من عذاب يوم القيمة، وقال لا عذاب الله أولياء الشيطان أهل التكذيب والإنكار: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، يقول: متتكلفاً أن أسألكم ما لستم بآهليه، فقال المنافقون عند ذلك بعضهم ليغرض: أما يكفي محمدًا أن يكون قهراً علينا عشرين سنة حتى يريد أن يحمل أهل بيته على رقابنا؟ فقالوا: ما أنزل الله هذا، وما هو إلا شيء يتقوله يريد أن يرفع أهل بيته على رقابنا، ولئن قُتل محمدًا أو مات لتنزعها من أهل بيته، ثم لا نعيدها فيهم أبداً، وأراد الله عجل أن يعلم نبيه ﷺ الذي أخفوا في صدورهم وأسرروا به، فقال في كتابه عجل: ألم يقولون

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ١٦٩

افترى على الله كذباً فain يشأ الله يختتم على قلبك، يقول: لو شئت حبست عنك الوحي فلم تكلم بفضل أهل بيتك ولا بمودتهم، وقد قال الله تعالى: ويَمْحُ الله الباطل ويُحَقِّ الحق بِكَلِمَاتِهِ، يقول: الحق لا يأهله بيتك الولائية، إن الله علیم بذات الصدور ﴿٢٤﴾ [الشوري: ٢٤]، ويقول بما أقوه في صدورهم من العداوة لأهل بيتك والظلم بعدهك، وهو قول الله تعالى: وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هُلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبَصِّرُونَ ﴿٢﴾ [الأنبياء: ٣]...﴾.

**الثالث: الأجر هو اتخاذ الإسلام الحقيقي سبيلاً لله تعالى:**  
قال تعالى: ﴿فُلْ مَا أَسْتَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٥٧).

وهذا الأجر الثالث - الأجر السبيلي - أجر جعل بإزاء ما قدمه النبي ﷺ للأمة من إصاله - دين الإسلام - لها، وهو سبيل التقرب إلى الله سبحانه وتعالى الوحيد، وحيث إن هذا السبيل يكون أخذه متقوّماً بوجود واسطة للتلقي والإعطاء جاء المقطع ليؤكّد هذه الحالة، فقال: «فَكَانُوا هُمُ السَّبِيلُ إِلَيْكَ، وَالْمَسْلَكُ إِلَيْ رِضْوَانِكَ».

فمن يريد أن يصل إلى طعام مغذٍ وحلال ينفعه، ويكون سبيلاً للتقوّت والتقوية، لا بد أن يعطي أجر ذلك الطعام، بعد أن يختار المناسب منه له، ويعرف كيفية الانتفاع به واستخدامه، ليأمن ضرره، هذا في الطعام المادي المتعارف، وكذا الحال في طعام الروح وزاد التقرب، و﴿إِنَّ خَيْرَ الرَّوَادِ التَّقْوَى﴾ (البقرة: ١٩٧). ذكر العلامة المجلسي رحمه الله في (بحاره) بياناً جاء فيه: (... في الجمع بين الآيات التي وردت في أجر الرسالة، لأنَّ الله تعالى قال في موضع: ﴿قُلْ لَا

(١) الكافي (ج ٨/ ص ٣٧٩ و ٣٨٠ ح ٥٧٤).

أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ)، فَدَلَّتْ عَلَى أَنَّ الْمَوَدَّةَ أَجْرُ الرِّسَالَةِ، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: (فُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ)، أَيْ الْأَجْرُ الَّذِي سَأَلْتُكُمْ يَعُودُ نَفْعَهُ إِلَيْكُمْ، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: (فُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا)، فَيُظَهِّرُ مِنْ تَفْسِيرِهِ عَلَيْهِ لِلْمَرْدَادِ هُنَّا أَنَّ الْمَرْدَادَ بِهِ أَنَّ أَجْرَ الرِّسَالَةِ إِنَّمَا أَطْلَبَهُ مَنْ قَبْلَ قَوْلِي وَأَطَاعَنِي وَاتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا...).<sup>(١)</sup>

### اتّخاذ السُّبُلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَتَهْمَةُ الشَّرِكِ:

سِيَّمُ التَّعْرُضُ لِهَذَا الْبَحْثِ الْمَهِمِّ وَالْحَسَاسِ مِنْ مِبَاحِثِ عِلْمِ الْكَلَامِ وَالَّذِي أَضْحَى مَثَارًا لِلنَّاقَشِ الْحَادِّ مَا أَوْجَبَ تَكْفِيرَ أَعْلَمِ طَوَافَ الْمُسْلِمِينَ بِسُبْحَاجَ وَاهِيَّ وَأَسَالِيبَ مُلْتَوِيَّةٍ لَا تُسْنَدُ إِلَى حَجَّةٍ وَبِرْهَانٍ، وَتَخَالَّفَ صَرِيحُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنْنَةِ الْقَطْعَيَّةِ فِي جُوازِ هَذَا الْأَمْرِ - التَّوْسُلِ -، بَلْ وَضْرُورَةُ الْأَخْذِ بِهِ مِنْ قَبْلِ الْمُسْلِمِينَ.

\* \* \*

---

(١) بِحَارُ الْأَنْوَارِ (ج ٢٤ / ص ٣٧٠ / ذِيلُ الْحَدِيثِ ٩٤).

المبحث الثالث:

إماماة أمير المؤمنين عليه السلام هي السبيل

الوحيد للارتباط بالله بعد النبي ﷺ



## الفقرة السادسة عشر

«فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَقَامَ وَلِيَهُ عَلَيَّ بْنَ أَيِّ طَالِبٍ (صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِمَا وَآمِنَةً) هَادِيًّا، إِذْ كَانَ هُوَ الْمُنْذِرَ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِ، فَقَالَ وَالْمَلَائِكَةُ أَمَامَهُ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِّيَ مَنْ وَالْأَهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَأَخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وَقَالَ: مَنْ كُنْتُ أَنَا نَبِيًّا فَعَلَيْهِ أَمِيرُهُ، وَقَالَ: أَنَا وَعَلَيَّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ وَسَائِرُ النَّاسِ مِنْ شَجَرٍ شَتَّى، وَأَحَلَّهُ مَحَلًّا هَارُونَ مِنْ مُوسَى، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي».

الفقرة التي نحن بصدده شرحا طويلا ومرتبطة بما قبلها، وارتباطها بها بعدها أكثر وأوضح، وللحديث عنها لا بد من تسلیط الضوء بشكل مجمل على الفقرات التي بعدها - إلى أن يحين وقت شرحتها - أي إلى قوله عَلَيْهِ الْكَلَامُ: «وَلَمَّا قَضَى نَحْبَهُ وَقَتَلَهُ أَشْقَى الْأَخْرِيْنَ».

### خصائص خط الهدایة:

والحديث فيها عن الصفات التي توجب استمرار خط الهدایة الإلهیة. أمیر المؤمنین عَلَيْهِ الْكَلَامُ عمید أهل البيت عَلَيْهِ الْكَلَامُ، ورئيس الهاشمیین بعد النبی ﷺ من أهل البيت عَلَيْهِ الْكَلَامُ الذين جعلهم الباری ﷺ الحبل المتین الرابط بين السماء والأرض كتیمة للمشارطة الإلهیة التي سبق الحديث عنها، وأنهم أهل البيت

الإلهي، والذي يُمثل بيت الدين وتعاليم الإسلام، قال تعالى: **﴿فِي بُيُوتٍ أَذَنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾** (النور: ٣٦).

وحيث إنَّ الناس فُطِروا على التوجُّه جبليًّا لدخول ذلك البيت، ودعاهم التكليف للسير إليه، كان لا بدَّ من أنْ تكون عملية الهدية وإيصال الناس وإدلاهم على الدرب الموصل إلى باب ذلك البيت مستمرة إلى أنْ تنتهي الخلقة، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾** (القصص: ٥١).

وفي حديث النبي ﷺ الذي رواه العامُ والخاصُ دلالة صريحة على ذلك، حيث قال ﷺ: «... إِنَّهُ لَا يَبْغِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَّا وَأَنْتَ خَلِيفَتِي»<sup>(١)</sup>.

هذا ولغيرة ممَّا سيأتي سلَط الدعاء المبارك الحديث على أبرز عنصر استخلافي يكون نموذجًا واصحًا في بيان المشيئة الإلهية في استمرارية هذا الارتباط بين السماء والأرض ولا بدِّيَّته، فعن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نُودِيَ: أَيْنَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ؟ فَيَقُولُ دَاؤُدُّ، فَيَقُولُ: لَسْنَا أَرْدَنَاكَ وَإِنْ كُنْتَ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، فَيَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَيَأْتِي الْنَّدَاءُ: يَا مَعْشَرَ الْخَلَائِقِ، هَذَا عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَحُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِحَبْلِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَلْيَتَعَلَّقْ بِحَبْلِهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ لِيَسْتَضِي بِنُورِهِ وَيُشَيَّعَ إِلَى الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

جاء هذا المقطع من الدعاء ليحدث مفصلاً - وبما يناسب مساحة الدعاء من البيان - عن هذا الاستخلاف العظيم، قائلاً: «فَلَمَّا إِنْقَضَتْ أَيَّامُهُ أَقَامَ وَلِيَهُ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِمَا وَآلهُمَا) هَادِيًّا، إِذْ كَانَ هُوَ الْمُنْذَرُ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِ...»، متحدِّثاً عن ولاية أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْمُبَشَّةُ من ولاية رسول الله ﷺ، وعن معاداته عَلَيْهِ الْمُتَرِّبُ عليها معاداة رسول الله ﷺ، وعن نصرته والدعاء

(١) مسنَدُ أَحْمَدَ (ج / ٥ / ص ١٨٠ / ح ٣٠٦١).

(٢) مناقبُ آلِ أَبِي طَالِبٍ (ج / ٢ / ص ٢٦٢).

له بالنصرة والدعاء على من يخذه، ثم جعل الإيمان بنبوته لا يتم إلا بالإيمان بولاية علي عليهما السلام، فكل من كان نبيه محمد عليهما السلام لا بد أن يكون على عليهما السلام أميره، لأن علياً ومحمدًا من شجرة واحدة، وجميع الناس بما فيهم الأنبياء من أشجار أخرى، وهو عليهما السلام من منزلة النبي من النبي لولا ختم النبوة. فثبتت أن الهادي بعده عليهما السلام لأنّه هو المنذر، وأنّ المولى بعده عليهما السلام لأنّه هو الولي، وأنّ معاديه وخاذله خاذل لرسول الله عليهما السلام، وأنّ ناصره ناصر له لأنّ علياً عليهما السلام أمير من نبيه محمد عليهما السلام.

فهذه الصفات التي جعلها رسول الله عليهما السلام وبجعل إلهي لعلي عليهما السلام إنما هي لأجل تلك الوظيفة الكبرى التي تقع على عاتقه بعد انقضاء أيام رسول الله عليهما السلام.

ثم فرع رسول الله عليهما السلام على هذه الكمالات والصفات جملة من الخصوصيات تحدثنا عنها في عدة مقاطع سابقة وبعضها سياقى، من العصمة والعلم اللدّى والخصائص البدنية والنّسبيّة وغيرها.

### خصائص وصفات الخليفة بعد النبي محمد عليهما السلام:

أن يكون هو الهادي بعد النبي عليهما السلام:

وهذا في زماننا، بل وفي زمان سابق وسحيق ظاهر وجل، روى شيخ الطائفة قيس بن سعيد بنده عن ابن عباس، قال: لما نزلت: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِيٌ» (الرعد: ٧)، وَضَعَ رَسُولُ اللهِ عليهما السلام يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: «أَنَا الْمُنْذِرُ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِيٌ»، وَأَوْمَأَ يَدِهِ إِلَى مَنْكِبِ عَلِيٍّ عليهما السلام، فَقَالَ: «أَنْتَ الْهَادِي يَا عَلِيُّ، بِكَ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ مِنْ بَعْدِي»<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير التبيان (ج ٦ / ص ٢٢٣).

**إخراج الناس عن ولایة أمير المؤمنين عليه السلام من مصاديق القتل العمد:**

الروايات الشريفة التي تدل على كون الإمام عليه السلام عنصر الهدایة، وأنَّ الخلاف عليه يُقع في الضلال كثيرة مرّ عليك جملة منها وستقرأ كذلك جملة منها بأسنة وألفاظ مختلفة في هذا الشرح، ومن بين تلك الروايات التي بينَت فداحة قيام البعض بإضلال الناس عن أمير المؤمنين وعن ولایته عليه السلام وما هو الأثر المترتب على هذا الفعل حيث جعلته من القتل العمد، فقد روى الشيخ الطبرسي رضي الله عنه في (الاحتجاج) بإسناده عن علي بن الحسين عليهما في تفسير قوله تعالى: **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَئِكُمْ الْأَلْبَابُ...﴾** الآية [البقرة: ١٧٩]:

«**﴿وَلَكُمْ﴾** يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، **﴿فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾**، لَأَنَّ مَنْ هُمْ بِالْقَتْلِ فَعَرَفَ أَنَّهُ يُقْتَصُّ مِنْهُ فَكَفَّ لِذَلِكَ عَنِ الْقَتْلِ، كَانَ حَيَاةً لِلَّذِي هُمْ بِقْتْلِهِ، وَحَيَاةً لِهَذَا أَجْنَانِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يَقْتُلَ، وَحَيَاةً لِغَيْرِهِمَا مِنَ النَّاسِ إِذَا عَلِمُوا أَنَّ الْقِصَاصَ وَاجِبٌ لَا يَجْسُرُونَ عَلَى الْقَتْلِ مُخَافَةَ الْقِصَاصِ، **﴿يَا أُولَئِكُمُ الْأَلْبَابُ﴾** أُولَئِكُمُ الْعُقُولُ، **﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**»، ثمَّ قال عليه السلام: «عِبَادَ اللهِ، هَذَا قِصَاصٌ قَتَلْكُمْ لِمَنْ قَتُلُوكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَتُفْنُونَ رُوْحَهُ، أَفَلَا أُنْبِئُكُمْ بِأَعْظَمَ مِنْ هَذَا الْقَتْلِ، وَمَا يُوحِيهِ اللهُ عَلَى قَاتِلِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا الْقِصَاصِ؟»، قالوا: بَلَى، يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ، قَالَ: «أَعْظَمُ مِنْ هَذَا الْقَتْلِ أَنْ يَقْتُلَهُ قَتْلًا لَا يُجَرِّرُ وَلَا يَحْيَا بَعْدَهُ أَبَدًا؟»، قالوا: مَا هُوَ؟ قَالَ: «أَنْ يُضْلِلَ عَنْ بُوْبَةِ مُحَمَّدٍ، وَعَنْ وَلَايَةِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَيَسْلُكَ بِهِ غَيْرَ سَبِيلِ اللهِ، وَيُغَيِّرَ بِهِ بِاتِّبَاعِ طَرِيقِ أَعْدَاءِ عَلِيٍّ وَالْقَوْلِ بِمَا مَتَّهُمْ، وَدَفْعَ عَلِيٍّ عَنْ حَقِّهِ، وَجَحْدِ فَضْلِهِ، وَأَلَا يُبَالِي بِإِعْطَائِهِ وَاجِبَ تَعْظِيمِهِ، فَهَذَا هُوَ الْقَتْلُ الَّذِي هُوَ تَحْلِيلُ الْمَقْتُولِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُحْلَّدًا أَبَدًا، فَجَزَاءُ هَذَا الْقَتْلِ مِثْلُ ذَلِكَ الْخُلُودِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ»<sup>(١)</sup>.

(١) الاحتجاج (ج / ٢ / ص ٥٠).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ١٧٧

### أهل البيت عليهما السلام في إقامة الحجّة على العباد:

قد أولت الشريعة المقدّسة أهميّة قصوى لإقامة الدين الحقّ وجعل الحجّة،  
ولا ينبع إذا قلنا بتواتر روایات إقامة الحجّة في الأخبار والزيارات وغيرها من  
الموروث.

عن عبد الله بن حسين بن حسن، عن أبيه، عن الحسن عليهما السلام، قال:  
«خطب رسول الله عليهما السلام يوماً، فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه: معاشر الناس،  
كأني أدعى فاجب، وإنني تارك فيكم التلذين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن  
تمسّكتم بهما لئن تضلوا، فتعلّموا منهم ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم، لا يخلو  
الأرض منهم، ولو خللت إذا لساخت بأهلها»<sup>(١)</sup>.

**المخالف قبل الموالى يقر بأهميّة الإمامة في الدين وبضرورتها:**  
لقد أفرد لهذا الموضوع تصنيفات كثيرة، وأشبع البحث فيه، وتم تناوله  
من جهات متعددة.

ومن أبرز ما ورد في الروایات عندنا أنّ الوجود قائم على وجود الحجّة،  
ولولا الحجّة ووجوده لساخت الأرض بأهلها<sup>(٢)</sup>.

ومن أبرز ما جاء التعبير به عن هذه الحقيقة الدينية الثابتة، ومن أشد  
المخالفين للإمامية، أنه لو لا الإمامة لما كان للدين، بل وللنّيقيّة قيام.

(١) كفاية الأثر (ص ١٦٣).

(٢) في الكافي (ج ١ / ص ٥٣٤) / باب فيها جاء في الثاني عشر والنصّ عليهم عليهما السلام / ح ١٧) بسنده  
عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليهما السلام، قال: قال رسول الله عليهما السلام: «إنّ وراثتي عشرة من ولدي  
وأنت يا علي زر الأرض يعني أتوادها وحياتها، بناً أتواد الله الأرض أن تسيّن بأهلها، فإذا ذهب  
الإثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينطروا».

حيث ذكر مخالفونا هذا الأمر بعباراتٍ تؤكّد أنَّ وجود الحجَّة قضيَّة لا بدَّ منها، وأنَّ بها قوام الدين والدنيا<sup>(١)</sup>.

وقد سلَّط الشيخ الكليني رحمه الله الضوء في كتابه المبارك (الكافي) من خلال عدَّة أبواب على أهميَّة الحجَّة وضرورة وجود الإمام عليه السلام، وممَّا ذكره من تلك الأبواب أنَّ الأئمَّة عليهم السلام كلُّهم قائمون بأمر الله، وأنَّ الأرض لا تخلي من حجَّة، ولو لم يبقَ في الأرض إلَّا رجالان لكان أحدهما الحجَّة، وأنَّ الأئمَّة عليهم السلام هم أركان الأرض، والشهداء على الخلق، وأنَّهم المدَّة وولادة الأمر وخلفاء الله تعالى.

وممَّا جاء من تلك الأحاديث:

\* وفي (كمال الدين) بسنده عن أبي عليٍّ ابن همام، قال: سمعتُ محمدَ بنَ عثمانَ العُمرِيَّ (قدَّسَ اللهُ رُوحَهُ) يقولُ: سمعتُ أبي يقولُ: سُئلَ أبو محمدٍ الحسنُ ابنَ عليٍّ عليهما السلامُ وَأَنَا عِنْدُهُ عَنِ الْخَبِيرِ الَّذِي رُوِيَ عَنْ آبَائِهِ عليهما السلامُ أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو مِنْ حُجَّةٍ لِّهُ عَلَى خَلْقِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إِمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، فَقَالَ عليهما السلامُ: «إِنَّهُذَا حَقٌّ كَمَا أَنَّ النَّهَارَ حَقٌّ»، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَبْنَى رَسُولِ اللهِ، فَمَنْ أَحْجَجَهُ وَأَلْمَأْمَ بَعْدَكَ؟ فَقَالَ: «إِبْنِي مُحَمَّدٌ هُوَ الْإِمَامُ وَالْحُجَّةُ بَعْدِي، مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْهُ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، أَمَّا إِنَّ لَهُ غَيْرَهُ يَحْأُرُ فِيهَا الْجَاهِلُونَ، وَيَهْلِكُ فِيهَا الْمُبْطَلُونَ، وَيَكْذِبُ فِيهَا الْوَقَائُونَ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَكَانَى أَنْظُرٌ إِلَى الْأَعْلَامِ الْيِضِّيَّ تَخْفِقُ فَوْقَ رَأْسِهِ بِنَجْفِ الْكُوفَةِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع: مجموعة الفتاوى لابن تيمية (ص ٣٩٠)؛ وممَّا جاء فيه: (يجب أنْ يُعرف أنَّ ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلَّا بها).

(٢) كمال الدين (ص ٤٠٩ / باب ٣٨ / ح ٩).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ١٧٩

### أهل البيت عليهما السلام قوام الدين:

كون أهل البيت عليهما السلام قوام الدين وهم قام وسيقى هو مفاد عدّة روایات تقدّم بعضها ولو بنحو الملازمة أو الإشارة، ومنها الآتي:

\* وفي (كامل الزيارات) روى الشيخ الأقدم ابن قولويه في زيارة أمير المؤمنين عليهما السلام: «الحمد لله الذي أكرمني بمعرفته ومعرفة رسوله عليهما السلام ومن فرض الله طاعته، رحمة منه لي، وتطولا منه على بالإيمان...، اللهم صل على الأئمة من ولديه، القوامين بأمرك من بعده، المطهرين الذين ارنتصيتهم أنصاراً لدينك، وحفظة لسرك، وشهداء على خلقك، وأعلاماً لعبادك...»<sup>(١)</sup>.

### بقاء الحق في الأمة ببقاء الإمام عليهما السلام:

من بديهيّات العقائد الإسلامية أن الحق في أمّة الإسلام، وقد أقام علماء الكلام على هذا الأصل عدّة أدلة، وتفرّع عليه العديد من المسائل الكلامية، واستفاد منه جملة من أعيان الطائفة في إثبات بقاء الإمام واستمرارها. فلأجل الأصل المتقدّم في ضرورة الإمام في كل زمان، والإمام هو الحق فيتفرّع عليه بقاء الحق.

وكيفما كان، فقد ذُكر هذا الأصل في كلمات الأعيان:

\* في (الغيبة للطوسي): (ومتى نوزعنا في ثبوت إمامته دلّنا عليها بأن نقول: قد ثبت وجوب الإمامة مع بقاء التكليف على من ليس بمعصوم في جميع الأحوال والأعصار بالأدلة القاهرة، وثبت أيضاً أنّ من شرط الإمام أن يكون مقطوعاً على عصمه، وعلمنا أيضاً أنّ الحق لا يخرج عن الأمة).

ثم قال عليه السلام بعد ذلك بعدة صفحات ما نصّه: (... وأمّا الأصل الثالث

(١) كامل الزيارات (ص ٩٥ - ٩٧). ح ٩٥

وهو أنَّ الحقَّ لا يخرج عن الأُمَّةِ، فهو متفقٌ عليه بيننا وبين خصومنا وإنَّ اختلفنا في علَّةِ ذلك. لأنَّ عندنا أنَّ الزَّمان لا يخلو من إمام معصوم لا يجوز عليه الغلط على ما قلناه، فإذاً الحقُّ لا يخرج عن الأُمَّةِ لكون المعصوم فيهم. وعند المخالف لقيام أدلة يذكرونها دلَّت على أنَّ الإجماع حَجَّةٌ، فلا وجه للتشاغل بذلك. فإذا ثبتت هذه الأُصول ثبت إماماً صاحب الزَّمان عَلَيْهِ السَّلَامُ ...<sup>(١)</sup>.

\* وفي (كمال الدين) بسنده عن الحسن بن أبي حمزة الثمالي، عن أبيه، قال: سمعت أبا جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَقُولُ: «لَنْ تَخْلُو الْأَرْضُ إِلَّا وَفِيهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُعْرِفَةِ الْحَقَّ، فَإِذَا زَادَ النَّاسُ فِيهِ قَالَ: قَدْ زَادُوا، وَإِذَا نَقْصُوا مِنْهُ قَالَ: قَدْ نَقْصُوا، وَإِذَا جَاءُوا بِهِ صَدَقَهُمْ، وَلَوْلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذِيلَكَ لَمْ يُعْرِفِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ»، قال عبد الحميد بن عواض الطائي: بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَسِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ أَبِي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَسِعْتُهُ مِنْهُ<sup>(٢)</sup>.

### سُنَّةُ إِرْسَالِ الرُّسُلِ وَالْهُدَىْيَةُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ:

تقدَّمَ في طيَّاتِ الابحاث السابقة الحديث عن سُنَّةِ اللهِ تَعَالَى في إِرْسَالِ الرُّسُلِ إِلَى كُلِّ الأُمَّمِ السابقة، وختِّمها بِإِرْسَالِ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى هذه الأُمَّةِ، بل جَمِيعِ الأُمَّمِ، وجعلَ فيها الْهُدَاةُ وَالْمُنْذِرِينَ مِنْ بَعْدِهِ لِكُلِّ النَّاسِ. وهذه سُنَّةُ تَكْوينِيَّةِ دلَّتْ عَلَيْهَا بعْضُ الْآيَاتِ المُتَقْدِّمةِ، وصَرَّحَتْ بِهَا الْرَوَايَاتُ الَّتِي لَا يَبْعُدُ تَوَاتِرُهَا الْمَعْنَوِيُّ، وَمَمَّا دَلَّ عَلَيْهَا مَضَافًا إِلَى مَا سُبِقَ عَدَّةَ رَوَايَاتٍ، منها:

\* في (الغيبة للطوسي) بسنده عن سعيد بن عبد الله الأشعري، قال: حَدَّثَنَا الشَّيْخُ الصَّدُوقُ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ سَعْدٍ الْأَشْعَرِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ جَاءَهُ بَعْضُ

(١) الغيبة للطوسي (ص ٤ و ١٧).

(٢) كمال الدين (ص ٢٢٢ و ٢٢٣ / باب ٢٢ / ح ١٢).

أَصْحَابِنَا يُعْلَمُهُ أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ عَلَيٍّ كَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يُعرِّفُهُ فِيهِ نَفْسَهُ، وَيُعْلَمُهُ أَنَّهُ الْفَقِيمُ بَعْدَ أَخِيهِ، وَأَنَّ عِنْدَهُ مِنْ عِلْمٍ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ مَا يُخْتَاجُ إِلَيْهِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ كُلُّهَا...، إِلَى أَنْ قَالَ عَلِيًّا: «يَا هَذَا يَرْحُمُكَ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ عَبْشَا، وَلَا أَهْمَلَهُمْ سُدَّى، بَلْ خَلَقَهُمْ بِقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَ لَهُمْ أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا وَقُلُوبًا وَأَلْبَابًا، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِمُ النَّبِيِّنَ عَلِيًّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، يَأْمُرُونَهُمْ بِطَاعَتِهِ، وَيَنْهَاوْهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَيُعْرِفُونَهُمْ مَا جَهَلُوهُ مِنْ أَمْرٍ خَالِقِهِمْ وَدِينِهِمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَائِكَةً يَأْتِيَنَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ بَعَثَهُمْ إِلَيْهِمْ بِالْفَضْلِ الَّذِي جَعَلَهُمْ لَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَمَا آتَاهُمْ مِنَ الدَّلَالِيَّاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَرَاهِينِ الْبَاهِرَةِ وَالآيَاتِ الْغَالِبَةِ، فَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ النَّارَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا وَاتَّخَذَهُ خَلِيلًا، وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَمَهُ تَكْلِيْمًا وَجَعَلَ عَصَاهُ ثُعْبَانًا مُبِينًا، وَمِنْهُمْ مَنْ أَحْيَا الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَلَمَهُ مَنْطِقَ الْطَّيْرِ وَأُوْتِيَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ بَعَثَ مُحَمَّدًا صلوات الله عليه رَحْمَةً لِلْعَالَمَيْنَ، وَتَمَّ بِهِ نِعْمَتُهُ، وَخَتَمَ بِهِ أَنْبِيَاءً، وَأَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأَظْهَرَ مِنْ صِدْقَهِ مَا أَظْهَرَ، وَبَيَّنَ مِنْ آيَاتِهِ وَعَلَامَاتِهِ مَا بَيْنَ، ثُمَّ قَبَضَهُ صلوات الله عليه حَيْدَارًا فَقِيدًا سَعِيدًا، وَجَعَلَ الْأَمْرَ [مِنْ] بَعْدِهِ إِلَى أَخِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ وَوَصِيِّهِ وَوَارِثِهِ عَلَيْهِ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلِيًّا، ثُمَّ إِلَى الْأَوْصِيَاءِ مِنْ وُلْدِهِ وَاحِدًا وَاحِدًا، أَحْيَا بِهِمْ دِينَهُ، وَأَتَمَّ بِهِمْ نُورَهُ...»<sup>(١)</sup>.

وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا الْمَعْنَى - كَمَا قُلْنَا - مَتَوَاتِرَةٌ.

فيجب على الناس بعد هذا الإرسال ووضوح هذه السنن اتباع أعلام المداية والسير وراء الحق الذي أصرح عنه أهل البيت عليهما السلام، امثلاً لقوله تعالى: «وَلَوْ أَنَا أَهْلَكُنَا هُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّيَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَذَلَّ وَتَخْرُجَ» ٣٦ (طه: ١٣٤).

(١) الغيبة للطوسي (ص ٢٨٧ و ٢٨٨ / ح ٢٤٦).

**الإمام علي عليه السلام هو الولي بعد النبي ﷺ :**

يترتب على إمامية أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهما كل ما يترتب على ولادة النبي ﷺ من وجوب النصرة والولاية والدعاء لمن نصره وعلى من خذله.

وممّا ورد في ذلك من النصوص - وهي كثيرة -:

\* في (كتاب سليم بن قيس): كلام الحسن البصري عن فضائل أمير المؤمنين عليهما: قال أبان: وحدّثت بهذا الحديث الحسن البصري عن أبي ذر، فقال: (صدق سليم، وصدق أبو ذر). لعلي بن أبي طالب السابقة في الدين والعلم والحكمة والفقه، وفي الرأي والصحبة، وفي الفضل، وفي البسطة، وفي العشيرة، وفي الصهر، وفي النجدة في الحرب، وفي الجود، وفي الماعون، وفي العلم بالقضاء، وفي القرابة للرسول، والعلم بالقضاء والفصل، وفي حسن الblade في الإسلام. إنَّ علياً في كل أمره علي، فرحم الله علياً وصلَّى عليه)، ثم بكى حتى بل حيته، قال: فقلت له: يا أبا سعيد، أتقول لأحد غير النبي ﷺ إذا ذكرته؟ فقال: (ترحَّم على المسلمين إذا ذكرتهم، وصلَّى على محمد وآل محمد، وإنَّ علياً خير آل محمد)، فقلت: يا أبا سعيد، خير من حمزة ومن جعفر ومن فاطمة ومن الحسن والحسين؟ فقال: (إي والله، إنَّه خير منهم، ومن يشكُّ أنه خير منهم؟)، فقلت له: بما ذا؟ قال: (إنه لم يجرِ عليه اسم شرك ولا كفر ولا عبادة صنم ولا شرب خمر. وعلى خير منهم بالسبق إلى الإسلام، والعلم بكتاب الله وسُنة نبيه. وإنَّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة عليهما: «رَوَّجْتِكَ خَيْرًا مَتَّيْ»، فلو كان في الأمة خيراً منه لاستثناه. وإنَّ رسول الله ﷺ أخى بين أصحابه، وأخى بين علي ونفسه، فرسول الله خيرهم نفساً وخيرهم أخاً. ونصبه يوم غدير خُم، وأوجب له من الولاية على الناس مثل ما أوجب لنفسه، فقال: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ»).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ١٨٣

وقال له: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»، ولم يقل ذلك لأحدٍ من أهل بيته، ولا لأحدٍ من أئمته غيره. وله سوابق كثيرة ومناقب ليس لأحدٍ من الناس مثلها، قال: فقلت له: من خير هذه الأمة بعد علي عليهما السلام؟ قال: (زوجته وابناه...).<sup>(١)</sup>

\* وفي (الكافي) بسنده عن عبد الحميد بن أبي الدليل، عن أبي عبد الله عليهما السلام، قال: «أوصى موسى عليهما السلام إلى يوشع بن نون، وأوصى يوشع بن نون إلى ولد هارون، ولم يوص إلى ولده ولا إلى ولد موسى، إن الله تعالى له الخيرية، يختار من يشاء من يشاء...، وكان رسول الله عليهما السلام يتلقهم، ويستعين ببعضهم على بعض، ولا يزال يخرج لهم شيئاً في فضل وصييه حتى نزلت هذه السورة، فاختَّ عليهم حين أعلم بمورته ونعيت إليه نفسه، فقال الله (جل ذكره): «فإذا فرغت فانصب <sup>﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾</sup> [الشرح: ٧ و ٨]، يقول: إذا فرغت فانصب علماك، وأعلن وصييك، فأعلمهم فضله علانية، فقال الله عليهما السلام: من كنت مولاه فعليه مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه - ثلاثة مرات -، ثم قال: لا بعثن رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ليس بفارار، يعرض بمن رجع يحب أصحابه ويحبونه، وقال عليهما السلام علي سيد المؤمنين، وقال: على عمود الدين...».<sup>(٢)</sup>

أمير المؤمنين وأهل البيت عليهما السلام من شجرة النبي ﷺ:

وهذا المعنى وردت فيه العديد من النصوص الروائية والتي تصرّح أنَّ أمير المؤمنين عليهما السلام هو فرع شجرة النبوة، وأنَّ الامتداد الطبيعي للنبي محمد ﷺ، ولم

(١) كتاب سليم بن قيس (ص ١٦٧).

(٢) الكافي (ج ١ / ص ٢٩٣ - ٢٩٦ / باب الإشارة والنص على أمير المؤمنين عليهما السلام / ح ٣).

يقتصر بيان هذا المعنى من النبي ﷺ على المثاليل المطابقية، بل بينه بعدة أئحاء كأحاديث الطينة والإشهاد والنورانية وغيرها مما مرّ عليك بعضها وما سنذكره في هذا الشرح. وما ورد في ذلك:

\* في (نهج البلاغة): «أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ»<sup>(١)</sup>، «نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَمَحَطُ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلِفُ الْمَلَائِكَةِ»<sup>(٢)</sup>، «وَعِنْدَنَا أَهْلُ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الْأَمْرِ»<sup>(٣)</sup>، «إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبِقُوا»<sup>(٤)</sup>.

\* وفي (الكافي) بسنده عن خيثمة، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا خيثمة، نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، وَبَيْتُ الرَّحْمَةِ، وَمَفَاتِيحُ الْحِكْمَةِ، وَمَعْدِنُ الْعِلْمِ، وَمَوْضِعُ الرِّسَالَةِ، وَمُخْتَلِفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَوْضِعُ سَرِّ اللَّهِ، وَنَحْنُ وَدِيْعَةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ، وَنَحْنُ حَرَمُ اللَّهِ الْأَكْبَرُ، وَنَحْنُ ذَمَّةُ اللَّهِ، وَنَحْنُ عَهْدُ اللَّهِ، فَمَنْ وَفَى بِعَهْدِنَا فَقَدْ وَفَى بِعَهْدِ اللَّهِ، وَمَنْ خَفَرَهَا فَقَدْ خَفَرَ ذَمَّةَ اللَّهِ وَعَهْدَهُ»<sup>(٥)</sup>.

### إحلال النبي ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام محله كما أحل موسى هارون عليهما م محله:

لقد أحلَّ النبيُّ الأَكْرَمُ ﷺ الإمامَ عَلَيْهِ الْمَدْحُورَ مَحْلَه كَمَحْلٍ هارونَ مِنْ مُوسَى عليهما مَحْلُونَ، فَمَنْ مَنَعَ الصَّادُونَ وَالْمُزُورُونَ لِلتَّارِيخِ وَالْحَقَائِقِ عَنِ التَّهَامِسِ مَوْقِعُ هَذَا الرَّجُلِ الْعَظِيمِ، فَلِيَلْتَمِسَّ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ طَرِيقًا، وَهُوَ كِتَابُ الْهَدَايَا

(١) نهج البلاغة (ص ١٤٦ / الخطبة ١٠٠).

(٢) نهج البلاغة (ص ١٦٢ و ١٦٣ / الخطبة ١٠٩).

(٣) نهج البلاغة (ص ١٧٦ / ح ١٢٠).

(٤) نهج البلاغة (ص ٢١٥ / الخطبة ١٥٤).

(٥) الكافي (ج ١ / ص ٢٢١ / باب أَنَّ الْأَئِمَّةَ عَلَيْهِمُ الْمَدْحُورَ مَعْدِنُ الْعِلْمِ... / ح ٣).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ١٨٥

ليهتدى به إليه، ليقرأ قصة هارون وما جرى عليه سيفجدها تجلت في علي عليهما السلام وكأنه إنما ذكرت لهذا الغرض ليس إلا، فليتأمل من يبحث عن الحجّة بينه وبين رب العباد.

وممّا ورد في ذلك:

\* في (تفسير القمي) روى الله في حادثة استخلاف أمير المؤمنين عليهما السلام في المدينة وجعل النبي عليهما السلام له بمنزلة هارون عليهما السلام: فلما اجتمع لرسول الله عليهما السلام الخيول رحل من ثنية الوداع وخلف أمير المؤمنين عليهما السلام على المدينة، فآوْجَفَ المُنَافِقُونَ بِعَلِيٍّ عَلَيْهِمَا، فَقَالُوا: مَا خَلَفَهُ إِلَّا شَوُّمًا بِهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا، فَأَخَذَ سَيِّفَهُ وَسَلَاحَهُ وَلَحَقَ بِرَسُولِ اللهِ بِالْجُرْفِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ: يَا عَلِيُّ، أَمْ أُخَلِّفُكَ عَلَى الْمَدِينَةِ؟، قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ زَعَمُوا أَنَّكَ خَلَفْتَنِي شَوُّمًا بِي»، فَقَالَ: «كَذَبَ الْمُنَافِقُونَ، يَا عَلِيُّ، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ أَخِي وَأَنَا أَخُوكَ، بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا تَبِي بَعْدِي؟ وَإِنْ كَانَ بَعْدِي تَبِي لَقُلْتُ: أَنَّتَ، وَأَنْتَ خَلِيقَتِي فِي أُمَّتِي، وَأَنْتَ وَزِيرِي وَأَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، فَرَجَعَ عَلِيٌّ عَلَيْهِمَا إِلَى الْمَدِينَةِ<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

---

(١) تفسير القمي (ج / ١) ص ٢٩٢ و ٢٩٣.



المبحث الرابع:

خصائص فاطمة الزهراء عليها السلام

ومقامها وكونها كفؤاً على عليه السلام



## الفقرة السابعة عشر

«وَزَوْجُهُ ابْنَتُهُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمَيْنَ».

فاطمة عليها السلام التي كانت بمقتضى المشيئة الإلهية عنصر الربط الإلهي بين النبوة والإمامية.

ولأنَّ عَلِيًّا عليه السلام حاز مؤهلات الإمامية، فالنتيجة الطبيعية أنْ يُزوجه النبيُّ الخاتم صلوات الله عليه وآله وسلامه ابنته سيدة نساء العالمين عليها السلام بأمر من الله تعالى، كي يتفرع منها أغصان شجرة الإمامية، فجاء الدعاء ليقول: «وَزَوْجُهُ ابْنَتُهُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمَيْنَ».

وقد ورد في هذا المعنى عدَّة روايات منها:

\* في (تهديب الأحكام) بسنده عن المفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ [عليه السلام] لَمْ يَكُنْ لِفَاطِمَةَ عليها السلام كُفُوْ عَلَى ظَهَيرِ الْأَرْضِ، آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (مكارم الأخلاق): عن زين العابدين عليه السلام قال: «خطبَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه وآله وسلامه حِينَ زَوَّجَ فَاطِمَةَ عليها السلام مِنْ عَلِيٍّ عليه السلام، فَقَالَ: أَحْمَدُ اللَّهَ الْمَحْمُودَ بِنِعْمَتِهِ، الْمَعْبُودُ بِقُدْرَتِهِ، الْمُطَاعُ بِسُلْطَانِهِ، الْمَرْهُوبُ مِنْ عَذَابِهِ وَسَطْوَتِهِ، الْمَرْغُوبُ إِلَيْهِ فِيمَا عِنْدَهُ، الْتَّافِذُ أَمْرُهُ فِي سَمَاءِهِ وَأَرْضِهِ. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَزْوَاجَ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيٍّ [بْنِ أَبِي طَالِبٍ]، فَقَدْ زَوَّجْتُهُ عَلَى أَرْبَعِيَّاتِ مِثْقَالٍ فِضَّةٍ إِنْ رَضِيَ بِذَلِكَ

(١) تهديب الأحكام (ج ٧ / ص ٤٧٠ / ح ١٨٨٢ / ٩٠).

عَلَيْهِ. ثُمَّ دَعَا اللَّهُ بِطَبَقٍ [مِنْ] بُسْرٍ<sup>(١)</sup>، ثُمَّ قَالَ: إِنْتَهُبُوا، فَيَبِينَا نَنْتَهِبُ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ، فَقَبَسَمَ النَّبِيُّ اللَّهُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَلَيْهِ، أَعْلَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَمْرَنِي أَنْ أُزُوّجَكَ فَاطِمَةَ؟ فَقَدْ رَوَجْتُكُمَا عَلَى أَرْبَعِعَاتَةٍ مِثْقَالٍ فِصَّةٍ إِنْ رَضِيتَ، فَقَالَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ: رَضِيتُ بِذَلِكَ عَنِ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ اللَّهُ: جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَكُمَا، وَأَسْعَدَ جَدَّكُمَا، وَبَارَكَ عَلَيْكُمَا، وَأَخْرَجَ مِنْكُمَا كَثِيرًا طَيْبًا<sup>(٢)</sup>.

\* قال الشيخ الصدوق عليه السلام في (الاعتقادات): (وَأَمَّا فاطمة (صلوات الله عليها)، فاعتقادنا فيها أَنَّهَا سَيِّدَة نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَأَنَّ اللَّهَ يَغْضِبُ لِغَضِيبِهَا، وَيَرْضِي لِرَضَاها، وَأَنَّهَا خَرَجَتْ مِنَ الدُّنْيَا سَاخِطَةٌ عَلَى ظَالِمِهَا وَغَاصِبِهَا وَمَانِعِ إِرْثِهَا)<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

(١) نوع من أنواع التمر.

(٢) مكارم الأخلاق (ص ٢٠٧).

(٣) الاعتقادات في دين الإمامية (ص ١٠٥).

المبحث الخامس:

## بعض خصائص وفضائل

أمير المؤمنين عليه السلام



## الفقرة الثامنة عشر

«وَأَحَلَّ لَهُ مِنْ مَسْجِدِهِ مَا حَلَّ لَهُ، وَسَدَّ الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَهُ، ثُمَّ أَوْدَعَهُ عِلْمَهُ وَحِكْمَتَهُ، فَقَالَ: أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَيُّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ وَالْحِكْمَةَ فَلْيَأْتِهَا مِنْ بَابِهَا، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ أَخِي وَوَصِيِّي وَوَارِثِي، لَهُمُكَ مِنْ لَحْمِي، وَدَمُكَ مِنْ دَمِي، وَسِلْمُكَ سِلْمِي، وَحَرْبُكَ حَرْبِي، وَالْإِيمَانُ مُخَالِطٌ لَهُمُكَ وَدَمُكَ كَمَا خَالَطَ لَحْمِي وَدَمِي، وَأَنْتَ غَدَّاً عَلَى الْحَوْضِ خَلِيفَتِي، وَأَنْتَ تَقْضِي دِينِي، وَتُنْجِزُ عَدَاتِي، وَشَيْعَتُكَ عَلَى مَنَابِرِ مِنْ نُورٍ مُّبِيِّضَةٍ وُجُوهُهُمْ حَوْلِي فِي الْجَنَّةِ وَهُمْ جِرَانِي».

ذكرنا فيما سبق بعض فضائل الإمام علي عليه السلام والتي منها الولاية والزواج و....، ثم يستمر الدعاء بذكر خصائص وفضائل أخرى له، وهي: جملة من الآثار التي يتحدث كل واحد منها عن بعد وزاوية من خصائص وصفات وكمالات أمير المؤمنين عليه السلام، وكل واحد منها يشير بطبيعة الحال إلى بعد من أبعاد الإمام علي عليه السلام، وليس لنا إدراك هذه الخصائص والحقائق والآثار لو لا أن أهل البيت عليه ذكروها وبينوا ما يتربّط عليها وما توجّبه وكيف وُجِدت. وما ذكره الدعاء المبارك منها:

**اشتراك النبي ﷺ والولي علیهم السلام في خصائص محددة من المسجد النبوي:**  
 المعروف فقهياً وعند جميع المذاهب الإسلامية - إلّا من شدّ - حرمة  
 الدخول لمن به الأحداث الكبرى في المساجد، وتشتّد هذه الحرمة في خصوص  
 المسجدين - المسجد الحرام والمسجد النبوi - .

وقد ثبت استثناء النبي ﷺ، وألحق به الإمام علي علیهم السلام بدليل خاصٌ،  
 وهذا الاستثناء مختص بهما دون غيرهما.

روى الشيخ الكليني روى في (الكافي) بسنده عن أبي حمزة الثمالي، عن عبد  
 أبي جعفر علیهم السلام، قال: «... فَأَوْحَى اللَّهُ عَبْدَكَ إِلَيَّ نَبِيٍّ عَلِيهِ السَّلَامُ أَنْ طَهَرَ مَسْجِدَكَ  
 وَأَخْرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ مَنْ يَرْقُدُ فِيهِ بِاللَّيْلِ، وَمُرْسَدٌ أَبُوابٌ مَّنْ كَانَ لَهُ فِي مَسْجِدِكَ  
 بَابٌ إِلَّا بَابَ عَلِيٍّ عَلِيهِ السَّلَامُ وَمَسْكَنَ فَاطِمَةَ عَلِيَّا، وَلَا يَمْرَنَ فِيهِ جُنُبٌ، وَلَا يَرْقُدُ فِيهِ  
 غَرِيبٌ»، قال: «فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ عَلِيهِ السَّلَامُ بِسَدِّ أَبْوَابِهِمْ إِلَّا بَابَ عَلِيٍّ عَلِيهِ السَّلَامُ، وَأَقْرَبَ  
 مَسْكَنَ فَاطِمَةَ عَلِيَّا عَلَى حَالِهِ...»<sup>(١)</sup>.

فكون الإمام علیهم السلام أحلّ له من مسجد رسول الله علیهم السلام ما حلّ له، يشير إلى  
 البعد المادي ومرتبة القدسية للإمام، ولما لمسجد رسول الله علیهم السلام من مكانة  
 ولزوم الطهارة على الغير، وأن الإمامة مطهرة ذاتاً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ  
 لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظْهِرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].  
 وحيث إن الإمام علیهم السلام اكتسب ذلك بنص النبي ﷺ ذكر الدعاء هذا الأمر،  
 وهو مفروغ عنه كما في الروايات الشريفة، ونقلنا بعضها.

ثم تحدث الدعاء عن أثر آخر ملازم للإحلال ويقتضيه الإحلال، وهو أنه  
 لا باب يصدر منه إلّا الباب الذي يفتح بأمر رسول الله علیهم السلام، فقال الدعاء:

(١) الكافي (ج ٥ / ص ٣٣٩ و ٣٤٠ / باب أن المؤمن كفو المؤمنة / ح ١).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ١٩٥

«وَسَدَّ الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَهُ»، وهنا قد يسأل سائل: لماذا سدّ الأبواب إلّا بابه، وأحل له وحده ما حلّ له من مسجده؟

### إيداع العلم والحكمة النبوية في الإمام عليهما السلام:

جاء الدعاء ليتحدث عن صفة من صفات الإمام عليهما السلام في إطار حديثه عن خصائص الإمام عليهما السلام، فقال: «ثُمَّ أَوْدَعَهُ عِلْمَهُ وَحِكْمَتَهُ»، إجابةً لما يمكن أنْ يتواهّم من سائل عن علة فتح بابه وحده وتحليل المسجد له وحده.

والروايات التي تتحدث عن علومهم وكيفية تلقّيهم العلم عديدة ومختلفة  
- يأتي التعرض لجملة منها قریباً -، ولا يعد توادرها المعنوي.

### أهل البيت عليهما السلام عندهم علم الكتاب:

وما جاء في هذا المعنى ما روي عن عبد الله بن الوليد السمان، قال: قال أبا قرطبة عليهما السلام: «يا عبد الله، ما تقول في عليٍّ وموسى وعيسى؟»، قلت: ما عسى أن أقول فيهم؟! قال: «هو والله أعلم منهما»، ثم قال: «ألسنت تقولون: إنَّ لِعَلَيِّ مَا لِرَسُولِ اللهِ مِنَ الْعِلْمِ؟»، قلت: نعم، والناسُ يُنكِرونَ، قال: «فَخَاصِّمُهُمْ فِيهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: 『وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ』» [الأعراف: ١٤٥]، فَعَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ تَكُنْ لَهُ الشَّيْءَ كُلُّهُ. وَقَالَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَلَا يَبْيَغُ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ» [الزخرف: ٦٣]، فَعَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يُبَيِّنِ الْأَمْرَ كُلُّهُ. وَقَالَ مُحَمَّد ﷺ: «وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هُوَلَاءِ وَنَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ» [النحل: ٨٩]، قال: فَسُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: «فُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِكُمْ وَمَنْ عِنْدُهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» [الرعد: ٤٣]، قال: «وَاللَّهُ إِيَّا نَّا عَنِّي، وَعَلَيْنَا أَوْلُنَا وَأَفْضَلُنَا وَخَيْرُنَا بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ»، وَقَالَ: «إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي نَزَلَ

بِهِ آدَمُ عَلَى حَالِهِ عِنْدَنَا، وَلَيْسَ يَمْضِي مِنَّا عَالَمٌ إِلَّا حَلَفَهُ مَنْ يَعْلَمُ عِلْمَهُ، وَالْعِلْمُ  
يُتَوَارَثُ<sup>(١)</sup>.

### علومهم عليهم السلام آثار من رسول الله ﷺ، ويتوارثونها بينهم:

يجمعها عدّة أحاديث بوب لها الشيخ الكليني رحمه الله باباً تحت عنوان:

(جهات علوم الأئمة عليهم السلام، وما ورد فيه وفي غيره:

\* وَعَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فَقُلْتُ لَهُ: جَعَلْتُ  
فِدَاكَ، إِنِّي أَسْأَلُكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ هَاهُنَا أَحَدُ يَسْمَعُ كَلَامِي؟ قَالَ: فَرَفَعَ أَبُو عَبْدِ  
اللَّهِ عليه السلام سِترًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَيْتِ أَخَرَ، فَاطَّلَعَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، سَلْ عَمَّا بَدَا  
لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: جَعَلْتُ فِدَاكَ، إِنَّ شِيعَتَكَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم  
عَلَيْهِ عليه السلام بَابًا يُفْتَحُ لَهُ مِنْهُ أَلْفُ بَابٍ، قَالَ: فَقَالَ: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، عَلَمَ رَسُولُ  
اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم عَلَيْهِ عليه السلام أَلْفَ بَابٍ يُفْتَحُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفُ بَابٍ»، قَالَ: قُلْتُ: هَذَا  
وَاللهُ الْعِلْمُ، قَالَ: فَنَكَتْ سَاعَةً فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَمَا هُوَ بِذَاكَ»،  
قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، وَإِنَّ عِنْدَنَا أَجْمَعَةً، وَمَا يُدْرِيْهُمْ مَا أَجْمَعَةً»، قَالَ:  
قُلْتُ: جَعَلْتُ فِدَاكَ، وَمَا أَجْمَعَةً؟ قَالَ: «صَحِيفَةٌ طُوْلُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ  
رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وسلم، وَإِمْلَاهُ مِنْ فَلْقٍ فِيهِ وَخَطٌّ عَلَيْهِ يَمِينِهِ، فِيهَا كُلُّ حَلَالٍ وَحَرَامٍ  
وَكُلُّ شَيْءٍ يَكْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ حَتَّى الْأَرْشُ فِي الْحُدْشِ»، وَصَرَبَ بِيَدِهِ إِلَيَّ، فَقَالَ:  
«تَأْذُنْ لِي يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟»، قَالَ: قُلْتُ: جَعَلْتُ فِدَاكَ، إِنَّمَا أَنَا لَكَ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ،  
قَالَ: فَغَمَزَنِي بِيَدِهِ وَقَالَ: «حَتَّى أَرْشُ هَذَا» كَانَهُ مُغَضِّبٌ، قَالَ: قُلْتُ: هَذَا وَاللهُ  
الْعِلْمُ، قَالَ: «إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ»، ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «وَإِنَّ عِنْدَنَا  
أَجْنَفَرَ، وَمَا يُدْرِيْهُمْ مَا أَجْنَفُر»، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا أَجْنَفُر؟ قَالَ: «وِعَاءٌ مِنْ أَدَمَ فِيهِ

(١) الخرائج والجرائح (ج ٢ / ص ٧٩٨ - ٨٠٠) ح ٨.

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ١٩٧

عِلْمُ الْبَيْنَ وَالْوَصِيْنَ وَعِلْمُ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ مَضَوْا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ»، قَالَ: قُلْتُ: إِنَّ هَذَا هُوَ الْعِلْمُ، قَالَ: «إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ»، ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «وَإِنَّ عِنْدَنَا مُصْحَّفٌ فَاطِمَةَ عَلَيْكَا، وَمَا يُدْرِيْهُمْ مَا مُصْحَّفٌ فَاطِمَةَ عَلَيْكَا»، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا مُصْحَّفٌ فَاطِمَةَ عَلَيْكَا؟ قَالَ: «مُصْحَّفٌ فِيهِ مِثْلُ قُرْآنِكُمْ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَاللهُ مَا فِيهِ مِنْ قُرْآنِكُمْ حَرْفٌ وَاحِدٌ»، قَالَ: قُلْتُ: هَذَا وَاللهُ الْعِلْمُ، قَالَ: «إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَمَا هُوَ بِذَاكَ»، ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ عِنْدَنَا عِلْمٌ مَا كَانَ وَعِلْمٌ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ»، قَالَ: قُلْتُ: جَعَلْتُ فِدَاكَ، هَذَا وَاللهُ هُوَ الْعِلْمُ، قَالَ: «إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ»، قَالَ: قُلْتُ: جَعَلْتُ فِدَاكَ، فَأَيُّ شَيْءٍ أَعْلَمُ؟ قَالَ: «مَا يَحْدُثُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِ الْأَمْرِ، وَالشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

### الإمام عليهما السلام أخو النبي عليهما السلام ووصيه ووارثه:

عندما يتحدث النبي الأكرم عليهما السلام عن أمير المؤمنين عليهما السلام بالخصوص، ويصفه بـ: «أَنْتَ أَخِي وَوَصِيِّي وَوَارِثِي، لَهُمَا مِنْ حَمِيَّ وَدَمُكَ مِنْ دَمِي»، فإنَّ هذا التوصيف منه عليهما السلام إنما جاء لأنَّ أمير المؤمنين عليهما السلام هو كالنبي عليهما السلام، باستثناء ما دلَّ عليه الدليل مَمَّا اختصَّ به النبي عليهما السلام.

\* في (أمالى الطوسي) بسنده عن أبي سعيد الخدري، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله عليهما السلام: «أَجِبُوا عَلَيَّا، فَإِنَّ لَهُمَا حَمِيَّ وَدَمَهُ دَمِي، لَعَنَّ اللهُ أَفْوَاماً مِنْ أُمَّتِي ضَيَّعُوا فِيهِ عَهْدِي، وَنَسُوا فِيهِ وَصِيَّتِي، مَا لَهُمْ عِنْدَ اللهِ مِنْ حَلَاقٍ»<sup>(٢)</sup>.

\* وفي (الفضائل) بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ

(١) الكافي (ج ١ / ص ٢٣٨ - ٢٤٠ / باب فيه ذكر الصحيفة والجفر... / ح ١).

(٢) أمالى الطوسي (ص ٦٩ / ح ١٠١).

رَسُولُ الله ﷺ : «... أَيُّهَا النَّاسُ، أَنَا الْبَشِيرُ، أَنَا النَّذِيرُ، أَنَا النَّبِيُّ الْأَمِيُّ، وَأَنَا مُبَلِّغُكُمْ عَنِ اللَّهِ يَعْلَمُ فِي رَجُلٍ لَّهُمْ لَحْمِي، وَدَمُهُ دَمِي، وَهُوَ عَيْبَةُ عِلْمِي، وَهُوَ الَّذِي اِنْتَخَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاصْطَفَاهُ وَهَذَبَهُ وَتَوَلَّهُ، وَخَلَقَنِي وَأَيَّاهُ مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ، وَفَضَّلَنِي بِالرِّسَالَةِ، وَفَضَّلَهُ بِالإِمَامَةِ وَالْتَّبَليغِ عَنِّي، وَجَعَلَنِي مَدِينَةَ الْعِلْمِ، وَجَعَلَهُ الْبَابَ...»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (الخصال) بسنده عن أبي الجارود، عن محمد بن عبد الله، عن أبيه، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ : «كُنْتُ أَنَا وَعَلَيْنِ نُورًا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ جَلَّهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ عَامٍ، فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ سَلَكَ ذَلِكَ النُّورَ فِي صُلْبِهِ، فَلَمَ يَزِلِ اللهُ يَعْلَمُ يَنْقُلُهُ مِنْ صُلْبٍ إِلَى صُلْبٍ حَتَّى أَقْرَهُ فِي صُلْبٍ عَبْدُ الْمُطَلَّبِ، ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ صُلْبٍ عَبْدُ الْمُطَلَّبِ فَقَسَّمَهُ قَسْمَيْنِ، فَصُبِّرَ قِسْمٌ فِي صُلْبٍ عَبْدُ اللهِ، وَقِسْمٌ فِي صُلْبٍ أَبِي طَالِبٍ، فَعَلَيْهِ مِنِّي وَأَنَا مِنْ عَلَيْهِ، لَحْمُهُ مِنْ لَحْمِي، وَدَمُهُ مِنْ دَمِي، فَمَنْ أَحَبَّنِي فَيُحِبُّنِي أَحَبَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَيُبَغْضِي أَبْغَضَهُ»<sup>(٢)</sup>.

الإيمان مخالط لحم ودم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ كما خالط لحم ودم

رسول الله ﷺ :

ثم قال: «وَسِلْمُكَ سِلْمِي، وَحَرْبُكَ حَرْبِي، وَالإِيمَانُ مُخَالَطٌ لَحْمَكَ وَدَمَكَ كَمَا خَالَطَ لَحْمِي وَدَمِي».

وقد ورد في هذه المعاني الجليلة عدّة روایات، منها:

\* في (أمالي الصدوق) بسنده عن جابر بن عبد الله، قال: لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِفَتْحِ خَيْرَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «لَوْلَا أَنْ تَقُولَ فِيَكَ

(١) الفضائل لابن شاذان (ص ٧).

(٢) الخصال (ص ٦٤٠ / ح ١٦).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ١٩٩ .....

طَوَائِفُ مِنْ أُمَّتِي مَا قَالَتِ النَّصَارَى لِلْمَسِيحِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، لَقُلْتُ فِيكَ الْيَوْمَ قَوْلًا لَا تَمُرُ بِمَلَأِ إِلَّا أَخْدُوا الْتُّرَابَ مِنْ تَحْتِ رِجْلِكَ وَمِنْ فَضْلِ طَهُورِكَ يَسْتَشْفُونَ بِهِ، وَلَكِنْ حَسْبُكَ أَنْ تَكُونَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ، تَرْثِنِي وَأَرِثُكَ...، وَأَنَّكَ غَدًا عَلَى الْحَوْضِ خَلِيفَتِي، وَأَنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَأَنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يُكَسِّي مَعِيِّ، وَأَنَّكَ أَوَّلُ دَاخِلِ الْجَنَّةِ مِنْ أُمَّتِي، وَأَنَّ شِيعَتَكَ عَلَى مَنَابِرِ مِنْ نُورٍ، مُبِيَضَةً وُجُوهُهُمْ حَوْلِي، أَشْفَعُهُمْ كُمْ، يَكُونُونَ غَدًا فِي الْجَنَّةِ جِيرَانِي، وَأَنَّ حَرَبَكَ حَرْبِي، وَسِلْمَكَ سِلْمِي، وَأَنَّ سِرَّكَ سِرِّي، وَعَلَانِيَتَكَ عَلَانِيَتِي، وَأَنَّ سَرِيرَةَ صَدْرِكَ كَسَرِيرَقِي، وَأَنَّ وُلْدَكَ وُلْدِي، وَأَنَّكَ تُنْجِزُ عِدَاتِي، وَأَنَّ الْحَقَّ مَعَكَ، وَأَنَّ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِكَ وَقَلْبِكَ وَيَيْنَ عَيْنِكَ، أَلِيمًا نَحْمَلُهُ لَهُمْكَ وَدَمَكَ كَمَا خَالَطَ لَحْمِي وَدَمِي، وَأَنَّهُ لَنْ يَرِدَ عَلَيَّ الْحَوْضَ مُبْغُضُكَ، وَلَنْ يَغِيبَ عَنْهُ مُحِبُّكَ حَتَّى يَرِدَ الْحَوْضَ مَعَكَ»، قَالَ: فَخَرَّ عَلَيْهِ عَلِيُّ عَلِيُّ عَلِيُّ سَاجِدًا، ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيَّ بِالْإِسْلَامِ، وَعَلَمَنِي الْقُرْآنَ، وَحَبَّبَنِي إِلَى خَيْرِ الْبَرِّيَّةِ خَاتَمِ النَّبِيِّنَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، إِحْسَانًا مِنْهُ وَفَضْلًا مِنْهُ عَلَيَّ»، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ عَلِيُّ عَلِيُّ عَلِيُّ: «لَوْلَا أَنْتَ لَمْ يُعْرَفِ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدِي»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (كمال الدين) بسنده عن ابن عباس، قال: قال رسول الله عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلِيُّ عَلِيُّ عَلِيُّ: «يَا عَلِيُّ... فَكَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُحِبُّنِي وَيُبْغِضُنِي، لِأَنَّكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ، لَهُمْكَ مِنْ لَحْمِي، وَدَمَكَ مِنْ دَمِي، وَرُوْحُكَ مِنْ رُوْحِي»<sup>(٢)</sup>.

والأخبار في هذا المعنى وما تقدّم من خصائص وصفات لأمير المؤمنين عَلِيُّ عَلِيُّ عَلِيُّ

كثيرة.

(١) أمالى الصدق (ص ١٥٦ و ١٥٧ / ح ١٥٠).

(٢) كمال الدين (ص ٢٤١ / باب ٢٢ / ح ٦٥).

### الإمام عليه السلام خليفة النبي ﷺ، ومنجز عداته:

ثم تحدّث عن أثر يترتب على هذه الحقيقة الإمامية من أنّ هذه الخلافة والوصاية هي استمرارية، فقال: «وَأَنْتَ غَدًا عَلَى الْحَوْضِ خَلِيفَتِي»، وما ورد في ذلك:

\* في (كتاب سليم بن قيس) يروي حديث الماشدة المشهور، جاء فيه: «... أَوَّلُهُمْ أَخِي عَلِيٌّ، وَوَزِيرِي، وَوَارِثِي، وَخَلِيفَتِي فِي أُمَّتِي، وَوَلِيُّ كُلٌّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي، هُوَ أَوَّلُهُمْ، ثُمَّ إِبْنِي الْحَسَنُ، ثُمَّ إِبْنِي الْحُسَيْنُ، ثُمَّ تِسْعَةُ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى يَرِدُوا عَلَى الْحَوْضِ، شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَحُجَّجُهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَخُزَانُ عِلْمِهِ، وَمَعَادِنُ حِكْمَتِهِ، مَنْ أَطَاعُهُمْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَاهُمْ عَصَى اللَّهَ»، فَقَالُوا كُلُّهُمْ: نَسْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَلِكَ...<sup>(١)</sup>.

### مجاورة شيعة الإمام عليه السلام للنبي ﷺ:

يُخاطب النبي ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام، وهو خطاب لكلّ القرون والأجيال مَنْ يؤمن بولاية أمير المؤمنين عليه السلام حقاً بأنّه إذا أتَيتك أحد وشأيتك فإنه معي وحولي وسيكونون جيراني في الجنة، حيث نصّ الدعاء المبارك على ما تقدّم: «وَشِيعَتُكَ عَلَى مَنَابِرِ مِنْ نُورٍ، مُبِيَضَةً وُجُوهُهُمْ حَوْلِي فِي الْجَنَّةِ وَهُمْ جِيرَانِي».

والخبر بذلك كثیر، ومنه:

\* في (أمالی الصدوق) بسنده عن ابن عباس، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعِلَيٍّ عليه السلام: «يَا عَلِيُّ، شِيعَتُكَ هُمُ الْفَاقِرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ أَهَانَ وَاحِدًا مِنْهُمْ فَقَدْ أَهَانَكَ، وَمَنْ أَهَانَكَ فَقَدْ أَهَانَنِي، وَمَنْ أَهَانَنِي أَدْخَلَهُ اللَّهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَا عَلِيُّ، أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ، رُوْحُكَ مِنْ رُوْحِي، وَطِيشُكَ مِنْ

(١) كتاب سليم بن قيس (ص ٢٠٢).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكلمات) ..... ٢٠١

طِينَتِي، وَشِيعَتِكَ خُلِقُوا مِنْ فَضْلِ طِينَتِنَا، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَقَدْ أَحَبَّنَا، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَقَدْ أَبْغَضَنَا، وَمَنْ عَادَهُمْ فَقَدْ عَادَنَا، وَمَنْ وَدَهُمْ فَقَدْ وَدَنَا. يَا عَلِيُّ، إِنَّ شِيعَتَكَ مَغْفُورٌ لَّهُمْ عَلَىٰ مَا كَانَ فِيهِمْ مِّنْ ذُنُوبٍ وَّعُيُوبٍ. يَا عَلِيُّ، أَنَا الشَّفِيعُ لِشِيعَتِكَ غَدًا إِذَا قُمْتُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ، فَبَشِّرْهُمْ بِذَلِكِ...»<sup>(١)</sup>.

وقد مر عن كل لفظة من ألفاظ هذه الفقرة من إنجاز العدة، وقضاء الدين، وختالطة اللحم وغيرها ما يدل عليها من الروايات بنحو مستقل أو في ضمن غيرها، ولو لا خوف الإطالة لروينا العشرات، بل ما يفوق المئات من الروايات الدالة على هذه المعاني من كتب أصحابنا وغيرهم.

\* \* \*

### الفقرة التاسعة عشر

«وَلَوْلَا أَنْتَ يَا عَلِيٌّ لَمْ يُعْرَفِ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدِي، وَكَانَ بَعْدَهُ هُدَىٰ مِنَ الْضَّالِّ، وَنُورًا مِنَ الْعَمَىٰ، وَجَلَّ اللَّهُ الْمَتَّيْنَ، وَصِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ، لَا يُسْبِقُ بِقَرَابَةٍ فِي رَحْمٍ، وَلَا يُسَابِقَةٍ فِي دِينٍ، وَلَا يُلْحَقُ فِي مَنْفَبَةٍ مِنْ مَنَاقِبِهِ، يَجْذُو حَذْوَ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَآلَهُمَا)، وَيُقَاتِلُ عَلَى التَّأْوِيلِ، وَلَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، قَدْ وَتَرَ فِيهِ صَنَادِيدَ الْعَرَبِ، وَقَتَلَ أَبْطَالَهُمْ، وَتَأْوَشَ ذُؤْبَانَهُمْ، فَأَوْدَعَ قُلُوبَهُمْ أَحْقَادًا بَدْرِيَّةً وَخَيْرِيَّةً وَحُنَيْنَيَّةً وَغَيْرَهُنَّ».

قلنا: إنَّ الحديث في هذه الفقرات مترابط بعضه مع بعض، وتقدم الحديث عن عدَّة جهات ومقامات لاحظها الدعاء، والكلام في هذه الفقرة عن جملة من

(١) أمالى الصدوق (ص ٦٦ / ح ٣٢ / ٨).

الخصائص المعنوية والممارسات العملية التي أوجبتها صفات استمرار خطّ الهدایة الإلهیة.

ونلاحظ أنَّ الدعاء المبارك عندما تحدَّث عن الجانب العملي أسبقه بالحديث عن الجانب النظري، وعن ملاك الحركة العملية والخصائص المعنوية، وقضية أنَّ لكلَّ بعْدِ عملي وكما لات معنوية يمارسها الإنسان بعْدَ نظريًّا يحمل ملاك الحركة هو أمر ضروري، وتخطيئه يوجب التزلزل العملي والانحراف في الممارسة، لذلك منْ يُسلِّط الضوء على الممارسات المنحرفة يجد أنَّ منشأ الانحراف العملي يُؤُشِّر إلى أنَّ هناك خللاً فكريًّا، وأنَّ الخلل الفكري لا بدَّ أنْ يكون من نتاجات عدم حمل ملاك القضايا وأُسُسها.

الدعاء بدأ بالحديث عن الجانب النظري أولاً، وهو ملاك الحركة العملية، مما يعني أنَّ الفكر الصحيح هو أساس السلوك السليم. وأنَّ كلَّ بعْدِ عملي يحمل وراءه بعْدَ نظريًّا، أي إنَّ السلوكات لا تكون سليمة إلَّا إذا كانت مستندة إلى فكر صحيح، فالخلل العملي، ينشأ عن خلل فكري.

وحديث الدعاء عن الجانب العملي جاء في هذا السياق، وعن تنوع أشكال الممارسات لعنصر الهدایة الإلهی، وكيف تكون مؤثرة في اقتباس المؤمنين منه أبعاد الإيمان والهدایة والسير على مقتضى ذلك.

ومن بين أبرز الأنواع التي ذكرها الدعاء المبارك:

**بِالإِمَامِ عَلَيْهِ لَا يُرَفَّ أَهْلُ الْإِيمَانِ:**

واللون الأوَّل من ألوان الممارسة لتلك الصفات أنْ يكون الإمام عنصر الهدایة الإلهی، وهو الشاخص والمعرف للمؤمن المرتبط بالله تعالى، فالمؤمنون بالله تعالى يُعرَفون من خلال تمسُّكهم بهذا الشاخص، وقد رويت بهذا الصدد العديد من الأخبار، منها:

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ٢٠٣

\* في (أمالي الصدوق) بسنده عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله عليهما السلام: «لَوْلَا أَنْتَ لَمْ يُعْرَفْ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدِي»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (الخصال) بسنده عن مكحول، عن أمير المؤمنين عليهما السلام، عن رسول الله عليهما السلام: «لَوْلَاكَ مَا عُرِفَ الْمُنَافِقُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»<sup>(٢)</sup>.

\* وفي (كشف الغمة) بسنده عن أبي ذر، عن النبي عليهما السلام: «عَلَيُّ بَابُ عِلْمِي وَهَدْنِي، وَمُبِينٌ لِأَمْتَيْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ مِنْ بَعْدِي، حُبُّهُ إِيمَانٌ وَبُغْضُهُ نِفَاقٌ، وَالنَّظَرُ إِلَيْهِ رَأْفَةٌ، وَمَوَدَّتُهُ عِبَادَةً»<sup>(٣)</sup>.

\* وفي (كنز الفوائد) بسنده عن الحارث الهمداني، قال: رأيت عליًا عليهما السلام جاء حتى صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «قضى قضاء الله يعجل على لسان النبي الأمي عليهما السلام أنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يغضبني إلا منافق، وقد خاب من افترى»<sup>(٤)</sup>.

\* وفي (أمالي الطوسي) بسنده عن غالب الجوني، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب عليهما السلام، قال: «قال رسول الله عليهما السلام: لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَسْمَاءِ، ثُمَّ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَّمِ، أُوْقِفْتُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي يَعْلَمْ، فَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: قَدْ بَلَوْتَ خَلْقِي، فَأَيَّهُمْ وَجَدْتَ أَطْوَعَ لَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: رَبِّ عَلِيَّ، قَالَ: صَدَقْتَ يَا مُحَمَّدُ، فَهَلْ اتَّخَذْتَ لِنَفْسِكَ خَلِيفَةً يُؤْدِي عَنْكَ، وَيُعْلَمُ عِبَادِي مِنْ كِتَابِي مَا لَا يَعْلَمُونَ؟ قَالَ: قُلْتُ: إِخْتَرْ لِي، فَإِنَّ خَيْرَكَ خَيْرٌ لِي، قَالَ: قَدِ اخْتَرْتُ

(١) أمالي الصدوق (ص ١٥٧ / ح ١٥٠).

(٢) الخصال (ص ٥٨٠ / ح ١).

(٣) كشف الغمة (ج ١ / ص ٩٢).

(٤) كنز الفوائد (ص ٢٢٥).

لَكَ عَلَيَّ، فَاتَّخِذْهُ لِنَفْسِكَ خَلِيفَةً وَوَصِيًّا، فَإِنِّي قَدْ نَحَلْتُهُ عِلْمِي وَحِلْمِي، وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا، لَمْ يَقُلْهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا أَحَدٌ بَعْدَهُ. يَا مُحَمَّدُ، عَلَيْكِ رَأْيَةُ الْهُدَى، وَإِمَامُ مَنْ أَطَاعَنِي، وَنُورُ أَوْلِيَائِي، وَهُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَلْزَمْتُهَا الْمُتَقْبِنَ، مَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، فَبَشِّرُهُ بِذَلِكَ يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: رَبُّ فَقَدْ بَشَّرْتُهُ، فَقَالَ عَلَيْهِ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَفِي قَبْضَتِهِ إِنْ يُعَذِّبْنِي فِي دُنْوِي لَمْ يَظْلِمْنِي شَيْئًا، وَإِنْ يُتَمَّ لِي مَا وَعَدَنِي فَاللَّهُ أَوْلَى بِي، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَجِلْ قَلْبِهِ، وَاجْعَلْ رَبِيعَهُ الْأَيَّامَ بِكَ، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ، غَيْرَ أَنِّي مُخْتَصٌ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَلَاءِ لَمْ أَخْتَصْ بِهِ أَحَدًا مِنْ أَوْلِيَائِي، قَالَ: قُلْتُ: رَبِّ أَخِي وَصَاحِبِي، قَالَ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِي أَنَّهُ مُبْتَلٌ وَمُبْتَلٌ بِهِ، لَوْلَا عَلَيْهِ لَمْ يُعْرَفْ حِزْبِي وَلَا أَوْلِيَائِي وَلَا أَوْلِيَاءُ رُسُلِي»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (كتاب سليم)، قال: سمعتُ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْأَيَّامِ، فَقَالَ: ... يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا أَدْنَى مَا يَكُونُ بِهِ الْرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَأَدْنَى مَا يَكُونُ بِهِ كَافِرًا، وَأَدْنَى مَا يَكُونُ بِهِ ضَالًّا؟ قَالَ: «قَدْ سَأَلْتَ فَاسْمَعْ الْجَوَابَ، أَدْنَى مَا يَكُونُ بِهِ مُؤْمِنًا أَنْ يُعْرَفَهُ اللَّهُ نَفْسَهُ فَيُقِرَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ، وَأَنْ يُعْرَفَهُ نَيْمَهُ فَيُقِرَّ لَهُ بِالْبُهُوَّةِ وَبِالْبَلَاغَةِ، وَأَنْ يُعْرَفَهُ حُجَّتَهُ فِي أَرْضِهِ وَشَاهِدَهُ عَلَى خَلْقِهِ فَيُقِرَّ لَهُ بِالطَّاعَةِ»، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنْ جَهَلَ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ غَيْرَ مَا وَصَفْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا أَمْرَ أَطَاعَ، وَإِذَا هُنِيَّ إِنْتَهَى. وَأَدْنَى مَا يَكُونُ بِهِ كَافِرًا أَنْ يَتَدَبَّرَ بِشَيْءٍ فَيَرْعُمَ أَنَّ اللَّهَ أَمْرَهُ بِهِ - مِمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ -، ثُمَّ يَنْصِبُهُ دِينًا فَيَتَبَرَّا وَيَتَوَلَّا وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي أَمْرَهُ بِهِ. وَأَدْنَى مَا يَكُونُ بِهِ ضَالًّا أَنْ لَا يَعْرِفَ حُجَّةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَشَاهِدَهُ عَلَى خَلْقِهِ الَّذِي أَمْرَ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ وَفَرَضَ وَلَا يَنْهُ...»<sup>(٢)</sup>.

(١) أمالى الطوسي (ص ٣٤٣ و ٣٤٤ / ح ٧٠٥ / ٤٥).

(٢) كتاب سليم بن قيس (ص ١٧٥ - ١٧٧).

الدعاء عندما يقول: «لَوْلَا أَنْتَ يَا عَلِيُّ» ليس المقصود بعلي عليهما السلام ذاته بمعزل عن إمامته، بل يؤشر بها إلى الولاية التي يجب على الناس جميعاً الالتزام بها بعد النبي عليهما السلام.

وطبيعي أن يكون مؤشر البوصلة الإلهية كما هو يؤشر لأفراد المؤمنين المعروفين بتمسكهم بالإمام، كذلك يؤشر إلى عناصر الانحراف والضلالة، فجاء الدعاء محدثاً قارئه، بقوله: «لَوْلَا أَنْتَ يَا عَلِيُّ لَمْ يُعْرَفِ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدِي، وَكَانَ بَعْدَهُ هُدًى مِنَ الْضَّلَالِ».

**الإمام عليهما السلام الهادي من الضلال وحبل الله المتيين وصراطه المستقيم:**  
هذا المقطع مرتبط ببحث الهدایة، وهو من الأبحاث الكلامية والقرآنية المعمقة، ونذكر من مسائله ما يتيسر منها.

المعروف أنَّ الهدایة خاصةً وعامةً، والعامَة منها تكوينية وتشريعية، والتكوينية معناها إعطاء كلٍّ موجودٍ من موجودات عالم الوجود الاستعداد التام والقدرة المؤهلة لتحقيق الغرض من وجوده، قال تعالى: «رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ» (طه: ٥٠)، فكلٌّ موجود من موجودات هذا الكون قد أعطاه ربُّنا وخالفنا ما يتحقق به الغرض من وجوده، ويصل به إلى كماله اللائق به.

قال السيد الخوئي عليهما السلام: (إنَّ الهدایة على ما يظهر من موارد استعمالها تُطلق على معانٍ):

**الأول:** الهدایة التكوينية، التي هي إفاضة الوجود على الكائنات، وجعلها منظمة وخاضعة للسُّنَن الكونية، كتبعية وجود المعاليل لوجود عللها، والترتيب الثابت في الحركات والأفعال والانفعالات الإدراكيَّة وغير الإدراكيَّة مع ترتيب غايات وأغراض لها، بحيث لا تتحصل تلك الغايات إلَّا على ما جعل الترتيب

عليه، وإلى هذا المعنى يشير قوله تعالى في سورة طه: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ  
شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، وقوله تعالى في سورة الأعلى: ﴿الَّذِي قَدَّرَ  
فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٣].

الثاني: الهدایة التشریعیة، وهي إِنْزَالُ الْكُتُبِ وَإِرْسَالُ الرُّسُلِ وَسَائِرِ  
أَسْبَابِ تَبْلِيغِ الشَّرَائِعِ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، كَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ  
إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا﴾ [الإِنْسَان: ٣]، وَهَذَا الْقَسْمُ مِنَ الْهُدَى لَا يَكُونُ إِلَّا  
عَلَى نَحْوِ إِرَاءَةِ الْطَّرِيقِ، وَأَنَّهُ أَيَّ طَرِيقٍ يُوَصِّلُ الْعَبْدَ إِلَى الْمُطَلُوبِ لَوْ سَلَكَهُ  
بِالْخَيْرَاتِ.

الثالث: الهدایة الموصولة إلى المطلوب، وهذا يقابل القسم الثاني، إذ ليس  
لهذا المهدى اختيار قبول الهدایة و عدمه، كَوْلُهُ تَعَالَى في سورة الأنعام: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ  
الْحَجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَى كُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩] <sup>(١)</sup>.  
هذا في الهدایة العامة بشقيها، أمّا الهدایة الخاصة فقد ذكرها غير واحد من  
الأعلام، ومن بين ما ذكروه في بيانها وفي معرض توضيحيها:

قال السيد الخوئي فیض: إنَّها (هدایة تكوينية، وعناية ربانية خصَّ الله بها  
بعض عباده حسب ما تقتضيه حكمته، فَيُهیئُ لَهُ مَا يَهْتَدِي إِلَى كُمالِهِ وَيَصِلُ إِلَى  
مَقصودِهِ، وَلَوْلَا تَسْدِيدهُ لَوْقَعَ فِي الْغَيِّ وَالضَّلَالِّ، هَذَا وَقَدْ أُشِيرَ إِلَى هَذَا الْقَسْمِ  
مِنَ الْهُدَى فِي غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْآيَاتِ الْمَبَارَكَةِ...).

وقال السيد الروحاني فیض: (عناية ربانية خصَّ الله بها بعض عباده حسب  
ما تقتضيه حكمته، فَهیئَ لَهُ مَا يَهْتَدِي إِلَى كُمالِهِ وَيَصِلُ إِلَى مَقصودِهِ، وَلَوْلَا  
تَسْدِيدهُ لَوْقَعَ فِي الْغَيِّ وَالضَّلَالِّ).

(١) مجمع الرسائل (موسوعة السيد الخوئي) (ج ٤٩ / رسالة في الأمر بين الأمرين / ص ٨٦).

(٢) البيان في تفسير القرآن (ص ٤٩٤).

(٣) فقه الصادق عليه السلام (ج ١٣ / شرح ص ٢١٦).

وقال الشيخ السبحاني (حفظه الله تعالى): (تحتتص بجملة من الأفراد الذين استضاؤوا بنور الهدى العامّة تكوينها وتشريعها، فتشملهم العناية الخاصة منه سبحانه. ومعنى هذه الهدى هو تسديدهم في مزالق الحياة إلى سبل النجاة، وتوفيقهم للتزود بصالح الأعمال، ويكون معنى الإضلal في هذه المرحلة هو منعهم من هذه الموهاب، وخذلانهم في الحياة، ويدل على ذلك - أن هذه الهدى خاصّة لمن استفاد من الهدى الأولى - قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ (الرعد: ٢٧)، فعلى الهدى على من اتصف بالإنابة والتوجّه إلى الله سبحانه. وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٣)، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنْهَدِيَنَّهُمْ سُبْلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩)، فمن أراد وجه الله سبحانه يمده بالهدى إلى سبله. وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا رَأَدُهُمْ هُدًى﴾ (محمد: ١٧)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (١٣) ورَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنَّ نَدْعُوَّا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطْنَا﴾ (الكهف: ١٣ و ١٤)).

وقال المولى المازندراني عليهما السلام في (شرح الكافي): (قوله: ﴿فَآمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَادُهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبه: ١٢٤] دل على أن الإيمان سبب للإيمان، يعني أن الدرجة التحتانية منه سبب لحصول الدرجة الفوقانية، وكذلك الكفر، ومن ثم قيل: الخير والشر سريان. قوله: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣] المراد به الهدى الخاصة المختصة بالأولياء، وهي بصيرة قلبية زيادة على أصل التصديق).

(١) مفاهيم القرآن (ج ٦ / ص ٥٠٤).

(٢) شرح أصول الكافي للمازندراني (ج ٨ / ص ١١٢ و ١١٣).

وقال العلامة المجلسي رحمه الله في (بحاره): (﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ <sup>(١٣)</sup>، أي هداية إلى الإيمان، أو زدناهم بسبب الإيمان ثباتاً وشدة يقين وصبراً على المكاره في الدين، كما قال: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، فهذه الهدایة الخاصة الربانية زيادة على الإيمان الذي كانوا به متصفين حيث قال تعالى أولاً: ﴿إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ أَمْنُوا بِرَبِّهِمْ﴾، ولو كان كله واحداً، أي كُلُّ الإيمان واحداً لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحد من المؤمنين فضل على الآخر، لأنَّ الفضل إنما هو بالإيمان، فلا فضل مع مساواتهم فيه، ولاستوت النعم، أي نعم الله بالهدایات الخاصة في الإيمان، ولاستوى الناس في دخول الجنة أو في الخير والشر، وبطل تفضيل بعضهم على بعض بالدرجات والكمالات، واللوازم كلُّها باطلة بالكتاب والسنَّة...<sup>(١)</sup>).

وقال الفخر الرازي في (تفسيره): (فهذه الهدایة الخاصة يجب أن تكون مغایرة لتلك الدعوة العامة، ولا شكَّ أيضاً أنَّ الإقدار والتمكين وإرسال الرُّسُل وإنزال الكُتُبُ أمور عامة، فوجب أن تكون هذه الهدایة الخاصة مغایرة للكُلُّ هذه الأشياء)<sup>(٢)</sup>.

\* في (أمالی الصدوق) بسنده عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «يَا عَلِيُّ، أَنْتَ صَاحِبُ حَوْضِي، وَصَاحِبُ لِوَائِي، وَمُنْجِزُ عِدَاتِي، وَحَسِيبُ قَلْبِي، وَوَارِثُ عِلْمِي، وَأَنْتَ مُسْتَوْدَعُ مَوَارِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْتَ أَمِينُ اللهِ فِي أَرْضِهِ، وَأَنْتَ حُجَّةُ اللهِ عَلَى بَرِّيَّتِهِ، وَأَنْتَ رُكْنُ الْإِيمَانِ، وَأَنْتَ مِصْبَاحُ الدُّجَى، وَأَنْتَ مَنَارُ الْهُدَى، وَأَنْتَ الْعَلَمُ الْمَرْفُوعُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، مَنْ تَبَعَكَ نَجَّا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْكَ هَلَكَ، وَأَنْتَ الْطَّرِيقُ الْوَاضِحُ، وَأَنْتَ الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَأَنْتَ قَائِدُ الْغُرَّ الْمُحَاجِلِينَ، وَأَنْتَ يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْتَ مَوْلَى مَنْ أَنَا

(١) بحار الأنوار (ج ٦٦ / ص ٥٣ و ٥٤).

(٢) تفسير الرازي (ج ١٧ / ص ٧٦).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ٢٠٩

مَوْلَاهُ، وَأَنَا مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، لَا يُحِبُّكَ إِلَّا طَاهِرُ الْوِلَادَةِ، وَلَا يُعِصُّكَ إِلَّا  
خَيْثُ الْوِلَادَةِ، وَمَا عَرَجَ بِرَبِّي عَلَيْكَ إِلَى السَّمَاءِ قَطُّ وَكَلَّمَنِي رَبِّي إِلَّا قَالَ لِي: يَا  
مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ عَلَيَّ مِنِّي السَّلَامَ، وَعَرَفْهُ أَنَّهُ إِمَامُ أُولِيَّائِي، وَنُورُ أَهْلِ طَاعَتِي، فَهَنِئْنِي  
لَكَ يَا عَلِيُّ هَذِهِ الْكَرَامَةُ»<sup>(١)</sup>.

فالإمام عليهما السلام نور من استنار به، وحبل هداية مستقيم موصل إلى الله سبحانه وتعالى من تمسك به، وهو يمثل الضوء في حلقة الظلام، والبصر في أجواء النور والخيط المتين في أمواج الضلال المتلاطمة والطريق المستقيم المميز عن طرقات الاعوجاج ومنعرجات الطرق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَلْنَا لَهُمُ  
الْقُولَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص: ٥١).

ثم تحدث الدعاء عن بعض الملائكة التي أوجبت هذه الممارسات، لأنّ  
حالة الممارسة والتمسك بالإمام أثناء الممارسة قد يتعرّض إلى إشكال على  
المتمسّكين من قبل المناوئين، فأراد الحديث أن يجسّد هذه الحالة باعتبارها قيمة  
عملية ذات بعد فكري مؤصل بأسس ثابتة، وأنَّ - الإمام - الحُدُّ بين الحقّ  
والباطل، السُّرُّ هو قربه من الخطّ الإلهي والتصاقه به، وسابقته إلى الدين، وتقديمه  
في المناقب، وسيره عملياً حذو النبي ﷺ، وتبع الخطّ الإلهي والطريق الوحiani  
هو نفس الخاتم ولصيق الرسول ﷺ، فلكونه - أي الإمام - هو الأقرب إلى  
الدين وإلى الرسول وإلى الله تعالى، ولكونه الأسبق إليه، ولكونه المتصف بمناقب  
الإمامية التي لا يلحقه بها أحد، لكونه كذلك صار هو الميزان في كل شيء.

**الإمام عليهما السلام يدافع عن الدين:**

رجع الدعاء ليتحدّث عن الممارسات التي اضطرَّ إليها الإمام عليهما السلام بعد

(١) أمالى الصدوق (ص ٣٨٢ و ٣٨٣ / ٤٨٩ ح ١٤).

النبي ﷺ، فلو لا أنَّ القوم بَدَّلُوا دِينَ الله تَعَالَى وَأَوْلَوْهُ بِغَيْرِ وَجْهِهِ لَمَا قَامَ وَنَهَضَ (صلوات الله تعالى عليه) بِمَهْمَةِ حِرْوَبِ التَّأْوِيلِ كَمَا بَدَأَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حِرْوَبَ التَّنْزِيلِ، وَكَانَ قَدْ حَمِلَ لَوَائِهَا وَهُوَ فَتِيَّ بَيْنَ قَوْمَهُ.

قد يقال: إنَّ دُعَوَى أَنَّ الْجَمَاعَةَ بَدَّلَوْا فِي الدِّينِ وَأَوْلَوْهُ فِيهِ بِغَيْرِ وَجْهٍ وَبِلَا حَجَّةٍ، هَذِهِ دُعَوَى مُجَانَّبَةً لِلصَّوَابِ، وَقَدْ تَسَمَّ بِالْمُبَالَغَةِ، وَلَعَلَّ وَجْهَ الْقَوْلِ بِهَا التَّحَامَلُ وَمُعَادَةُ الْقَوْمِ وَالْتَّنَفُّرُ مِنْهُمْ لَمَا قَامُوا بِهِ مِنْ إِقْصَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمَا عَنْ مَوَاقِعِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمُ الَّتِي رَتَّبَهُمُ اللهُ تَعَالَى فِيهَا.

قلت: الروايات التي نَصَّتْ عَلَى تَبْدِيلِهِمْ لِمَعَالِمِ الدِّينِ عَدِيدَةُ، وَمِنْهَا:

\* في (علل الشرائع) بسنده عن أبي إسحاق الأرجاني رَفَعَهُ، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «أَنَّدِرِي لَمْ أَمِرْمِ بِالْأَخْذِ بِخَلَافِ مَا تَقُولُ الْعَامَّةُ؟»، فَقُلْتُ: لَا نَدْرِي، فَقَالَ: «إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِمَا لَمْ يَكُنْ يَدِينُ اللهَ بِدِينٍ إِلَّا خَالَفَ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ إِلَى غَيْرِهِ إِرَادَةً لِإِبْطَالِ أَمْرِهِ، وَكَانُوا يَسْأَلُونَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمَا عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي لَا يَعْلَمُونَهُ، فَإِذَا أَفْتَاهُمْ جَعَلُوا لَهُ ضِدًا مِنْ عِنْدِهِمْ لِيُلْبِسُوا عَلَى النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (وسائل الشيعة) في خبر معتبر عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «مَا أَنْتُمْ وَاللهُ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا هُمْ فِيهِ، وَلَا هُمْ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، فَخَالِفُوهُمْ فَمَا هُمْ مِنْ أَحْتِنَفِيَّةٍ عَلَى شَيْءٍ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ نَسْتَطِيعُ فَهْمَ مَا وَرَدَ فِي عَدَّةِ أَخْبَارِ تَأْمُرِ الْفَقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ بِالْأَخْذِ بِخَلَافِ مَا عَلِيهِ الْعَامَّةِ فِي مَعَالِمِ الدِّينِ وَمَسَائِلِ الْعِقِيدَةِ وَالْفَقِهِ وَغَيْرِهَا مَمَّا يَخْشِيُّهُمْ عَلَيْهِ. وَمَمَّا جَاءَ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

\* في (علل الشرائع) بسنده عن علي بن أسباط، قال: قُلْتُ لِلرَّضَا عَلَيْهِمَا:

(١) علل الشرائع (ج/٢ ص ٥٣١ / باب ٣١٥ ح ١).

(٢) وسائل الشيعة (ج/٢٧ ص ١١٩ / ح ٣٣٣٦٥).

يَحْدُثُ الْأَمْرُ لَا أَجِدُ بُدًّا مِنْ مَعْرِفَتِهِ، وَلَيْسَ فِي الْبَلْدِ الَّذِي أَنَا فِيهِ أَحَدُ أَسْتَفْتِيهِ مِنْ مَوَالِيَكَ، قَالَ: فَقَالَ: «إِنِّي فَقِيهُ الْبَلْدِ فَأَسْتَفْتِيهِ فِي أَمْرِكَ، فَإِذَا أَفْتَاكَ بِشَيْءٍ فَخُذْ بِخَلَافِهِ، فَإِنَّ الْحَقَّ فِيهِ»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (الكافي): أَعْلَمُ يَا أَخِي - أَرْشَدَكَ اللَّهُ - أَنَّهُ لَا يَسْعُ أَحَدًا تَبَيِّنُ شَيْءٌ مِمَّا احْتَلَفَ الرَّوَايَةُ فِيهِ عَنِ الْعُلَمَاءِ عَلَيْهِمُ الْمَدْحُورَ، إِلَّا عَلَىٰ مَا أَطْلَقَهُ الْعَالَمُ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِمُ الْمَدْحُورَ: «إِعْرِضُوهُمَا عَلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ، فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ بِعِلْمٍ فَخُذُوهُ، وَمَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَرُدُّوهُ»، وَقَوْلِهِ عَلَيْهِمُ الْمَدْحُورَ: «دَعُوا مَا وَافَقَ الْقَوْمَ، فَإِنَّ الرُّشْدَ فِي خِلَافِهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

وحيث تمت الحجّة بعد خاتمة النبوة في التنزيل، ومن شواهد تمامها التنزيلي ما رواه الشيخ الكليني رضي الله عنه عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى ابن عبيد، عن يوئيل بن عبد الرحمن، عن سماعة بن مهران، عن أبي الحسن موسى عليهما السلام، قال: قلت: أصلحك الله إنا نجتمع فنتذاكر ما عندنا فلا يردد علينا شيء إلا وعندنا فيه شيء مسلط، وذلك مما أنعم الله به علينا بكم، ثم يردد علينا الشيء الصغير ليس عندنا فيه شيء، فينظر بعضنا إلى بعض، وعندنا ما يشبعه، فنتقيس على أحسننا؟ فقال: «وما لكم وللقياس، إنما هلك من هلك من قبلكم بالقياس»، ثم قال: «إذا جاءكم ما تعلمون فقولوا به، وإن جاءكم ما لا تعلمون فهذا»، وأهوى بيده إلى فيه، ثم قال: «لعن الله أبا حنيفة، كان يقول: قال علي وقلت أنا، وقالت الصحابة وقلت»، ثم قال: «أكنت ت مجلس إله؟»، فقلت: لا، ولكن هذا كلامه، فقلت: أصلحك الله أبا رسول الله عليهما السلام الناس بما يكتفون به في عهده؟ قال: «نعم، وما يكتفون به إلى يوم القيمة»، فقلت: فضاع من ذلك شيء؟ فقال: «لا، هو عند أهله»<sup>(٣)</sup>.

(١) عيون أخبار الرضا عليهما السلام (ج ١ / ص ٢٤٨ و ٢٤٩ / باب ٢٨ / ح ١٠).

(٢) الكافي (ج ١ / ص ٨ / خطبة الكتاب).

(٣) الكافي (ج ١ / ص ٥٧ / باب البدع والرأي والمقاييس / ح ١٣).

فبعد التهام التزيلي بأهل البيت عليه السلام لم تكن المهمة إلا أن يحفظ أمير المؤمنين عليه السلام الدين من التأويل، لأن المنحرفين كان سببهم إلى حرف الناس عن مسيرة الاستقامة في التنزيل فلجأوا إلى التأويل، فما كان من خط الهداية الإلهي إلا أن يقاتل هؤلاء الضلال على التأويل لا تأخذه فيهم لومة لائم، كما قاتلهم على التنزيل فيما سبق مع أخيه النبي الله عليه السلام موتراً صناديدهم، وقاتلوا أبطالهم، وساحقاً كبراءهم وقادتهم، فجاءت النتيجة الطبيعية أن تملأ قلوب هؤلاء أحقاداً بدرية وخيبرية وحنينية وغيرهنَّ.

هذا هو ذنب الإمام على عليه السلام، وهذه هي قصته، وقد مرَّ عليك في بعض الأخبار أنَّ الله تعالى كتب عليه هذا الابلاء وهذا الاختبار وشارطه عليه، وقد نهض عليه السلام به ووفى.

\* \* \*

المبحث السادس:

كيد أعداء الإسلام لرسول الله ﷺ

في أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وفي أهل بيته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ



## الفقرة العشرون

«فَاضَبَتْ عَلَى عَدَوَتِهِ، وَأَكَبَتْ عَلَى مُنَابَدَتِهِ».

إنَّ هذه الفقرة - التي كانت كنتيجة لما عليه الأُمَّة من عناد واستكبار على أولياء الله تعالى - تكشف لنا عن أنَّ تلك المنح الربَّانية والخصائص الإلهيَّة التي اتصف بها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام والأئمَّة عَلَيْهِمُ السَّلَام من بعده كانت نتيجتها أنَّ أوجدت أحقاداً في نفوس عدد غير قليل من المسلمين. وتلك الأحقاد والضغائن والعداء لا زالت متتجددة ومتواصلة وإلى يومنا هذا لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَام رغم ادعاءهم حبَّهم وموالاتهم عَلَيْهِمُ السَّلَام.

فعبارة «فَاضَبَتْ عَلَى عَدَوَتِهِ» التي يُفسِّرها أهل اللغة بالالتصاق واللجوء<sup>(١)</sup>، أي إنَّ الأُمَّة التي رأت تلك الفضائل لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام ولم تتحمَّل وجودها فيه، كانت - وللأسف - أنْ جأت إلى الحقد والعداوة والبغض له عَلَيْهِ السَّلَام، والتضيق بهذه الحالة حتى أصبحت من ملازماتها.

وأيَّا قوله: «وَأَكَبَتْ عَلَى مُنَابَدَتِهِ»، فُيوضِّح الحالة بشكل أكبر، ويرسم لنا بوضوح حال الأُمَّة تجاه أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَام، حيث الانكباب على منابدة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام ومن ورائه الأئمَّة عَلَيْهِمُ السَّلَام، فقدان الأُمَّة توازنها وسقوطها وعثرتها في مفارقة شخوصهم عَلَيْهِمُ السَّلَام وتركهم وهجرهم.

(١) في لسان العرب (ج ١ / ص ١١١ / مادة ضبأ): (وضبأ: لَصِقَ بِالْأَرْضِ. وَضَبَأَ بِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ مَضْبُوَءٌ بِهِ، إِذَا أَلْزَقَهُ بِهَا).

فالملقط النبوي يُحدّثنا عن حالة في قمة العداء والبغض قد وصل إليها هؤلاء، إذ إن إضافة المنابذة إلى الانكباب على العداوة تعني أن هؤلاء ينامون ويقععدون على عداوتهم هذه ولا يفارقوها لحظة.

فالآمة فقدت توازنها بسبب هذا البعض، وغفت عليه ملتصقة به، وكلما أوجب حدث ما أن تستيقظ كان ما عقدت عليه قلبها من بغض يعود بها إلى حالتها السابقة من سقوط وتعثر في حضيض عداوتهم عليهما، فالسعى الدائم لتأصيل البعض للإمام والأهل بيته عليهما، والإصرار على مفارقتهم، ومن ثم مفارقتهم عن بغض وتعمّد للهجران والترك، رغم الإيصاء المتكرر المستمر من رسول الله عليهما بالآفة به عليهما وبأهل البيت عليهما والتواصل معهم وحفظهم، بل والالتصاق بهم والانصياع إليهم والانضواء تحت لوائهم عليهما.

ولا نجد عبارة أوفق حال الآمة في الحديث عمّا مرّت به واستمرّت وتستمر عليه تجاه أهل البيت عليهما من كلام الإمام الصادق عليهما المتقدم، والذي وصف الحالة وأن الناس كانوا يسألون أمير المؤمنين عليهما عن الشيء الذي لا يعلمون، فإذا أفتابهم بشيء جعلوا له ضيًداً من عند أنفسهم ليلبسوا على الناس<sup>(١)</sup>.

ولعلّ نتيجة ذلك ما رويانا قبل صفحات عن الإمام الصادق عليهما حيث يُقرّر نتيجة هذه المخالفات والانكباب عليها إلى أن وصل حال هؤلاء أن يقال لنا عنهم: «مَا أَنْتُمْ وَاللَّهُ عَلَىٰ شَيْءٍ إِمَّا هُمْ فِيهِ، وَلَا هُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ فَخَالِفُوهُمْ فَمَا هُمْ مِنْ أَحْتِيقَةٍ عَلَىٰ شَيْءٍ»<sup>(٢)</sup>.

فالعمومية التي يتحدث بها الإمام الصادق عليهما عن ما كان يصدر من

(١) قد مرّ في (ص ٢٠٨) عن علّ الشرائع (ج ٢ / ص ٥٣١ / باب ٣١٥ / ح ١)، فراجع.

(٢) وسائل الشيعة (ج ٢٧ / ص ١١٩ / ح ٣٣٣٦٥ / ٣٢).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ٢١٧

هؤلاء وتعمّدُهم المخالففة، أن يصير الرشد في مخالفتهم كما مرّ عليك، كل ذلك بفعلهم وإصرارهم على بعض أهل البيت عليهما السلام. وقد مرّ عليك وليس بعيد أنّ أجر الرسالة موّدّتهم، وأنّ وصيّة الخاتم عليهما السلام حبّهم وودّهم عليهما السلام، ولكن هؤلاء قلّبوا الأمر وكأنّ الوصيّة كانت في بغضهم ومعادتهم عليهما السلام، بل حتّى لو كانت الوصيّة بمعادتهم عليهما السلام لما كانت تكون بأزيد مما جرى.

ولنذهب إلى روایات أهل البيت عليهما السلام لطلع من خلاها على بعض ما جرى عليهما السلام من هؤلاء وما كان متوقعاً منهم، حتّى صارت وصيّة النبي عليهما السلام بالصبر والتحمل.

روى سليم بن قيس رضي الله عنهما هذا المقطع تحت عنوان:

**تظاهر الأمة على علي عليهما السلام بعد رسول الله عليهما السلام وبكاوه عليه:**

قال عليهما السلام: حَدَّثَنِي عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليهما السلام، قال: «كُنْتُ أَمْبَيْ مَعَ رَسُولِ اللهِ عليهما السلام في بَعْضِ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، فَأَتَيْنَا عَلَى حَدِيقَةٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَحْسَنَهَا مِنْ حَدِيقَةٍ...، فَلَمَّا خَلَّ لَهُ الْأَطْرِيقُ اعْتَنَقَنِي، ثُمَّ أَجْهَشَ بَاكِيًّا، وَقَالَ: بَأْيُ الْوَحِيدُ الشَّهِيدُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا يُبَكِّيَكَ؟ فَقَالَ: ضَغَائِنٌ فِي صُدُورِ أَقْوَامٍ لَا يُبَدِّوْنَهَا لَكَ إِلَّا مِنْ بَعْدِي، أَحْقَادٌ بَدْرٌ وَتَرَاتُ أَحْدٍ، قُلْتُ: فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِي؟ قَالَ: فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِكِ...، فَاصْبِرْ لِظُلْمِ قُرْيَشٍ إِيَّاكَ وَتَظَاهِرُهُمْ عَلَيْكَ، فَإِنَّكَ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى وَمَنْ تَبَعَهُ، وَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْعِجْلِ وَمَنْ تَبَعَهُ، وَإِنَّ مُوسَى أَمَرَ هَارُونَ حِينَ اسْتَخْلَفَهُ عَلَيْهِمْ إِنْ ضَلُّوا فَوَجَدَ أَعْوَانًا أَنْ يُجَاهِدُهُمْ بِرِبِّهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَعْوَانًا أَنْ يَكُفَّ يَدَهُ وَيَحْقِنَ دَمَهُ وَلَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ...»<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) كتاب سليم بن قيس (ص ١٣٦ و ١٣٧).

## الفقرة الحادية والعشرون

«كَتَّى قَتَلَ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ».

النتيجة الحتمية لشخص الحق في ظل مجتمع يعيش تراكمات وبناءات معوجة أن يبقى وحيداً، وهذا ما حدث مع أمير المؤمنين عليه السلام، وهي النتيجة الطبيعية لكونه بوصلة الحق، ولكون المجتمع الذي كان فيه ميالاً للباطل وشارباً له ومحباً لكل ما من شأنه أن يوثق العرى القبلية والمصالح الشخصية والتائج الآنية، بل إن الحال في ذلك المجتمع من يقرأ تاريخ تلك الحقبة يرى الكثير من الأفراد الذين كان بالإمكان التعويل على إيمانهم وعقولهم وأفكارهم لم يتحملوا منهج الحق.

من هنا جاءت النتيجة طبيعية ومتوقعة في أن يخوض أمير المؤمنين عليه السلام مجموعة من الحروب ضد فئات متنوعة ومتلولة عاشت في ذلك المجتمع، واستفادت من وجودها الديني بعد غياب رسول الله عليه السلام، إذ إن الكيفية التي كان ينبغي أن تسير عليها الأمور هي الانتقال الطوعي للسلطة من النبي عليه السلام إلى الإمام عليه السلام، لأنّه هو الممثل الطبيعي والحاصل لصفات المؤهلة له، وقد تحدّث عنها الدعاء بشكل وافر على ما مرّ عليك.

ولكن هذا لم يحصل ولم تحصل الأمور على وفق ما رسمه الوحي، لأن هناك أطهاماً وبدائل كانت تدرس من قبل بعض السلطويين النفعيين، فكان أن آلت الأمور إلى انقلاب راح ضحيته ثلاثة الأقرب لصاحب الرسالة عليه السلام، حتى وصل الأمر إلى التضحية بالبضعة الظاهرة عليهما وسحقها وتكسير أجنحتها وأضلاعها سبيلاً للوصول إلى الحكم. وكان من نتيجتها عزل الحق وتهميشه وجعله على الرف يتبرّك به القائد الانقلابي متى شاء، وتراكم الزمن، فأنشأ جيلاً أحب هذه الظاهرة وبات لا يستسيغ غيرها، لكن الإرادة الإلهية عندما شاءت

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ٢١٩

أنْ تُسْنِح فرصة جديدة للحقّ أنْ يُبَرِّز شاهٍت وجوهَ مَنْ تراكم في نفوسهم حُبُّ الباطل وكره الحقّ.

وقد لَوَّنَ الحديث الوحياني هذه الجماعات على أشكال قلوبها، وترجمها بسميات تنسجم ومعتقداتها، فكانت ثلاث مجموعات:  
الأولى: الناكثون:

وَهُمُ الَّذِينَ ترَكُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْحَقِّ وَتَمَسَّكُوا بِبَاطِلٍ مَحْضٍ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَنْ لَا يَسْتَقِرُّ إِيمَانُهُ فِي قَلْبِهِ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ عَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ (النحل: ٩٢).

فهؤلاء لا إيمان لهم وإنْ كانت صورهم وهميّاتهم هيئات أهل الإيمان وأهل البيعة الظاهريّة، وإنْ كانت عناوينهم التي يدعونها باسم الدفاع عن الدين وإعادته إلى قواعده، فصدقـت التسمية عليهم حقاً.

الثانية: القاسطون:

أُولئكَ الَّذِينَ أَحَبُّوا السُّلْطَةَ وَالْمَالَ، وَأَحَبُّوا الْجَاهَ وَالرَّفْعَةَ، وَكَانَتْ تَجْرِي فِي دمَائِهِمْ رُوحُ الْعَنْصَرِيَّةِ وَالْتَّعَصُّبِ، فَهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا - وَلَمْ يَأْيَعُوهَا - أَصْلًا لِكَيْ يَنْكُثُوا إِيمَانَهُمْ، لَكِنَ الظَّرُوفُ أَجْبَرَتْهُمْ عَلَى إِظْهَارِ إِيمَانِهِمْ، فَمَا إِنْ سُنِّتْ فرصةُ إِبْرَازِ حَقِيقَتِهِمْ حَتَّى جَاءَ وَصْفُ الْقَاسِطِينَ خَيْرًا مُسَمَّى لَهُمْ.

الثالثة: المارقون:

أُولئكَ الْجَهَلَاءُ الْحَمْقَىُ، فَهُمْ رِجَالٌ آمَنُوا وَأَحَبُّوا إِيمَانَهُمْ وَسَعَوْا إِلَى أَنْ يَتَلَبَّسُوا بِهِ وَيَأْرِسُوهُ طَقْسًا يَتَرَبَّونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ سَبِّحَانَهُ وَتَعَالَى، لَكِنَّ فِي قُلُوبِهِمْ نَبَاتَاتٌ سَامَّةٌ لَمْ يَقْلِعُوهَا، فَأَمْرَضَتْ وَسَرَطَنَتِ السَّلِيمَ مِنْهَا، فَالْجَهَلُ وَالْحَمْقُ وَقَلَّةُ الْبَصِيرَةُ يُؤَدِّيُانِ بِالْإِنْسَانِ إِلَى أَنْ يَنْزِعَ ثُوبَ إِيمَانِهِ وَيَلْبِسَ ثُوبًا أَخْسَى مَا يَلْبِسُهُ الشَّيْطَانُ، أُولئكَ هُمُ الْمَارِقُونَ، فَبَعْدَ أَنْ عَرَفُوا عَلَيْهِمْ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ وَعَاسِرَوْهُ،

وقاتلوا تحت لوائه وأكلوا من زاده، وعرفوا مَنْ هو وإِلَى مَ يرمي، رغم ذلك وقعوا فيها منه هربوا، لَأَنَّهُمْ لم يسعوا إِلَى ما طلبو صحيحاً، وإنَّا تصوَّرُوا أَنَّهُمْ يسعون إِلَيْهِ، فيما كانوا أَشَدَّ الناس هرباً وابتعاداً عنه.

قال الإِربلِي رحمه الله : (ولهذا جعل رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القتال على تأويله كالقتال على تنزيله...، وما وجده من اختلاف الأُمَّةِ عليه عَلَيْهِ الْكَبَّالَةُ، وظهورهم على منابذته ومحاربته، وشق العصا عليه وسبه على المنابر والتبرّي منه وتتبع أولاده وشيعته من بعده، وقتلهم وإخافتهم في كُلِّ ناحية وقطر والتقرب إلى ولاة كُلِّ زمانٍ بدمائهم والطعن في عقائدهم ومنعهم حقوقهم، بل بغضهم وتطريدهم وتشريدهم) <sup>(١)</sup> . وقد تحدَّث الروايات الشريفة عن هذه الفتات كثيراً، ومن بينها:

\* في (تفسير القمي): قوله: **﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانُهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفَّارِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾** [التوبه: ١٢]، فإنَّها نزلت في أصحاب الجمل، و قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَبَّالَةُ يومَ الحِمَل: «وَاللهِ مَا قَاتَلْتُ هَذِهِ الْفَتَّةَ الْأَنَّاكِثَةَ إِلَّا بِآيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَلَيْهِ الْكَبَّالَةُ...»، فَقَالَ أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَبَّالَةُ...: «وَاللهِ لَقَدْ عَاهَدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَيْرَ مَرَّةً، وَلَا إِثْنَتَيْنِ وَلَا ثَلَاثَيْنِ وَلَا أَرْبَعَ، فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، إِنَّكَ سَتُقَاتِلُ بَعْدِي الْأَنَّاكِثَيْنَ وَالْمَارِقَيْنَ وَالْقَاسِطِيْنَ، أَفَأُضِيعُ مَا أَمْرَنِي بِهِ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...» <sup>(٢)</sup> .

\* وفي (كتاب سليم) نقل قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَبَّالَةُ الذي قال فيه: «أَشْيَاءُ لَمْ أَجِدْ إِلَيْ تَرْكِهِنَّ سَبِيلًا، لِأَنَّ الْقُرْآنَ بِهَا أُنْزِلَ عَلَى قَلْبِ مُحَمَّدٍ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قِتَالُ الْأَنَّاكِثَيْنَ وَالْقَاسِطِيْنَ وَالْمَارِقَيْنَ الَّذِي أَوْصَانِي وَعَاهَدَ إِلَيَّ خَلِيلِ رَسُولِ اللهِ بِقِتَالِهِمْ...» <sup>(٣)</sup> .

(١) كشف الغمة (ج ١ / ص ١٢٢).

(٢) تفسير القمي (ج ١ / ص ٢٨٣).

(٣) كتاب سليم بن قيس (ص ٣٩٢).

### إِخْبَارُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَنْ صِفَيْنَ وَالنَّهْرَوَانِ:

\* في (كتاب سليم): قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فَلَمَّا وَجَدْتُ أَعْوَانًا بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ عَلَى إِقَامَةِ أَمْرِ اللهِ وَإِحْيَاءِ الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ لَمْ يَسْعَنِي الْكَفُّ، فَبَسَطْتُ يَدِي فَقَاتَلْتُ هَؤُلَاءِ النَّاكِثِينَ، وَأَنَا غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ مُقَاتِلُ الْقَاسِطِينَ بِأَرْضِ الشَّامِ فِي مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ: صِفَيْنُ، ثُمَّ أَنَا بَعْدَ ذَلِكَ مُقَاتِلُ الْمَارِقِينَ بِأَرْضِ مِنْ أَرْضِ الْعَرَاقِ يُقَالُ لَهُ: النَّهْرَوَانُ». أمرني رسول الله صلوات الله عليه وآله وسليمه بقتالهم في هذه المطافئ الثلاثة. وكففت يدي لغير عجزٍ ولا جبنٍ ولا كراهية للقاء ربِّي، ولكن لطاعة رسول الله صلوات الله عليه وآله وسليمه وحفظ صيته. فلما وجدت أعواناً نظرت فلم أجد بين السيلين ثالثاً: إما أحْمَادٌ في سبيل الله وألْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، أو الْكُفْرُ بِاللهِ وَالْجُنُودُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَمُعَايَةُ الْأَعْلَالِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَالْأَرْتِدَادُ عَنِ الْإِسْلَامِ»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (أمالى الصدق) بسنده عن أم سلمة في حديث طويل جاء فيه: «يا أم سلمة، اسمعى وآشهدى، هدا على بن أبي طالب وصيى وخلفتى من بعدي، وقاضى عداتى، والذائد عن حوضى. يا أم سلمة، اسمعى وآشهدى، هدا على بن أبي طالب سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين»، قلت: يا رسول الله، من الناكثون؟ قال: «الذين يبايعونه بالمدينة، وينكثون بالبصرة»، قلت: من القاسطون؟ قال: «معاوية وأصحابه من أهل الشام»، قلت: من المارقون؟ قال: « أصحاب النهروان»<sup>(٢)</sup>.

\* وفي (الغارات): قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من عبد الله أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من ساكني البصرة من المؤمنين والMuslimين: سلام عليكم، أما بعد، فإن الله حليم ذو أنا لا يعجل بالعقوبة قبل البينة، ولا يأخذ

(١) كتاب سليم بن قيس (ص ٤٣٩).

(٢) أمالى الصدق (ص ٢٦٣ و ٢٦٤ / ٦٢٠ ح).

المُذِنِبُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَلَكِنَّهُ يَقْبِلُ التَّوْبَةَ، وَيَسْتَدِيمُ الْأَنَّةَ، وَيَرْضَى بِالْإِنَابَةِ، لِيَكُونَ أَعْظَمَ لِلْحُجَّةِ، وَأَبْلَغَ فِي الْمَعْذِرَةِ. وَقَدْ كَانَ مِنْ شَقَاقِ جُلُّكُمْ أَئْبَاهَا النَّاسُ، مَا إِسْتَحْقَقْتُمْ أَنْ تُعَاقِبُوا عَلَيْهِ، فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، وَرَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ، وَأَخْذَتُ بِيَعْتَكُمْ، فَإِنْ تَفْوَى بِيَعْتِي، وَتَقْبِلُوا نَصِيْحَتِي، وَتَسْتَقِيمُوا عَلَى طَاعَتِي، أَعْمَلْ فِيْكُمْ بِالْكِتَابِ [وَالسُّنْنَةَ] وَقَصِيدَ الْحَقِّ، وَأَقِيمُ فِيْكُمْ سَبِيلَ أَهْدَى، فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَنَّ وَالْيَارَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُ بِذَلِكَ مِنِّي، [وَلَا أَعْمَلُ]. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا صَادِقاً... فَإِنْ خَطَّتْ بِكُمُ الْأَهْوَاءُ الْمُرْدِيَّةُ، وَسَفَهُ الرَّأْيِ الْجَاهِيرِ إِلَى مُنَابَدَتِي تُرِيدُونَ خِلَافِي، فَهَا أَنَا ذَا قُرْبُتُ حِيَادِي، وَرَحَلْتُ رِكَابِي. وَأَيْمُ اللَّهُ لَئِنْ أَجْحَمْتُنِي إِلَى أَلْسِيرِ إِلَيْكُمْ، لَا وَقَعَنَ بِكُمْ وَقْعَةً لَا يَكُونُ يَوْمُ الْجَهَنَّمِ عِنْدَهَا إِلَّا كَلْعَةً لَاعِقٍ، وَإِنِّي لَظَانٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا تَجْعَلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ سَبِيلًا. وَقَدْ قَدَّمْتُ هَذَا الْكِتَابَ حُجَّةً عَلَيْكُمْ، وَلَيْسَ أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ كِتَابًا إِنْ أَنْتُمْ إِسْتَغْشَشْتُمْ نَصِيْحَتِي، وَنَابَدْتُمْ رَسُولِي، حَتَّى أَكُونَ أَنَا الشَّاسِخَ نَحْوَكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالسَّلَامُ<sup>(١)</sup>.

لاحظ شدة خطابه عَلَيْهِ اللَّهُ كَفَّا معهم تعرف حجم الألم الذي خلفه صنيع هؤلاء في قلبه وتأثيره إلى أبد الدهر على حال الناس وعوائد المسلمين، فصنيع هؤلاء لم يقف عند ساعته، بل أنيمه عَلَيْهِ اللَّهُ كَفَّا منه لا زال مدوياً إلى يوم الناس هذا، وجرح أمير المؤمنين عَلَيْهِ اللَّهُ كَفَّا من هؤلاء لم يندمل بعد ولا يندمل.

\* \* \*

المبحث السابع:

ما وقع على أهل البيت عليهم السلام بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وبعد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من أنواع البلاء



## الفقرة الثانية والعشرون

«وَلَمَّا قَضَى نَحْبَهُ وَقَتَلَهُ أَشْقَى الْآخِرِينَ يَتَبَعُ أَشْقَى الْأَوَّلِينَ،  
لَمْ يُمْثَلْ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْأَهَادِينَ بَعْدَ الْأَهَادِينَ».

يشير المقطع المبارك إلى نتيجة حتمية للسياسة الإلهية التي كان يتنهجها أمير المؤمنين علي عليهما السلام في مجتمع دعاته نزعاته وجهمه إلى الالتفاف حول أدعية الضلال ورموز الانحراف، فكان أنْ قضى أمير المؤمنين عليهما السلام شهيداً في محراب الهدایة وعرج إلى الله سبحانه وتعالى.

ودلالات شهادته في المسجد وفي الصلاة وفي المحراب كبيرة جدًا لا يسعنا الوقوف عندها في هذا الشرح المختصر.

ولكن وبشكل بجمل نرى أنَّ الحكمة الإلهية اقتضت لهذا الرجل الريّان الإلهي أنْ يكون عنصر استخلاص للارتباط في الله والذوبان في ذاته تعالى، فمن ولادته التي كانت في أعظم مسجد وبيت، إلى شهادة في مسجده المعظم، ودفنه في أرض مقدّسة ادْخَرَت له، وتضمنَت جسد عدّة أنبياء - آدم ونوح عليهما السلام -، وصار جسده الطاهر عليهما السلام ضجيع قبريهما، ومجاوراً لهود وصالح عليهما.

نعم هكذا كانت قَصَّةُ علي عليهما السلام الذي يُمثّل عنصر الهدایة والارتباط بالله سبحانه وتعالى، شخص أرادته حكمة السماء أنْ يربط العباد بخالقهم فصاغته نموذجاً، بدايته ذوبان وارتباط بذات القدس والعظمة، ونهايته اندكاك وانصهار وعبوديّة وفناه في ذات الربوبية، هذا هو علي عليهما السلام.

### سُنَّة قَتْلُ الْهَدَاءِ وَالْأُولَيَاءِ سُنَّةً قَدِيمَةً:

أمّا من جانب الشخص الذي قتله فإنَّ المقطع الشريف يشير إلى أنَّ سُنَّةَ قَتْلُ الْهَدَاءِ وَالْأُولَيَاءِ هي سُنَّةً قَدِيمَةً، وَأَنَّهَا تَأْتِي عَلَى يَدِ ابْنِ مَلْجَمَ - أَشْقَى وَأَرْذَلِ الْخَلْقِ، حِيثُ يَصِفُّ الْمَقْطُوعُ النَّدِيَّ الْمَبَارَكَ أَنَّ قَاتِلَ وَلِيِّ اللَّهِ هُوَ أَشْقَى خَلْقِ اللَّهِ مِنَ الْآخَرِينَ، وَيَتَبَعُ فِي نَهْجِهِ وَعَمَلِهِ هَذَا أَشْقَى خَلْقِ اللَّهِ مِنَ الْأُولَيَاءِ، وَهِيَ سِيَاسَةً مَاضِيَّةً لِدُلُّ الْأَشْقِيَاءِ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَاقْتَدَاهُمْ بِالضُّلَالِ وَالْمُنْحَرِفِينَ فِي تَرْدُدِهِمْ عَلَى إِرَادَةِ أَوْلَيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَإِقْصَائِهِمْ عَنْ وَظِيفَةِ هَدَايَتِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ.

### أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمُنِيعُ عَنِ التَّعْدِيِّ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ويشير المقطع أيضاً إلى ما كان يُمَثِّلُهُ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ من سُدٌّ مُنِيعٌ تجاهِ الْمُجَاهَاتِ وَالْمُعْتَدَاءِاتِ وَالظُّلْمِ الَّذِي لَحِقَ بِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْهَدَاءُ مِنْ بَعْدِهِ، فَحِينَما كَانَ مُوجُودًا بَيْنَهُمْ كَانُ هُوَ الْمَحَايِيُّ وَالْمَدَافِعُ، لَكِنَّهُ بَعْدَ أَنْ فُقِدَ اجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ الظَّالِمَةُ عَلَى هَتْكِ حِرْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَصِيَانِ أَمْرِهِ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَوْلَيَاءِ دِينِهِ.

فالعدوان على أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وبالتالي إقصاءه عن الساحة وإدارة شأنِ النَّاسِ، هو مُخالفة لِأَوْامِرِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي كَوْنِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَالْأُمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ ذَرِّيَّتِهِ هُمْ هَدَاءُ لِلْأُمَّةِ، وَعَصِيمَةُ لَهُ مِنَ الْانْرَافِ وَالضُّلَالِ.

هذا العدوان شَكَّلَ الْبَدَايَةَ وَالْمُنْطَلِقَ، وَكَوَّنَ الْأَرْضِيَّةَ لِلَّاحِقِينَ مِنَ الظُّلْمَةِ فِي السَّيِّرِ عَلَى نَهْجِ السَّابِقِينَ مِنْهُمْ، فِي إِبْعَادِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِزْوَانِهِمْ عَنْ مَارِسَةِ دُورِهِمْ.

يُحَدِّثُنَا المقطعُ عَنْ أَنَّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُمْتَشِّلْ، عَلَى مَا سِيَّأَتِي مِنْ شَرِحِ الْمَقَاطِعِ الْلَّاحِقَةِ.

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ٢٢٧

وهذا ما يمكن الاستفادة منه كدلالة على أنَّ الوصيَّة بالائمة من أهل البيت عليهما السلام، والأمر للأئمة باتباعهم هي من رسول الله ﷺ، وأنَّ مخالفتها مخالفة له، وبذلك يمكن لنا أن نستفيد من هذا المقطع المبارك أنَّ هناك أوامر للأئمة في وجوب متابعة أهل البيت عليهما السلام الهداة لها، وأنَّ هذا الأمر بوجوب الاتباع بين واضح لدى الأئمة، ولكنَّ الأئمة - ومع الأسف - خالفت هذه الأوامر ونبذتها وراء ظهرها.

**بين الأمر بلزوم المتابعة لأمير المؤمنين والعترة الطاهرة عليهما السلام وبين شدة الإقصاء:**

فهذا المقطع الندي المبارك يشير إلى حقيقة واضحة لدى الأئمة في أنها مأمورة باتباع مجموعة من الأئمة الهداء، وأنَّ النصَّ عليهم من رسول الله ﷺ. ويشير أيضاً إلى وضوح حالة أخرى، وهي أنَّ الإقصاء والإبعاد للأئمة الهداء وترك أمر رسول الله ﷺ كانت سُنة شرها هؤلاء وتشربوا بها، وعاشوا عليها سنين بقاء الأئمة عليهما السلام بينهم. وهذا ما أشرنا إليه سابقاً من أنَّ الأئمة وصل بها حال كره علىٰ وأهل بيته عليهما السلام أنها أكبَّت علىٰ عدوانه، وتمسَّكت بمنابذته مع أنها مأمورة بنصرتهم ومتابعتهم علىٰ ما مرَّ عليك.

**ما جرى على أمير المؤمنين وأهل بيته عليهما السلام في النصوص الروائية والتاريخية:**

وما ورد بها جرى عليه عليهما السلام وعليهم عليهما السلام عدَّة روايات ونصوص تاريخية، منها:

\* في (الإرشاد): (كانت إماماً أمير المؤمنين عليهما السلام بعد النبي ﷺ ثلاثة سنَّة، منها أربع وعشرون سنَّة وأشهر من نوعاً من التصرُّف علىٰ أحکامها،

مستعملاً للتقية والمداراة. ومنها خمس سنين وأشهر متحناً بجهاد المنافقين من الناكثين والقاسطين والمارقين، مضطهدًا بفتن الضالّين، كما كان رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة من نبوّته من نوعاً من أحكامها، خائفاً ومحبوساً وهارباً ومطروداً، لا يتمكّن من جهاد الكافرين، ولا يستطيع دفعاً عن المؤمنين، ثم هاجر وأقام بعد الهجرة عشر سنين مجاهداً للمشركين متحناً بالمنافقين، إلى أنْ قبضه الله تعالى إليه وأسكنه جنّات النعيم. وكانت وفاة أمير المؤمنين عليهما السلام قبيل الفجر من ليلة الجمعة ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة قتيلاً بالسيف، قتله ابن ملجم المرادي (لعنه الله) في مسجد الكوفة...).

\* وفي (أمالی الصدوق) بسنده عن ابن عباسٍ، قال: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ جَالِسًا ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ أَقْبَلَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَهُ بَكَىٰ، ثُمَّ قَالَ: «إِلَيَّ يَا بُنْيَّ»، فَمَا زَالَ يُدْنِيهِ حَتَّى أَجْلَسَهُ عَلَى فَخِذِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ أَقْبَلَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَهُ بَكَىٰ، ثُمَّ قَالَ: «إِلَيَّ يَا بُنْيَّ»، فَمَا زَالَ يُدْنِيهِ حَتَّى أَجْلَسَهُ عَلَى فَخِذِهِ الْيُسْرَىٰ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَهَا بَكَىٰ، ثُمَّ قَالَ: «إِلَيَّ يَا بُنْيَّ»، فَأَجْلَسَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَهُ بَكَىٰ، ثُمَّ قَالَ: «إِلَيَّ يَا أَخِي»، فَمَا زَالَ يُدْنِيهِ حَتَّى أَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تَرَىٰ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا بَكَيْتَ، أَوْ مَا فِيهِمْ مِنْ سُرُورٍ وَرُؤْيَةٍ؟ فَقَالَ ﷺ: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالنُّبُوَّةِ، وَرَأَصْطَفَنِي عَلَى جَمِيعِ الْبَرِّيَّةِ، إِنِّي وَإِيَّاهُمْ لَأَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَىَ اللهِ تَعَالَى، وَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ نَسَمَةٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُمْ. أَمَّا عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ أَخِي وَشَقِيقِي، وَصَاحِبُ الْأَمْرِ بَعْدِي، وَصَاحِبُ لِوَائِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصَاحِبُ حَوْضِي وَشَفَاعَتِي، وَهُوَ مَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِمَامُ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَقَائِدُ كُلِّ تَقِيٍّ، وَهُوَ وَصِيُّ

وَخَلِيفَتِي عَلَى أَهْلِي وَأَمْتَي فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَمَاتِي، حُبُّهُ حُبِّي، وَمُبْغِضُهُ مُبْغِضِي، وَبِوَلَائِتِهِ صَارَتْ أَمْتَي مَرْحُومَةً، وَبِعَدَاوَتِهِ صَارَتِ الْمُخَالَفَةُ لَهُ مِنْهَا مَلْعُونَةً، وَإِنِّي بَكَيْتُ حِينَ أَقْبَلَ لِأَنِّي ذَكَرْتُ عَدْرَ الْأُمَّةِ بِهِ بَعْدِي حَتَّى إِنَّهُ لَيُزَالُ عَنْ مَقْعِدِي، وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ بَعْدِي، ثُمَّ لَا يَرَأُ الْأَمْمُ بِهِ حَتَّى يُضْرَبَ عَلَى قَرْنِهِ ضَرْبَةً تُخْضِبُ مِنْهَا لِحِيَتِهِ فِي أَفْضَلِ الشُّهُورِ، **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾** [البقرة: ١٨٥] [١] .

\* وفيه بسنده عن علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر محمد بن علي، عن أبيه زين العابدين علي بن الحسين، عن أبيه سيد الشهداء الحسين بن علي، عن أبيه سيد الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام، قال: **«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ خَطَبَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: أَئْهَا النَّاسُ، إِنَّهُ قد أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللَّهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ...»** قال أمير المؤمنين عليهما السلام: **«فَقَمْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْوَرَعُ عَنْ مَحَارِمَ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ بَكَى، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا يُبَكِّيكَ؟ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ، أَبْكَيِ لِمَا يُسْتَحْلُ مِنْكَ فِي هَذَا الشَّهْرِ، كَأَنِّي بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي لِرَبِّكَ، وَقَدْ ابْنَتَ أَشْقَى الْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، شَقِيقُ عَاقِرَ نَاقَةَ ثَمُودَ، فَضَرَبَكَ ضَرْبَةً عَلَى قَرْنِكَ، فَخَضَبَ مِنْهَا لِحِيَتَكَ»**، قال أمير المؤمنين عليهما السلام: **«فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَذِلَّكَ فِي سَلَامَةِ مِنْ دِينِي؟ فَقَالَ: فِي سَلَامَةِ مِنْ دِينِكَ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا عَلِيُّ، مَنْ قَتَلَكَ فَقَدْ قَتَلَنِي، وَمَنْ أَبْغَضَكَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ سَبَكَ فَقَدْ سَبَّنِي، لِأَنَّكَ مِنِّي كَنْفُسِي، رُوْحُكَ مِنْ رُوْحِي،**

(١) أمالى الصدوق (ص ١٧٤ و ١٧٥ / ٢ / ١٧٨).

وَطِيَّبْتُكَ مِنْ طِيَّبِي، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَنِي وَإِيَّاكَ، وَرَاصِطَفَنِي وَإِيَّاكَ، وَرَأْخِتَارَنِي لِلنُّبُوَّةِ، وَرَأْخِتَارَكَ لِلْإِمَامَةِ، فَمَنْ أَنْكَرَ إِمَامَتَكَ فَقَدْ أَنْكَرْتُ بُوْبَقِي. يَا عَلِيُّ، أَنْتَ وَصِيِّيُّ، وَأَبُو وُلْدِيِّ، وَزَوْجُ إِبْتَيِّ، وَخَلِيفَتِي عَلَى أُمَّتِي فِي حَيَاقِي وَبَعْدَ مَمَّاقِي، أَمْرُكَ أَمْرِيِّ، وَمَهِيَّكَ مَهِيِّيُّ، أُقْسِمُ بِالَّذِي بَعَثَنِي بِالنُّبُوَّةِ وَجَعَلَنِي خَيْرَ الْبَرَّيَّةِ، إِنَّكَ حَجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَمِينُهُ عَلَى سِرِّهِ، وَخَلِيفَتُهُ عَلَى عِبَادِهِ<sup>(١)</sup>.

\* وفي (جمع البيان): وقد صحَّت الرواية بالإسناد عن عُثمانَ بْنِ صُهَيْبٍ، عن أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ أَشْقَى الْأَوَّلِينَ؟»، قَالَ: «عَاقِرُ النَّاقَةِ»، قَالَ: «صَدَقَتْ، فَمَنْ أَشْقَى الْآخِرِينَ؟»، قَالَ: «قُلْتُ: لَا أَعْلَمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الَّذِي يَضْرِبُكَ عَلَى هَذِهِ - وَأَشَارَ إِلَيْهِ يَأْفُوهُ -<sup>(٢)</sup>».

\* وفي (تنقية المقال): (وَضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمَ بِسِيفَ مَسْمُومٍ عَلَى رَأْسِهِ فِي مُحَرَّابِ مَسْجِدِ الْكُوفَةِ، صَبِيَّحَهُ لِيَلَةَ الْجُمُعَةِ لِتَسْعَ عَشْرَةَ لِيَلَةً مُضَيَّنِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَتُوْقِيَّ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) لِيَلَةً إِحْدَى وَعَشْرَيْنِ مِنْهُ)<sup>(٣)</sup>.

### روايات الدفن في الغريٌّ:

مَمَّا لَا خلافٌ فِيهِ عِنْدَ الْإِمَامِيَّةِ، بَلْ هُوَ مِنَ الضروراتِ الْمَذَهَبِيَّةِ مَدْفَنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الغريٌّ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ فِيهِ الْآنُ، أَخِذَّ هَذَا الْمَوْضِعَ يَدًا بِيَدٍ بِلَا تَرْدُدٍ وَشَكٍّ. وَمَمَّا يُشَيرُ إِلَى ذَلِكَ:

\* في (تهذيب الأحكام) بِسِنْدِهِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيْنَ دُفِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قَالَ: «دُفِنَ فِي قَبْرِ أَبِيهِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ»،

(١) أَمَالِيُّ الصَّدُوقِ (ص ١٥٣ - ١٥٥ / ح ٤/١٤٩).

(٢) مُجَمَّعُ الْبَيَانِ (ج ١٠ / ص ٣٧١).

(٣) تَنْقِيَّةُ الْمَقَالِ (ج ١ / ص ٢٢٠ و ٢٢١).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ٢٣١

قلت: وَأَيْنَ قَبْرُ نُوحٍ؟ النَّاسُ يَقُولُونَ: إِنَّهُ فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ: «لَا، ذَاكَ فِي ظَهْرِ الْكُوفَةِ»<sup>(١)</sup>.

\* وفيه بسنده عن الشهابي، عن أبي جعفر عليهما السلام في حديث حدث به «أنه كان في وصيته أمير المؤمنين عليهما السلام: أن آخر جوني إلى الظاهر، فإذا تصوّرت أقدامك ورأست قبلتكم ريح فادفنوني، وهو أول طور سيناء، ففعلا ذلك»<sup>(٢)</sup>.

\* وفيه بسنده عن إسماعيل، عن أبي عبد الله عليهما السلام، قال: «نحن نقول: بظاهر الكوفة قبر لا يلود به ذو عاهة إلا شفاؤه الله»<sup>(٣)</sup>.

\* وفي (كامل الزيارات) بسنده عن المفضل بن عمر، قال: دخلت على أبي عبد الله عليهما السلام، فقلت: إني أشتاق إلى الغري، قال: «فما شوقك إليه؟»، قلت له: إني أحب أن أزور أمير المؤمنين عليهما السلام، قال: «فهل تعرف فضل زيارة أمير المؤمنين عليهما السلام، فاعلم أنك زائر عظام آدم، وبدن نوح، وجسم علي بن أبي طالب عليهما السلام»، قلت: إن آدم هبط بسرنديب في مطلع الشمس، وزعموا أن عظامه في بيت الله أحرام، فكيف صارت عظامه بالكوفة؟ قال: «إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى نوح عليهما السلام وهو في السفينية أن يطوف بالبيت أسبوعاً، فطاف بالبيت كما أوحى الله إليه، ثم نزل في الماء إلى ركبته، فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم، فحمل التابوت في جوف السفينية حتى طاف بالبيت ما شاء الله تعالى أن يطوف، ثم ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها، ففيها قال الله لالأرض: «أبلغي ماءك» [هود: ٤٤]، فبلغت ماءها من مسجد الكوفة كما بدأ

(١) تهذيب الأحكام (ج ٦ / ص ٣٤) ح ٦٨/١٢.

(٢) تهذيب الأحكام (ج ٦ / ص ٣٤) ح ٦٩/١٣.

(٣) تهذيب الأحكام (ج ٦ / ص ٣٤) ح ٧٠/١٤.

الْمَاءُ مِنْ مَسِيْدِهَا، وَتَفَرَّقَ الْجَمْعُ الَّذِي كَانَ مَعَ نُوْحٍ فِي السَّفِينَةِ، فَأَخْذَ نُوْحٌ  
الْتَّابُوتَ فَدَفَنَهُ بِالْغَرِيْبِيِّ، وَهُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْجَبَلِ الَّذِي كَلَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مُوسَى  
تَكْلِيْمًا، وَقَدَّسَ عَلَيْهِ عِيسَى تَقْدِيْسًا، وَأَخْذَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيْمَ حَلِيلًا، وَأَخْذَ عَلَيْهِ  
مُحَمَّدًا حَبِيْبًا، وَجَعَلَهُ لِلنَّبِيِّيْنَ مَسْكَنًا، وَاللَّهُ مَا سَكَنَ فِيهِ أَحَدٌ بَعْدَ آبَائِهِ الْأَطَاهِرِيْنَ  
آدَمَ وَنُوْحَ أَكْرَمُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَيْهِ الْكَلَمُ، فَإِذَا رُزِّتَ جَانِبَ النَّجَفِ فَزُرَ عِظَامَ  
آدَمَ وَبَدَنَ نُوْحَ وَجِسْمَ عَلَيْهِ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ الْكَلَمُ، فَإِنَّكَ زَائِرُ الْأَبَاءِ الْأَوَّلِيْنَ،  
وَمُحَمَّدًا عَلَيْهِ الْكَلَمُ خَاتَمَ النَّبِيِّيْنَ، وَعَلَيْهِ سَيِّدُ الْوَصِيْنَ، فَإِنَّ زَائِرَهُ تُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ  
السَّمَاءِ عِنْدَ دُعْوَتِهِ، فَلَا تَكُنْ عَنِ الْخَيْرِ نَوَّاماً<sup>(١)</sup>.

\* وفي (فرحة الغريّ) بسنده عن عبد الرحيم القصيّر، قال: سأّلتُ أبا جعفر علیه السلام عن قبر أمير المؤمنين، فقال: «أمير المؤمنين مدفون في قبر نوح»، قُلْتُ: ومن نوح؟ قال: «نوح النبي علیه السلام»، قُلْتُ: كيف صار هذا؟ فقال: «إنَّ أمير المؤمنين صديق هياً الله له مضجعه في مضجع صديق». يا عبد الرحيم، إنَّ رَسُولَ الله علیه السلام أَخْبَرَنَا بِمَوْتِهِ وَبِالْمَوْضِعِ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّلَهُ حَنُوطًا مِنْ عِنْدِهِ مَعَ حَنُوطِ أَخِيهِ رَسُولِ الله علیه السلام، وَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْشُرُ لَهُ قَبْرُهُ، فَلَمَّا قُبِضَ عَلَيْهِ الْكَلَمُ كَانَ فِي مَا أَوْصَى بِهِ أَبْنَيْهِ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا إِذَا قَالَ لَهُمَا: إِذَا مِنْ فَغَسِّلَنِي وَحَنْطَانِي، وَأَحْمَلَنِي بِاللَّيْلِ سَرَّاً، وَأَحْمَلَنِي يَا بَنِي بِمُؤَخِّرِ السَّرِيرِ وَاتَّبَعَنِي مُقَدَّمَهُ، فَإِذَا وُضِعَ فَضَعًا، وَأَدْفَنَنِي فِي الْقَبْرِ الَّذِي يُوَضَّعُ السَّرِيرُ عَلَيْهِ، وَأَدْفَنَنِي مَعَ مَنْ يُعِينُكُمَا عَلَى دَفْنِي فِي الْلَّيْلِ وَسَوَيَّاهُ<sup>(٢)</sup>.

\* وفي (الإرشاد) بسنده عن جابر بن يزيد، قال: سأّلتُ أبا جعفر محمد بن عليّ الباقر علیه السلام: أين دفن أمير المؤمنين علیه السلام؟ قال: «دفن بناحية الغريّن، ودفن

(١) كامل الزيارات (ص ٨٩ - ٩١ / ٩١ ح ٢).

(٢) فرحة الغريّ (ص ٧٨ / ٢١).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهم السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ٢٣٣

قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَدَخَلَ قَبْرَهُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلَيٍّ عليهم السلام وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرَ رضي الله عنهما <sup>(١)</sup>.

### شبهة مقابل بديهة:

مَا هو معروف أن الشبهات لا تقف عند حد ولن تقف، حتى إن الذات المقدسة وجود الله تعالى قيل بعدم وجوده، رغم أنه ورد في وضوح وجوده وضرورة الإيمان به ما روي عن الإمام الحسين عليه السلام: «كَيْفَ يُسْتَدِلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَنِرٌ إِلَيْكَ، أَيْكُونُ لِغَيْرِكَ مِنَ الظَّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهَرُ لَكَ، مَتَى غَيْبَتْ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدْلِيلُ عَلَيْكَ» <sup>(٢)</sup>.

فإذا كان الأمر في الذات المقدسة هكذا فما بالك بغيره؟! ومن بين الأمور الواضحة التي أثيرت حولها الشبهات مدفن أمير المؤمنين عليه السلام في الغري.

قال ابن كثير: (وُدُفِنَ بدار الأماراة بالковفة خوفاً عليه من الخوارج أن ينشوا عن جثته، هذا هو المشهور، ومن قال: إنه حمل على راحلته فذهب به فلا يدرى أين ذهب، فقد أخطأ وتكلف ما لا علم له به ولا يسيقه عقل ولا شرع، وما يعتقده كثير من جهله الروافض من أن قبره بمشهد النجف فلا دليل على ذلك ولا أصل له، ويقال: إنما ذاك قبر المغيرة بن شعبة، حكاه الخطيب البغدادي، عن أبي نعيم الحافظ، عن أبي بكر الطلحي، عن محمد بن عبد الله الحضرمي الحافظ، عن مطر أنه قال: لو علمت الشيعة قبر هذا الذي يعظّمونه بالنجف لرجحه بالحجارة، هذا قبر المغيرة بن شعبة... وقد قيل: إن علياً دُفِنَ قبل المسجد الجامع من الكوفة، قاله الواقدي، المشهور بدار الأماراة. وقد

(١) الإرشاد (ج ١ / ص ٢٤ و ٢٥).

(٢) إقبال الأعمال (ص ٣٤٨ و ٣٤٩ / ط القديمة).

حَكَىُ الخطيب البغدادي عن أبي نعيم الفضل بن دكين، أَنَّ الْحَسْنَ وَالْحَسِينَ حُوَّلَا فَنْقَلَا إِلَىَ الْمَدِينَةِ، فَدُفِنُاهُ بِالْبَقِيعِ عِنْدَ قَبْرِ فَاطِمَةَ. وَقِيلَ: إِنَّهُمْ لَمَّا حُمِلُوهُ عَلَىَ الْبَعِيرِ ضَلَّ مِنْهُمْ، فَأَخْذَتْهُ طَيْءٌ يَظْنُونَهُ مَالًاً، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّ الَّذِي فِي الصَّنْدُوقِ مَيِّتٌ وَلَمْ يَعْرُفُوهُ دُفِنُوا الصَّنْدُوقَ بِمَا فِيهِ، فَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ أَيْنَ قَبْرَهُ، حَكَاهُ الْخَطِيبُ أَيْضًاً. وَرَوَىُ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَكِرَ عَنِ الْحَسْنِ، قَالَ: «دُفِنَ عَلَيَّ فِي حَجَرَةٍ مِنْ دُورِ آلِ جَعْدَةِ». وَعَنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَمِيرٍ، قَالَ: لَمَّا حُفِرَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَسَاسُ دَارِ ابْنِهِ يَزِيدَ اسْتَخْرَجُوا شِيخًا مَدْفُونًا أَيْضًا الرَّأْسُ وَاللَّحْيَةُ كَائِنًا دُفِنَ بِالْأَمْسِ، فَهُمْ بِإِحْرَاقِهِ، ثُمَّ صَرَفَهُ اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ، فَاسْتَدْعَى بَقِبَاطِي فَلَفَّهُ فِيهَا وَطَيَّبَهُ وَتَرَكَهُ مَكَانَهُ. قَالُوا: وَذَلِكَ الْمَكَانُ بِحَذَاءِ بَابِ الْوَرَاقِينَ مَمَّا يَلِي قَبْلَةَ الْمَسْجِدِ فِي بَيْتِ إِسْكَافٍ، وَمَا يَكَادُ يَقْرُرُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ أَحَدٌ إِلَّا اتَّقَلَ مِنْهُ. وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ قَالَ: «صُلِّيَ عَلَىَ عَلِيٍّ لَيْلًا، وَدُفِنَ بِالْكُوفَةِ، وَعُمِيَ مَوْضِعُ قَبْرِهِ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَ قَصْرِ الْإِمَارَةِ». وَقَالَ ابْنُ الْكَلَبِيِّ: شَهِدَ دُفْنُهُ فِي اللَّيْلِ الْحَسْنَ وَالْحَسِينَ وَابْنُ الْحَنْفِيَّةَ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِمْ، فَدُفِنُوهُ فِي ظَاهِرِ الْكُوفَةِ، وَعَمَّوْا قَبْرَهُ خِفَةً عَلَيْهِ مِنَ الْخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ<sup>(١)</sup>.

فَلَاحَظَ كَيْفَ جَعَلَ الْأَقْوَالُ عَدِيدَةً لِيَوْمِهِمْ عَلَىَ النَّاسِ الْاِخْتِلَافِ.

ثُمَّ لَاحَظَ كَيْفَ جَعَلَ الْقَوْلَ الْحَقَّ أَخْرَهَا لِيُبَعِّدَ قَبْلَهُ، وَقَدْ مَرَّتْ عَلَيْكَ رَوَايَاتُ مَدْفَنِهِ مِنْ طُرُقِنَا.

وَكَيْفَ كَانَ، فَقَدْ يَقَالُ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ ذَكَرَ هَذِهِ الشَّبَهَةَ هُوَ أَبُو جَعْفَرِ الْحَضْرَمِيِّ الْكَوْفِيِّ الْمُعْرُوفُ بِـ(مُطَيَّنٍ)<sup>(٢)</sup>.

(١) الْبَدَائِيَّةُ وَالنَّهَايَةُ (ج٧ / ص ٣٦٥ و ٣٦٦).

(٢) تَارِيَخُ بَغْدَادٍ (ج١ / ص ١٤٨).

### والجواب عن هذه الشبهة من وجوه:

١ - بثبوت قبره عليهما السلام في موضعه بما مرّ عليك من روایات عديدة، وضرورة ثابتة، فراجع.

٢ - لقد ذكر غير واحد أنَّ المغيرة بن شعبة قد دُفِنَ في (الثوَيَّة) وليس في (الغريِّ)، والثوَيَّة غير الغريِّ، منهم:

أ - ابن الأثير، قال: (الثوَيَّة): هي بضم الثاء وفتح الواو وتشديد الياء، ويقال: بفتح الثاء وكسر الواو: موضع بالكوفة، به قبر أبي موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة<sup>(١)</sup>.

ب - ياقوت الحموي، قال: (الثوَيَّة): بالفتح ثَمَ الكسر، وباء مشدَّدة، ويقال: الثوَيَّة بلفظ التصغير: موضع قرِيبٌ من الكوفة، وقيل: بالكوفة، وقيل: خريبةٌ إلى جانب الحيرة على ساعَةٍ منها، ذكر العلماء أَنَّها كانت سجنًا للنعمان بن المنذر، كان يحبس بها مَنْ أراد قتله، فكان يُقال لمن حُبِسَ بها: ثوَيٌّ، أي أقام، فسُمِّيت الثوَيَّة بذلك. وقال ابن حَبَّان: دُفِنَ المغيرة بن شعبة بالكوفة بموضع يقال له: الثوَيَّة، وهناك دُفِنَ أبو موسى الأشعريُّ في سنة خمسين<sup>(٢)</sup>.

٣ - ما دلَّ من غير طُرُقنا على أنَّ مدفنه عليهما السلام بالغريِّ، ومنهم:

أ - ابن أبي الدنيا بسنده عن ابن عيَّاش: سألت أبا حصين، وعاصم بن بهدلة، والأعمش وغيرهم، فقلتُ: أخبركم أَحَدُ أَنَّه صَلَّى عَلَى عَلِيٍّ أو شهد دفنه؟ قالوا: لا. فسألت أباكَ مُحَمَّدَ بن السائب، فقال: أُخْرِجَ بِهِ لِيَلًا، خرج به الحسن والحسين، وابن الحنفية، وعبد الله بن جعفر، وعدَّهُ من أهل بيتهما، فدُفِنَ في ظهر

(١) النهاية في غريب الحديث (ج ١ / ص ٢٣١).

(٢) معجم البلدان (ج ٢ / ص ٨٧).

الكوفة، قال [أبو بكر]: فقال: قلت لأبيك: لمْ فُعِلَ به ذلك؟ قال: مخافة أنْ تنبشه الخوارج أو غيرهم<sup>(١)</sup>.

ب - أبو الفرج الأصبهاني<sup>٢</sup> بسنده عن الحسن بن علي<sup>٣</sup> الخلا، عن جده، قال: قلت للحسن بن علي: أين دفنت أمير المؤمنين؟ قال: «خرجنا به ليلاً من منزله حتى مررنا به على مسجد الأشعث، حتى خرجنا به إلى الظهر بجنب الغري»<sup>(٤)</sup>.

٤ - تأليف الكتب المستقلة في دفع الشبهة، منها كتاب (فرحة الغري في تعين قبر أمير المؤمنين عليٍّ) لابن طاوس رحمه الله، حيث أثبت مفصلاً الموضع الحالي ودفع ما قيل، فراجع.

\* \* \*

### الفقرة الثالثة والعشرون

«وَالْأُمَّةُ مُصَرَّهٌ عَلَىٰ مَقْتِهِ، مُجْتَمِعٌ عَلَىٰ قَطِيعَةِ رَحِمِهِ وَإِقْصَاءِ وُلْدِهِ».

قلنا سابقاً: إنَّ هناك حالة اعوجاج فكري وعملي أُصيَّت بها الأُمَّةُ بعد شهادة رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بانزوالها عن أهل البيت عليه السلام وميلها بشكل كبير إلى أعدائهم. وهذه الحالة لو كانت الأُمَّة قد وقفت عليها لكان الأمر هينًا بعْض الشيء، إلَّا أنَّ نصوصاً كثيرةً فضلاً عَمَّا يتحدَّث عنه المقطع الندي المبارك يعكس لنا حالة أخرى، وهي حالة كُسُيَّت فيها قلوب أبناء هذه الأُمَّة بالقسوة والفضاضة والغلظة تجاه أهل البيت عليه السلام إلى حدٍ يصعب تصوُّره في بعض الأحيان تجاه أُمَّة عاشت في كنف الرأفة والرحمة الحمديَّة لفترة زمنيَّة طويلة، ولكن الواقع الذي يعكس حالة الإصرار على مقت أهل البيت عليه السلام، والاجتماع لا على عدائهم فقط، بل الاجتماع

(١) مقتل الإمام أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام (ص ٧٩ / ح ٦٨).

(٢) مقاتل الطالبيَّن (ص ٢٦).

على قتلهم وقطعهم أو صاهم والتنكيل بهم وإقصائهم وإذلالهم والاستخفاف بهم، بل على كلّ معنى من المعاني التي تعكسها الحالة الرذيلة والدونية من الضحالة والوضاعة التي اتصف بها جمهور من المسلمين بعد شهادة النبي عليهما السلام، حتى وصفهم المقطع الشريف بأنّهم مجتمعون على ما يفعلون، من قطع رحم رسول الله عليهما السلام، وتصغير عظيم منزلتهم، ومنازعتهم، واستعدائهم.

ومن أشدّ ما يعكس روایاً في تصوير هذه الحالة ما روى عن أمير المؤمنين عليهما السلام في (نهج البلاغة): «اللهم إني أستعدّيك على قريش ومن أعادهم، فإنّهم قد قطعوا رحми، وأكفوا إبائي، وأجمعوا على منازعي حقّاً كنت أولى به من غيري، وقالوا: ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه، وفي الحقّ أن تُنعم، فاصير معموماً، أو مت متسفّفاً، فنظرت فإذا ليس لي رايد ولا ذاب ولا مساعد إلا أهل بيتي، فضنت بهم عن المنية، فأغضيتك على القدي، وجرعت ريقك على الشجاع، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم، وألم لقلبي من وحز الشفار»<sup>(١)</sup>.

وعنه عليهما السلام: «حقّ رسول الله عليهما السلام أعظم من حقّ الوالدين، وحقّ رحمه أيضاً أعظم من حقّ رحمهما، فرحم رسول الله عليهما السلام أولى بالصلة، وأعظم في القطيعة. فالويل كلّ الويل لمن قطعها، والويل كلّ الويل لمن لم يعظم حرمتها. أو ما علّمت أنّ حرمة رحيم رسول الله عليهما السلام حرمة رسول الله، وأنّ حرمة رسول الله حرمة الله تعالى، وأنّ الله أعظم حقاً من كلّ منعم سواه»<sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام الباقر عليهما السلام: «لم نزل أهل البيت مذلة قبض رسول الله عليهما السلام مذلة ونقضي ونحرم ونقتل ونطرد»<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

(١) نهج البلاغة (ص ٣٣٦ / ح ٢١٧).

(٢) تفسير الإمام العسكري عليهما السلام (ص ٣٥).

(٣) بحار الأنوار (ج ٢ / ص ٢١٨ / ح ١٤).

## الفقرة الرابعة والعشرون

«إِلَّا أَقْلَيْلَ مِنْ وَقْتٍ لِرِعَايَةِ الْحَقِّ فِيهِمْ، فَقُتِلَ مِنْ قُتْلَ، وَسُبِّيَ مِنْ سُبِّيَ، وَأُقْصِيَ مِنْ أُقْصِيَ، وَجَرَى الْقَضَاءُ لَهُمْ بِمَا يُرْجَى لَهُ حُسْنُ الْمُتَوَبَّةِ».

بعد أنْ تبيَّنَ في الفقرات القريبة المتقدمة أنَّ هناك سُنَّةً أنشأها الجيل الأوَّل بعد النبيِّ ﷺ وسار عليها المتأخرون، وهي سُنَّةُ الإقصاء واجتماع الأُمَّة وإصرارها على معاذة أهل البيت عليهما السلام وقطع رحمهم والاستحواذ على حُقُّهم. ولكن مع ذلك الظلم والمقت وما جرى على أهل البيت عليهما السلام وُجِدَ القليل مِنْ وَقْتٍ لِرِعَايَةِ حُقُّهم والانتهاج بنهجهم والوفاء والولاء لهم، وقد صرَّحت بذلك العديد من الروايات، من بينها:

\* في (رجال الكشي) بسنده عن الحارث النصري بن المغيرة، قال: سمعت عبدَ الْمَلِكِ بْنَ أَعْيَنَ يَسْأَلُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: فَلَمْ يَرِزِّلْ يَسْأَلُهُ حَتَّى قَالَ لَهُ: فَهَلْكَ النَّاسُ إِذَا؟ فَقَالَ: «إِيَّ وَاللَّهِ يَا ابْنَ أَعْيَنَ هَلْكَ النَّاسُ أَجْمَعُونَ»، قُلْتُ: مَنْ في الْشَّرْقِ وَمَنْ في الْغَرْبِ، قَالَ: فَقَالَ: «إِمَّا فُتِحَتْ عَلَى الْضَّالِّ، إِيَّ وَاللَّهِ هَلْكُوا إِلَّا ثَلَاثَةً، ثُمَّ لَحِقَ أَبُو سَاسَانَ وَعَمَّارَ وَشَتِيرَةً<sup>(١)</sup> وَأَبُو عَمْرَةَ، فَصَارُوا سَبْعَةً»<sup>(٢)</sup>.

\* وفي (الأصول الستة عشر): جابر، قال: قال أبُو جعفر عليهما السلام: «قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا يَنْجُو مِنَ النَّارِ وَشَدَّةِ تَعْيِطِهَا وَزَفِيرِهَا وَقَرْنَهَا وَحَمِيمِهَا مَنْ

(١) من أصحاب أمير المؤمنين عليهما السلام، قال الشيخ الطوسي في رجاله (ص ٦٨ / الرقم ٩٦٢٣): (شر حبيل وهيرة وكربي وبريد وسمير، ويقال: شتير، هؤلاء إخوة بنو شريح، قُتلوا بصفتين، كل واحدٍ يأخذ الرأي بعد الآخر حتى قُتلوا).

(٢) رجال الكشي (ج ١ / ص ٣٤ و ٣٥ / ح ١٤).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ٢٣٩

عَادَيْ عَلَيْهِ وَتَرَكَ وَلَا يَتَهُ وَأَحَبَّ مَنْ عَادَاهُ، فَقَالَتْ مَيْمُونَةُ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ: وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ مِنْ أَصْحَابِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ يُحِبُّ عَلَيْهِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ»، قَالَ: «فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْقَلِيلُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَثِيرٌ، وَمَنْ تَعْرِفُنَّ مِنْهُمْ؟ قَالَتْ: أَعْرِفُ أَبَا ذَرَ وَالْمُقْدَادَ وَسَلْمَانَ، وَقَدْ تَعْلَمْتُ أَنِّي أُحِبُّ عَلَيْهِ بِحُبِّكَ إِيَّاهُ وَنَصِيْحَتِهِ لَكَ»، قَالَ: «فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: صَدَقْتِ، إِنَّكِ صِدِيقَةٌ إِمْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَكِ لِلْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (سعد السعوَد) جاء في الحديث القدسي في وصف مَنْ وفي لأهل البيت عليهما السلام: «أَنَا السَّلَامُ، وَمَعِي السَّلَامُ، وَلِي يَحِقُّ الْجَلَالُ وَالْإِكْرَامُ، فَمَرْحَبًا بِعِبَادِي الَّذِينَ حَفِظُوا وَصَيَّبُوا فِي أَهْلِ بَيْتِنِيِّ، وَرَأَوْا حَقِّي، وَخَافُونِي بِالْغَيْبِ، وَكَانُوا مِنِّي عَلَىٰ [كُلٌّ] حَالٍ مُشْفِقِينَ»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الذي حصل من افراق الناس بعد النبي ﷺ إلى فرقين يجعل الإنسان المسلم على مفرق طرقيين، وهنا يأتي دور العقل الوعي الذي يريد لنفسه وذاته الخلاص في أن يُميّز بين طرقيين - وإن قل أفراد أحدهما إلى حد الندرة - لا بد أن يسلك أحدهما. ولا بد من المراجعة والتنقيب عن الأسباب التي دعت مَنْ كانوا بعد رسول الله ﷺ لمارسة أشنع وأقبح الأفعال تجاه عترته عليهما السلام مع تصريح القرآن الكريم على ضرورة احترامهم وتقديمهم، وأنهم الميزان في اتباع رسول الله ﷺ.

الدعاء المبارك يعكس لنا صوراً من الممارسات المختلفة والمتعددة على أهل البيت عليهما السلام بعد رسول الله ﷺ، وبطبيعة الحال فإن هذه الممارسات مع اختلافها لها درجات متفاوتة، وقد توجد هناك ما لم يذكره التاريخ من فضائع وجرائم بحق العترة الطاهرة عليهما السلام.

ولكن الغريب حقاً في كل ذلك أنه رغم الإقصاء والمقت وتقليل القدر،

(١) الأصول السَّتَّة عَشْر (ص ٢١٦ و ٢١٧ / ح ٢١٦ / ١٢).

(٢) سعد السعوَد (ص ١١٠).

فضلاً عن القتل والسيبي والتنكيل، نجد اليوم أنَّ أهل البيت عليهما مترّعون على القمة في حُبِّ الناس لهم فضلاً عن المسلمين.

وفي المتون الحديثية نجد أنَّ الكثير من روايات أهل البيت عليهما عكست لنا هذه الحالة، فعن الإمام علي بن موسى الرضا عليهما يتحدث عما جرى عليهم - أي أهل البيت عليهما -، فيقول عن شهر المحرم: «إِنَّ الْمُحَرَّمَ شَهْرٌ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُحْرِّمُونَ فِيهِ الْقِتَالَ، فَاسْتُحْلَّتْ فِيهِ دِمَاؤُنَا، وَهُتَّلَ فِيهِ حُرْمَتُنَا، وَسُبِّيَ فِيهِ ذَرَارِيْنَا وَنِسَاؤُنَا، وَأُضْرِمَتِ النَّيْرَانُ فِي مَضَارِبِنَا، وَأَنْتَهَبَ مَا فِيهَا مِنْ ثَقَلَنَا، وَلَمْ تُنْعَ لِرَسُولِ اللَّهِ حُرْمَةً فِي أَمْرِنَا. إِنَّ يَوْمَ الْحُسَيْنِ أَقْرَحَ جُفُونَنَا، وَأَسْبَلَ دُمُوعَنَا، وَأَذْلَّ عَزِيزَنَا بِأَرْضِ كَرْبَلَاءِ، وَأَوْرَثَنَا الْكَرْبَلَاءَ إِلَيْ يَوْمِ الْأَنْقَضَاءِ، فَعَلَى مِثْلِ الْحُسَيْنِ فَلِيَكُنَّ الْبَاكُونَ...»<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام زين العابدين عليهما عند دخول المدينة بعد وقعة كربلاء: «وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ النَّبِيَّ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِي قِتالِنَا كَمَا تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِي الْوِصَايَةِ بِنَا لَمَّا رَأَدُوا عَلَى مَا فَعَلُوا بِنَا»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث للإمام الحسن عليهما مع جده المصطفى عليهما يتحدث له عن مصارعهم وهي شتى: «يَا أَبَهُ، لَقَدْ دَخَلْتَ بَيْتَنَا، فَمَا سُرِّرَنَا بِشَيْءٍ كُسْرُورَنَا بِدُخُولِكَ، ثُمَّ بَكَيْتَ بُكَاءً غَمَّنَا، فَمَا أَبْكَاكَ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، أَتَانِي جَبْرِيلُ عليهما آنفًا، فَأَخْبَرَنِي أَنَّكُمْ قُتِلْتُمْ، وَأَنَّ مَصَارِعَكُمْ شَتَّى، فَقَالَ: يَا أَبَهُ، فَمَا لِمَنْ زَارَ قُبُورَنَا عَلَى تَشَتِّتِهَا؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، أُولَئِكَ طَوَّافُ مِنْ أَمْتَي يَزُورُونَكُمْ فَيَلْتَمِسُونَ بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ، وَحَقِيقُ عَلَيَّ أَنْ آتَيْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى أَخْلَصَهُمْ مِنْ أَهْوَالِ السَّاعَةِ وَمِنْ دُنُوبِهِمْ، وَيُسْكِنُهُمْ وَاللَّهُ أَجْنَّةً»<sup>(٣)</sup>.

(١) أمالى الصدوق (ص ١٩٠ / ١٩٩ ح).

(٢) الملهوف على قتل الطفوف (ص ١١٧).

(٣) كامل الزيارات (ص ١٢٥ و ١٢٦ / ١٤٠ ح).

عجب أمر هذه الأمة التي ما زال قسط كبير منها وإلى يوم الناس هذا يتهم حرمة أهل البيت عليهما السلام بأساليب وألوان وأشكال مختلفة، لاحظ كلام الإمام السجّاد عليهما السلام وكأنه يخاطب هؤلاء جميعاً: «أَنَا إِبْنُ السَّهِيدِ بِشَطَّ الْفُرَاتِ مِنْ أَرْضِ كَرْبَلَا، أَنَا إِبْنُ مَنْ هُتِكَتْ حَرِيمُهُ، وَسُلِّبَتْ نِعْمَهُ، أَنَا إِبْنُ مَنْ إِنْتَهَبَ مَالُهُ وَسُيِّطَتْ عِيَالُهُ، أَنَا إِبْنُ مَنْ قُتِلَ صَبِرًا، فَتَلَقَّى بِذَلِكَ فَخْرًا. أَيُّهَا النَّاسُ، نَأْشِدُكُمُ اللهَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ كَتَبْتُمْ إِلَيَّ أَبِي بَالْحَدَّاجَ وَالْغَدَرِ، وَأَعْطَيْتُمُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمُ الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ بِالْبَيْعَةِ وَالْأَيَّانِ، فَنَكَثْتُمْ عَمَّا أَقْرَرْتُمْ لَهُ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا» (١) [الفتح: ١٠]، قَاتَلْتُمُوهُ وَخَدَلْتُمُوهُ، فَتَبَّأْ لَكُمْ مَا قَدَّمْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَسُوءَ رَأْيِكُمْ. بِأَيِّ عَيْنٍ تَنْظُرُونَ إِلَى جَدِّي رَسُولِ اللهِ عليهما السلام إِذْ يَقُولُ لَكُمْ: قَاتَلْتُمْ عَتْرَقِي، وَهَتَكْتُمْ حُرْمَتِي، فَلَأَسْتُمْ مِنْ أُمَّتِي؟ (٢) .

نعم، ما حصل للعترة الطاهرة عليهما السلام تصديق لظن إبليس في إغواء الناس وصرفهم عن العترة الطاهرة وجعلهم أعداء لهم عليهما السلام بدلاً من اتخاذهم أولياء وهداة، ففي الخبر: قالت زينب [عليها السلام]: فَلَمَّا ضَرَبَ إِبْنُ مُلْجَمَ (لعنه الله) أَبِي عليهما السلام، وَرَأَيْتُ أَثْرَ الْمَوْتِ مِنْهُ، قُلْتُ لَهُ: يَا أَبَهُ، حَدَّثْنِي أُمُّ أَيْمَنَ بِكَذَا وَكَذَا، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْكَ، فَقَالَ: «يَا بُنْيَةَ، الْحَدِيثُ كَمَا حَدَّثْتُكِ أُمُّ أَيْمَنَ، وَكَانَ يُبِّكِ وَبِبَنَاتِ أَهْلِكِ سَبَّا يَا بِهَذَا الْبَلَدِ أَذْلَاءَ حَاسِعِينَ، تَحَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفُكُمُ النَّاسُ، فَصَبِرْأَ صَبِرْأَ، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا لَهُ عَلَى ظَهُرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ وَلَيْلَيْ عِيُورُكُمْ وَعِيُورُ مُحِيِّكُمْ وَشِيعَتِكُمْ، وَلَقَدْ قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ حِينَ أَخْبَرَنَا بِهَذَا الْحَبَّرَ أَنَّ إِبْلِيسَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَطِيرُ فَرَحًا، فَيَجُولُ الْأَرْضَ كُلَّهَا فِي شَيَاطِينِهِ وَعَفَارِيَّتِهِ،

(١) تحفة الأزهار (ج ٢ / ص ١٢٣).

فَيَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الشَّيَاطِينِ، قَدْ أَدْرَكْنَا مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ الظَّلَبَةَ، وَبَلَغْنَا فِي هَلَالِكُمُ الْغَايَةَ، وَأَوْرَثْنَاهُمُ النَّارَ إِلَّا مَنِ اعْتَصَمَ بِهَذِهِ الْعِصَابَةِ، فَاجْعَلُوا شُغْلَكُمْ بِتَشْكِيكِ النَّاسِ فِيهِمْ، وَحَمِلْهُمْ عَلَى عَدَاؤِهِمْ، وَإِغْرِيَهُمْ بِهِمْ وَأَوْلَائِهِمْ، حَتَّى تَسْتَحِكِمَ صَلَالَةُ الْخُلُقِ وَكُفُرُهُمْ، وَلَا يَنْجُو مِنْهُمْ نَاجٌ، وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِنْلِيسُ وَهُوَ كَذُوبٌ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ مَعَ عَدَاؤِكُمْ عَمَلٌ صَالِحٌ، وَلَا يُضُرُّ مَعَ مُحَبَّتِكُمْ وَمُوَالَاتِكُمْ ذَبْبٌ عَيْرُ الْكَبَائِرِ<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

### الفقرة الخامسة والعشرون

«إِذْ كَانَتِ الْأَرْضُ لِلْمُتَّقِينَ، وَسُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا، وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».

**أهمية استعراض مسيرة الأئمة عليهما السلام في التضحية وبناء العقيدة الحقة:**  
 يتحدد المقطع الأنف الذكر بفقراته المتعددة عن حقيقة لا بد أن نذكر بها أنفسنا دائمًا، حيث من الضروري أن نلتفت إلى قضية مهمة وهي أن وجودنا مرهون بسلامة عقيدتنا واستقامة ديننا، لأنها الأساس الذي يحدد قيمة حياتنا ووجهة مصيرنا، كل ما عدا ذلك زائل، منها بلغت مكانته أو قيمته في أعين الناس، ولنا في الأئمة عليهما السلام وما جرى عليهم من أحداث جسام، كما يعرضه هذا الدعاء المبارك، أسوة وقدوة علية في الثبات على المبادئ والتضحية في سبيل الله.

(١) بحار الأنوار (ج ٤٥ / ص ١٨٣ / ح ٣٠).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ٢٤٣

فكون الأرض ملكاً لله تعالى يورثها من يشاء من عباده، لم يمنع أن يُيتلي أهل البيت عليهما السلام بما جرى عليهم من أشد أنواع الظلم والتنكيل، على الرغم من أنهم كانوا يمتلكون القدرة الكاملة على سحق الظلمة، وعيش حياة مريحة في رفاهية وسلام، إلا أنهم اختاروا الصبر والتمسك بالحق، مُسَدِّدين بذلك النموذج الأعلى في الإيثار والوفاء بالمسؤولية الرسالية في هداية الناس والدفاع عن الحق والشريعة.

هذا الدعاء المبارك يحمل بين طياته رسائل تربوية عظيمة، فضلاً عن التأكيد على أبعاد عقائدية عميقة وترجمة تاريخية دقيقة لما وقع للأئمة عليهما السلام من أحداث.

البعد الأخلاقي والتربوي للدعاء يخاطب ضمير الإنسان ووجوده، ليضعه أمام حقيقة وجودية عميقة: قف قليلاً، وتأمل في مصيرك، فأنت زائل لا محالة، فهذا أعددت من زاد لسفرك الأبدي؟

إنَّ الله سبحانه وتعالى في هذا المقطع يُبرز وعده الثابت لأهل البيت عليهما السلام، ووعده لا يُخالف.

الأرض ستؤول إلى وارثها الشرعي، الإمام المهدي عليهما السلام الذي سيملؤها قسراً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

هذا الوعد الإلهي يتتجاوز البعد الزمني ليُعطي للأئمة أملاً مستداماً وعدالة منتظرة، كما أنَّ الدعاء يُشير إلى أنَّ المتّقين سينالون نصيباً من هذا الإرث، لأنَّ العاقبة لهم كما أكَّد القرآن الكريم والدعاء على ذلك.

وهنا يبرز السؤال الجوهرى الذي يجب أنْ يُقلِّق ضمائرنا: كيف تكون من المتّقين؟ كيف نتهيأ لنال شرف العاقبة مع الوارثين، محمد وآله الطيّبين الطاهرين؟

هذا السؤال لا يتطلب إجابة نظرية فقط، بل يستدعي جهداً عملياً في التزكية والإصلاح والعمل الصالح.

ويزداد الأسى والحزن عمقاً عندما نستحضر ما جرى على أهل البيت عليهما السلام، حيث نقرأ في النصوص عن مظلوميّتهم ومعاناتهم، وكيف ضيّعت الأمة أولياءها وشفاعتها الذين كانوا السبيل إلى هدايتها وصلاحها. هذه المظلوميّة ليست مجرد حدث تارخي، بل هي نقطة تأمل عميقه في ما يمكن أن يحدث عندما تهُمِّل الأمة مبادئها وقيادتها الربانية.

لكتّنا نجد في وعد الله تعالى العزاء الكبير: أنَّ الله تعالى لن يُضيّعهم، وأنَّهم سينصرون في نهاية المطاف، وسيُعوّضهم الله تعالى بما يُغْرِي أعينهم وأعين شيعتهم وأتباعهم. هذا الوعد الإلهي المؤكّد بنصوص القرآن الكريم يربط بين الماضي والحاضر والمستقبل، ليكون درساً للأمة بأنَّ الحقَّ منها طالت معاناته سيظهر ويتصرّ، وأنَّ أهل البيت عليهما السلام القدوة والمثال في الصبر والثبات على طريق الحقّ.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور: ٥٥).

\* في (الاحتجاج): قال أمير المؤمنين عليهما السلام: (وَذَلِكَ إِذَا لَمْ يَقِنْ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا إِسْمُهُ، وَمِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ، وَغَابَ صَاحِبُ الْأَمْرِ إِيَاضَاحُ الْغَدْرِ لَهُ فِي ذَلِكَ، لِإِشْتِيَالِ الْفِتْنَةِ عَلَى الْقُلُوبِ حَتَّى يَكُونَ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ أَشَدَّهُمْ عَدَاوَةً لَهُ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ بِجُنُودِهِ تَرْوَهَا، وَيُظْهِرُ دِينَ نَبِيِّهِ ﷺ عَلَى يَدِيهِ عَلَى الَّذِينَ كُلُّهُ وَلَوْ كِرَهَ الْمُشْرِكُونَ...﴾<sup>(١)</sup>.

\* وفي (الكافي) بسنده عن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر عليهما السلام، قال: «وجدنا في كتاب على عليهما السلام: إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» [الأعراف: ١٢٨]، أنا وأهله بيته الذين أورثنا الله الأرض، ونحن المتقوون، والأرض كُلُّها لنا»<sup>(١)</sup>.

\* وفيه بسنده عن جابر، عن أبي جعفر عليهما السلام، قال: «قال رسول الله عليه السلام: خلق الله آدم وأقطعه الدنيا قطعة، فما كان لآدم عليهما السلام فلرسول الله عليه السلام، وما كان لرسول الله فهو للأئمة من آل محمد»<sup>(٢)</sup>.

\* وفي (مناقب آل أبي طالب): عما كتب عليهما السلام إلى أبي الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي: «... عَلَيْكَ بِالصَّبَرِ وَإِنْتِظَارِ الْفَرَجِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي إِنْتِظَارُ الْفَرَجِ، وَلَا يَزَالُ شَيْعَتُنَا فِي حُزْنٍ حَتَّىٰ يَظْهَرَ وَلَدِيَ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ النَّبِيُّ، يَمْلأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جُورًا وَظُلْمًا، فَاصْبِرْ يَا شَيْخِي يَا أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ وَأَمْرُ جَمِيعِ شَيْعَتِي بِالصَّبَرِ، فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» [الأعراف: ١٢٨]، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ جَمِيعِ شَيْعَتِنَا، وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ»<sup>(٣)</sup>.

نعم، حالنا التأسيي بحال أمامنا عليهما السلام - ومن أول لحظة ولادته - ساجداً لوجهه، جائياً على ركبتيه، رافعاً سبابتيه، وهو يقول: «أشهدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ جَدِي مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ أَبِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ عَدَ إِمَاماً إِمَاماً إِلَى أَنْ بَلَغَ إِلَى نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْجِرْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، وَأَتْمِمْ لِي أَمْرِي، وَثَبِّتْ وَطَّأِي، وَامْلِأْ الْأَرْضَ بِي عَدْلًا وَقِسْطًا»<sup>(٤)</sup>.

(١) الكافي (ج / ١ / ص ٤٠٧) / باب أن الأرض كلها للإمام عليهما السلام / ح ١.

(٢) الكافي (ج / ١ / ص ٤٠٩) / باب أن الأرض كلها للإمام عليهما السلام / ح ٧.

(٣) مناقب آل أبي طالب (ج / ٣ / ص ٥٢٧).

(٤) كمال الدين (ص ٤٢٨) / باب ٤٢ / ح ٢.

فذات الأخبار المرويَّة عنهم تُفسِّر لنا - مضافاً إلى ما تقدَّم - وجه ما يخفي علينا من حكمة ما يجري عليهم وما نزل من عظيم البلاء الذي لا تطيقه الجبال ولا يتحمَّل سماعه كُلُّ ذي بال، هذا وهم بهذه المنزلة العظيمة والمقام الشامخ المدلول عليه صريحاً من النبي ﷺ، فلكي لا تذهب بالمؤمن المذاهب، تأتي هذه الأخبار لتُلْفِت المؤمن وتُوقِّفه على وجوه من الحكمة تريح باله وتذهب كدر نفسه وأساهَا على ما جرى ووقع في العترة المصطفوَيَّة الطاهرة علَيْهَا السلام.

\* \* \*

المبحث الثامن:

ما ينبغي للمؤمنين تجاه

أهل البيت عليهما السلام في مواساتهم بما حلّ فيهم



## الفقرة السادسة والعشرون

«فَعَلَى الْأَطَائِبِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَآهُمَا) فَلِيَكُمُ الْبَاْكُونَ، وَإِيَّاهُمْ فَلِيَدِبُّ الْأَنَادِبُونَ».

في هذه الفقرة المباركة من الدعاء نجد أنَّ الأسلوب الدعائي - بعد أنْ يَبَرَّ من خلال الفقرات المتقدمة الحقائق الملكوتية لأهل البيت عليهم السلام والصفات التي يتمتَّعون بها ومقامهم السامي، والذي ينبغي أنْ يُحفظ في الأرض كما هو محفوظ في السماء - ما هو الأشبه بالمارسة العملية من الداعي، حيث يُطلب منه: لتكن حالتك العملية وسلوكك الجوارحي هو ما يأتي من فقرات الدعاء - التي سُنُّت الضوء عليها -.

### البكاء على الأطائب من أهل البيت عليهم السلام:

وهنا مجموعة من النكات التي ينبغي أنْ يُلتفَّت إليها: أنَّ طلب البكاء لم يكن - في خصوص هذا الدعاء - على كُلِّ الأطائب، بل نجد حالة التبعيض، فلم يقل الداعي: (فَعَلَى الْأَطَائِبِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ)، وكأنَّه يشير إلى أنَّ ما وقع من أُسُّ يستدعي البكاء والندب، لم يكن على كُلِّ مَنْ يتسبَّب إلى النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، بل أنَّه لخصوص العترة الطاهرة منهم، ولخصوص مَنْ قرن الله تعالى طاعته بطاعتهم، فالمراد من الأطائب هنا هم خصوص مَنْ تخلَّى بصفات الكمال وتترَّزَّه عن كُلِّ ما يشينه، ولعلَّه إشارة إلى العصمة وأية إذهب الرجس، ولذلك عطف المقطع الندي المبارك أنَّ الأطائب من أهل البيت عليهم السلام كما هم من محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه عن طريق فاطمة عليها السلام، هم من على عليهم السلام عن

طريق فاطمة عليها السلام، لذلك قال: «مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَآلَهُمَا)»، وهذا لا يعني منع البكاء عن غيرهم في غير مورد ومناسبة، فعلًا الأولياء والصلحاء والشهداء من أهل البيت عليها السلام ومن غيرهم يجوز البكاء وفي بعض الموارد يستحب، كما في البكاء على حمزة سيد الشهداء رض، ولكن في خصوص البكاء في هذا الدعاء يحتمل أن يكون لما أشرنا إليه خصوصية.

فبعد أن ذكرنا الدعاء بالأطاييف من أهل البيت عليها السلام، وقرأ لنا ما مر عليهم جاء دور ما يتظره منا ويطلبه كممارسة عملية تناسب طاقتنا، والتفجع على تلك التصرفات المشينة التي وقعت على هؤلاء الأطاييف عليها السلام، وبدأ بالبكاء الذي هو أول الممارسات العملية الرافضة لتلك التصرفات والمخالفات التي وقعت على أهل البيت عليها السلام.

ثم انتقل الدعاء مترقياً في طلباته من المؤمنين في الممارسات حزناً ووجداً وتأملاً وتائراً على ما جرى على أهل البيت عليها السلام، فانتقل إلى الحالة الأخرى وهي حالة الندب، والتي طلب أن تكون جماعية كما في البكاء.

فلا يكفي في البكاء على أهل البيت عليها السلام لما جرى عليهم أن يكون فردياً، بل ليكفي الباكون جماعات جماعات، فلم يقل ليكفي الباكي، بل «أَبَاكُونَ».

وهكذا ليندب النادبون بنحو الجماعات والمجموعات ولا يقصر على الفرد والأفراد، إظهاراً مظلومية هذا البيت الظاهر أطهر بيت خلقه الله تعالى.

ولا تنس أليها العزيز ما قرأته من فجائع ودواه مررت على أهل هذا البيت المعظم مما قرأت من روايات، وهي عشر معاشر ما وقع عليهم، وبعض يسير مما هو مسجل في كتب الحديث والتاريخ مما يحكي عن الذي جرى عليهم عليها السلام.

ولعل المطلوب: الندب بعد البكاء، أي إنني أدعو أهل البيت عليها السلام أن يأتوني ويشاهدوا ما أنا فيه من بكاء ووجد عليهم.

وفي الأخبار الكثير من الآثار المترتبة على البكاء والندب على الأطاييف من العترة الطاهرة عليهما السلام، ومنها:

\* في (الملهوف على قتلى الطفوف): ... فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن، ويده اليسرى على رأس الحسين، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: «اللهُمَّ إِنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَهَذَا أَطَائِبُ عِترَتِي، وَخِيَارُ دريَّتِي، وَأَرْوَمَتِي، وَمَنْ أَخْلَفَهُمَا فِي أُمَّتِي، وَقَدْ أَخْبَرَنِي جَبَرَائِيلُ عَلَيْهِ لَهُ أَنَّ وَلَدِي هَذَا مَقْتُولٌ مَحْدُولٌ، اللَّهُمَّ فَبَارِكْ لَهُ فِي قَتْلِهِ، وَاجْعَلْهُ مِنْ سَادَاتِ الشُّهَدَاءِ، اللَّهُمَّ وَلَا تُبَارِكْ فِي قَاتِلِهِ وَخَادِلِهِ»، قال فضيحة الناس في المسجد بالبكاء والتحميم، فقال النبي عليهما السلام: «أَتَبْكُونَهُ وَلَا تَنْصُرُونَهُ؟»، ثم رجع عليهما السلام وهو متغير اللون محمر الوجه، فخطب خطبة أخرى موجزة وعيناه تهملان دموعاً، ثم قال: «أَيُّها الناس، إِنِّي قَدْ خَلَفْتُ فِيْكُمُ الْثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللهِ وَعِترَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَأَرْوَمَتِي، وَمَرَاجِ مَائِي، وَثَمَرَةَ فَوَادِي، وَمُهْجَجِي، لَنْ يَقْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضُ، أَلَا وَإِنِّي أَنْتَظُرُهُمَا، وَإِنِّي لَا أَسْأَلُكُمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا مَا أَمْرَنِي رَبِّي، أَمْرَنِي أَنْ أَسْأَلُكُمُ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى، فَانْظُرُوا وَلَا تَلْقُونِي غَدَّاً عَلَى الْحَوْضِ وَقَدْ أَبْغَضْتُمْ عِترَتِي وَظَلَمْتُمُوهُمْ، أَلَا وَإِنَّهُ سَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ رَأْيَاتٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، الْأُولَى رَأْيَةُ سَوْدَاءِ مُظْلِمَةٍ، وَقَدْ فَزِعْتُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ، فَتَقَفَّتْ عَلَيَّ، فَأَقُولُ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَنْسَوْنَ ذِكْرِي، وَيَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ التَّوْحِيدِ مِنَ الْعَرَبِ، فَأَقُولُ لَهُمْ: أَنَا أَحْمَدُ نَبِيَّ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، فَيَقُولُونَ: نَحْنُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا أَحْمَدُ، فَأَقُولُ لَهُمْ: كَيْفَ خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي فِي أَهْلِي وَعِترَتِي وَكِتَابِ رَبِّي؟ فَيَقُولُونَ: أَمَّا الْكِتَابُ فَصَيَّعْنَاهُ، وَأَمَّا عِترَتِكَ فَحَرَّصَنَا عَلَى أَنْ تُبَدِّهِمْ عَنْ آخِرِهِمْ عَنْ جَدِيدِ الْأَرْضِ، فَأَوْلَى عَنْهُمْ وَجْهِي، فَيَصِدِّرُونَ ظِلَاءَ عِطَاشَا، مُسْوَدَّةً وَجُوهَهُمْ. ثُمَّ تَرِدُ عَلَيَّ رَأْيَةُ أَخْرَى أَشَدُ سَوَاداً مِنَ الْأُولَى، فَأَقُولُ لَهُمْ: كَيْفَ خَلَفْتُمُونِي فِي الْثَّقَلَيْنِ الْأَكْبَرِ وَالْأَصْغَرِ، كِتَابِ رَبِّي

وَعِترَى؟ فَيَقُولُونَ: أَمَّا الْأَكْبَرُ فَخَالَفُنَا، وَأَمَّا الْأَصْغَرُ فَخَذَلَنَا هُمْ وَمَرَّنَا هُمْ كُلَّ مُرَّقٍ، فَأَقُولُ: إِلَيْكُمْ عَنِّي، فَيَصِدِّرُونَ ظِلَاءَ عَطَاشًا، مُسْوَدَّةً وُجُوهُهُمْ. ثُمَّ تَرُدُ عَلَيَّ رَأْيَةً أُخْرَى تَلْمَعُ وُجُوهُهُمْ نُورًا، فَأَقُولُ لَهُمْ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ كَلِمَةِ الْتَّوْحِيدِ وَالْتَّقَوِيَّ، نَحْنُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَنَحْنُ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْحَقِّ، حَمَلْنَا كِتَابَ رَبِّنَا، فَأَخْلَلْنَا حَلَالَهُ وَحَرَّمَنَا حَرَامَهُ، وَأَحْبَبْنَا ذُرِيَّةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَنَصَرْنَا هُمْ مِنْ كُلِّ مَا نَصَرْنَا مِنْهُ أَنفُسَنَا، وَقَاتَلْنَا مَعْهُمْ مِنْ نَاوَاهُمْ، فَأَقُولُ لَهُمْ: أَبْشِرُوْ فَانِي نَبِيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَلَقَدْ كُتِّمَ فِي دَارِ الدُّنْيَا كَمَا وَصَفْتُمْ، ثُمَّ أَسْقِيَهُمْ مِنْ حَوْضِي، فَيَصِدِّرُونَ مَرْوِيَّنَ مُسْتَبِّشِرِيَّنَ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ خَالِدِيَّنَ فِيهَا أَبْدَ الْأَبِدِيَّنَ»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (كامل الزيارات) بسنده عن عبد الله بن بكيٍّ، قال: حَجَّجْتُ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - فِي حَدِيثِ طَوِيلٍ -، فَقُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، لَوْ نُبْشِرُ قَبْرَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا هَلْ كَانَ يُصَابُ فِي قَبْرِهِ شَيْءٌ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ بُكَيْرٍ، مَا أَعْظَمَ مَسَائِلَكَ، إِنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَيِّهِ وَأُمِّهِ وَأَخِيهِ فِي مَنْزِلِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَعَهُ يُرْزَقُونَ وَيُبَشِّرُونَ، وَإِنَّهُ لَعَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ مُتَعَلِّقٌ بِهِ يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَى زُوَارِهِ، وَإِنَّهُ أَعْرَفُ بِهِمْ وَبِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ أَبَائِهِمْ وَمَا فِي رِحَالِهِمْ مِنْ أَحَدٍ هُمْ بِهُولِهِ، وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَى مَنْ يَبْكِيهِ، فَيَسْتَغْفِرُ لَهُ، وَيَسْأَلُ أَبَاهُ الْأَسْتِغْفَارَ لَهُ، وَيَقُولُ: أَيُّهَا الْبَاكِي، لَوْ عَلِمْتَ مَا أَعْدَ اللَّهُ لَكَ لَفَرَحْتَ أَكْثَرَ مِمَّا حَزِنْتَ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَخَطِيَّةٍ»<sup>(٢)</sup>.

\* وفي (أمالى الصدوق) بسنده عن علٰى بن الحسن بن علٰى بن فضالٍ، عن أبيه، قال: قال أَرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ تَذَكَّرَ مُصَابِنَا وَبَكَى لِمَا أُرْتَكَبَ مِنَّا كَانَ مَعَنَا فِي دَرَجَتِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ ذُكِرَ بِمُصَابِنَا فَبَكَى وَأَبْكَى لِمَ تَبَكَّ عَيْنُهُ

(١) الملهوف على قتل الطفوف (ص ١٤ - ١٦).

(٢) كامل الزيارات (ص ٦ / ٢٩٢ ح ٨).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكحالات) ..... ٢٥٣

يَوْمَ تَبْكِيَ الْعُيُونُ، وَمَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا يُحْيَا فِيهِ أَمْرُنَا لَمْ يَمُتْ قَلْبُهُ يَوْمَ تَمُوتُ الْقُلُوبُ»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (المزار لابن المشهدى) في ندبة الإمام علي عليهما السلام لجده الشهيد القتيل عليهما السلام: «... فَلَئِنْ أَخْرَثْنِي الدُّهُورُ، وَعَاقَنِي عَنْ نَصْرِكَ الْمَقْدُورُ، وَلَمْ أَكُنْ لِمَنْ حَارَبَكَ مُحَارِبًا، وَلِمَنْ نَصَبَ لَكَ الْعَدَاوَةَ مُنَاصِبًا، فَلَا تَذَبَّنَكَ صَبَاحًا وَمَسَاءً، وَلَا بَكِينَ عَلَيْكَ بَدَلَ الدُّمُوعَ دَمًا، حَسْرَةً عَلَيْكَ وَتَأْسِفًا عَلَى مَا ذَهَاكَ وَتَلَهُنَّا، حَتَّى أَمُوتَ بِلَوْعَةِ الْمُصَابِ وَغُصَّةِ الْإِكْتِيَابِ...»<sup>(٢)</sup>.

\* وفي (مقاتل الطالبيين) روى عن الإمام الباقر عليهما السلام في حكاية ندبة أم البنين عليهما السلام: «وَكَانَتْ أُمُّ الْبَنِينَ أُمَّ هُؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ الْأِخْوَةِ الْقَتَلَى تَخْرُجُ إِلَى الْبَقِيعِ، فَتَنَدُّبُ بَنِيهَا أَشْجَى نُدْبَةٍ وَأَحْرَقَهَا، فَيَجْتَمِعُ النَّاسُ إِلَيْهَا يَسْمَعُونَ مِنْهَا، فَكَانَ مَرْوَانُ يَحْيِيُّ فِيمَنْ يَحْيِيُّ لِذَلِكَ، فَلَا يَرَأُلْ يَسْمَعُ نُدْبَتَهَا وَيَبْكِيُّ»<sup>(٣)</sup>.

\* وفي (مصابح المتهجد) عن الإمام الباقر عليهما السلام: «... ثُمَّ لَيَنْدِبُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِمْ وَيَبْكِيُّهُ وَيَأْمُرُ مَنْ فِي دَارِهِ مِنْ لَا يَتَقَبَّلُهُ بِالْكَاءِ عَلَيْهِ، وَيُقِيمُ فِي دَارِهِ الْمُصِيَّةَ بِإِظْهَارِ الْجُرْعَ عَلَيْهِ، وَلِيُعَزِّزَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِمُصَابِهِمْ بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمْ...»<sup>(٤)</sup>.

مشروعية البكاء خصوصاً على سيد الشهداء وأهل البيت والصدقة  
الظاهرة عليهما السلام:

يدعى البعض أنَّ البكاء عموماً وعلى أهل البيت عليهما السلام بشكل خاص، دونها استناد إلى حجَّةٍ أو مسوِّغٍ واضحٍ.

(١) أموي الصدوق (ص ١٣١ / ح ١١٩ / ٤).

(٢) المزار لابن المشهدى (ص ٥٠١).

(٣) مقاتل الطالبيين (ص ٥٦).

(٤) مصابح المتهجد (ص ٧٧٢).

والجواب عن هذه الإشكالية يكون من جهاتِ:

**الجهة الأولى: الروايات الشريفة تُحíز البكاء:**

حيث وردت عدّة رواياتٍ فيها الكفاية لدفع هذه الإشكالية، كما توجد العديد من الطوائف من الروايات التي رتبّت جملةً من الآثار على البكاء، سواء في خصوص مصاب سيد الشهداء عليهما السلام أو في عموم مصابي أهل البيت عليهما السلام، وبالتالي فهي تدلّ على الجواز، بل الاستحباب من باب أولى، ومنها:

**الطائفة الأولى:** حيث دلت على أنَّ البكاء عليهمما السلام يمنع دخول النار، كما في الخبر المروي عن فضيل بن فضالة، عن أبي عبد الله عليهما السلام، قال: «مَنْ ذُكِرْنَا عِنْدَهُ فَنَاصَتْ عَيْنَاهُ حَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَلَى النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

**الطائفة الثانية:** أنَّه يوجب دخول الجنة، كما في الخبر المروي عن محمدٍ ابن مسلم، عن أبي جعفر عليهما السلام، قال: «أَيُّهَا مُؤْمِنِ دَمَعْتْ عَيْنَاهُ لِقْتَلَ أَحْسَىْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا دَمْعَةً حَتَّىٰ تَسِيلَ عَلَىٰ خَدَّهُ بَوَّأَهُ اللَّهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً يَسْكُنُهَا أَحْقَاباً...»<sup>(٢)</sup>، والطوائف عديدة ذُكِرت في كتاب (كامل الزيارات) من غفران الذنوب، وحطّ الخطايا، والحضور عند الموت، وإسعاد الصدقة الطاهرة عليهما السلام<sup>(٣)</sup>.

**الجهة الثانية: البكاء على الميت مباح وجائز شرعاً:**

كما يظهر من فعل النبي عليهما السلام والصدقة الطاهرة عليهما السلام، حيث بوَّبَ غير واحد من رواة العامة في ذلك عن النبي عليهما السلام، ومنهم صاحب (المصنف)، ومما

(١) كامل الزيارات (ص ٢٠٧ / ح ٢٩٦). (٢) كامل الزيارات (ص ٢٠١ / ح ٢٨٥).

(٣) راجع: كامل الزيارات (ص ٢١١ / ح ٣٠٢).

رواه: «وَإِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ، تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْدُّ الْقَلْبُ، وَلَا تَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ»<sup>(١)</sup>.

الجهة الثالثة: الإجماع على جوازه، بل التواتر:

وممن ذكره عدّة من الفقهاء، منهم:

أ - العلّامة الحلي عليه السلام، قال: (البكاء جائز إجماعاً وليس بمكرر وله، قبل خروج الروح وبعدها، قال الصادق عليه السلام: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه حِينَ جَاءَتْهُ وَفَاهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَرَزِيدُ بْنِ حَارِثَةَ كَانَ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ كَثُرَ بُكَاؤُهُ عَلَيْهِمَا حِدَّاً، وَقَالَ: كَانَا يُحِدُّثَانِي وَيُؤَنِّسَانِي فَذَهَبَا جَمِيعاً»). ويحوز النوح والندب بتعداد فضائله واعتبار الصدق، لأنّ فاطمة عليهما السلام كانت تنوح على النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه، فتقول: «يَا أَبَتَاهُ مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ، يَا أَبَتَاهُ إِلَى حِبْرَائِيلَ أَنْعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبَّا دَعَاهُ»<sup>(٢)</sup>.

ب - صاحب الجوادر عليه السلام، قال: (ثم إنّه لا ريب في جواز البكاء على الميت نصاً وفتوى للأصل، والأخبار التي لا تقتصر عن التواتر معنى من بكاء النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه على حمزة وإبراهيم عليهما السلام وغيرهما، وفاطمة عليهما السلام على أبيها وأختها، وعلى بن الحسين عليهما السلام على أبيه حتى عدّ هو وفاطمة عليهما السلام من البكائيين الأربع، إلى غير ذلك مما لا حاجة لنا بذكره، بل ربّما يظهر من بعض الأخبار استحبابه عند اشتداد الوجد)<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

(١) المصنف للصنعاني (ج ٣ / ص ٥٥٢ و ٥٥٣ / ح ٦٦٧٢).

(٢) نهاية الأحكام (ج ٢ / ص ٢٨٩).

(٣) جواهر الكلام (ج ٤ / ص ٣٦٤).

### الفقرة السابعة والعشرون

«وَلِشَّلِّهِمْ فَلْتُرْدِفِ (فَلْتُرْدِرِ) الْدُّمُوعَ، وَلِيَصْرُخَ الْصَّارْخُونَ،  
وَبَيْضَّاجَ الْضَّاجُونَ، وَيَعِجَّ الْعَاجُونَ، أَيْنَ الْحَسَنُ أَيْنَ الْحُسَيْنُ،  
أَيْنَ أَبْنَاءَ الْحُسَيْنِ».»

في هذه الفقرات يتحدث الدعاء عن بعض الممارسات العملية تأثراً بها جرى على أهل البيت عليهما السلام من ظلم وقتل وسب وإقصاء.

**ذرف الدموع على مصابب أهل البيت عليهما السلام:**  
الحالة الثالثة التي يتحدث عنها الدعاء من هذه الممارسات هي: ذرف الدموع.

و(الذرف) كما جاء في كتب اللغة هو جريان الدموع وانصبابه<sup>(١)</sup>، فالدعاء يقول للمؤمن الداعي: إنَّ على مثل أهل البيت عليهما السلام لتكن دموعك غزيرة وتنصب صبًّا، لأنَّهم - ولما جرى عليهم - أهل لأنْ تواسوهم بذلك.

\* في (تفسير القمي) بسنده عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليهما السلام، قال: «كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: أليها مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليهما دموعة حتى تسيل على خده بواه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأليها مؤمن دمعت عيناه دمعاً حتى تسيل على خده لاذى مسنا من عدوانا في الدنيا بواه الله مروا صدق في الجنة، وأليها مؤمن مسنه أذى فينا فدمعت عيناه حتى تسيل دموعه على خديه من مضاضة ما أوذى فينا صرف الله عن وجهه الأذى وأمنه يوم القيمة من سخطه والنار»، قال: وحدّثني أبي، عن بكر بن محمد، عن

(١) في تهذيب اللغة (ج ١٤ / ص ٣٠٤ / مادة ذرف): (قال الليث: الذرف صبُّ الدموع).

أَبِي عَبْدِ الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «مَنْ ذَكَرَنَا أَوْ ذُكِرْنَا عِنْدُهُ فَخَرَجَ مِنْ عَيْنِهِ دَمٌ مِثْلُ جَنَاحِ بَعْوَضَةِ عَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلُ زَيْدِ الْبَحْرِ»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (رجال الكشي) بسنده عن زيد الشحام، قال: كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْكُوفَيْنَ، فَدَخَلَ جَعْفُرُ بْنُ عَفَانَ عَلَى أَبِي عَبْدِ الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَرَبَهُ وَأَدْنَاهُ، ثُمَّ قَالَ: «يَا جَعْفُرُ»، قَالَ: لَيْكَ جَعَلْنِي اللَّهُ فِدَاكَ، قَالَ: «بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ الْشِعْرَ فِي الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتُحْمِدُهُ»، فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ جَعَلْنِي اللَّهُ فِدَاكَ، فَقَالَ: «قُلْ»، فَأَنْشَدَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ حَوْلَهُ حَتَّىٰ صَارَتْ لَهُ الْدُّمُوعُ عَلَى وَجْهِهِ وَلَحِيَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «يَا جَعْفُرُ، وَاللَّهُ لَقَدْ شَهَدْنَاكَ مَلَائِكَةَ اللَّهِ الْمُقْرَبُونَ هَا هُنَّا يَسْمَعُونَ قَوْلَكَ فِي الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ بَكَوْا كَمَا بَكَيْنَا أَوْ أَكْثَرَ، وَلَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى لَكَ يَا جَعْفُرُ فِي سَاعَتِهِ أَجْنَانَةً بِأَسْرِهَا وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ...»<sup>(٢)</sup>.

ثم ينتقل الدعاء بالداعي إلى ممارسة أخرى - وهي الرابعة - من المعاشرة العملية، وهي: التألم والتفجع الشديد والصرارخ بصوت عالٍ على ما وقع عليهم<sup>(٣)</sup>.

\* في (مثير الأحزان): قَالَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ: بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ إِذْ دَخَلَتْ صَارِخَةٌ تَصْرُخُ، وَقَالَتْ: قُتِلَ الْحُسَيْنُ، قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَعَلُوهَا مَلَأَ اللَّهُ قُبُورَهُمْ نَارًا، وَوَقَعَتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير القمي (ج / ٢ / ص ٢٩١ و ٢٩٢).

(٢) رجال الكشي (ج / ٢ / ص ٥٧٤ و ٥٧٥ / ح ٥٠٨).

(٣) البكاء: هو خروج الدموع من العين مصحوباً أو غير مصحوباً بصوت، تعبيراً عن حزن أو فرح أو خشوع. والعويل: هو صوت البكاء المرتفع المصحوب بالتحبيب أو الندب، ويعبر غالباً عن حزن شديد أو رثاء. والصرارخ: رفع الصوت عند استغاثة أو انفعال. والضجيج: صوت مرتفع مختلط. راجع: لسان العرب والقاموس المحيط في مادة كلّ معنى منها.

(٤) مثير الأحزان (ص ٧٥).

\* وفي (كامل الزيارات) بسنده عن ابن عباس قال: الملك الذي جاء إلى محمد عليهما السلام يُحرر بقتل الحسين عليهما السلام كان جبريل عليهما السلام الروح الأمين، منشوراً إلا جنحة باكيًا صارخاً، قد حمل من تربة الحسين عليهما و هي تُوحُ كالمشك، فقال رسول الله عليهما السلام: «وَنَفْلُحْ أَمْتَيْ تَقْتُلْ فَرْخِي - أو قال: فرخ ابنتي -؟»، فقال جبريل: يضر بها الله بـالاحتلاف، فـتختلف قلوبهم<sup>(١)</sup>.

\* وفي (المهوف على قتل الطفوف): عن النبي عليهما السلام أنه قال: «إذا كان يوم القيمة جاءت فاطمة عليهما في ليلة من نسائها، فيقال لها: ادخلِي الجنة، فـتقول: لا أدخل حتى أعلم ما صنع بولدي من بعدي، فيقال لها: انظر في قلب القيمة، فـتنظر إلى الحسين عليهما قائمًا ليس عليه رأس، فـصرخ صرخة، فأصرخ لـصراخها، وـنصرخ الملائكة لـصرراخها<sup>(٢)</sup>.

### ضجيج النفوس المكلومة بالآلم:

لم يكتفي الدعاء بذلك، بل طلب حالة خامسة أشد من الحالات المتقدمة في ندبة أهل البيت عليهما والتفجع عليهم، وهي بالطلب من المؤمنين أن يصيروا مستغيثين ضاجين لفجيعة ما جرى على أهل البيت عليهما، فلا يكفي البكاء ولا الندب ولا ذرف الدموع ولا الصراخ، بل لا بد لهم من الضجيج والعجيج - أي ذلك الصياح العالي الصوت -، وكان الدعاء يريده أن يقول: ابك بكاء غير عادي بذرف الدموع، واصرخ وضجّ وعجّ بأعلى صوتك، متفجّعاً لما مرّ على أهل البيت عليهما، لأنّ ما مرّ عليهم استثنائي غير عادي، فلا بد أن تكون مواساتك غير عادية.

(١) كامل الزيارات (ص ١٣١ / ١٤٨ ح ٧).

(٢) المـهـوف عـلـى قـتـلـ الطـفـوف (ص ٨٢).

\* في (كامل الزيارات) بسنده عن مسمع بن عبد الملك كردين البصري، قال: قال لي أبو عبد الله عليهما السلام: «يا مسمع، أنت من أهل العراق، أما تأتي قبر الحسين عليهما السلام؟»، قلت: لا، أنا رجل مشهور عند أهل البصرة، وعندنا من يتبعه هوى هذا الخليفة، وعدونا كثير من أهل القبائل من النصارى وغيرهم، ولست آمنهم أن يعرفوا حال عنة وله سليمان فيمثلون بي، قال لي: «أفما تذكر ما صنعت به؟»، قلت: نعم، قال: «فتجزع؟»، قلت: إني والله، وأستغب لذلک حتى يرى أهلي أثر ذلك على، فما تبع من الطعام حتى يستعين ذلك في وجهي، قال: «رحم الله دموعك، أما إنك من الذين يعذون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويختافون لخوفنا، ويؤمنون إذا أمنا، أما إنك ستر عنده موتك حضور أبيك، ووصيهم ملك الموت بك، وما يلقوتك به من الشارة أفضل، ولملك الموت أرق عليك وأشد رحمة لك من الأم الشفيفة على ولدك»، قال: ثم استغب واستغبت معه، فقال: «الحمد لله الذي فضلنا على خلقه بالرحمة، وخصنا أهل البيت بالرحمة. يا مسمع، إن الأرض والسماء لنبيك مذقت أمير المؤمنين عليهما السلام رحمة لنا، وما يكتى لنا من الملائكة أكثر، وما رفاقت دموع الملائكة مذقتنا، وما يكتى أحد رحمة لنا ولقيانا إلا رحمة الله قبل أن تخرج الدمعة من عينه، فإذا سالت دموعه على خده فلوا أن قطرة من دموعه سقطت في جهنم لا طفأْت حرها حتى لا يوجد لها حر، وإن الموج لقلبه ليفرج يوم يرانا عند موته فرحة لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يريد علينا الحوض، وإن الكوثر ليفرج بمحبنا إذا ورد عليه حتى إنه ليذيقه من ضروب الطعام ما لا يشهي أن يتصدر عنه. يا مسمع، من شرب منه شربه لم يظلم بعدها أبداً، ولم يستنق بعدها أبداً، وهو في برد الكافور وريح المسك وطعم الزنجيل، أحل من العسل، وألين من الزبد، وأصفى من الدمع، وأذكى من العنبر، يخرج من تسميم، ويمُر بأهار

الْجِنَانِ، يَحْرِي عَلَى رَضْرَاضِ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ، فِيهِ مِنَ الْقِدْحَانِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ  
السَّمَاءِ، يُوجَدُ رِيحُهُ مِنْ مَسِيرَةِ الْفِيْ عَامٍ، قِدْحَانُهُ مِنَ الْذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْوَانِ  
الْجَوْهَرِ، يَفْوُحُ فِي وَجْهِ الشَّارِبِ مِنْهُ كُلُّ فَائِحَةٍ حَتَّى يَقُولَ الشَّارِبُ مِنْهُ: يَا لَيْتَنِي  
تُرِكْتُ هَاهُنَا، لَا أَبْغِي بِهَذَا بَدْلًا، وَلَا عَنْهُ تَحْوِيلًا. أَمَا إِنَّكَ يَا ابْنَ كَرْدِينٍ مِنْ تَرَوَيْ  
مِنْهُ، وَمَا مِنْ عَيْنٍ بَكَتْ لَنَا إِلَّا نَعَمْتُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْكَوْثَرِ، وَسُقِيَتْ مِنْهُ...»<sup>(١)</sup>.

هذا حال البكاء، فكيف بحال غيره من الوجد عليهم عليهما؟

\* وفيه بسنته عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليهما، قال: سأله في طريق المدينة ونحن نريد مكة، فقلت: يا ابن رسول الله، ما لي أراك كيبيا حزيناً منكسر؟ فقال: لو تسمع ما أسمع لشغلك عن مسالتي، قلت: فما الذي تسمع؟ قال: «ابتها الملائكة إلى الله يشك على قتلة أمير المؤمنين وقتلة الحسين عليهما، ونوح الجن وبكاء الملائكة الذين حوله وشدة جزعهم، فمن يتها مع هذا بطعم أو شراب أو يوم...»<sup>(٢)</sup>.

\* وفيه أيضاً بسنته عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليهما، قال: «إن جبرئيل عليهما أتى رسول الله عليهما وأحسين عليهما يلعب بين يديه، فأخبره أن أمته سقتله»، قال: فجزع رسول الله عليهما، فقال: ألا أريك التربة التي يقتل فيها؟، قال: فخسق ما بين مجلس رسول الله عليهما إلى المكان الذي قتل فيه الحسين عليهما حتى التقت القطعان، فأخذ منها، ودحيت في أسرع من طرفة عين، فخرج وهو يقول: طوب لك من تربة، وطوبى لمن يقتل حولك...»<sup>(٣)</sup>.

ثم يتساءل الدعاء عن أن هذه المواساة لا بد أن تكون لكل فرد من أفراد

(١) كامل الزيارات (ص ٢٠٣ - ٢٠٦ - ٢٩١ / ح ٧).

(٢) كامل الزيارات (ص ١٨٧ - ٢٦٣ / ح ٢٣).

(٣) كامل الزيارات (ص ١٤٢ - ١٢٨ / ح ١).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ٢٦١

أهل البيت عليهما السلام الأطايق، وهو في تلك الحالة الراقية الرفيعة من المواساة غير العادلة، فليصح بأعلى صوته وهو بالك عما جرى على خصوص الإمام الحسن بن علي عليهما السلام بعد أن مر في المقاطع السابقة ما جرى على علي عليهما السلام، فيسأل الداعي أين الحسن عليهما السلام؟

ماذا حدث للحسن عليهما السلام، أرعي حق رعايته، وحفظت فيه حرمة رسول الله عليهما السلام، أم انتهكت تلك الحرمة إلى أن قتل مسموماً لم تزع فيه لرسول الله عليهما السلام ولا لبضعته آية حرمة؟

ثم والداعي في هذه الحالة القصوى من التفجع والتألم يسأل عن الإمام الحسين عليهما السلام الشهيد بطوفوف كربلاء وما جرى عليه، ذلك الذي هز أركان العرش، وكشف عن قبیح ما كان يتستر أعداء أهل البيت عليهما السلام عنه بالدين، فالإمام الحسين عليهما السلام كشف الزيف ومزق الأقنعة، ولكن الدعاء يريد أن يتحدث عما جرى على الإمام الحسين عليهما السلام من قتل وسببي للحرمة وانتهاك لكل مقدس أمر الناس بصيانته، ولكن هؤلاء نظفروا واجتمعوا على هتكه.

### نداء: أين الحسين عليهما السلام؟

هو نداء تفيض منه القلوب وجعاً وحنيناً، نداء يتجاوز حدود الزمان والمكان ليصل إلى كل قلب يعي معنى التضحية في هداية الناس وإقامة الدين الحق، نداء يحمل معه الألم العميق لفقد الإمام الحسين عليهما السلام، ويُوْقظ في الأرواح الشعور بالمسؤولية تجاه مبادئ الدين الذي ضحى من أجله سيد الشهداء عليهما السلام.

ليس هذا السؤال بسؤال عن مكان جسدي، بل هو تسؤال يعصف بالروح عن غياب رمز العدالة والبداء، تسؤال ينادي الضمير ليعيد النظر في معنى الحق والثبات، الحسين عليهما السلام هو تجسيد القيم الإلهية على الأرض، هو الذي أقام الصلاة وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر حتى آخر رمق من حياته.

وعندما يُقال: «أَيْنَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ الْكُلُّ لِمَ»، فإنَّما يُراد البحث عن أثر تلك القيمة في واقعنا، يُراد استنهاض الإرادة الإنسانية التي كادت تخبو أمام هيمنة الطغاة.

هو نداء يُطلقه المؤمن حين يرى الباطل مستشرياً دون مقاومة، حين يشعر أنَّ الأرض التي ارتوت بدماء الحسين عَلَيْهِ الْكُلُّ الطاهرة قد ابتعدت عن مقاصده السامية، إنَّه نداء يُذكِّرنا بأنَّ الحسين عَلَيْهِ الْكُلُّ لم يكن غائباً يوماً عن قلوب المؤمنين، بل هو الحاضر الذي يُلهم الأحرار في كل زمانٍ ومكانٍ، يُذكِّرنا بأنَّ الحسين عَلَيْهِ الْكُلُّ لم يمت، بل هو حيٌّ في كل خطوة نحو إصلاح الأمة وفي كل صوت يصدق بالحق.

«أَيْنَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ الْكُلُّ» هو تساؤل عن العدالة المهدورة، عن الرحمة التي حملها الحسين عَلَيْهِ الْكُلُّ مظلوم، عن الشجاعة التي واجه بها طغيان يزيد.

حين ننادي «أَيْنَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ الْكُلُّ» فإنَّما نبحث عن الحسين عَلَيْهِ الْكُلُّ في أعماقنا، في مواقفنا اليومية، في تمسُّكنا بالمبادئ التي استشهدَ من أجلها، إنَّه سؤال يفتح أبواباً من التأمل حول مسؤوليتنا تجاه رسالة الحسين عَلَيْهِ الْكُلُّ، هل نحن حقاً على دربه؟ هل حملنا أمانته كما يليق؟

«أَيْنَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ الْكُلُّ» نداء يرتفع في كربلاء القلوب، في تلك المساحات التي لا تزال تحترق بحُبِّ الحسين عَلَيْهِ الْكُلُّ وولاته، إنَّه نداء يُوقظ فينا روح الطفُّ، حيث كان الموقف موقفاً لله تعالى، حيث صرخت الدماء في وجه الظلم والطغيان.

«أَيْنَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ الْكُلُّ» ليس نداءً للغائب، بل هو دعوة إلى الحاضر أن يكون حسينياً في فكره وعمله وسيرته.

الحسين عَلَيْهِ الْكُلُّ هو نور الهدى الذي أضاء في ظلمات الاستبداد، وهو الامتداد الحقيقي للرسالة المحمدية، وعندما يُقال: «أَيْنَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ الْكُلُّ» فإنَّما يُطلب الحسين عَلَيْهِ الْكُلُّ في الموقف، في الكلمة، في الثبات على الحقّ مهما عظمت التضحيات، الحسين عَلَيْهِ الْكُلُّ هو العهد الذي أخذه الله تعالى على كل مؤمن بأنَّ ينصر المظلوم ويقف في وجه الظالم.

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الحالات) ..... ٢٦٣

«أينَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ الْكَلَمُ» هو صوت كربلاء الذي لا يزال يهز وجدان الإنسانية، صوت يطالعنا أن لا نكون فقط باكين على مصاب الحسين عليهما السلام، بل حاملين لرسالته، عاملين بها، سائرين على خطاه، حيثما كان الظلم هناك يكون النداء «أينَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ الْكَلَمُ» ليسألنا هل استجبنا لنداء الحق؟ هل كنّا على قدر المسؤولية أم أنّا تخليّنا عن إرث الطفّ وعهده؟

«أينَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ الْكَلَمُ» هو دمعة تذرفها الأرض على من رفع راية الإصلاح، وصرخة تطلقها السماء تطلب من المؤمنين أن يكونوا نوراً في عتمة هذا العالم، إنه السؤال الذي يعيد للأمة وجданها الضائعة، ويسبّب في قلوبها المعانى الخالدة للوفاء والشهادة والصبر والثبات.

«أينَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ الْكَلَمُ» حينها لا يمتلك أى شارح لهذه الفقرة إلا أن يجيب: بكر براء.

\* \* \*

### الفقرة الثامنة والعشرون

«صَالِحٌ بَعْدَ صَالِحٍ، وَصَادِقٌ بَعْدَ صَادِقٍ، أَيْنَ السَّبِيلُ بَعْدَ السَّبِيلِ، أَيْنَ الْخِيرَةُ بَعْدَ الْخِيرَةِ، أَيْنَ الشُّمُوسُ الْطَّالِعَةُ، أَيْنَ الْأَقْهَارُ الْمُنِيرَةُ، أَيْنَ الْأَنْجُومُ الْزَّاهِرَةُ، أَيْنَ أَعْلَامُ الدِّينِ وَقَوَاعِدُ الْعِلْمِ».

### البيان الإجمالي للفقرة:

يشير هذا المقطع الندي المبارك إلى الحالات التي مررت على أهل البيت عليهما السلام، فعبر عنها بتعابير مختلفة، إشارة إلى أنواع من العداء المغلظ من قبل الأمة تجاه من وصيّ بهم النبي ﷺ وجعل مودتهم أجر رسالته التي أفقد بها

البشرية - من حضيض ما كانت تعشه فكراً وسلوكاً منحرفاً - إلى أسمى نموذج يرتقي إليه البشر في التعايش ونيل الكمال. فرغم هذه الوصيّة المغلظة قرائياً ونبوياً في حفظهم واحترامهم وتبجيلهم - لأنّها أجر ما في الأمة من نعيم -، ولكن المحزن المؤسف أنَّ الإصرار والتعنت من قبل الأمة في التطاول على أهل البيت عليهما السلام وانتهاؤك كلّ حرمة لهم، فجاء الدعاء صرخة في نفس القارئ تُسأله عن هذه العترة الموصى بها وما حلّ بها.

تسأله عن صفات أفراد هذه العترة، وهل أنَّ الذي ينبغي من الأمة تجاههم هو التكريم والتجليل أو السحق والتنكيل؟  
فيسأل عن أبناء الإمام الحسين عليهما السلام بعد أن تحدّث عن جري عليهما السلام بكرباء.

فالعبارة الواردة والقائلة: «أَيْنَ أَبْنَاءُ الْحُسَيْنِ» تشير إلى الامتداد الطبيعي للنبي الأكرم عليهما السلام، وكأنّها تناطح الضمير الإنساني، بعد أن يُسْتَ من ضمير الأمة التي انتشلها خاتم الأنبياء والرُّسُل عليهما السلام، وجعلها أرقى الأمم برسالته التي ضحّى بكلّ وجوده من أجل أنْ يرسّيها، فيسأل الداعي - ليقول للداعي: لا بدّ لك يا من تقرأ هذا الدعاء أنْ تسأله - عن الامتداد الطبيعي للنبي الخاتم عليهما السلام وما جرى عليهم.

ثم يقول الداعي للقارئ، وسألتو عليك بعض صفاتهم:  
إِنَّ الَّذِينَ أَفْصَوْا وَقُتِلُوا وَانْتَهَكَتْ حُرْمَاتِهِمْ وَتَمَّ التَّجَاوِزُ عَلَيْهِمْ بِكُلِّ مَا  
مِنْ شَأْنٍ أَنْ يَنْتَهِكَ كَرَامَةُ الْإِنْسَانِ، وَيُصْغَرُ قَدْرُهُ، وَيُحَطَّ مِنْ مَنْزِلَتِهِ، أَتَعْلَمُ أَنَّ  
هُؤُلَاءِ هُمْ صَالِحُونَ بَعْدَ صَالِحٍ؟!

وهنا لا بدّ أنْ ينقدح في ضمير القارئ سؤال مفاده: هل أنَّ الصالح يُقدَّم  
وَيُحِتَّمُ أَوْ أَنَّهُ يُهَانُ وَيُعَتَّدُ عَلَيْهِ؟!

ثم يتلو بقيةَ الصفات ويقبح في ذهن القارئ نفس السؤال: وصادق بعد صادق، أين السبيل بعد السبيل؟  
إذا كان السبيل إلى الله يُنْتَهِكُ وَيُبَعَّدُ، فكيف سيكون بعدئذِ  
الوصول؟!

ثم يتبع الدعاء تلاوة الصفات الذاتية التي توجب التقديس:  
«أَيْنَ الْخَيْرَةُ بَعْدَ الْخَيْرَةِ، أَيْنَ السُّمُوسُ الْطَّالِعَةُ، أَيْنَ الْأَقْمَارُ الْمُنِيرَةُ، أَيْنَ  
الْأَنْجُومُ الْزَّاهِرَةُ، أَيْنَ أَعْلَامُ الَّذِينَ وَقَوَاعِدُ الْعِلْمِ».

فالدعاء يريد أن يسأل عن أشخاص هذه صفاتهم، أنهم أنجم تزهر للسائلين، وأعلام تهدي الضاللين، وقواعد رصينة ترفع جهل المتعلمين، وأقمار منيرة تنير دروب الحائرين، وضياء وهاج طالع لا يغيب، يفتح النوافذ لقلوب العابدين.

أناس هذه صفاتهم، وهذه الأهداف من وجودهم، كان حري بالآمة التي شاء القدر أن يكونوا بين ظهراني أفرادها، أن يقام لكل واحد منهم في نفس كُل فرد من أفراد هذه الآمة شاخصُ التقديس الذي لا يمكن أن ينحني يوماً أمام أي انحراف وضلال، وصخرة لا تُخْرِكُها قواصف وعواصف أهواء الرجال، ولكنَّ الأسف كُل الأسف، والحسرة كُل الحسرة، أنَّ الآمة التي أريد لها أن تتحترم وتقديس أهل البيت عليهما السلام، انتهكت حرمتهم، وداست عليهم، ولم ترع فيهم لرسول الله ﷺ أي حُقْ وَإِنْ كَانَ صَغِيرًا.

وفي الروايات - وهي كثيرة - ما يشير إلى تلك المعاني والخصائص التي تضمنها المقطع، سيأتي ذكر بعضها في كُل مقطع مقطع.

«صَالِحٌ بَعْدَ صَالِحٍ».

عبارة تنبض بالسلسل الإلهي في الإصلاح والهداية، ترمز إلى استمرارية النور الإلهي الذي لا ينقطع في الأرض.

إنَّهَا تُصوَّرُ القيَمُ والرسالةُ الَّتِي يَحْمِلُهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالْأُوْصِيَاءُ عَلَيْهِمُ الْجَلَلُ بَعْدَ  
جَهَنَّمَ، امْتَدَادًا لِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ، وَتَصْدِيقًا لِوَعْدِهِ بِأَنْ يَبْعَثُ فِي كُلِّ زَمَانٍ مِنْ  
يَقُومٍ مَقَامَ الْحَجَّةِ وَيَقِيمَ أَمْرَ الدِّينِ.

هي تعكس عمق الحكمة الإلهية في تعاقب الصالحين كحماة للرسالة السماوية ومصابيح للهداية، فهم ليسوا مجرّد أفراد، بل سلسلة متصلة من النفوس الطاهرة المعصومة التي تحملت أعباء الرسالة وهموم هداية الناس، وواجهت الظلم والضلال بصدق وصبر.

كل صالح منهم يسلم الراية للذى يليه، فيكون الامتداد الطبيعي لتلك المهمة الربانية التي لا تنطفئ شعلتها منها استدلت ظلمات الجهل والطغيان.

في كلّ «صالحٍ بعْدَ صالحٍ» يتجلّى معنى الاستمرار الإلهي في حفظ الدين، من آدم إلى نوح، ومن إبراهيم إلى موسى، ومن عيسى إلى محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ)، ثمّ إلى الأوصياء الطاهرين من أهل البيت عليهما السلام، الذين هم أئمّة الحقّ ورعاة الإصلاح.

هذه العبارة تحمل وعداً بالخلاص وتجددّاً دائمًا للأمل، حيث لا يترك الله تعالى الأرض بلا حجّة.

كل صالح في هذه السلسلة الإلهية هو لبنة في بناء العدالة الإلهية، يكمل ما بدأه الذي قبله، ويُحيي الطريق للذي بعده، ليظل الدين محفوظاً والنور متداً. « صالح بعْد صالح» ليست مجرد كلمات، بل هي عهد إلهي، ووعد بحفظ الـ سالة إلى يوم القيمة، حيث يرث الأرض عباد الله الصالحون.

• • •

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ٢٦٧  
«صادقٌ بعْدَ صَادِقٍ».

هو التعبير الذي ينقل عمق استمرارية النور الإلهي في الأرض، حيث لا يخلو زمان من حامل للحق، صادق في قوله وفعله، يصدق من قبله، ويُمهّد لمن يأتي بعده، هذه العبارة ليست مجرد وصف للشخص، بل هي بيان لعقيدة عميقة تتمثل في تسلسل الهدایة الربانية، حيث يكون الصدق هو الميزان الذي يتجلّ في صفوة خلق الله تعالى الذين اصطفاهم لحمل أمانة الرسالة.

هي عنوان النقاء والاستقامة، الذي يربط بين الأنبياء والأوصياء والأئمة الطاهرين عليهما السلام.

فالصادقون هم الذين جسّدوا رسالة السماء في واقع الأرض، وهم الذين صدّقوا الله تعالى في العهد الذي أخذ منهم يوم أقرّوا بالعبودية المطلقة له، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ (النساء: ١٢٢)، وامتدّ هذا الصدق إلى من بعثهم هداً للخلق، فهم صادقون في الوعد، صادقون في الكلمة، وصادقون في تجسيد الحق.

هذه العبارة تشير أيضاً إلى أنَّ الصدق ليس مجرد فضيلة شخصية، بل هو منهج حياة ومسار إلهي يتجلّ في الصادقين جيلاً بعد جيل، الإمام الصادق عليهما السلام الذي حمل هذا الاسم الشريف كان مثالاً لهذا الامتداد.

هو الشعار الذي يجعل الأمة تتّصل بحبل الهدایة الإلهي، ويدعوها لتسير على خطى هؤلاء الصادقين الذين لم يُغيّروا ولم يُبدّلوا.

\* في (تفسير القمي) بسنده عن زرارة، عن أبي جعفر عليهما السلام، قال: «... وأمّا قوله: ﴿وَمَنْ يُطِعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩)، قال:

«النَّبِيِّنَ» رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، «وَالصَّدِيقِينَ» عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، «وَالشُّهَدَاءِ» الْحَسَنُ وَالْحَسِينُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، «وَالصَّالِحِينَ» الْأَئِمَّةُ، «وَحَسْنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» ٦٩ الْقَائِمُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (الكافي) بسنده عنْ بُرِيدْ بْنِ مُعاوِيَةَ الْعِجْلِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «تَقُولُوا اللَّهُ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» ١١٩ [التوبة: ١١٩]، قَالَ: «إِنَّا نَعْنَى»<sup>(٢)</sup>.

\* وفي (تفسير العياشي): عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الْثَّمَالِيِّ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: «يَا بَا حَمْزَةَ، إِنَّمَا يَعْبُدُ اللَّهَ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ، فَأَمَّا مَنْ لَا يَعْرِفُ اللَّهَ كَانَ مَا يَعْبُدُ غَيْرَهُ هَكَذَا ضَالًاً»، قُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، وَمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ؟ قَالَ: «يُصَدِّقُ اللَّهُ وَيُصَدِّقُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ فِي مُوَالَةِ عَلَيْهِ وَالْإِيمَامِ بِهِ، وَبِأَئِمَّةِ الْهُدَى مِنْ بَعْدِهِ، وَالْبَرَاءَةِ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَكَذَلِكَ عِرْفَانُ اللَّهِ»، قَالَ: قُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، أَيُّ شَيْءٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَنَا إِسْتَكْمَلْتُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: «تُوَالِي أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، وَتَعَادِي أَعْدَاءَ اللَّهِ، وَتَكُونُ مَعَ الصَّادِقِينَ كَمَا أَمْرَكَ اللَّهُ...»<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

«أَيْنَ السَّيِّلُ بَعْدَ السَّيِّلِ».

هي تعبير عن شوق المؤمن إلى هداه الحق الذي يضيئون الطريق أمام الإنسانية، يسأله قلب ملتاع بفقدانهم، ويُدرك عقله أنهم السبيل الذي لا ضياع معه. السبيل الأول كان آدم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثم تبعه سبيل بعد سبيل، حتى خُتم بالنبي

(١) تفسير القمي (ج ١ / ص ١٤٣).

(٢) الكافي (ج ١ / ص ٢٠٨ / باب ما فرض الله تعالى ورسوله ﷺ من الكون مع الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ / ح ١).

(٣) تفسير العياشي (ج ٢ / ص ١١٦ / ح ١٥٥).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ٢٦٩

الأعظم محمد عليهما السلام، وأكمله بأئمّة أهل البيت عليهما السلام الذين حملوا لواء الهدایة حتّى آخر وصيّ من الأوصياء عليهما السلام.

وكان الداعي يقول: أين هم من يأخذون بأيدينا لنصل إلى الهدایة الحقة؟ أين الطريق الذي تتوالى خطواته عبر الأنوار القدسية، حيث يورث كلّ سبيلاً من سبقه نور الهدایة ومعانى الرسالة؟

هو تذكيرٌ بأنَّ الأرض لا تخلو من حجَّة، وأنَّ الله جعل لكلّ زمان سبيلاً يواصل رسالة السماء، كما قال عليهما السلام: ﴿أَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ (الأنعام: ١٥٣)، وهذا السبيل هو صراط الأنبياء والأئمّة الذين جاؤوا ليكونوا علامات الطريق للسائلين.

إنَّه تساؤل ينبع بالشوق إلى ولی الله الأعظم، الإمام الحجَّة المتضرر عليهما السلام، الذي هو السبيل بعد كلّ سبيل، والموعد بإقامة العدل ونشر النور الإلهي في أرجاء الأرض.

إنَّه نداءٌ الحائرين الذين يُدرِّكون أنَّ السبيل ليس فقط دربًا يُرى بالعين، بل هو نورٌ يُرى بالبصيرة، وسلامةٌ يُدرِّكها القلب في حضرة هداة الحق.

\* في (تفسير القمي) بسنده عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليهما السلام في قوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَنْبِغِي السُّبُلَ فَتَرَقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، قال: «نَحْنُ السَّبِيلُ، فَمَنْ أَبَى فَهَذِهِ السُّبُلُ فَقَدْ كَفَرَ...»<sup>(١)</sup>.

\* وفيه: عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليهما السلام في قوله: ﴿فُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨]، يعني نفسه، ومن تبعه يعني على بن أبي طالب وآل محمد عليهما السلام<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) تفسير القمي (ج / ١ ص ٢٢١).

(٢) تفسير القمي (ج / ١ ص ٣٥٨).

«أَيْنَ الْخَيْرُ بَعْدَ الْخَيْرَةِ».

الْخَيْرَةُ لِيُسْوَى مُجَرَّدَ شَخْصِيَّاتٍ تَارِيْخِيَّةَ، بَلْ هُمْ وَجُودَاتٍ مَعْصُومَةٍ زَكِيَّةَ تُمَثَّلُ وَاسْطَةَ فِيْضِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْأَرْضِ.

وَالسُّؤَالُ عَنْهُمْ يُعْبَرُ عَنْ شَوْقِ الْأُمَّةِ إِلَى الْامْتَادِ الرُّوْحِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا مَصْدِرَ عَزَّتِهَا وَكَرَامَتِهَا، إِنَّهُمْ مِيزَانُ الْحَقِّ.

هَذَا النَّدَاءُ يَحْمِلُ مَعْنَى الْيَقِينِ بِأَنَّ الْخَيْرَةَ لَا يَغْبِيُونَ دُونَ أَنْ يَتَرَكُوا أَثَارَهُمْ، فَهُمْ نُورٌ يَمْتَدُّ عَبْرَ الْعَصُورِ، وَكَأَنَّ السُّؤَالَ يُذَكِّرُنَا بِأَنَّنَا وَإِنَّ افْتَقَدَنَا هُمْ فِي الظَّاهِرِ، إِلَّا أَنَّ آثَارَهُمْ لَا تَزَالُ مَاثِلَةً فِي تَعَالِيمِهِمْ وَعَدَالِتِهِمْ، فَهُمْ عَلَيْهِمْ هُمُ الَّذِينَ يُشَتَّتُونَ أَنَّ الْعَدْلَ لَا يَمُوتُ، وَأَنَّ الْحَقَّ لَا يُهْزَمُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ زَمَانٍ حَجَّةً تَقِيمَ الدِّينَ وَتَحْمِيهِ.

فَهَذَا السُّؤَالُ يَحْمِلُ بُعْدًا عَقَائِدِيًّا عَمِيقًا حِينَ يَقُولُونَا إِلَى الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي هُوَ آخِرُ الْخَيْرَةِ وَمَوْعِدُ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِيَّةِ، إِنَّهُ لَيْسَ تَسَاوِلًا عَنِ الْغَيَابِ، بَلْ هُوَ تَأْكِيدٌ عَلَى أَنَّ الْغَيَابَ لَنْ يَكُونَ دَائِيًّا، وَأَنَّ النُّورَ سَيَعُودُ لِيَمْلأَ الْأَرْضَ عَدْلًا بَعْدَ أَنْ مُلِئَتْ جُورًا.

فَهَذَا النَّدَاءُ لِيُسَمِّي مُجَرَّدَ تَعْبِيرَ عَنْ أَلْمِ الْفَقْدِ، بَلْ هُوَ دُعَوَةٌ لِلتَّمْسِكِ بِخَطْطِ الْخَيْرَةِ، وَالْإِعْدَادِ لِلْيَوْمِ الَّذِي يَعُودُ فِيهِ آخِرُهُمْ لِيَقِيمَ دُولَةَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ الإِلَهِيِّ. هُوَ نَدَاءٌ يُشَعِّلُ الْأَمْلَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُذَكِّرُهُمْ بِأَهْمَمِ جُزْءٍ مِنْ هَذَا الْخَطْطِ الْمَبَارِكِ، وَأَنَّ دُورَهُمْ هُوَ التَّثْبِيتُ عَلَى الْعَهْدِ حَتَّى يَظْهُرَ مَنْ يُعِيدُ لِلْحَقِّ هَيَّتَهُ.

\* فِي (تَأْوِيلِ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ) بِسَنَدِهِ عَنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ٢٢» [الدُّخَانُ: ٣٢]، قَالَ: «الْأَئِمَّةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ» <sup>(١)</sup>.

(١) تَأْوِيلُ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ (ج٢/ ص٥٧٤/ ح٢).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهم السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ٢٧١

\* وفي (أمالي المفيد) بسنده عن محمد بن إسحاق الشعابي الموصلي أَيْ نَوْفِلِ، قَالَ: سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليهم السلام يَقُولُ: «نَحْنُ خَيْرُ الْهُنْدِ مِنْ خَلْقِهِ، وَشَيْعَتُنَا خَيْرُ اللَّهِ مِنْ أُمَّةِ نَبِيِّ عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

«أَيْنَ الشُّمُوسُ الظَّالِعُ، أَيْنَ الْأَقْمَارُ الْمُبَرَّةُ».

عبارة تتأمل في غياب الهداة الإلهيين الذين يشكّلون المحور الأساس للنظام الرباني في الكون.

هؤلاء ليسوا مجرّد رموز معنوية، بل هم التجسد الكامل للهدامة الإلهية، وأدوات الفيض الإلهي في الحياة البشرية.

هو تعبير عن الأنوار الكبرى، والقيم المطلقة التي تنبثق من مشكاة النبوة والإمامية.

هؤلاء الشموس ليسوا مجرّد أشخاص، بل هم مركز النور الإلهي، يحملون بين جنباتهم الشريعة والرحمة والقيادة المتصلة بالله تعالى، كالشمس التي تنير كلّ شيء دون تفريق.

وتمثل الامتداد العملي والواقعي لهذا النور في الحياة، الأقمار تُوضّح لنا كيف يمكن للحقيقة المطلقة أن تتعكس في الظروف المتغيرة والزمن المتبدّل، فكما أنّ القمر يجعل ضوء الشمس قريباً ومحنّن الوصول، كذلك يفعل الهدامة الذين يجعلون من الحقيقة الإلهية واقعاً عملياً يتجلّ في كلّ شيء في العبادة والقيادة وغيرهما.

---

(١) أمالي المفيد (ص ٣٠٨ / المجلس ٣٦ / ح ٦).

في البُعد العقائدي، هذا النداء يشير إلى حقيقة مستمرة: أنَّ الله تعالى لا يترك الأرض بلا حَجَّة، فالغياب الظاهري للإمام المنتظر عليه السلام هو اختبار ل بصيرة الإنسان وقدرته على الاستمرار في الطريق رغم الغيوم التي تحجب النور الظاهر. هو نداء لمن يبحث عن الإشراق الذي يُعيد للوجود توازنه، وعن الذين يحملون القدرة على مواجهة الظلام الشامل بالفَكْر والعلم والبصيرة.

\* في (الكافي) بسنده عَنْ سَهْلٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ الله عليه السلام، قَالَ: سَأَلْتُه عَنْ قَوْلِ الله عليه السلام: 《وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا》 ①، قَالَ: 《الشَّمْسُ رَسُولُ الله》 عليه السلام، بِهِ أَوْضَحَ الله عليه السلام لِلنَّاسِ دِينَهُمْ، قَالَ: قُلْتُ: 《وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا》 ②، قَالَ: «ذَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، تَلَاهَا رَسُولُ الله عليه السلام وَنَفَثَهُ بِالْعِلْمِ نَفْثًا»، قَالَ: قُلْتُ: 《وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا》 ③، قَالَ: «ذَاكَ أَئِمَّةُ الْجُنُورِ الَّذِينَ إِسْتَبَدُوا بِالْأَمْرِ دُونَ آلِ الرَّسُولِ عليه السلام، وَجَلَسُوا مَجِلِسًا كَانَ آلُ الرَّسُولِ أَوْلَى بِهِ مِنْهُمْ، فَغَشُوا دِينَ اللهِ بِالظُّلْمِ وَالْجُنُورِ، فَحَكَى اللهُ فِعْلَهُمْ، فَقَالَ: 《وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا》 ④، قَالَ: قُلْتُ: 《وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا》 ⑤، قَالَ: «ذَلِكَ الْإِمَامُ مِنْ ذُرَّةِ فَاطِمَةَ عليها السلام، يُسْتَأْلَعُ عَنْ دِينِ رَسُولِ الله عليه السلام، فَيُجَلِّيهِ لِمَنْ سَأَلَهُ، فَحَكَى اللهُ عليه السلام قَوْلَهُ، فَقَالَ: 《وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا》 ⑥» [الشمس: ٤ - ١].<sup>(١)</sup>

\* \* \*

«أَيْنَ الْأَنْجُومُ الْرَّاهِرَةُ».

هذا النداء يُعبّر عن البحث عن تلك النجوم المضيئة في سماء الإنسانية، النجوم التي جعلت رموزاً للهداية، ومصايف تُنير للناس طريقهم في عتمة

(١) الكافي (ج ٨/ ص ٥٠/ ح ١٢).

الفصل الثاني: أهل البيت عليهما السلام في دعاء الندبة (الخصائص، الآثار، الكمالات) ..... ٢٧٣

الحياة، هم الأئمة الطاهرون الذين يُمثلون تجلياً حياً للعلم الإلهي والحكمة الربانية.

هي تُعبر عن جمال الكمال الإنساني الذي يتحقق عندما يصطبغ الإنسان بنور الله تعالى، ويصبح وسيلة للهداية والعطاء.

في البُعد العقائدي، سؤال عن غياب هؤلاء الحجاج الذين هم زينة الأرض وأمانها، مصداقاً للحديث لقول النبي عليهما السلام: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لامتي»<sup>(١)</sup>.

وهم وإن غابوا جسداً، فإن نورهم يبقى في شخص غائبهم عليهما السلام.

هذا النداء يستوطن شوقاً للظهور الموعود للإمام المهدي عليهما السلام، الذي هو

نجم الزمان الظاهر، والذي سيعيد للأرض نورها وعدها.

ومع ذلك، فإن النداء لا يخلو من دعوة ضمئية للمؤمن أن يكون هو الآخر نجماً زاهراً في مجده، يُنير مَنْ حوله بسلوكه وأفعاله، مقتدياً بهؤلاء الأنجم الذين كانوا وما زالوا قدوة للبشرية جماء.

\* في (الكافي) بسنده عن معروف بن خربوذ، عن أبي جعفر عليهما السلام، قال: «إِنَّمَا نَحْنُ كَنْجُومَ السَّمَاوَاتِ، كُلَّمَا غَابَ نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ حَتَّىٰ إِذَا أَشَرْتُمْ بِأَصَابِعِكُمْ وَمِلْتُمْ بِأَعْنَاقِكُمْ غَيَّبَ اللَّهُ عَنْكُمْ نَجْمَكُمْ، فَاسْتَوْتُ بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَمْ يُعْرَفْ أَيُّ مِنْ أَيِّ، فَإِذَا طَلَعَ نَجْمُكُمْ فَأَحْمَدُوا رَبَّكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

\* وفي (مناقب آل أبي طالب) بسنده عن أنسٍ، قال: صلى بنا رسول الله صلاة الفجر، ولم ينفلت من الصلاة أقبل علينا بوجهه الكريم، فقال: «مَعَاشِرَ النَّاسِ مَنِ افْتَنَدَ الشَّمْسَ فَلِيَسْتَمِسْكِ بِالْقَمَرِ، وَمَنِ افْتَنَدَ الْقَمَرَ فَلِيَسْتَمِسْكِ

(١) كمال الدين (ص ٢٠٥ / باب ٢١ / ح ١٨).

(٢) الكافي (ج ١ / ص ٣٣٨ / باب في الغيبة / ح ٨).

بِالْزُّهْرَةِ، وَمَنِ افْتَنَدَ الْزُّهْرَةَ فَلِيُسْتَمِسْكُ بِالْفَرْقَدِينِ»، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَنَا الشَّمْسُ، وَعَلَيِ الْقَمَرُ، وَفَاطِمَةُ الْزُّهْرَةُ، وَالْحُسَنُ وَالْحُسَيْنُ الْفَرْقَدَانِ»...، عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ: فَإِذَا فَقَدْتُمُ الْفَرْقَدَيْنِ فَتَمَسَّكُوا بِالنُّجُومِ الْزَّاهِرَةِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَمَّا النُّجُومُ الْزَّاهِرَةُ فَهُمُ الْأَئِمَّةُ التِّسْعَةُ مِنْ صُلْبِ الْحُسَيْنِ، وَالْتَّاسِعُ مَهْدِيُّهُمْ<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

### «أَيْنَ أَعْلَامُ الدِّينِ وَقَوَاعِدُ الْعِلْمِ»

هذا النداء يعكس ألم فقد وحيرة الأئمة أمام غياب أعلام الدين، وحجج الله الذين جسدوا جوهر الدين وشيدوا صروح العلم.  
هم أولئك الذين جعلهم الله تعالى مناراً للهدي وأدلة على الحق، وعلّموا الناس كيف يعيشون وفق تعاليم السماء. هؤلاء ليسوا مجرد مفسّرين أو شارحين، بل هم ممثلو الحقيقة الإلهية بكل تجلّياتها، الذين يستمدون علمهم من المصدر الأزي. في البُعد العقائدي، هذا النداء يرتبط بحقيقة انتظار الإمام المهدي ﷺ، الذي هو علم الدين الأكبر وقاعدة العلم الحية، والذي سيعيد للعلم والدين حضورهما الكامل.

هو ليس مجرد تساؤل عن الحضور، بل هو استنهاص لإرادة الأئمة بأن تستعد لاستقبال من يعيد للدين مكانته وللعلم إشراقه، ويدعوها للثبات على من كانوا ولا يزالون أساس استمرار الحق. وبهذا يتم الفصل الثاني من هذا الشرح، والله تعالى ولو ليله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد والمنة.

\* \* \*

(١) مناقب آل أبي طالب (ج ١ / ص ٢٤٢).

الفصل الثالث:

النَّدْبَةُ لِلإِمَامِ



المبحث الأول:

صفات الإمام عَلَيْهِ الْكَفَافُ في الدعاء وما تپرّع

عليها من خصائص وآثار ودلالات



في هذا الفصل والفترات التالية منه سنلاحظ أنَّ الدعاء المبارك ذكر العديد من الخصائص التي تفرَّعت على عدَّة صفات، ورتب جملة من الآثار على تلكم الصفات، ونعرض لها تباعاً في عدَّة فترات، وفي كُلٍّ فقرة ستتناول عدَّة مقاطع بحسب البحوث التي تتعرَّض لها المفاهيم المذكورة فيها وما يلازمها من مسائل في العقيدة المهدوَّية وتفاصيلها.

### الفقرة التاسعة والعشرون

«أَيْنَ بَقِيَّةُ اللَّهِ الَّتِي لَا تَخْلُو مِنَ الْعِتْرَةِ الْهَادِيَّةِ».

في هذه الفقرة يسأل الداعي عن إمكانية الوصول إلى الإمام عليه السلام بعد غيابه، وهل يمكن معرفة مكانه؟

بعد أن استعرض الداعي ما وقع على العترة الهادية من مصائب ومحن مرت عليك من خلال فترات هذا الدعاء، يتجلَّ في لسان الحال الذي يُعبِّر عنه الدعاء سؤالٌ عميق نابع من هذه المأساة والفجائع: هل بقي من هذه العترة فرد معصوم موجود؟

وإذا كان الجواب بالإيجاب، فأين هو؟

أليس ممَّا قرأناه أنَّ وجود فرد من العترة المعصومة هو قرين للقرآن الكريم، لا ينفصل عنه ما دامت الدنيا قائمة؟  
ولكنَّا - مع ذلك - لا نشاهد هذه البقية بأعيننا، ممَّا يجعل السؤال

بـ (أين) مشروعًا بل وملحًا، وإذا كانت بقية العترة موجود، ولكنَّه غائب عن الأنوار، فهل من سبيل للوصول إليه، ونصرته، وتحقيق الغاية المرجوة من وجوده؟

الحديث عن هذه الفقرة يقع في عدَّة نقاط:

**النقطة الأولى: عدم خلو الأرض من إمام معصوم من أهل البيت عليهما السلام:**

قال تعالى: **﴿بَقِيَتِ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾**

(هود: ٨٦).

جاء هذا المفهوم القرآني في إطار قصة النبي شعيب عليهما السلام، قال (عزَّ من قائل): **﴿وَإِلَى مَدِينَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَأَكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾** (٨٤) وَيَا قَوْمَ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ **﴿بَقِيَتِ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾** (هود: ٨٤ - ٨٦).

وعن هذا المعنى جاء في (الكافي) بسنده عن عمر بن زاهر، عن أبي عبد الله عليهما السلام، قال: سأله رجل عن القائم يسأله عليه يامرة المؤمنين؟ قال: «لَا، ذاك إِسْمُ سَمَّى اللَّهُ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ لَمْ يُسَمِّ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا يَتَسَمَّى بِهِ بَعْدَهُ إِلَّا كَافِرٌ»، قلت: جعلت فداك، كيف يسأله عليه؟ قال: «يَقُولُونَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِقِيَةَ اللَّهِ»، قَرَأَ: **﴿بَقِيَتِ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾** [هود: ٨٦]<sup>(١)</sup>.

في شرح المولى المازندراني عليهما السلام على (الكافي): (قوله): (قال: يَقُولُونَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بِقِيَةَ اللَّهِ)، بالإضافة في (بِقِيَةَ اللَّهِ) لامية، كبيت الله وطاعة الله، وبقية

(١) الكافي (ج ١ / ص ٤١١ و ٤١٢ / باب نادر / ح ٢).

الشيء: ما بقي منه، والباقية أيضاً: ما يُتَظَرُ وجوده ويُتَرَقَّبُ ظهوره من (بقيت الرجل أبقيته) إذا انتظرته ورقته، وإنما سُمِّي الصاحب عَلَيْهِمُ الْكَفَرُ وَعَلَيْهِمُ الْأَثْقَالُ بذلك لأنَّه بقيَ الأنبياء والأوصياء السابقين، ويُتَظَرُ وجوده، ويُتَرَقَّبُ ظهوره. قوله: (ثُمَّ قَرَأَ: ﴿بَقِيَتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ﴾)، أي خليفة الله الباقى، وانتظار ظهوره خير لكم إنْ كُنْتُم مُؤْمِنِينَ به. وهذا التفسير أحسن مما قيل من أنَّ المراد بباقية الله طاعته وانتظار ثوابه والحالة الباقية لكم من الخير أو ما بقي لكم من الحلال<sup>(١)</sup>.

وهذا الفهم يحمل دلالة عميقة ترتبط بمفهوم بقية الله، وأنَّه هو خليفة الله الباقي في الأرض، أي ذلك الإمام المعموم المتضرر عَلَيْهِمُ الْكَفَرُ وَعَلَيْهِمُ الْأَثْقَالُ الذي يُمثِّلُ امتداداً للولاية الإلهية، وأنَّ الإيمان به وانتظار ظهوره فيه الخير الحقيقي للناس، بشرط أن يكونوا مُؤْمِنِينَ به وبوظيفته الإلهية.

وهذا الفهم يبرز بصورة أعمق مقارنةً بما ذُكرَ من أنَّ بقية الله تقتصر وتشير إلى طاعته تعالى، أو انتظار ثوابه، أو ما بقي للإنسان من الحلال الطيب، أو حتى الحالة الباقية من الخير في حياة المؤمن، فقط. فهي وإنْ كانت مفاهيم حقٌّ، ولكن القصر عليها لا يُعبِّرُ بشكل كامل عن البُعدُ الخاصُّ المرتبط بالإمام الخليفة الذي يُشكِّلُ صلة الوصل المستمرة بين الأرض والسماء، ووجوده يُعدُّ ضمانة لاستمرار الخير والهداية على ما تقدَّمَ في عدَّة موضع من هذا الشرح.

ثم الملاحظ أنَّ الإضافة في (بقيَة) إلى الله تعالى هي على حدِّ الإضافات الوجودية الحقيقة، كإضافة الدين إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: ١٩)، وإضافة خلق الموجودات إليه، قال تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُوْنِي مَا ذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ (لقمان: ١١)، فالحجَّةُ هو بقية الله تعالى، وقد قضى أنْ لا تخلو العترة الهادية من بقية وجود دائم بين الناس،

(١) شرح أصول الكافي للمازندراني (ج ٧/ ص ٤٨ و ٤٩).

فعندهما يقول الداعي: «أَيْنَ بَقِيَّةُ اللهِ الَّتِي لَا تَخْلُو مِنَ الْعُتْرَةِ الْهَادِيَّةِ» هو يشير إلى الارتباط بين الأرض والسماء الذي جسّده الإمام علي عليهما السلام في حديثه مع أحمد بن إسحاق عليهما السلام.

\* في (كمال الدين) بسنده عن أحمد بن إسحاق بن سعيد الأشعري، قال: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُحَمَّدِ الْحَسَنِ بْنِ عَلَيٌّ عَلَيْهِمَا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنِ الْخَلْفِ [مِنْ] بَعْدِهِ، فَقَالَ لِي مُبْتَدِئًا: «يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُخْلِ الْأَرْضَ مُنْذُ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِمَا، وَلَا يُخْلِيَهَا إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ مِنْ حُجَّةِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، بِهِ يَدْفَعُ الْبَلَاءَ عَنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَبِهِ يُنْزَلُ الْغَيْثُ، وَبِهِ يُخْرِجُ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ»، قال: فَقُلْتُ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، فَمَنِ الْإِمَامُ وَالْخَلِيفَةُ بَعْدَكَ؟ فَنَهَضَ عَلَيْهِمَا مُسْرِعاً، فَدَخَلَ الْبَيْتَ، ثُمَّ خَرَجَ وَعَلَى عَاتِقِهِ غُلَامٌ كَانَ وَجْهُهُ الْقَمَرُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَثَلَاثِ سِنِينَ، فَقَالَ: «يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ، لَوْلَا كَرَامَتُكَ عَلَى اللَّهِ يَعْلَمُ وَعَلَى حُجَّجِهِ مَا عَرَضْتُ عَلَيْكَ إِبْنِي هَذَا، إِنَّهُ سَمِيُّ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَنِيهُ، الَّذِي يَمْلأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا. يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ، مَثْلُهُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَثْلُ الْخَضِيرِ عَلَيْهِمَا، وَمَثْلُهُ مَثْلُ ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَاللَّهُ لَيَعْيَنَ غَيْبَةً لَا يَنْجُو فِيهَا مِنَ الْهَلْكَةِ إِلَّا مَنْ شَتَّتَهُ اللَّهُ يَعْلَمُ عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ، [وَ] وَفَقَهُ [فِيهَا] لِلْدُّعَاءِ بِتَعْجِيلِ فَرَجِهِ»، فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا مَوْلَايَ، فَهَلْ مِنْ عَلَامَةٍ يَطْمَئِنُ إِلَيْهَا قُلْبِي؟ فَنَطَقَ الْغُلَامُ عَلَيْهِمَا بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا فَصَيَّحَ، فَقَالَ: أَنَا بَقِيَّةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَالْمُتَقْمِمُ مِنْ أَعْدَائِهِ، فَلَا تَطْلُبْ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ يَا أَحْمَدَ بْنَ إِسْحَاقَ...»<sup>(١)</sup>.

لقد ذكر أهل البيت عليهما السلام أن الإمام المهدي عليهما السلام هو بقية الله للناس من ذريّة المصطفى عليهما السلام المطهرين، فهو بقية الله تعالى في أرضه و الخليفة و حجّته كما في الخبر. إن قوله: «بَقِيَّةُ اللهِ» تُعبّر عن الغصن الطاهر الوحيد الباقي من تلك

(١) كمال الدين (ص ٣٨٤ و ٣٨٥ / باب ٣٨ / ح ١).

الشجرة المباركة، الذي يُمثّل امتداداً للولاية الإلهيّة في الأرض. ومن لطيف ما نطقت به الآية الكريمة، والتي سيتحدّث بها إمامنا عند ظهوره المبارك، أنّها تصف هذه البقيّة الإلهيّة بأنّها خير لكم أيّها الناس من كُلّ شيء آخر.

فهذا الوجود الرباني هو خير لكم من آبائكم وأمّهاتكم، ومن زوجاتكم وأبناءكم، وخير من أموالكم ومناصبكم ومقاماتكم، بل هو خير من كُلّ شيء تملكونه أو تطمحون إليه. إِنَّه خير من علم العالم، وخير من صلاة المصليّ، ودعاء الداعي، وخير من قربات كُلّ متقرّب، إذ إِنَّ قيمته لا تُقارن بِأيّ قرب أو عمل حين يكون بمعزل عنه وعن قربه.

هذه البقيّة الإلهيّة ليست مجرّد رمز للخلاص أو الرجاء، بل هي محور الوجود الذي به يتحقّق الخير الأعظم لِكُلِّ البشرية، وهو خير لا يضاهي بأيّ جهد بشري أو إنجاز دنيوي، هذا إِنْ كُنْتُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ الْآيَةَ تقول: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

وفعلاً هو امتحان صعب، فهل تجده في نفسك أنَّ الإمام الحجّة عليه السلام وبقيّة الله في أرضه هو خير من كُلّ شيء عداه وسواه؟

**النقطة الثانية: هل يمكن اللقاء بالإمام عليه السلام؟ وأين موطن الإمام عليه السلام؟ بعد غيابه؟**

من الأسئلة المتجلّدة السؤال عن موضع الإمام الغائب عليه السلام، وإمكان الاتّصال به والتشّرُّف بحضرته عليه السلام.

وقد جاءت الإجابات ومنذ ذاك الزمان على لسان آبائه الطاهرين عليهم السلام وهم يحكّون عن غيابه وما سيجري فيها، وعلى لسانه عليه السلام أيضاً، أنَّ اللقاء به ليس متاحاً بالطريقة التي كانت في زمان آبائه الطاهرين عليهم السلام، وإنّما في دائرة أضيق في زمان غيابه الصغرى، بل وفي أيامه التي عاشها في كنف والده الإمام

العسكري عليه السلام بحيث لا يراه جميع الناس إلّا منْ تيسّر له ذلك عن طريق السفراء أو مباشرةً، وأمّا في الغيبة الكبرى فاللقاء به نادر جدًا، ولا يكون إلّا في ضمن شرائط وأسباب وظروف لا نعلم بها، ولا نعلم متى وأين تقع فيقع اللقاء. وهذا ما استُفید من عمومات ما دلّ على وقوع الغيبة فيه عليه السلام، وسيأتي بحث عن هذه النقطة في فقرة: «عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرِيَ الْخُلُقَ وَلَا تُرِي».

ومن جمیل ما ورد في هذا الشأن ما روی عن طلب الزهري اللقاء بالإمام عليه السلام، وقد أنفق في سبيل هذا الأمر مالاً عظیماً، ففي (الغيبة للطوسي):

عَنِ الْزُّهْرِيِّ، قَالَ: طَلَبْتُ هَذَا الْأَمْرَ طَلَبًا شَاقًا حَتَّى ذَهَبَ لِي فِيهِ مَالٌ صَالِحٌ، فَوَقَعْتُ إِلَى الْعَمْرِيِّ وَخَدَمْتُهُ وَلَزَمْتُهُ وَسَأَلْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ صَاحِبِ الْزَّمَانِ عليه السلام، فَقَالَ لِي: لَيْسَ إِلَى ذَلِكَ وُصُولٌ، فَخَضَعْتُ، فَقَالَ لِي: بَكْرٌ بِالْغَدَاءِ، فَوَافَيْتُ، فَاسْتَقْبَلَنِي وَمَعْهُ شَابٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَطْبَيْهِمْ رَائِحَةً بِهِيَاءَ التُّجَارِ، وَفِي كُمِّهِ شَيْءٌ كَهِيَاءَ التُّجَارِ، فَلَمَّا نَظَرَتُ إِلَيْهِ دَنَوْتُ مِنَ الْعَمْرِيِّ، فَأَوْمَأْتُ إِلَيْهِ، فَعَدَلْتُ إِلَيْهِ، وَسَأَلْتُهُ فَأَجَابَنِي عَنْ كُلِّ مَا أَرَدْتُ، ثُمَّ مَرَّ لِي دُخُلَ الدَّارِ - وَكَانَتْ مِنَ الدُّورِ الَّتِي لَا يُكْرَتُ هَلَا -، فَقَالَ الْعَمْرِيُّ: إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَسْأَلَ سَلْ فَإِنَّكَ لَا تَرَاهُ بَعْدَ ذَهَبَتْ إِلَيْكَ فَلَمْ يَسْمَعْ وَدَخَلَ الدَّارَ، وَمَا كَلَمَنِي بِأَكْثَرِ مِنْ أَنْ قَالَ: «مَلْعُونُ مَلْعُونٌ مَنْ أَخْرَى الْعِشَاءَ إِلَى أَنْ تَشْتَبِكَ النُّجُومُ، مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ مَنْ أَخْرَى الْعَدَاءَ إِلَى أَنْ تَقْضِيَ النُّجُومُ»، وَدَخَلَ الدَّارَ<sup>(١)</sup>.

إِنَّ مَا يُكِدِّرُ الْخَاطِرَ وَيُحِزِّنَ الْمُؤْمِنَ أَنَّهُ لِيُسَلِّمَ لِلإِمَامِ عليه السلام موطن يُسْتَقْرُرُ فيه ويكون علامة على وجوده ويُقصَدُ إليه، فالغيبة منعت تحديد مكان معين ثابت، وإنْ ورد في بعض الأخبار أَنَّه في المدينة أو رضوى على ما سيأتي في فقرة: «أَبْرَضْتَهُ أَوْ غَيْرَهَا أَمْ ذِي طُوَى».

(١) الغيبة للطوسي (ص ٢٧١ / ٢٣٦).

\* في (الكافي) بسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لَا بُدَّ لِصَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَا بُدَّ لَهُ فِي غَيْرِهِ مِنْ عُزْلَةٍ، وَنِعْمَ الْمَنْزِلُ طَيْبَةُ، وَمَا بِشَلَاثَيْنَ مِنْ وَحْشَةٍ»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (المزار) بسنده عن أبي عبد الله أحمد بن إبراهيم، قال: شَكُوتُ إِلَيْ أَبِي جَعْفَرِ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ شَوْقِي إِلَى رُؤْيَةِ مَوْلَانَا عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لِي: (مع الشوق تشتاهي أن تراه؟)، فَقُلْتُ لَهُ: نَعَمْ، فَقَالَ لِي: (شَكَرَ اللَّهُ لَكَ شَوْقَكَ، وَأَرَاكَ وَجْهَكَ فِي يُسْرٍ وَعَافِيَةٍ، لَا تَلْتَمِسْ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ أَنْ تَرَاهُ، فَإِنَّ أَيَّامَ الْغَيْبَةِ تَشْتَاقُ إِلَيْهِ، وَلَا تَسْأَلِ الْأَجْمَعَ مَعَهُ إِنَّهَا عَزَائِمُ اللَّهِ وَالْتَّسْلِيمُ لَهَا أَوْلَى، وَلَكِنْ تَوَجَّهُ إِلَيْهِ بِالزِّيَارَةِ...)<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

### الفقرة الثلاثون

«أَيْنَ الْمُعَدُّ لِقَطْعِ دَابِرِ الظَّلَمَةِ، أَيْنَ الْمُتَنْتَرُ لِإِقَامَةِ الْأَمْمَةِ وَالْعِوْجِ، أَيْنَ الْمُرْتَجَى لِإِزَالَةِ الْجُوْرِ وَالْعُدُوَانِ، أَيْنَ الْمَدْخَرُ لِتَجْدِيدِ الْفَرَائِضِ وَالسُّنْنَ، أَيْنَ الْمُتَحَرِّرُ لِإِعَادَةِ الْمُلْكِ وَالشَّرِيعَةِ، أَيْنَ الْمُؤْمَلُ لِإِحْيَاءِ الْكِتَابِ وَحُدُودِهِ، أَيْنَ مُحْبِيِّ مَعَالِمِ الْدِينِ وَأَهْلِهِ، أَيْنَ قَاصِمُ شُوْكَةِ الْمُعْتَدِينَ، أَيْنَ هَادِمُ أَبْنِيَةِ الْشُّرُكِ وَالنَّفَاقِ، أَيْنَ مُسِيدُ أَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ وَالْطُّغْيَانِ، أَيْنَ حَاصِدُ فُرُوعِ الْغَيِّ وَالشَّقَاقِ (النَّفَاقِ)، أَيْنَ طَامِسُ أَثَارِ

(١) الكافي (ج ١ / ص ٣٤٠ / باب في الغيبة / ح ١٦).

(٢) المزار لابن المشهدى (ص ٥٨٥).

الرَّزِيعُ وَالْأَهْوَاءِ، أَيْنَ قَاطِعُ حَبَائِلِ الْكَذِبِ وَالْأَفْرَاءِ، أَيْنَ مُبِيدُ الْعُتَّاَةِ وَالْمَرَدَةِ، أَيْنَ مُسْتَأْصِلُ أَهْلِ الْعِنَادِ وَالنَّضْلِيلِ وَالْإِلْحَادِ».

هذه الفقرة من الدعاء المبارك بمقاطعها المتعددة تتحدث عن عدّة صفات تشترك جميعها في غاية واحدة، وهي إماتة الظلم والجور وإقامة العدل والدين، وهذه الصفات المذكورة في هذه الفقرة من بين أبرز صفات الإمام عليه السلام، وخصائصه الكثيرة، كصفة المتضرر المعدّ، والمرتخي المؤمّل، والمبيد والحاصل، والطامس القاطع، والمستأصل للظلم والجور والعدوان، والمتخيز لإقامة الأمة والعوج في الأمة والإنسانية جماعة، والمدّخر لإعادة الملة والشريعة ومعالم الدين كما كانت، وغير ذلك مما تحدثت عنه الفقرة، والداعي ومع كل فقرة يتلوها يسأل عن مكان إمامه عليه السلام وأين هو؟ وأنّى له بمعرفة مكانه!

### المعدّ لقطع دابر الظلمة:

الإمام المهدي عليه السلام في عقيدتنا هو الذي أعدّته السماء لاستئصال جذور الظلمة، ومتى ما استأصلت جذورهم سيستأصل الظلم ويُطهّر الأرض من كل جور، وإذا أزيل الجور والظلم عن الأرض سعدَ الناس، وهنتَ المعيشة، إذ إنَّ الهدف الأسّي من بعث الأنبياء عليهم السلام هو إرساء العدل ورفع الظلم وتطهير الأرض منه، لتنفتح فُرَصُ الإقبال على الله سبحانه وتعالى وعبادته دون رادع أو مانع، من ظلم ظالم أو جور جائر.

وقد صرَّح المقطع عن أنَّ الإمام المهدي عليه السلام قد أعدَّ إعداداً إلهياً بمقتضى الحديث عن أوصافه وما يترتب عليها من آثار والتي يُرثّلها الداعي لهذا الدعاء،

فكون الإمام المهدى عليه السلام - بحسب الفقرات المتقدمة - هو ابن الحجاج والبراهين، وابن الصراط المستقيم، وأنه السراج المنير، وابن المطهرين والهداة المهدىين، يقتضي أنه بقى الله في أرضه، لأنَّه هو الخاتم من الأووصياء، ولا بدَّ من بقاء بقىَّتهم، على ما مرَّ آنفًا.

كُلُّ هذه الصفات وغيرها تؤكّد لنا أنَّ الإعداد في الإمام المهدى عليه السلام هو إعداد إلهي على كُلِّ المستويات، العقائدية والفكريَّة والسلوكية والإدارية والاقتصادية وكل زاوية ومنحى من مناحي الإعداد.

فالإمام عليه السلام نور الله تعالى في الأرض الذي أعدَّه السماء لهمة إلهية. هذا ما يريد أنْ يتحدَّث عنه هذا المقطع، فيقول: أَيُّها الناس، يا من تقرؤون هذا الدعاء، اعلموا أنَّ إمامكم الغائب قد أعدَّه السماء وهيئته بتهيئته وإعداد خاصٌّ لهمة الكبُرى لقطع دابر الظلمة. فإذا كانت السماء تُخْبِرُ أتباعها عن رجل الغيب الموعود وتقول لهم: أعدنا لكم إمامكم إعداداً خاصاً وادْخُنوه لهمة مقدَّسة، فالسؤال المنطقي: ما هي الوظيفة تجاه هذا الرجل الإلهي؟

الجواب: أنَّ وظيفتكم تجاه إمامكم عليه السلام انتظاره في غيابه، ونصرته الدائمة وعند ظهوره ليقوم بأداء مهمَّته، فيقطع عنكم دابر الظلمة ولا يُبْقِي لهم من وجود يُذَكَّر، وسيأتي الحديث عن نصرته في غيابه وعند ظهوره في معرض الحديث عن فقرة «بِأَيِّ أَنْتَ وَأَمْيَ وَنَفْسِي لَكَ الْوِقَاءُ وَالْحَمْى».

الدعاء يقول: أَيُّها الناس، إنَّ هذا الرجل المُعَدُّ إعداداً إلهياً ليس فقط سيحارب الظلمة، وإنَّما يتعقَّبُهم ليستأصل جذورهم، فيقطع دابرهم، وقد ورد في روايات كثيرة تتحدَّث عن كون الإمام المهدى عليه السلام هو المُعَدُّ لهذه المهمَّة المقدَّسة، ومن تلك الأخبار ما ورد عن النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... أَلَا إِنَّ خَاتَمَ الْأَئِمَّةِ مِنَّا

الْقَائِمُ الْمَهْدِيُّ، أَلَا إِنَّهُ الظَّاهِرُ عَلَى الدِّينِ، أَلَا إِنَّهُ الْمُتَقَمِّمُ مِنَ الظَّالِمِينَ، أَلَا إِنَّهُ فَاتِحُ الْحُصُونَ وَهَادِمُهَا، أَلَا إِنَّهُ فَاتِحٌ كُلُّ قَبْلَةٍ مِنَ الشَّرِكِ، أَلَا إِنَّهُ مُدْرِكٌ بِكُلِّ ثَارٍ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ تَعَالَى...»<sup>(١)</sup>.

### هل الإمام آلة للقتل وال الحرب؟

إنْ قلْتَ: عَلَى هَذَا فَإِنَّكُمْ تُصوِّرُونَ الْإِمَامَ عليه السلام آلة للقتل وال الحرب، وهذا ما يقوله الأعداء، وما يوجب تنفيذ الناس من قضيَّته وعدم تقبُّلها على هذا التصوير<sup>(٢)</sup>.

قلْتُ:

١ - من المعلوم أنَّ أَوَّلَ مَا يَقُومُ بِهِ عِنْدَ ظُهُورِهِ إِقَامَةُ الْحَجَّةِ الْوَاضِحةِ، حيث سيخطب في الناس وفي أقدس بقعة عند المسلمين، ولكن مع ذلك يَقُومُ هؤلاء بسفك الدماء في هذا المكان المقدَّس، فمَاذا عَسَاهُ يَفْعَلُ مَعَ أَنَّاسَ لَا يخضعون لميزان من عقل أو حكمة، وَلَا يَتَمَسَّكُونَ بِمَنْهَجٍ يَتَمُّ من خالله التحاور معهم؟ فَإِنَّمَا أَنْ يَتَرَكُهُمْ يَفْعَلُونَ مَا يَحْلُو لَهُمْ دُونَ رَادِعٍ، أَوْ يَقَاتِلُهُمْ بَعْدَ فَشْلِ مَحَاوِلَاتِ الْحَوَارِ مَعْهُمْ، كُلُّ مَنْصِفٍ يَخْتَارُ الثَّانِي.

٢ - أَنَّ حَدَودَ الْحَرَبِ وَعَدْ الْقَتْلِ مَقَارِنَةً مَعَ فَتْحِ الْعَالَمِ كُلُّهِ إِذَا مَا تَمَّ قِيَاسُهُ لِأَيِّ حَرَبٍ سَابِقَةٍ عَلَيْهِ مِنْ حِيثِ قَصْرِ الْفَتْرَةِ الزَّمِنِيَّةِ الَّتِي لَا تَتَجَاوزُ الْأَشْهُرَ الْمُعْدُودَةَ وَمِنْ حِيثِ عَدْ الْقَتْلِ، فَإِنَّهُ قِيَاسٌ مَعَ الْفَارَقِ جَدًّا، فَمِنْ الْمُعِيبِ ذَكْرُ هَذِهِ الْإِشْكَالِيَّةِ مَعَ مَا سَيَتْجُعُ عَنْهَا، وَلَكِنْ مُجَارَةً لِعَقْوَلِ هُؤُلَاءِ نَقْوُلُ ذَلِكَ.

٣ - يَحْقُّ لَنَا أَنْ نَسْأَلَ أَصْحَابَ هَذَا الْقَوْلِ: مَاذَا سَيَفْعَلُ الْمَنْقَذُ وَالْمَخْلُصُ

(١) روضة الوعاظين (ص ٩٧).

(٢) راجع: أصول مذهب الشيعة الإمامية (ج ٢ / ص ٨٧٥) بحث سيرة القائم المنتظر.

الذي يتظرون حسب زعمهم مع المعاندين له؟ فليراجعوا ما في مصادرهم وما يُنقل بهذا الصدد قبل التكلُّم بدون معرفة، إنَّ نصوصهم تتحدَّث عن أضعاف مضاعفة – إنْ قُبِّلت – في ما يقوم به.

في الحقيقة إنَّ هذه الشُّبهات ما هي إلَّا محاولات للتغطية والتشويه في ذات الوقت.

#### حالة الانتقام في روایات الظہور لا تنسجم مع العدل الإلهي:

إنْ قلتَ: إنَّ ما يقوم به الإمام ﷺ حالة انتقام، لا ينسجم مع منظومة العدل التي نقرأها في الآيات والروايات، فقد يقال: إنَّ في بعض الروایات أنَّ الدماء والقتل كثير حتَّى قيل عنه على لسان بعض المنحرفين: إنَّه آلة للقتل، وأنَّ همَ القتل والأخذ بالثأر.

قلتُ: إنَّ وصف فعل الإمام ﷺ بالعدوان المحسن ومن دون مبرر هذا من المغالطة، إذ إنَّ فعله ﷺ ليس حالة انتقام غير مبرر، وإنَّما هو استرجاع حقٍّ مسلوب للمستضعفين على طول خطِّ الزمان، وهو نوع من أنواع تطبيق القانون بحقِّ المتجاوزين.

هو قصاص قانوني ولغة دينيَّة للمطالبة بالحقوق المسلوبة، حاله حال ما تقوم به أيُّ دولة من الدول في الدفاع ضدَّ الانتهاك الذي يداهم هذه الدولة أو تلك وتُراق من أجل ذلك الدماء، فمع ذلك لا يُعدُّ عند أحد نقصاً أو عيباً.

ثم إنَّ العدل هو وضع الشيء في موضعه، والقصاص من أجل مفاهيم العدل – على ما يأتي مفصلاً في الأخذ بالثأر، وأنَّه ثقافة إنسانية ودينية وقانونية –، ولا تغيب عن أذهاننا صورة الميزان الذي يُوضع خلف القضاة في جميع المحاكم العالمية مع أنَّهم يحكمون على المتهمين بأقسى أنواع العقوبات، فهل سمعنا أحداً قال: إنَّهم ظلمة ومنتقمون، وما يقومون به لا ينسجم مع منظومة العدل؟!

هذا، وجميع الإلهيّين يعتقدون أنَّ الله تعالى خلق الجنَّة والنار، وجعل النار داراً يعقوب فيها الظلمة والمفسدين، فهل - والعياذ بالله تعالى - يقال: إنَّ هذا ظلم ولا ينسجم مع منظومة العدل ومقولة: ﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، إنَّ هذا لا ينبغي أنْ يصدر من شخص يحترم عقله وفكره. هذه في الحقيقة ليست إشكالية، وإنَّما تهمة، نشأت من عدم الفهم للمفاهيم وحالة خلط بينها.

### هل يهاجم الدعاء العرب؟

قد يقال: إنَّ الدعاء يُوجَّه سهامه صوب فئة معينة، وكأنَّه يهاجم العرب بالخصوص، حتَّى قيل: (... ولم يكتفي متظاهرون بهذا، بل إنَّه يقوم بقتلٍ عامٍ شاملٍ للجنس العربي واستئصال وجوده، ولذلك فإنَّ أخبارهم تعدُّ العرب بملحمة على يد غائبيهم...، ما بقي بيننا وبين العرب إلَّا الذبح...، ولا يخفى أنَّ تخصيص العرب بالقتل يدلُّ على تغلغل الاتجاه الشعوبي لدى واضعي هذه الروايات، وهي تُبيّن مدى العداوة للجنس العربي لدى مؤسسي الرفض والرغبة في التشفي منهم...).<sup>(١)</sup> ولكنَّنا نقول:

- ١ - المتحدَّث بهذه الشبهة والتهمة من المسلمين - بحسب الظاهر - والقرآن يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءِكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، فالولاء الوحيد الثابت في ضمن المتغيرات هو الولاء العقائدي التقوي، والتخندق وراء القومية مخالف لأصول المبادئ الإسلاميَّة، وإذا تزاحم الولاء القومي مع الديني، فالتعاليم الدينيَّة تُقدم الثاني على الأول بلا تردد.
- ٢ - ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الحجَّة المهدى عليه السلام عربي، وأنَّ جملة من قادة جيشه

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية (ج ٢ / ص ٨٧٦ و ٨٧٧).

وجنوده من العرب، وفي روایاتنا ما يشير إلى أنَّ بعضًا من خُلُص قادته هم من العرب، كالبياني وشعيب بن صالح التميمي وغيرهما.

٣ - أنَّ الإمام المهدى عليه السلام عندما يخرج يقتفي أثر رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، وإذا رجعنا إلى طريقة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه في تعامله مع الأعداء فإنَّنا نجد أنَّ أكثر حروبه كانت مع قريش ومع العرب بعد عصيانهم وجحودهم، فهل يصحُّ أنْ يذمَّ النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه؟

٤ - ما هو حال العرب عند ظهور الإمام عليه السلام في روایات مَنْ يستشكل على عقيدتنا في مهدي آل محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه؟

**حال العرب في لسان روایات المستقبل عند السنة:**

أ - في (صحيح البخاري): «وَيْلٌ لِّلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْرَبَ»<sup>(١)</sup>.

ب - في (مسند أحمد): «يُبَايِعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الْأَرْكَنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا إِسْتَحَلُوهُ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ هَلْكَةِ الْعَرَبِ»<sup>(٢)</sup>.

ج - في (صحيح مسلم): ... يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَنَّ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «هُمْ قَلِيلٌ»<sup>(٣)</sup>.

في نصوص أخرى تتحدث عن هروبهم وتركهم مكة والمدينة، وذهابهم لبيت المقدس، وما عساهم يفعلون هناك؟

ولم تهجر مكة والمدينة التي جعلها النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه آمنة من الفتنة حتى فتنة الدجال حسب زعمهم؟

\* \* \*

(١) صحيح البخاري (ج ١١ / ص ١٠ / باب قول النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه: «وَيْلٌ لِّلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْرَبَ»).

(٢) مسند أحمد (ج ١٣ / ص ٤٧٤ / ح ٨١١٤).

(٣) صحيح مسلم (ج ٨ / ص ٢٠٧).

«أَيْنَ الْمُتَّنَظَّرُ لِإِقَامَةِ الْأَمْمَةِ وَالْعَوْجِ».

وجود الحجَّةُ المتَّنَظَّرُ إِنَّمَا هو لتصحيح دين الله تعالى بعد انحرافه واعوجاجه، وهو الذي يرجوه الناس ويرجون ظهوره لأجل أنْ يزيل عنهم الجور والعدوان الذي وقع عليهم من أعداء الدين، فهو الله الذي يتضرر كُلُّ مظلوم، وكلُّ إنسان مؤمن فهو على موعد حتمي ويترقب فيه مجيء إمامه الله ليعود عليه بالخير والبركة، وهو لا يعلم متى يجيء، ولأجل عدم علمه بوقت قدومه الحتمي سيكون انتظاره وتوقع مجئه دائمياً، ومن ثم فإنَّ هذا الإنسان المؤمن لا يملُّ من هذا الانتظار أو ييأس منه، لأنَّه على يقين بأنَّ الموعود سيأتي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: ٩)، وأنَّ هذا الإمام المتَّنَظَّر سوف يقضي حاجته ويرفع كربه.

**انتظار خروجه الله صباحاً ومساءً:**

على الإنسان المؤمن بالحجَّةَ بن الحسن عليهما أنْ يكون انتظاره لإمامه الله في كلِّ وقت وحين، وقد دلت الروايات والأدعية على ذلك، ومما روي في هذا المعنى: \*

في (الغيبة للنعماني) بسنده عن مُحَمَّدِ بْنِ مَنْصُورِ الصَّيْقَلِ، عن أَبِيهِ مَنْصُورٍ، قال: قال أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِذَا أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ يَوْمًا لَا تَرَى فِيهِ إِمَامًا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ فَأَحِبْ مَنْ كُنْتَ تُحِبُّ، وَأَبْغِضْ مَنْ كُنْتَ تُبْغِضُ، وَوَالِ مَنْ كُنْتَ تُوَالِي، وَإِنْتَظِرْ الْفَرَجَ صَبَاحًا وَمَسَاءً»<sup>(١)</sup>.

وعدم رؤية الإمام وكونه الله في غيابه لا يلغى الانتظار له، بل هو الموجب له والمحقق، والانتظار ليس هو بمعنى عدم الفعل، كيف ذاك وقد عبرت عنه روايات أخرى بأنَّه عمل، بل وأفضل الأعمال؟

(١) الغيبة للنعماني (ص ١٦١ / باب ١٠ / فصل ٢ / ح ٣).

إنَّ ما ينبغي علينا الابداء به في نهارنا هو ما ينبغي علينا الانتهاء به - التصريح بذكره والتمسية بذكره -، فسلامنا وارتباطنا مع الإمام في الابداء لا بدَّ أنْ يستمرَّ إلى الانتهاء، بل عندما يغشى الليل إلى أنْ يتجلَّ النهار ثانيةً. هكذا ينبغي أنْ يكون انتظارنا حيوياً ومتجسداً، وكانَ الإمام مالُّ أماماً ونُجسِّداً ارتباطنا به في كُلِّ حالة وفعل وزمان وفكرة وغيرها.

### آثار تُسجّلها الروايات الشريفة للمنتظر والانتظار:

وإذا أردنا التتبع روائياً في الانتظار والمنتظر - من آثار تكوينية واعتبارية نلاحظ أنَّها نَزَّلت المتضرر - للإمام الغائب - منزلة سامية، حيث وصفته بالعديد من الأوصاف، منها:

ما ورد في رواية طويلة عن الإمام زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث جاء فيها: «... إِنَّ أَهْلَ زَمَانٍ غَيْبِيَّهُ الْقَائِلِينَ يَأْمَمُهُ وَالْمُنْتَظِرِينَ لِظُهُورِهِ أَفْضَلُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ، لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعْطَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ وَالْمَعْرِفَةِ مَا صَارَتْ بِهِ الْغَيْبَيْةُ عِنْدُهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْمُشَاهَدَةِ، وَجَعَلَهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِينَ يَبْيَأُ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّيْفِ، أُولَئِكَ الْمُخْلَصُونَ حَقّاً، وَشَيَعْتُنَا صِدْقاً، وَالدُّعَاءُ إِلَى دِينِ اللَّهِ تَعَالَى سِرًّا وَجَهْرًا...»<sup>(١)</sup>.

والرواية تفيد:

- ١ - أَئْنَمِ أَفْضَلُ أَهْلَ كُلِّ زَمَانٍ، وَهُوَ بُعْدُ نَفْسِي إِيجَابِيٌّ كَبِيرٌ كَمَا هُوَ بُعْدُ فَكْرِي وَعَقَائِدِي.
- ٢ - أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى الْعُقُولَ الَّتِي تَرَى الْغَيْبَ شَهَادَةً.
- ٣ - أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى الْأَفْهَامِ وَالْمَعْرِفَةِ الَّتِي بِهَا يَشْبَهُونَ عَلَى هَذِهِ الْعِقِيدَةِ، وَصَارَتِ الْغَيْبَيْةُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْمُشَاهَدَةِ.

(١) لِقْرَاءَةِ الْحَدِيثِ وَهُوَ مِنْ رَوَائِعِ الْأَحَادِيثِ، رَاجِعٌ: كَمَالُ الدِّينِ (ص ٣١٩ و ٣٢٠، بَابٌ ٣١/ ح ٢).

٤ - هم بمنزلة المجاهدين بالسيف بين يدي رسول الله ﷺ، فهم مجاهدون حقاً بانتظارهم.

٥ - وهم المخلصون حقاً، وهذا تنزيل عقائدي في أعلى مراتب الصفات الكمالية التي يسعى من أجلها المؤمن.

٦ - وهم شيعتنا صدقاؤ، وهذا التنزيل مما لا يضاهيه شيء من يقرأ الروايات التي تتحدث عن صفات الشيعة.

٧ - وهم الدعاة إلى دين الله تعالى سراً وجهراً، فهم متذلون بمنزلة أعظم وظيفة على الإطلاق: الدعوة إلى الله تعالى.

٨ - وفي نفس المصدر نجد أنَ الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَام يصفهم بأنَّهم: «...أَوْلِيَاءُ اللهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَخْزَنُونَ»<sup>(١)</sup>.

وفي روايات أخرى تصف انتظارهم بالعبادة وأنَّه أفضليها، بل أحبُّ الأفعال إلى الله عَلَيْهِ السَّلَام، فهي في ذات الوقت الذي نَزَّلَهُ منزلة العمل العبادي جعلته أفضل العبادات وأحبَّها إلى الله عَلَيْهِ السَّلَام، ومن روايات هذه الطائفة:

١ - عن رسول الله ﷺ: «...إِنْتِظَارُ الْفَرَجِ عِبَادَةً»<sup>(٢)</sup>.

٢ - وعنه ﷺ أيضاً: «إِنْتِظَارُ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةً»<sup>(٣)</sup>، وهو قد يُفهم منه التقيد بالصبر، ويمكن القول: إنَّه يتحدث عن رُتب مختلفة لعبادة الانتظار، ولكلَّ رتبة منها مقتضياتها.

٣ - وعنه ﷺ أيضاً: «أَفْضَلُ أَعْمَالِ أُمَّتِي إِنْتِظَارُ الْفَرَجِ مِنَ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَام»<sup>(٤)</sup>.

(١) كمال الدين (ص ٣٥٧ / باب ٣٣ / ح ٥٤).

(٢) أمالى الطوسي (ص ٤٠٥ / باب ٩٠٧ / ح ٥٥).

(٣) الدعوات للراوندي (ص ٤١ / ح ١٠١).

(٤) كمال الدين (ص ٦٤٤ / باب ٥٥ / ح ٣).

وهي تتحدث عن كون الانتظار أفضل الأعمال الواقعة والصادرة من أمة النبي ﷺ، سواء كان عبادياً أم لم يكن.

٤ - وعن أمير المؤمنين ع، عن رسول الله ﷺ، قال: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ إِنْتِظَارُ الْفَرَجِ»<sup>(١)</sup>.

٥ - وروي عن الإمام موسى بن جعفر، عن أمير المؤمنين ع آنه سُئلَ: «أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: إِنْتِظَارُ الْفَرَجِ»<sup>(٢)</sup>.

وقد أطلق لفظ (أفضل العبادة) متعلقاً بأشياء كثيرة، منها:

«أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ إِنْتِظَارُ الْفَرَجِ»<sup>(٣)</sup>، كما ورد هكذا «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الصَّبْرُ وَالصَّمْتُ وَإِنْتِظَارُ الْفَرَجِ»<sup>(٤)</sup>، وورد في نص آخر: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ شَيْئَانِ الصَّبْرُ وَإِنْتِظَارُ الْفَرَجِ»<sup>(٥)</sup>.

وكيف ما كان فلا يضر أن يكون للعبادة موارد عديدة هي أفضل من غيرها مع فضل الموارد الأخرى.

### حقيقة التنزيل للانتظار:

عندما تقول الروايات: إن الانتظار عبادة، فهل هذا تنزيل حقيقي أو ادعائي؟ ويلاحظ أيّ أثر من آثار العبادة يزيد الشارع المقدّس أن يُنزل الانتظار؟ تقدّمت عدّة طوائف من الروايات نزّلت الانتظار منزلة الفرج، وأنّ المتضررين كالمجاهدين، وأئمّهم أولياء الله تعالى حقاً وغيرها. وكلامنا في التنزيل

(١) كمال الدين (ص ٢٨٧ / باب ٢٥ / ح ٦).

(٢) معاني الأخبار (ص ١٩٩ / باب معنى الغايات / ح ٤).

(٣) ثُلُج العقول (ص ٤٠٣).

(٤) ثُلُج العقول (ص ٢٠١).

(٥) معدن الجوائز (ص ٢٦).

ليس مع تلك العناوين مع ما لها من الأهمية، إنما مع التنزيل بلحاظ العبادة والعمل، فالانتظار في نظر الروايات عمل، بل أحب الأعمال، وعبادة، بل أفضلها - أو من أفضلها - .

### كيف يتحقق الانتظار؟

بعد ما تقدم من معنى الانتظار يتبيّن أنّ له عدّة مراتب تحدّث الروايات عن أسمها، فعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليهما السلام قال ذات يوم: «ألا أُخْرُكُمْ بِمَا لَا يَقْبَلُ اللَّهُ بِعِنْدِكُمْ مِنَ الْعِبَادِ عَمَلًا إِلَّا بِهِ؟»، فقلت: بلى، فقال: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ [وَرَسُولُهُ]، وَأَلِقْرَارُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ، وَالْوَلَايَةُ لَنَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْ أَعْدَائِنَا - يَعْنِي الْأَئمَّةَ خَاصَّةً<sup>(١)</sup> -، وَالْتَّسْلِيمُ لَهُمْ، وَالْوَرَعُ وَالْجِهَادُ وَالْطَّمَانِيَّةُ، وَالْإِنْتِظَارُ لِلْقَائِمِ عَلَيْهِ الْحِلْمَةِ»، ثم قال: «إِنَّ لَنَا دَوْلَةً يَحْيَى اللَّهُ بِهَا إِذَا شَاءَ»، ثم قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ فَلِيَنْتَظِرْ وَلِيَعْمَلْ بِالْوَرَعِ وَمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَهُوَ مُتَنْتَظَرٌ، فَإِنْ مَاتَ وَقَامَ الْقَائِمُ بَعْدَهُ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ أَدْرَكَهُ، فَجِدُّوا وَإِنْتَظِرُوا، هَنِئُوا لَكُمْ أَيْتُهَا الْعِصَابَةُ الْمَرْحُومَةُ<sup>(٢)</sup> .

فلاحظ أنّ الحديث أكد على أنّ بعضًا ممّا لا يقبل الله تعالى العمل إلا به هو الانتظار، وقد ذكرت موارد تتحققه صريحة.

فهناك فرق كبير بين شخص يتضرر الإمام عليه السلام ويترقب حضوره ولكنه لا يعمل عملاً يعجل ويسهل ويُسرّع في حضور من يتربّه، وشخص آخر يقوم بعمل أو عملين أو بعض الأعمال التي من شأنها أن تُسرّع في فرج ومجيء من يتضرر، بينما هناك شخص ثالث يعمل بكلّ وسعه، بل وفي بعض الأحيان يهدى

(١) ييدو أنّ هذا إدراج من الراوي.

(٢) الغيبة للنعماني (ص ٢٠٧ / باب ١١ / ح ١٦).

وقت راحته ومطعمه وأنسه، وحتى ماله ونفسه في سبيل أن يتعجل فرج الغائب المتضرر، وبين الحد الأول والثاني في الانتظار مراتب كثيرة جدًا، وكل واحدة منها لها أجرها وفضلها وثوابها، بل ولها آثارها المقربة من الإمام .

والقرب من الإمام له مراتب كثيرة أيضًا، نظير ما كان القرب من أمير المؤمنين وبقية الأئمة عليهما السلام من أصحابهم، فلكل واحدٍ مرتبه ومقامه، ونشوء ذلك كله بسبب ما يقوم به من أعمال تقربه إلى الإمام ، ففرق بين من يسمع بالانتظار، وبين شخص رهن كل وجوده ويدل ما عنده وهو على حالة التلهُّف والتربُّب للإمام في سبيل أن يمن الله سبحانه عليه، وأن يكون سببًا في تعجيل ظهور صاحب العصر والزمان .

من هنا جاء قول رسول الله عليهما السلام المتقدم: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ اِنْتِظَارُ الْفَرَجِ»<sup>(١)</sup>. وهذه العبادة كما في الصلاة حيث يختلف المصلون وتحتَّل صلاة كل واحد منهم، فكذلك الانتظار.

أمّا إذا لاحظنا الدعاء المبارك، وكيف يجعل خطاب المتضرر لإمامه سائلاً عنه، وعين الداعي لا يكاد يستقر فيها الدموع، وهي تخاطبه : «أَيْنَ الْمُتْضَرُ لِإِقَامَةِ الْأَمْمَتِ وَالْعَوْجِ»، فالدعاء لم يذكر المتضرر بمعزل عن تلك الوظيفة الشريفة التي سيقوم بها ويمارس من خلالها تثبيت العدل وفسح المجال أمام المؤمنين لأداء شعائر الدين ومارستها. فانتظار هكذا شخص حري به أن يكون كما قال الإمام الكاظم عليهما السلام: «أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ اِنْتِظَارُ الْفَرَجِ»<sup>(٢)</sup>. فلا صلاة نفل ولا زكاة وصدقة ولا صيام مستحب ولا نوافل ولا ولا، أفضل من عبادة الانتظار.

(١) كمال الدين (ص ٢٨٧ / باب ٢٥ / ح ٦).

(٢) تحف العقول (ص ٤٠٣).

**مقام المنتظرين:**

وقد ذكرنا في بحث مستقلٌ<sup>(١)</sup> عدّة مقامات للمنتظرين، منها:

- \* رفقاء الرسول ﷺ: وقد دلت عليه بعض الروايات ذكرناها هناك وكذلك ما يأتي بعده، وهكذا.
- \* الشهداء قبل الظهور.

\* بمنزلة منْ كان في فساطط رسول الله ﷺ.

\* المجاهدون بين يدي رسول الله ﷺ.

\* الْنَّيَّةُ تقوم مقام الإصلاحات بالسيف، وهي من درجات الانتظار:

في (نَهْجُ الْبَلَاغَةِ): «إِلَرْمُوا أَلْأَرْضَ، وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ، وَلَا تُحْرِكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى الْسِّتَّكُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلُهُ اللَّهُ لَكُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاسِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةٍ حَقٌّ رَبِّهِ وَحَقٌّ رَسُولِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيدًا، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَإِسْتَوْجَبَ شَوَابَ مَا تَوَرَّى مِنْ صَالِحٍ عَمَلَهُ، وَقَامَتِ الْأَنْيَةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ لِسَيْفِهِ، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلًا»<sup>(٢)</sup>.

\* مضاعفة الأعمال مرتبة من المراتب.

\* نفس الانتظار فرج.

\* القول بالنصرة نصرة.

\* الدعاء من مراتب الانتظار.

\* العمل بالورع ومحاسن الأخلاق من درجات الانتظار وتصير صاحبها

من أنصار الإمام زيد رضي الله عنه.

(١) مجلّة الموعود (العدد ١٧ / ص ٢٠٩) تحت عنوان: (نصرة الدولة المهدوية بين البشرية والإعجاز).

(٢) نَهْجُ الْبَلَاغَةِ (ص ٢٨٣ و ٢٨٢ / الخطبة ١٩٠).

### \* أفضل العبادة:

في (المحاسن): عَنْ النَّوْفَقِيِّ، عَنْ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «أَفْضَلُ عِبَادَةِ الْمُؤْمِنِ إِنْتِظَارُ فَرَجِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

«أَيْنَ الْمُرْتَجَىُ لِإِزَالَةِ الْجُورِ وَالْعُدُوانِ».

الإمام الحجّة عليه السلام مرتجى أهل الأرض ليرسي العدل ويقيم القسط، وهو مدخل السماء الذي غيّبه الإرادة الإلهية لزمان قررته هي فقط لا غيرها، مدخل ل يقوم بمهمة بث الحياة في روح الدين، وكأنّ هذين المقطعين يحكيان لنا حالة الانتظار عند الناس وحالة الدخان عند السماء، فكما أنّ الناس يتظرون من يقيم لهم العدل، فإنّ السماء تتظاهر من الناس أنّ يتهيّئوا لترسل لهم رجالها الذي ينفع روح الحياة في ما مات من الفرائض والشّرائع، فيرتفع به عليه السلام الجور والظلم عن المعدّين، إنّها صرخة من الصارخين لطلب النجدة بإظهار المغيّب.

أيّها الداعون، اعلموا يقيناً أنّه لا مكان للشكّ أو الريبة في أنّ المرتّجى ليس مجرّد فكرة وهميّة أو خرافة نسجها الأمل الفارغ، ولا هو أطروحة ثقافية أو نتيجة واقع عصفت به الظروف فخلق الانتظار، إنّها المرتّجى هو مدلول واضح يُعبّر عن شخص حقيقي، موجود ومعروف، ذي خصائص حدّدتها الروايات الشريفة المعصومة بأدق التفاصيل.

إنّه شخصيّة إلهيّة مصنوعة بعناية ربّانية، كما صُنِّعت العديد من الشخصيّات المعصومة التي جاءت قبله عليه السلام، قال تعالى: «وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً

(١) المحاسن (ج ١ / ص ٢٩١ / ٤٤٠).

مِنْيٍ وَلَتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٣٩﴾ (طه: ٣٩)، هذه الشخصية التي قدر الله سبحانه وتعالى أن تكون معصومة، متفردة في مكانتها ومهامها.

إنَّ الناس تنتظر قدوم هذه الشخصية المباركة، ليُخفَّف عنهم معاناتهم، ويزيل عن كاهلهم أعباء الظلم والجور الذي تراكم على مر العصور والأزمان. إنَّه رجل إلهي، وادخرته يد العناية الإلهية، وأخفته وغيَّبه عن الناس لموانع وحِكَم عديدة منعه عن أداء مهمَّته في تطبيق فرائض الله وسُنَّنَ أنبيائه في العاجل.

وما أجمل أنْ يُعبِّر الدعاء بـ «الْمُرْتَجَى» عندما يعكس لحن خطاب الناس وشوقهم للإمام المهدي ﷺ، فيما يعكس لحن خطاب المَدْخُر وظيفة سماوية في إخفاء الإمام ﷺ.

يُعلَّمنا هذا الدعاء المبارك كيفية سؤال الباري عَزَّلَهُ وَالإِلَاحَاجَ عليه بأنْ يُظهرِ لنا إمامنا المؤمَّل الغائب، نسأله لا لأجل قضاء حوائجنا الشخصية فقط - وإنْ كان طلبها ممدوحاً -، بل لأجل أنَّ ظهوره ﷺ سيكون سبباً لإظهار الدين وبيثُ الحياة في سُنَّته وآياته التي نزلت على النبي ﷺ.

نداوَنا واستغاثتنا عن مكان المرغوب إليه والمتوقع منه ﷺ أنْ يُرجع الحدود الشرعية إلى نصابها، لأنَّه محيي الآثار والدالُّ على الطريق الموصل إلى الأحكام والدين، قال تعالى: «وَلَقَدْ وَصَلَنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» (القصص: ٥١).

### التفكير الإستراتيجي في طريق العقيدة المهدوية:

كلُّ يوم يمُرُّ يزداد اليقين بالحاجة للمخلص المهدى ﷺ.

فكُلَّما وضع عقلاً البشر حلولاً للمشاكل المستديمة وجدوا أنفسهم في دوَّامة التعقيد والتخطُّط وازدياد المشاكل.

وهذا ليس تنظيراً للعقيدة المهدوية، ومحاولة للاستفادة من سقطات الآخرين والصعود على ركامها، إنما الحقيقة.

فهذه البسيطة بساكنيتها، بكل إمكاناتها وعقولها وطاقاتها ومصالحها لا تكاد تخطو إلا خطوات متعددة في سبيل تحقيق أهداف الإصلاح المعلنة. ولو قدر لها أن تحقق طموحها في الإصلاح لما توانَت لحظة في تحقيقه، لما سيكسبها إنْ حققتْه من رهان في إسقاط عقيدة المخلص الإسلامية الوحيانية - باعتبار أنَّ أغلب النُّظم التي رفعت راية الإصلاح هي بعيدة عن أجواء الوحي والارتباط بالسماء -.

إنَّ المسلمين وخصوصاً أصحاب الحق هم الذين ينبغي لهم اليوم أن يستثمروا هذه الحاجة للمهدوية، لإرساء هذه العقيدة وتجذيرها في نفوس الناس، ومن ثمَّ جعلها تخطُّ معالم السلوك السويِّ للبشر، لتحصيل حالة التهُيُّر المطلوب لإظهارها للعلن.

إنَّ المسلمين قبل غيرهم، وأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام منهم خاصة، مدعوون اليوم لأنْ يعطوا للمهدوية استحقاقاً يجعلها في قمة الأولويات، وهي كذلك بحسب الواقع والوحي إلا أنَّ تأخيرها وتقديم غيرها عليها إنما هو من الناس أنفسهم.

فلا بدَّ أنْ تتقَدَّم على المال والسياسة والفكر، ولا بدَّ أنْ تأخذ حظاً من الجهد والوقت، لأنَّها أمُّ الحاجات وملبيَّة الرغبات.

فأيَّة رغبة وأعلى أمنية تحملها البشرية فإنَّ المهدوية قادرة على إيجادها، وأيَّة معضلة عجز عن حلّها الجميع فإنَّها أيضاً كفيلة بحلّها.

إنَّه لا بدَّ أنْ نعي جيداً أنَّنا بحاجة إليها، ويجب أنْ تُوفَّر كلَّ الإمكانيات لإنجاحها محلَّها المناسب لتقوم هي بدورها بحلِّ عُقد واقعنا، وتنظيم أمورنا، فهي هبة السماء لنا.

### إشكالية تعطيل حدود الكتاب ومعالم الدين:

سؤال: إذا كان الأمر كذلك، لماذا تعطلت حدود الكتاب؟ ولماذا ماتت معالم الدين كي تقوم بالدعاء من الله تعالى لإظهاره؟

و قبل الجواب:

١ - لا بد من المراجعة للوقوف على الأسباب التي كانت وراء تعطيل حدود الكتاب وإخفاء معالم الدين، ومن هم الأشخاص الذين وقفوا وراء ذلك، إذ إننا نعلم عقائدياً أنَّ الله الحكيم أرسل نبيَّه الموصوم عليه السلام خاتماً للدين البَيِّنَ الْمُبِينَ، قال تعالى: ﴿تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: ٨٩)، فكيف بعد هذا كله تنحرف المسيرة الإسلامية ليقيِّي الألم على ما حصل من انحراف وتفريط بالمعصومين عليهم السلام؟

فأنت أين ما توجَّهت في بقاع المسلمين في شرقها أو غربها لا تجد إلَّا ومنْ يعتصره الألم والأسى على انحراف الدين وتغيير مساره، وهذا الأمر مدعوة للبحث والتنقيب للوقوف على ما أوجب حصول هذا الحادث الفظيع، خصوصاً وأنَّ القرآن الكريم حذَّر منه وأيَّما تحذير، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدُ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِّلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقِلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَصْرَّ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

ولابد من التكلُّم عن هذا الأمر بالطُّرق الصحيحة واللِّيالِقات المرسومة من قبل أهل بيت العصمة عليهم السلام، وعدم الخوف من شبهة أنَّ هذا أمر قد مضى واندثر، ولا ننكر الجراح ما دام أمر الأُمَّةَ ماشياً، كيف يُعقل هذا بعد أنْ بات من الواضحات أنَّ هناك فرقاً شاسعاً بين ما يلقي به المسلمون الآن ويخسيونه ديناً، وبين ما جاء به النبيُّ المصطفى عليه السلام؟ فالمراجعة والبحث والتنقيب هي السلاح الوحيد الآمن لمن أراد أنْ ينجو من سلوك طريق أعوج منحرف.

وهذا البحث هو الذي سيقودنا إلى السؤال الثاني، أي: أين أهل الدين ومن يحمل هويته؟

فإن من يجهد نفسه في البحث والتنقيب سيجد أن هناك دلائل واضحة ومتکثرة في ركام ما زوره المترافقون ونسبة الانتهازيون والتفعيون إلى الدين، يستفاد منها تشخيص المتدينين وتشكيل هويتهم الحقيقية التي تمثل وثيقة السير الآمن في مسالك الغابات التي حوت - وعلى طول هذا الخط الزمانى الطويل - الآلاف من الذئاب لفترس حاملي هذه الهوية وتنعهم من سلوك طريقهم، فرغم أن النفق مظلم، والطريق شائك وطويل، فإن أصحاب الهوية والمتدينين الأصلاء أولئك الذين تمسكوا بالحمرة وساروا بها ولم يبالوا ما دام مصيرهم النجاة والفوز، أولئك هم الذين تمسكوا بهدى أهل البيت عليهم السلام تحت ظل السياط وفي ظلم المطامير وقعر السجون، أولئك هم أهل الدين وحملة هويته وشيعة أهل بيته عليهم السلام.

٢ - القراءة الأولية لهذا المقطع تقتضي أن الإمام عليه السلام يحيي معلم الدين على مستوى الفكر والعقيدة والعمل، ولكننا إذا تعمقنا نجد أن الفقرة تصرّح بإحياء أمر آخر، فبالإضافة إلى إحياء معلم الدين فإنه عليه السلام سوف يحيي أهله - إحياء معلم الدين وأهله -، ومن هم أهله؟

أهل معلم الدين على ما مرّ عليك في عدّة روايات هم العترة الطاهرة عليهم السلام، وسوف يهدي إليهم المهدى عليه السلام، بل في الروايات علة تسميتها بذلك هدایته إلى هذا الأمر الخفي المغقول عنه.

فَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «إِذَا قَامَ الْقَائِمُ عليه السلام دَعَا النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ جَدِيدًا، وَهَدَاهُمْ إِلَى أَمْرٍ قَدْ دُثِرَ فَضَلَّ عَنْهُ الْجُمُهُورُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْقَائِمُ مَهْدِيًّا لِأَنَّهُ يَهْدِي إِلَى أَمْرٍ قَدْ ضَلُّوا عَنْهُ...»<sup>(١)</sup>.

(١) الإرشاد (ج ٢ / ص ٣٨٣).

قال الشيخ الصدوق عليه السلام : (وفي الأثر: «أَنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا إِسْمُهُ، وَمِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ»، وَقَالَ النَّبِيُّ صلوات الله عليه : «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغَرَبَاءِ»، فَكَانَ اللَّهُ تعالى يَعْلَمُ بِعُثُرٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ رَسُولًا يُجَدِّدُ لِتَلْكَ الْأُمُّمَ مَا انْمَحَى مِنْ رُسُومِ الدِّينِ. وَاجْتَمَعَتِ الْأُمَّةُ إِلَّا مَنْ لَا يُلْتَفَتُ إِلَى اخْتِلَافِهِ، وَدَلَّتِ الدَّلَائِلُ الْعُقْلَيَّةُ أَنَّ اللَّهَ تعالى قَدْ خَتَمَ الْأَنْبِيَاءَ بِمُحَمَّدٍ صلوات الله عليه ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَوَجَدْنَا أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي اسْتِعْلَاءِ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ وَالضَّلَالِ عَلَى الْهُدَى بِحَالٍ زَعْمٍ كَثِيرٍ مِنْهُمْ أَنَّ الدَّارَ الْيَوْمَ دَارَ كُفْرٍ وَلَيْسَ بِدارِ إِسْلَامٍ) <sup>(١)</sup>.

فَهَلْ يُعْقَلُ أَنَّ رَوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام لَمْ تُشَرِّعْ إِلَيْهِ؟ وَكَيْفَ وَصَفَتْهُ بِأَنَّهُ قَدْ صُلِّ عَنْهُ وَخُفِيَّ عَلَى النَّاسِ؟! أَلَيْسَ هَذَا التَّعْبِيرُ يَنْسَبُ كَوْنَ الْمَعْبُورَ عَنْهُ بِهِ مَوْجُودًا مَتَّنَاوِلًا؟

فَإِنَّ مَعْنَى خَفَائِهِ بِلَا شَكٍّ لَيْسَ مَطْبُقًا.

نَعَمُ، هُوَ مَنْدُشُ، فَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ، قَالَ: «إِذَا قَامَ الْقَائِمُ عليه السلام ...، هَدَاهُمْ إِلَى أَمْرٍ قَدْ دُثِرَ فَضَلَّ عَنْهُ أَجْمَهُورُ...» <sup>(٢)</sup>.

وَلَكِنَّهُ فَطْرِيُّ جَلِّيٍّ، فَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلَيٍّ الْسُّلْمَيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلَيٍّ عليه السلام ، قَالَ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْمَهْدِيُّ مَهْدِيًّا لِأَنَّهُ يَهْدِي لِأَمْرٍ خَفِيٍّ، يَهْدِي لِمَا فِي صُدُورِ النَّاسِ» <sup>(٣)</sup>.

وَالآن لِنَقْفُ عَلَى حَقْيَقَةِ هَذَا الْأَمْرِ، وَبِيَانِ هَذَا الْمَصْدَاقِ الْمَهْدِيِّ إِلَيْهِ مِنْ قِبَلِ حَجَّةِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَهْدِيِّ الْمُحَمَّدِ صلوات الله عليه .

(١) كِمالُ الدِّين (ص ٦٦).

(٢) الإِرْشَادُ (ج ٢ / ص ٣٨٣).

(٣) دَلَائِلُ الْإِمَامَةِ (ص ٤٦٦ / ح ٤٥١ / ٥٥).

\* في (تفسير العيّاشي): عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى الْحَلَّيِّ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «... ثُمَّ يَنْطَلِقُ - أَيِّ الْمَهْدِي عليه السلام - فَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنْنَةِ نَبِيِّهِ (عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ)، وَالْوَلَايَةِ لِعَلَيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ عَدُوِّهِ...»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (تفسير فرات الكوفي): قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنُ عُيَيْدٍ مُعْنَعَنًا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «... فَإِذَا قَامَ الْقَائِمُ عَرَفُوا كُلَّ نَاصِبٍ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَقْرَرَ بِالْإِسْلَامِ وَهُوَ الْوَلَايَةُ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُقْدَهُ أَوْ أَقْرَرَ بِالْجُزْيَةِ فَأَدَّاهَا كَمَا يُؤْدِي أَهْلُ الْدُّمَّةِ»<sup>(٢)</sup>، فَتَكُونُ الْوَلَايَةُ هِيَ الْمَدَارُ فِي تَشْخِيصِ الْمُؤْمِنِ مِنْ غَيْرِهِ.

\* وفي (بصائر الدرجات) بسنده عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الْشَّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنَّ الشِّيَعَةَ يَسْأَلُونَكَ عَنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: 《عَمَّ يَسْأَلُونَ ① عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ②》 [النَّبِيُّ: ١ و ٢]، قَالَ: فَقَالَ: «ذَلِكَ إِلَيْ إِنْ شِئْتُ أَخْبَرُهُمْ، وَإِنْ شِئْتُ لَمْ أَخْبَرُهُمْ»، قَالَ: فَقَالَ: «لَكِنِّي أَخْبُرُكَ بِتَفْسِيرِهَا»، قَالَ: فَقُلْتُ: 《عَمَّ يَسْأَلُونَ ①》، قَالَ: فَقَالَ: «هِيَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام»، قَالَ: «كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: مَا اللَّهُ أَيْدُهُ أَكْبَرُ مِنِّي، وَلَا اللَّهُ مِنْ نِيْعَمْ أَعْظَمُ مِنِّي، وَلَقَدْ عُرِضَتْ وَلَا يَتَيَّيْ عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِيَّةِ فَأَبْتَأْتُ أَنْ تَقْبَلَهَا»، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: 《قُلْ هُوَ نَبِيٌّ عَظِيمٌ ⑥ ٦ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعَرِّضُونَ ⑧ ٦٨》 [ص: ٦٧ و ٦٨]، قَالَ: «هُوَ وَاللَّهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام»<sup>(٣)</sup>.

حيث يظهر أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام هو النَّبِيُّ الْعَظِيمُ الذي عُرِضَتْ ولايته على الناس، وسوف يُهدي إِلَيْهِ، وأنَّ أَشَدَّ مَا سِيواجْهَهُ الْمَهْدِي عليه السلام من الناس هو هدایتهم إِلَى ولَايَةِ عَلَيٍّ عليه السلام، لَأَنَّهَا أَمْرٌ جَدِيدٌ، وَهُوَ عَلَى الْعَرَبِ شَدِيدٌ.

(١) تفسير العيّاشي (ج ٢ / ص ٥٦ و ٥٧ / ح ٤٩).

(٢) تفسير فرات الكوفي (ص ٢٩٢ و ٢٩٣ / ح ٢٩٥ / ح ٨ / ٣٩٥).

(٣) بصائر الدرجات (ص ٩٦ و ٩٧ / ج ٢ / باب النوادر من الأبواب في الولادة / ح ٣).

\* وفيه بسنده عن أبي بصير، قال: سمعتُ أبا عبد الله عليهما السلام يقول: «إنَّ ولائتنا عرضت على السَّماءِ وَالْأَرْضِ وَالْجَبَالِ وَالْمُصَارِ...»<sup>(١)</sup>، إذ يظهر منه أنَّ الولاية ليس فقط قد فُطِرَ الناس عليها، بل إنَّها قد عُرِضَتْ على الجميع.

\* وفي (تأویل الآیات الظاهرة) بسنده عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليهما السلام، قال: سأله عن قول الله تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفَا فِطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» [الروم: ٣٠]، قال: «هِيَ الْوَلَايَةُ»<sup>(٢)</sup>، فهنا يظهر جلياً أنَّ الفطرة هي الولاية، وأنَّها قد فُطِرَ عليها الناس كلُّهم.

\* وفي (تفسير القمي) بسنده عن أهليِّم بن عبد الله الرُّمَانِيِّ، قال: حدثنا عليُّ بن موسى الرضا عليهما السلام، عن أبيه، عن جده محمد بن علي بن الحسين عليهما السلام في قوله: «فِطَرَ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا»، قال: «هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ، عَلَيْهِ أَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيُّ اللَّهِ، إِلَيْهَا هُنَّا التَّوْحِيدُ»<sup>(٣)</sup>.

يتبيَّن من خلال ذلك أنَّ الوعيد والتهديد بالقصم والهدم ليس للكلِّ إنَّما من ترك ذلك، بعد أنْ وضح أنَّ المتمسِّكين بالحقِّ وإنْ كانوا قلة إلَّا أنَّ وجودهم قويٌّ ومؤثِّرٌ رغم قلَّتهم بالنسبة إلى مَنْ خالفهم، وتأثيرهم الحقَّاني مستمرٌّ ويزداد وعلى طول الخطِّ وفي كُلِّ زمانٍ، ولا يخلو منهم وجود ومكان في العادة، وهو الذي يتمثَّلُ بأفراد بهذه الطائفة المنصورة المؤيَّدة بتسديد الله وبرعاية وليه الأعظم عليه السلام، أمَّهم شيعة أهل البيت عليهما السلام، وهم الذين يحملون الآهات والأئمَّة والنحوِيُّ والحنين، فينشدون هذه الترنيمات، وينخاطبون الباري عليهما السلام بإخراج المؤمل لإحياء الدين المدرس.

(١) بصائر الدرجات (ص ٩٧/ ج ٢) باب التوادر من الأبواب في الولاية/ ح ٤.

(٢) تأویل الآیات الظاهرة (ج ١ / ص ٤٣٥ / ح ٣).

(٣) تفسير القمي (ج ٢ / ص ١٥٥).

هذه المقاطع لا يقتصر فيها الطلب على إظهار الإمام المهدى عليه السلام كي يقضي على الجماعات المعتدية والظلمة، وإنما يشمل أكثر من بعده، فهو دعاء للقضاء على شوكة ما ينمو في نفوسنا من ظلم فيما بيننا، وما يوجب الضعف والوهن في عزائمنا، وما يوجب ضعف إرادتنا وينخر في عزائمنا ويهبّط من معنوياًتنا.

إنَّ دعاء على الأفكار المحرَّفة، وعلى السلوكيَّات المنحرفة، وعلى الأفراد المنحرفين، وعلى الجماعات المنحرفة.

ليست هذه الفقرة من هذا الدعاء العظيم خصَّصة للدعاء بالانتقام من أشخاص بأعيانهم أو جماعة بعينها فقط، إنَّما هو دعاء يطلب القضاء ابتداءً من الفكرة والتصوُّر والخاطرة إلى السلوك إلى الأفراد فالجماعات، فكُلُّ معتدٍ وكلُّ شوكة اعتقد يشملها مضمون هذا الدعاء.

فها أنتَ عزيزي أيُّها القارئ ترى أنَّ المقطع الشريف لم يجعل الوظيفة في قسم شوكة المعtdين على الأفراد أو الجماعات، أو أنتَ قصرت نظرها إلى الجانب المادي الخارجي فقط، بل تعمُّ وتشمل إزالة وقصم كُلُّ اعتقد، اعتقد في الدين أو السلوك أو الأفكار أو غيرها.

\* \* \*

«أَيْنَ مُبِيدُ أَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ وَالْطُّغْيَانِ».

ما زال الحديث الاستفهامي عن محلٍّ صاحب الصفات الفائقة والمقامات الجليلة، ومنْ يقوم بسحق وإفناه أهل الفسوق والعصيان والطغيان، منْ يهلك الجماعة التي انفصلت عن الدين وعراه.

اعلم أيها العزيز أن الفاسق والعاصي والطاغي هو الذي يعرف الحقَّ ويعرف فضله ثم يجانبه وينفصل عنه ميلاً إلى الباطل وحُجاً به، ومنفعة منه، يلهمث وراء ما هو أدنى لأجل التمكُّن من الدنيا، ويترك ما هو أعلى وإنْ كان الآن لا يُرى ولكنه متيقَّن الحصول ولو آجلاً.

أمَّا إذا أصبح أهل الفسق والعصيان والطغيان جماعة، وأنسَ بعضهم ببعض، وزَيَّن لهم الشيطان أعمالهم فجعل بعضهم يُرِّيَن للبعض الآخر، فإنَّ شرَّهم سيكون عظيماً ويصعب إصلاحهم، وكلَّما تجذَّر الفسق فيهم وانعقدت عليه قلوبهم وغاصت جذور انفصالهم عن الدِّين في نفوسهم واجتمعت أهواءهم على الابتعاد عن أحكامه وسُنَّته، فإنَّ إصلاحهم بعد ذلك يكون عزيزاً.

والمقطع يتحدَّث عن أمثال هؤلاء، فيقول: إنَّ الإمام المَدْخُر سيخرج في زمان يكون فيه الفسق والعصيان والطغيان ومنْ يمارسه ليس أفراداً، وإنما جماعات وشعوب وقبائل تجتمع كلُّها على الباطل وعلى ترك الدِّين والانفصال عنه، ويتراكم ذلك في قلوبهم، ولا بدَّ لإصلاح الأرض وإحيائها من إزالتهم، فلا بدَّ من إبادتهم.

إنَّ الجماعة التي تتفق كلمتها على معاداة الدِّين وتركه، وتتشبَّث بكلٌّ صنوف الترويج للعصيان وتجاهر بالعناد، ويكون شعارها الفسق، فتعموا في الأرض إفساداً وعصياناً، ولا تقف عند هذا الحدّ، بل تُرُوِّج له وتزيد على الحدّ وتفيض في ابتعادها وطغيانها وعصيannya، فتمنع المؤمنين عن ممارسة حقّهم، لا بل تمارس الباطل وتجهّر به وتدافع عنه وتُزَيِّنه للناس، وتُصوِّر الحقَّ باطلًا وتنعنه وتعاقب عليه.

إنَّ المجتمع إذا صار على هذه الشاكلة وسار على هذا المنوال فإنَّه مجتمع

لا ينفعه الإصلاح، ولن يجدي معه النصح، ولن يثمر فيه الوعظ، فلا بدّ والحال هذه من أن يخرج ميد أهل الفسق والعصيان والطغيان فيرث الأرض ويجعلها بيد الصالحين بعد أن يُهلك ويبيد ويستأصل منها الفاسقين والعاصين والطاغين.

عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص: ٥]، الشَّيْبَانِيُّ في (كَشْفِ الْبَيَانِ)، قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ مَحْصُوصَةٌ بِصَاحِبِ الْأَمْرِ الَّذِي يَظْهُرُ فِي آخِرِ الْزَّمَانِ، وَيُبَيِّدُ الْجَبَابِرَةَ وَالْفَرَاعِنَةَ، وَيَمْلِكُ الْأَرْضَ شَرْقًا وَغَربًا، فَيَمْلَأُهَا عَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَهَنَّمًا﴾.<sup>(١)</sup>

\* \* \*

«أَيْنَ حَاصِدُ فُرُوعِ الْغَيِّ وَالشَّقَاقِ».

لا شك أن هناك ظلماً غرس وزرع في نفوس البعض، وصارت له فروع وأغصان، بل وأثمر في نفوس أشخاص آخرين وتوسّع على مَرِّ الزمان، فالأوائل من أهل الظلم والغيّ كانوا يُظهرون خلاف ما يُطِّلُون، بينما يُخْبِرُنا أهل بيت العصمة أن هؤلاء هم جذور الغواية، ومن نفوسهم الشّريرة خرجت فروع الشّقاق والظلم، حتّى صار أهل الغيّ والشقاق أجيالاً، وكلّ جيل يورث الذي يليه فنون الغواية وأصول الشّقاق، فصار من العسير بمكان أن تعالج هذه الفروع إلّا بالاجتثاث - من نفوس الناس -، ولا يمكن أن تُهذّب أو تُشذّب، بل لا بدّ من الحصاد والتفيت، فكما أنّ أهل الخير عند الظهور سيحصدون

(١) البرهان في تفسير القرآن (ج ٤ / ص ٢٥٤ / ح ٨٠٩٩).

فعالهم التي أنتوها وسارت عليها الفروع تلو الفروع من المؤمنين، فكذلك وفي المقابل فإنَّ أهل الغيِّ والشقاق سيحصدون ما بنوا عليه أفكارهم وعقائدهم وما فرَّعوه وورثوه لمن تبع غوايthem.

إِنَّه لَا بدَّ أَنْ يَأْتِي يَوْمُ الْحَصَادِ وَسَيُبَيَّنُ حِينَئِذٍ لِمَنْ زَرَعَ الْخَيْرَ مَاذَا سَيَحْصُدُ، وَلِمَنْ زَرَعَ الشَّقَاقَ مَاذَا سَيَكُسِّبُ، وَأَيَّ شَيْءٍ سِيَجْنِي.

وهذا لا يعني الحكم على الناس بمصائر غيرهم، بل إنَّا نؤمن ونعتقد أنَّ العقيدة يتَّخذها الإنسان دون أيِّ إلقاء أو ضغط، ويتفَرَّعُ عليها سلوكه دون أيِّ جبر.

فهذا المقطع الشريف يتحَدَّث عن زمان الحصاد في دولة الإمام المهدي عليه السلام، وأنَّ في هذا اليوم ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَّ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِّ انتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٨)، فإنَّ البناء الفكري والعقائدي الذي يتَّبع عنه السلوك السويُّ والعمل الصالح ليس وليد اللحظة والساعة، إنَّا وليد جهود كبيرة، وساعات طويلة وأشهر وسنين من الجُدُّ والجهد والمراقبة والاستقامة والتفكير السويُّ والاتِّباع الصحيح، كما الزارع، فإنَّه يأتي في أوقات الحصاد ليحصد ما يزرع، وينظر إلى مَنْ زرعوا وماذا يحصدون.

وفي الخبر عن الإمام العسكري عليه السلام: «... وَكَانَكَ يَا بُنْيَّ بِتَأْيِيدِ نَصْرِ اللهِ [وَ] قَدْ آنَ، وَتَبَسِّيرِ الْفَلْجِ وَعُلُوِّ الْكَعْبِ [وَ] قَدْ حَانَ...، تَلُوذُ بِفَنَائِكَ مِنْ مَلَأَ بَرَأْهُمُ اللهُ مِنْ طَهَارَةِ الْوِلَادَةِ، وَنَفَاسَةِ الْتُّرْبَةِ، مُقَدَّسَةً قُلُوبُهُمْ مِنْ دَسَّ الْنَّفَاقِ، مُهَدَّبَةً أَقْدُوْهُمْ مِنْ رِجْسِ الْشَّقَاقِ...»<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

(١) كمال الدين (ص ٤٤٩ / باب ٤٣ / ح ١٩).

«أَيْنَ طَامِسُ آثَارِ الرَّزِيْغِ وَالْأَهْوَاءِ».

لقد ملأ الظلم والتجبر عالمنا، وكانتنا نعيش في عالم تحكمه قوانين الوحش، في ظل هذا الجو الحانق يلتمس المؤمن الداعي من خلال هذه المقاطع نسمات السماء بالفرج، ويسأل عن رجل الزمان، ومتى يقوم ليطمس آثار أهل الرزغ والأهواه وينظف الأرض من براثن أفعالهم وشنيع مارساتهم؟  
متى يقوم المدخر المعصوم بكل طاقته التي ابنت من الطاقة الإلهية المطلقة ليخلص البشرية وينجيهما من الجور السائد عليها؟

إلحاح وتضرع من كل داعٍ بهذا الدعاء العظيم أن يخرج الله تعالى لطفه وينظفه من غيبته ليُمحى بقایا ما رسمه الراغبون عن الحق، ويُخرب آثار المائين إلى الباطل، فيعمد إلى طمس ودفن تلك البقايا من أعلام الفئة التي اتبعت الشيطان واستهواها إبليس اللعين، فذهب بها الحبُّ الباطل والاعتقاد المنحرف والأهواه الفارغة إلى الرزغ عن الصراط، والوقوع في حيرة التغريب والإفساد في هذه الأرض، بعد أن ابتعدوا عن المهدى، فصار ابتعادهم وحيرتهم سبيلاً للشيطان لأن يصيدهم بحبائله ويوقعهم في مخالفة الاستقامة، والجنوح إلى الكذب والتضليل والافتراء، فاندرست في نفوسهم مصابيح الفطرة، وانمحت من قلوبهم أنوار الانقياد للحقيقة الجليلة، فصاروا باتباعهم آثار وأعلام أهل الخلاف والانحراف، سُنَّة يسير عليها اللاحقون، مَنْ فرغت قلوبهم من حب الله تعالى، فصاروا أئمَّةً ضلال يقتدي بهم أهل الرزغ ويتباعون آثار أهواهم، لأنَّهم لا عقل لهم، وبترامكم الزمان أصبحوا أعلاماً تقود كلَّ متآيل ومرتجف إلى ضلالهم.

يأتي الداعي ليطلب من رجل الاستقامة أن يُعدِّل الواقع ولو بأن

يطمس تلك الآثار التي أصبحت أعلاماً يتبعها أهل الزيف والأهواء، وأن لا تأخذه بهم رحمة ورأفة ولين، لأنَّ ما هم عليه لا ينفع معه إلَّا القطع والاستصال بعد أنْ صار سلوكهم - فضلاً عن فكرهم وعقيدتهم - هو تعمُّد الكذب وصناعة الافتراء لمن علق بهم من الأذناب، لأجل إبعاد اتّبعاهم عن الهدى، وتسویل النفوس لمن ضعفت همَّته وقعدت به عقيدته لاتّبعاهم.

إنَّ هؤلاء المفترين لا بدَّ من قطع نهارهم لتغرب شمسهم بيد الميد المتقم، هؤلاء لا ينفع معهم أيُّ دواءٍ إلَّا الإبادة والإهلاك، لشدة إقبال نفوسهم على الفساد، وقوَّة عقد قلوبهم على الرذيلة، فقد تمرَّدوا على كُلِّ السنن التي تدعوهם للهدى، وصمُّوا أسماءِهم وأبصارهم وقلوبهم عن الاستماع، فأضحوا لا يقبلون الموعظة، ولا يُحبُّون إلَّا الفساد والرذيلة، فعمدوا وتمرَّدوا وطغوا، لخبت نفوسهم وشَرَّانِيَة أرواحهم.

كُلُّ ذلك لأنَّ الدِّين لم ينبع في قلوبهم، ولم يسقوه بماء الهدى ليثمر في نفوسهم جيل الاستماع من الهداء.

هؤلاء لا بدَّ لهم من مستأصل يقطع جذورهم، لأنَّهم تجاوزوا كُلَّ ما يمكن أنْ يُرجِّعهم إلى صوابهم.

هؤلاء الضُّالل الملحدون أضاعوا أنفسهم وأضاعوا من اتّبعهم، بما فعلوا بأنفسهم حيث أوجبوا تيهانها عن الطريق وبعدها عن الحادَّة، فخسروا وصاروا سبباً في خسران الآخرين، فصاروا خراباً دائمَاً أينما حلُوا.

لذا يسأل الداعي من الإمام المهدي عليه السلام أنْ يطمس على أهل الزيف وعلى آثارهم، لزيغهم عن الهدى وميلهم بأهوائهم إلى الضلال، فلا بدَّ من قطع حبائل كذبهم وافتراضهم، حتَّى لا يضلُّوا من الناس آخرين، ويطلب منه بإلحاح أنْ يبيدهم لعتوَّهم وتمرُّدهم، فيستأصل عنادهم وتضليلهم وإخادهم.

ومن بين أجمل ما ورد في هذا المعنى ما نُقلَ عن الإمام العسكري عليه السلام وحديثه لولده الحجَّة عليه السلام: «... فَعِنْدَهَا يَتَلَلَّ صُبْحُ الْحَقِّ، وَيَنْجِلِي ظَلَامُ الْبَاطِلِ، وَيَقْصِمُ اللَّهُ بَكَ الْطُّغْيَانَ، وَيُعِيدُ مَعَالِمَ الْإِيمَانِ، يَظْهِرُ بَكَ إِسْتِقَامَةَ الْآفَاقِ...، تَهْتَرُ بَكَ أَطْرَافُ الْدُّنْيَا بَهْجَةً، وَتَنْشُرُ عَلَيْكَ أَعْصَانُ الْعِزِّ نَصْرَةً، وَتَسْتَقِرُ بَوَانِي الْحَقِّ فِي قَرَارِهَا، وَتَوْوِبُ شَوَارِدُ الْدِّينِ إِلَى أُوكَارِهَا، تَتَهَاطِلُ عَلَيْكَ سَحَابَتُ الظَّفَرِ، فَتَخْنَقُ كُلَّ عَدُوٍّ، وَتَنْصُرُ كُلَّ وَلِيٍّ، فَلَا يَقِنُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ جَبَّارٌ قَاسِطٌ، وَلَا جَاهِدٌ غَامِطٌ، وَلَا شَانِئٌ مُبْغِضٌ، وَلَا مُعَايِدٌ كَاشِحٌ...»<sup>(١)</sup>.

وفي الدعاء له عليه السلام: «اللَّهُمَّ عَجِلْ فَرَجَهُ، وَأَيْدِهِ بِالنَّصْرِ، وَأَنْصِرْ نَاصِرِيهِ، وَأُخْذِلْ خَادِلِيهِ، وَدَمِرْ عَلَى مَنْ نَصَبَ لَهُ وَكَذَبَ بِهِ، وَأَظْهِرْ بِهِ الْحَقِّ، وَأَمِتْ بِهِ الْبَاطِلَ، وَاسْتَنْقِذْ بِهِ عِبَادَكَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْذُّلِّ، وَانْعَشْ بِهِ الْبِلَادَ، وَأُقْتَلْ بِهِ جَبَابَرَةَ الْكُفَّرِ، وَاقْصِمْ بِهِ رُؤُوسَ الْصَّلَالَةِ، وَذَلِّلْ بِهِ الْجَبَارِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَأَبْرِرْ بِهِ الْمُنَافِقِينَ وَالنَّاكِثِينَ وَجَمِيعَ الْمُخَالِفِينَ وَالْمُلْحِدِينَ فِي مَسَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَبِرَّهَا وَبِحَرِّهَا، وَسَهَلِلَهَا وَجَبَلِلَهَا حَتَّى لَا تَدْعَ مِنْهُمْ دِيَارًا، وَلَا تُقِنَّ لَهُمْ آثَارًا، وَتُظْهِرَ مِنْهُمْ بِلَادَكَ، وَأَشْفِ مِنْهُمْ صُدُورَ عِبَادِكَ، وَجَدَّدْ بِهِ مَا امْتَحَى مِنْ دِينِكَ، وَأَصْلَحْ بِهِ مَا بُدَّلَ مِنْ حُكْمِكَ وَغَيْرِ مِنْ سُتُّكَ حَتَّى يَعُودَ دِينُكَ بِهِ وَعَلَى يَدِيهِ غَصَّا جَدِيدًا صَحِيحاً لَا عِوَاجَ فِيهِ وَلَا بِدْعَةَ مَعَهُ حَتَّى تُطْفَئَ بِعَدْلِهِ نِيرَانَ الْكَافِرِينَ...»<sup>(٢)</sup>.

**طمس الإمام عليه السلام لأهل الزيغ لغة رجعية لا تنسجم مع تعاليم الدين:**  
إنْ قلتَ: هذه لغة رجعية متخلفة لا تنسجم مع لغة بناء دولة عالمية ينادي بها الإسلام ويتنظرها الجميع، نعم هي تنسجم مع لغة العشيرة والقبيلة فتنادي بلغة القتل والإبادة والسحق.

(١) كمال الدين (ص ٤٥٠ / باب ٤٣ / ح ١٩).

(٢) كمال الدين (ص ٥١٣ و ٥١٤ / باب ٤٥ / ح ٤٣).

قلتُ:

١ - مَنِ الْذِي لَهُ صِلَاحِيَّةٌ تَحْدِيدُ أَنَّ هَذَا رَجُعٌ وَمُتَخَلِّفٌ وَلَا يَنْسَجُمُ مَعَ لُغَةِ بَنَاءِ الدُّولَةِ؟ هَلْ هِيَ الْقَافَةُ الْعَامَّةُ لِلْمُجَمَّعِ وَمَا يُعْبَرُ عَنْهُ بِالْعُرْفِ، أَوْ هِيَ الْقَافَةُ الْخَاصَّةُ لِمُجَمَّعِ مَعِينٍ وَإِنْ لَمْ يَعْرُفْ أَجْوَاءِ الْإِسْلَامِ وَطَرِيقَتِهِ فِي تَشْرِيعِ الْأَحْكَامِ؟ فَإِنْ كَانَ الْأَوَّلُ - الدُّولَةُ الْمُتَحَضَّرَةُ - فَالْعُرْفُ بِبَابِكُ، فَإِنَّهُمْ لَا يَأْنِفُونَ مِنَ الْإِنْقَاصَ وَسَحْقِ أَعْدَائِهِمْ بِشَتَّى الْطُّرُقِ وَالْأَسَالِيبِ، فَطِيلَةُ هَذِهِ الْقَرْوَنِ الْمُتَهَادِيَّةِ إِلَى يَوْمِكَ هَذَا، هَذَا هُوَ حَالُ الدُّولَ وَطَرِيقَتِهِمْ فِي الْقَضَاءِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ. وَإِنْ كَانَ الثَّانِي فَإِنَّ لِزُومِ الْإِنْصَاتِ لَهُ هُوَ أَوَّلُ الْكَلَامِ، فَضَلَّاً عَنْ أَنْ يُؤْخَذُ بِتَحْدِيدِهِ.

٢ - إِنَّ لُغَةَ الْإِسْلَامِ هِيَ لُغَةُ النَّظَامِ وَالْقَانُونِ، فَكَمَا لَا يُسَمِّحُ بِالْقَتْلِ غَيْرِ الْمُبَرَّرِ وَالْظُّلْمِ، كَذَلِكَ لَا يُسَمِّحُ بِاسْتِلَابِ الْحُقُوقِ وَالْتَّعْدِيِّ عَلَيْهَا مِنْ قِبَلِ الْمُتَطاوِلِينِ، فَلَكِي نُعِيشَ حَالَةُ الْأَتْرَانِ فِي حَفْظِ الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ وَالنَّظَامِ لَا بَدَّ مِنْ قَوَّةِ رَدِّهَا يَخْشَىُ الْمُعْتَدِيِّ مِنْ سُطُوهُ النَّظَامِ وَالْحَاكِمِ بِالْحَقِّ وَأَنَّهُ يُؤْخَذُ بِجُرْمِهِ لَوْ اعْتَدَّ.

٣ - مَنْ قَالَ: إِنَّ لُغَةَ الْمَعَاقِبِ الْقَاسِيَّةِ لِعَتَةِ الْظُّلْمَةِ هِيَ لُغَةُ ظَلَامِيَّةٍ وَمُنْفَرِّةٌ؟ عَلَى الْعَكْسِ تَعْلَمُ هِيَ لُغَةُ اسْتِرْدَادِ الْحُقُوقِ وَالْدِفَاعِ عَنْهَا.

\* \* \*

### الفقرة الحادية والثلاثون

«أَيْنَ مُعِزٌّ الْأَوَّلِيَاءِ وَمُذِلٌّ الْأَعْدَاءِ، أَيْنَ جَامِعُ الْكَلِمَةِ (الْكَلِمِ) عَلَى التَّقْوَىِ، أَيْنَ بَابُ اللهِ الَّذِي مِنْهُ يُؤْتَى، أَيْنَ وَجْهُ اللهِ الَّذِي إِلَيْهِ يَتَوَجَّهُ الْأَوَّلِيَاءُ، أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَصَلُّ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، أَيْنَ صَاحِبُ يَوْمِ الْفَتْحِ وَنَاسِرُ رَأْيَةِ الْهُدَىِ، أَيْنَ مُؤَلِّفُ شَمْلِ

الصَّالِحُ وَالرَّضَا، أَيْنَ الطَّالِبُ بِذُحُولِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَبْنَاءِ  
الْأَنْبِيَاءِ، أَيْنَ الطَّالِبُ (الْمُطَالِبُ) بِدَمِ الْمَقْتُولِ بِكَرْبَلَاءَ، أَيْنَ  
الْمَنْصُورُ عَلَى مَنْ اعْتَدَهُ عَلَيْهِ وَافْتَرَى، أَيْنَ الْمُضْطَرُ الَّذِي  
يُحَاجَبُ إِذَا دَعَا، أَيْنَ صَدْرُ الْخَلَاقِ ذُو الْبِرِّ وَالْتَّقَوِيِّ، أَيْنَ إِنْ  
الَّذِي مُصْطَفَى، وَإِنْ عَلَى الْمُرْتَضَى، وَإِنْ خَدِيجَةُ الْغَرَاءِ،  
وَإِنْ فَاطِمَةُ الْكُبْرَى، يَا بِي أَنْتَ وَأَمِي وَنَفْسِي لَكَ الْوِقَاءُ  
وَالْحِمَاءُ».

تتضمن الفقرة الحادية والثلاثون من الدعاء المبارك سلسلة من الأسئلة التي تتناول العديد من المفاهيم العقائدية العميقة، والتي ترتبط بالصفات الإلهية والقيادة للإمام المهدى عليه السلام، فيما يلي توضيح للمفاهيم التي تم الإشارة إليها في هذه الفقرة تتابعاً:

«أَيْنَ مُعِزٌّ الْأَوْلَيَاءِ وَمُذْلُّ الْأَعْدَاءِ».

ذكر غير واحد أنَّ العَزَّة تأتي على عَدَّة معانٍ، منها: الجليل الشريف، ومنها القليل الوجود والمنقطع النظير، فالشيء العزيز في أحد معانيه غير الموجود دائمًا، وقليل الوجود<sup>(١)</sup>.

قال الفخر الرازي: (العزيز هو النفيس القليل النظير، أو المحتاج إليه القليل الوجود، يقال: عَزَّ الشَّيْء إِذَا قَلَ وَجُودُهُ مَعَ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ)<sup>(٢)</sup>. وهذا ينسجم مع عَدَّة صفات للمولى عليه السلام، فهو المنقطع الوجود من بني

(١) راجع: اشتراق أسماء الله (ص ٢٣٧ - ٢٤٠).

(٢) تفسير الرازي (ج ٢٨ / ص ٧٩).

البشر، بل هو الواحد الباقي من أهل العصمة، وهو الغائب رغم قيام الوجود والكون به، وهو الجليل الشريف ﷺ.

وبهذا الجليل الشريف يعز المؤمنون سواء في غيابه أو عند ظهوره.

جاء في بعض زياراته ﷺ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُعِزَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَضْعَفِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُذْلَّ الْكَافِرِينَ الْمُتَكَبِّرِينَ الظَّالِمِينَ»<sup>(١)</sup>.

ونحن من سيعتز به وبولايته ورعايته، جاء في توقيعه ﷺ إلى الشيخ المفید ﷺ: «... فَإِنَّا نُحِيطُ عِلْمًا بِأَنْبَائِكُمْ، وَلَا يَعْزُبُ عَنَّا شَيْءٌ مِّنْ أَخْبَارِكُمْ، وَمَعْرِفَتُنَا بِالذِّلِّ الَّذِي أَصَابَكُمْ مُذْ جَنَاحَ كَثِيرٍ مِّنْكُمْ إِلَى مَا كَانَ الْسَّلَفُ الْصَّالِحُ عَنْهُ شَاسِعاً، وَبَنَدُوا الْعَهْدَ الْمَأْخُوذَ وَرَأَةَ ظُهُورِهِمْ كَانُوهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. إِنَّا غَيْرُ مُهْمَلِينَ لِرِعَايَاتِكُمْ، وَلَا نَاسِينَ لِذِكْرِكُمْ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَنَزَلَ بِكُمُ الْأَلْوَاءُ، أَوِ اِصْطَلَمْتُمُ الْأَعْدَاءِ...»<sup>(٢)</sup>.

نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْإِمَامَ الْمَهْدِيَ ﷺ هُوَ خَلِيفَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَرْضِهِ، وَأَنَّهُ الْوَحِيدُ فِي زَمَانِنَا الَّذِي يَتَّصَفُ بِأَعْلَى صَفَاتِ الْكَيْمَانِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَاللَّهُ تَعَالَى وَهَابُ الْعَزَّةَ لِمَنْ يَشَاءُ، وَمُعِيلٌ وَرَافِعٌ مَنْ يُحِبُّ، قَدْ أَعْطَى هَذِهِ الصَّفَةَ لِوَلِيِّ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ ﷺ هُوَ الْمَخْوَلُ فِي زَمَانِ إِمَامَتِهِ عَنْ وَضْعِ عَزَّةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَتَأَهَّلُ لَهَا، وَهُوَ الَّذِي وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ رَاحِةُ الْأُولَيَاءِ وَالْمُتَقْمِمُ مِنَ الْأَعْدَاءِ<sup>(٣)</sup>.

فَلَيُعْلَمَ أَنَّ حَالَةَ الْقُوَّةِ وَالْمُنْعَةِ الَّتِي سُوفَ يَمْنَحُهَا ظَهُورُ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ ﷺ لِأَتِبَاعِهِ تُشَكَّلُ حَصْنًا وَاقِيًّا مِنَ الْوَقْعَةِ فِي مَحْذُورِ الْمُخَالَفَاتِ حِيثُ يُمْكَنُهُمْ وَجْوَدُهُ الْمَبَارِكُ مِنْ تَحْصِيلِ مَلَكَةِ الْإِبَاءِ وَالشَّمْوَخِ الَّذِي بِهِ يَعْلَوْنَ وَيَرْتَفَعُونَ مِنْ

(١) المزار لابن المشهدى (ص ٦٧١).

(٢) الاحتجاج (ج ٢ / ص ٣٢٣).

(٣) راجع: المختصر (ص ١٦٣).

غير تعالى وتكبر، وهذه العزة المهدوية مطلقة، فلا تنحصر في زاوية معينة أو أفعال خاصة أو صفة محددة، فهي عزة فكر وعقيدة وسلوك.

إذا رجعنا إلى الآيات والروايات الشريفة نجد أنها تحدد بشكل واضح أن مصدر العزة الحقيقة هو الله تعالى، ومنه تفرع كل عزة حقة إلى أوليائه، ومنهم إلى العباد كل حسب قدرته ومكانته وطاعته، قال تعالى: **﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾** (النساء: ١٣٩)، ومن هذه العزة الذاتية تفرعت كل عزة.

فالعزّة الذاتية هبة إلهية لمن هو أهل لها، هذه العزة المترتبة بالقوّة والقدرة من جهة والرحمة والرأفة من جهة أخرى بمقتضى قوله تعالى: **﴿... الْعَرِيزُ الرَّحِيمُ﴾** (الشعراء: ٩).

هذه العزة الإلهية المهدوية لا تقع على محل لا يتأهل لها **﴿وَأَعِزَّنِي وَلَا تَبْلِيَّنِي بِالْكِبْرِ﴾**<sup>(١)</sup>، فهي لا تناول من قبل من أذل نفسه بالمعصية وأهانها بالكبر - ويفي في حضيض المعصية -، فمن يخضع ويضعف أمام نزواته ويكون سهل الانقياد أمام الشهوة يتشكل في نفسه مانع من التلبّس بالعزّة، ويكون قلب مثل هكذا شخص ذليلاً وإن تظاهر بالكبر والتغطرس، وكم شاهدنا الطغاة في نهاياتهم كيف يكونون أذلاء متصاغرين، وبالتالي ستتولد حالة العداء للإمام **عليه السلام** من أمثال هؤلاء، عداء فكري أو عقائدي أو سلوكى وربما كلها، فمن يحمل هذا الخلق الذميم في نفسه لا يفسح المجال لخلق رفيع مثل العزة.

وفي المقطع الشريف يريد الدعاء المبارك من الفرد المؤمن أن يجاهد نفسه ليوصلها إلى حالة من القوّة والمنعّة تمنع من الوقوع في الذلّ الموجب لعداوة الإمام **عليه السلام** وأتباعه.

وليعلم أنّ للعزّة العديد من المناشئ - وكذا الذلة -، ومن مناشئ العزة

(١) الصحيفة السجّادية (ص ١١٠ / الدعاء ٥٥).

الاعتزاز بالله تعالى أو بالإمام عليه السلام أو بالعلم أو الجاه أو المال أو السلطة، وكلُّ نحو من أنحاء العزة يُمثل وجهاً من وجوه ما يترتب عليها من آثار، فالعزة الاجتماعية تختلف آثارها عن عزة التقوى أو العملية أو غير ذلك، وكلُّ ما قلناه في العزة يأتي في الذلة.

وكلُّ عزة زائفة إلا ما رجعت لله تعالى وللإمام عليه السلام.

روي عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «إِنَّ الْإِمَامَةَ زِمَانُ الدِّينِ، وَنِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَصَالَاحُ الدُّنْيَا، وَعِزُّ الْمُؤْمِنِينَ...، وَمَفْزَعُ الْعَبَادِ فِي الدَّاهِيَةِ الْنَّادِ...، نِظَامُ الدِّينِ، وَعِزُّ الْمُسْلِمِينَ، وَغَيْظُ الْمُنَافِقِينَ، وَبَوَارُ الْكَافِرِينَ...»<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

«أَيْنَ جَامِعُ الْكَلِمَةِ (الْكَلِم) عَلَى التَّقْوَىٰ».

يتحدث المقطع الآنف الذكر عن حتمية صيوررة التقوى العنصر المشترك الذي سيجتمع عليه الناس في زمان ظهور الإمام عليه السلام، فيسأل الداعي من خلال مناجاته هذه وباللحاح على الله تعالى أن يقرب ذلك اليوم، فما أجمله من زمان نراه فيه اجتماع كلمة الناس على التقوى، وكل وجود من الموجودات مما نراه وما لا نراه يسير في هذا الطريق، وتصير الحالة العامة والطبيعية هي التعامل بالتقوى والعمل والاجتماع عليها.

في ذلك الزمان الذي يكون فيه مصدر القرار متمثلاً بالإمام عليه السلام، يخبرنا هذا المقطع أنه عليه السلام سيقوم بمعالجة كل جروحنا وألامنا، فهو المهيمن على الأرض، بل الكون، فتهيمن بذلك سمة الرحمة والتقوى والأنس بين الناس وجميع المخلوقات بعدهما غُطّيت ولقرون متّاديّة بفسق الغلطة والظلم.

(١) الكافي (ج ١ / ص ٢٠٠) / باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته / ح ١).

إنَّ الإِلَامَ ﷺ سِيَجْمُعُ النَّاسَ عَلَىٰ كَلْمَةٍ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ وَامْتَالُ أَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، فَتَتَحَقَّقُ بِذَلِكِ الْعَبُودِيَّةُ الْحَقَّةُ مِنْهُمْ، وَيَتَكَرَّمُ بْنُ آدَمَ بِهَذِهِ التَّقْوَىِ بِأَجْمَعِهِمْ، فَتُخْرِجُ لَهُمُ الْأَرْضَ، بَلِ السَّمَاءَ شَمَرَاتِهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَتَقَىَ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق: ٢ و ٣)، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَّكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦).

في ذلك الزمان الذي يُمثِّلُ العيش فيه طموح كُلّ نيل وتقى سيوجد أعلى نموذج سترعرف عليه البشرية من التقوى حيث ستظهر التقوى على صعيد الطاعة والعبودية، وعلى صعيد الأخلاق والسلوك العملي، وعلى صعيد الفكر والبعد المعرفي، وعلى صعيد العقيدة والبعد الإيماني، وبذلك تتحقق مصاديق الآية في قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (الأنعام: ١١٥)، فالصدق على المستوى المعرفي والعلمي، والعدل على المستوى العملي والسلوكي، فلا تذهب شرقاً ولا غرباً إلَّا وجدت أنَّ التقوى هي الميزان الذي يتعامل به الناس ويكتسبون عليه.

وسوف يأتي المزيد من التفصيل عند الحديث في فقرة «تُرِى أَتَرَانَا نَحْفُ بِكَ وَأَنْتَ تَؤْمُمُ الْمَلَأَ وَقَدْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ عَدْلًا».

\* في (كمال الدين) بسنده عن إبراهيم بن أبي محمود، قال: قال الرضا عليه السلام: «نَحْنُ حُجَّجُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، وَخُلَفَاؤُهُ فِي عِبَادِهِ، وَأَمَانَاؤُهُ عَلَىٰ سِرِّهِ، وَنَحْنُ كَلِمَةُ التَّقْوَىِ، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَىِ، وَنَحْنُ شُهَدَاءُ اللَّهِ وَأَعْلَامُهُ فِي بَرِّيَّتِهِ، بِنَا يُمْسِكُ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَرُولَا، وَبِنَا يُنْزَلُ الْغَيْثُ، وَيَسْرُ الرَّحْمَةَ، وَلَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ مِنَّا ظَاهِرٍ أَوْ خَافِ، وَلَوْ خَلَتْ يَوْمًا بِغَيْرِ حُجَّةٍ لَمَاجَتْ بِأَهْلِهَا كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ بِأَهْلِهِ»<sup>(١)</sup>.

(١) كمال الدين (ص ٢٠٢ و ٢٠٣ / باب ٢١ / ح ٦).

وذكر العلامة المجلسي رحمه الله في معرض بيانه للرواية ما نصه: (بيان: قوله عليه السلام: «نَحْنُ كَلِمَةُ التَّقْوَىٰ»، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَالْزَّمَهُمْ كَلِمَةُ التَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦]، وفسرها المفسرون بكلمة الشهادة، وبالعوائد الحقة، إذ بها يُتقى من النار، أو هي كلمة أهل التقوى، وإطلاقها عليهم إما باعتبار أنهم عليهم السلام كلمات الله يعبرون عن مراد الله، كما أن الكلمات تُعبر عنما في الضمير، أو باعتبار أن لا يهمهم والقول بإيمانهم سبب للاتقاء من النار، ففيه تقدير مضاد، أي ذو كلمة التقوى»<sup>(١)</sup>. ولعلها تشير إلى ما ذكرناه سابقاً عند الحديث عنما يهدي إليه المهدى ص، فهو يهدي إلى كلمة التقوى أي إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فيجمع الناس على كلمة التقوى أي يجمع الناس على ولادة أمير المؤمنين عليه السلام، روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أَنَا كَلِمَةُ اللهِ الَّتِي يَجْمِعُ بِهَا الْمُفْرَقَ وَيُفْرِقُ بِهَا الْمُجْتَمَعَ»<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

«أَيْنَ بَابُ اللهِ الَّذِي مِنْهُ يُؤْتَىٰ، أَيْنَ وَجْهُ اللهِ الَّذِي إِلَيْهِ يَتَوَجَّهُ الْأُولَيَاءُ».

نحن على يقين في أن الله تعالى هو الخالق للكون، وأنه مدبره، وهو اللطيف بعباده، وأنه (عز اسمه) جعل من عباده من يكون واسطة في نيل المطالب واستجابة الدعاء، وعلى الإنسان أن يبحث عن هذه الواسطة، وأن يسأل عنها، لأن الخير النازل من الباري تعالى قد انحصر نزوله بهذه الواسطة.

هذا المقطع الشريف حصر الدخول إلى الحضرة الإلهية ونيل خيرها

(١) بحار الأنوار (ج ٢٣ / ص ٣٥ / ذيل الحديث ٥٩).

(٢) مختصر بصائر الدرجات (ص ٣٣ و ٣٤).

بالدخول عبر الباب، والتوجّه عبر وجهه الذي جعله في خلقه، إذ يُمثّل الوجه بالنسبة لكُلّ شيء يضاف إليه المدخل إلى حقيقة ذلك الشيء ومفتاح الوصول، فالوجه في الأشياء هو المعبر عنها، ويحمل الوجه في الإنسان فضلاً عن الكثير من المخلوقات أهم قنوات الاتصال بالأشياء الأخرى، فيحمل الحواسِ الرئيسية التي من خلالها تتمُّ عملية الاتصال، والتي من خلالها يُعبر عن حقيقته وأفكاره وغير ذلك مما يحييه أو يحمله.

فكون الإمام عليه السلام باب الله تعالى ووجهه معناه أنه المدخل إلى تحصيل كُلّ كمال ومنفعة، كلمة الباب أُضيفت إلى (الله تعالى)، وهو الاسم الذي يُعبر عنه أنه مجمع كُلّ صفة خير - جامع صفات الجمال والمنزه عن صفات الجلال -، فكُلّ ما خلف الباب يصدر عن الإمام عليه السلام، إذ هو الباب الحصري في زماننا، فما ينفتح منه فهو، وما ينغلق عليه فلا يمكن تحصيله من جهة أخرى.

في (الكافي) بسنده عن أبي الصامت الحلواني، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَابُ اللَّهِ الَّذِي لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْهُ، وَسَيِّلُهُ الَّذِي مَنْ سَلَّكَهُ وَصَلَّى إِلَى اللَّهِ بِعْدِكَ، وَكَذَلِكَ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مِنْ بَعْدِهِ، وَجَرَى لِلْأَئِمَّةِ عليه السلام وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ»<sup>(١)</sup>.

وهنا يتجلّى معنى الزيارة المباركة له: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَابَ اللَّهِ الَّذِي لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>، فإنه لا يمكن الإتيان إلى الله تعالى في زماننا إلّا من هذا الباب.

وهكذا يُلاحظ ما في الوجه بلحاظ الأشياء التي يضاف إليها، ويأخذ صفاتها ويضفي عليها ما يحمل من معنى جليل ومفهوم سامي.

(١) الكافي (ج ١ / ص ١٩٨) / باب أَنَّ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام هُمْ أَرْكَانُ الْأَرْضِ / ح ٣.

(٢) المزار لابن المشهدى (ص ٥٨٦).

### وجه الأولياء:

ففي المقطع الشريف أضاف الداعي الوجه إلى الله تعالى، وهو بحسب تعبير أهل الاختصاص (فإن لفظة الله تعالى) من مخصوصات الذات الإلهية، وهو الجامع لجميع صفات الجمال - كل صفة كمال وحسن -، والمنزه عن جميع صفات الجلال - التي يتنزعه الباري عن الاتصال بها كالجسمية والحد والزمان والمكان -، وهو أعظم اسم من أسمائه تعالى.

وأصله من الله أي المألوه والمعبود، أو من الله وهو الذي تحيّرت به العقول فألهته فعبدته لما يحمل من الجمال والكمال.

وهذه الإضافة تُعطي دلالة واضحة أن قصد الباري في كل الأمور لا يكون إلا عن طريق الإمام عليه السلام، وكل وجه سوى هذا الوجه فإنه هالك، قال تعالى: **«كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ»** (القصص: ٨٨).

**الروايات الشريفة تسفر عن معنى كون الإمام عليه السلام هو الوجه واليد:**

\* في (بصائر الدرجات) بسنده عن ابن المغيرة، قال: كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: **«كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهُهُ»**، قَالَ: «مَا يَقُولُونَ فِيهِ؟»، قُلْتُ: يَقُولُونَ: يَهْلِكُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا وَجْهُهُ، فَقَالَ: «يَهْلِكُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا وَجْهُهُ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ، وَنَحْنُ وَجْهُ اللهِ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (الكافي) بسنده عن أبي سلام النخاس، عن بعض أصحابنا، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «نَحْنُ الْمَثَانِي الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ تَبَارَكَ بِهِ مُحَمَّداً عليه السلام، وَنَحْنُ وَجْهُ اللهِ تَنَقَّلُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ، وَنَحْنُ عَيْنُ اللهِ فِي خَلْقِهِ، وَيَدُهُ الْمَبُسوِطُهُ بِالرَّحْمَهِ عَلَى عِبَادِهِ، عَرَفَنَا مَنْ عَرَفَنَا، وَجَهَنَا مَنْ جَهَنَا، وَإِمَامَهُ الْمُتَقِينَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) بصائر الدرجات (ص ٨٦ / ج ٢ / باب ٤ / ح ٦).

(٢) الكافي (ج ١ / ص ١٤٣ / باب التوادر / ح ٣).

وليس بين أظهرنا اليوم سوى خاتم الأئمة وإمام الزمان عليه السلام الذي هو وجه الأولياء.

هذا كله في الوجه، أمّا في الباب فقد أورد شيخ القميّين أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار عليه السلام المتوفى سنة (٢٩٠هـ) في كتابه (بصائر الدرجات) ستة عشر حديثاً تحت عنوان: (باب في الأئمة أئمّهم حجّة الله وياب الله وولاة أمر الله ووجه الله الذي يُوتّى منه وجنب الله وعين الله وخزنة علمه (جل جلاله وعمّ نواله)).

وممّا جاء فيه ما رواه بسنده عنْ أَسْوَدَ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، فَأَنْشَأَ يَقُولُ إِبْتَدَاءً مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْأَلَ: «نَحْنُ حُجَّةُ اللهِ، وَنَحْنُ بَابُ اللهِ، وَنَحْنُ لِسَانُ اللهِ، وَنَحْنُ وَجْهُ اللهِ، وَنَحْنُ عَيْنُ اللهِ فِي خَلْقِهِ، وَنَحْنُ وُلَادُهُ أَمْرِ اللهِ فِي عِبَادِهِ»<sup>(١)</sup>.

كما روى ثقة الإسلام الكليني عليه السلام العديد من هذه الروايات<sup>(٢)</sup>، منها ما ذكرناه عن الصفار، وغيرها. كما روى عليه السلام في (باب أَنَّ الائمة هُمْ أركان الأرض)<sup>(٣)</sup> عدّة أخرى من الأحاديث بنفس المضمون جاء في بعضها كما في الحديث الأول الذي رواه بسنده عنْ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام، قَالَ: «مَا جَاءَ بِهِ عَلَيْهِ عليه السلام أَخْدُ بِهِ، وَمَا نَهَى عَنْهُ أَنْتَهِي عَنْهُ، جَرَى لَهُ مِنَ الْفَضْلِ مِثْلُ مَا جَرَى لِحَمْدِ عليه السلام، وَلِحَمْدِ عليه السلام الْفَضْلُ عَلَى جَمِيعِ مَنْ خَلَقَ اللهُ عليه السلام، الْمُتَعَقِّبُ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَحْكَامِهِ كَالْمُتَعَقِّبُ عَلَى اللهِ وَعَلَى رَسُولِهِ، وَالرَّادُ عَلَيْهِ فِي صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ عَلَى حَدِّ الشَّرِكَ بِاللهِ، كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بَابَ اللهِ الَّذِي لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْهُ، وَسَيِّلَهُ الَّذِي مَنْ سَلَكَ بِغَيْرِهِ هَلَكَ...»<sup>(٤)</sup>، والحديث طويل أخذنا منه مورد الشاهد.

(١) بصائر الدرجات (ص ٨١ ج ٢/ باب ٣ ح ١).

(٢) الكافي (ج ١ / ص ١٤٣ وما بعدها / باب النوادر).

(٣) الكافي (ج ١ / ص ١٩٦ وما بعدها / باب أَنَّ الائمة هُمْ أركان الأرض).

(٤) الكافي (ج ١ / ص ١٩٦ / باب أَنَّ الائمة هُمْ أركان الأرض / ح ١).

وقال المولى المازندراني رحمه الله في (شرح أصول الكافي): («وَنَحْنُ بَابُ الله» أي باب علمه وتوحيده وأحكامه وأسراره بجميع ما جاء الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه، وذلك ظاهر، إذ كُلُّ أحد لم يسمع ذلك منه صلوات الله عليه وآله وسلامه، ولا يجوز له التكلُّم فيه برأيه على قدر عقله، فوجب أنْ يعلم مَنْ يقوم مقامه بأمره وأمر ربِّه، وهم الأئمَّة عليهم السلام، فهم أيضاً باب هذه المعرفة، ولا يدخل أحد بيت المعرفة إلَّا بهذا الباب)، ثم شرح الفقرات الأخرى من الحديث<sup>(١)</sup>.

فالباب الذي يُعتبر المدخل إلى الشيء، ولا يمكن الدخول إلَّا عن طريقه، خصوصاً إذا كان الباب واحداً، قال النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه عن هذا الباب مشخصاً مصداقه بقوله صلوات الله عليه وآله وسلامه: «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَيِّ بَابُهَا»<sup>(٢)</sup>.

**نَزُولُ الْبَرَكَاتِ عَلَى يَدِ الْحَجَّةِ لَا يَنَافِي حَجَّيَّةُ الْأَئمَّةِ عليهم السلام  
وَالرَّسُولُ صلوات الله عليه وآله وسلامه:**

إنْ قلتَ: يظهر ممَّا تقدَّمَ أنَّ ما ينزل من السماء وما يناله الناس من آثار وبركات وأرزاق هي عن طريق إمام العصر صلوات الله عليه وآله وسلامه، وهذا كأنَّه ينفي فوائد وجود رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه والأئمَّة عليهم السلام وانعدام تأثيرهم بعد وفاتهم، وهذا ممَّا لا يصحُّ التفكير به، فضلاً عن القول به وتبنيه.

قلتُ: كون الأئمَّة عليهم السلام واسطة الفيض الإلهي ممَّا لا شكَّ فيه، فهم بعد رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه الذين تجري على أيديهم مقدَّرات الكون، فبهم تُنال البركة والرحمة، ولكن هذا لا يمنع أنْ تكون مجريات الأمور ب نحو نظام الأسباب والمبنيات وعلى نحو التراتبية الطولية، فمقدَّرات الأمور تنزل من الله تعالى إلى

(١) شرح أصول الكافي (ج / ٤ / ص ٢٢٩).

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام (ج ٢ / ص ٧١ و ٧٢ / باب ٣١ / ح ٢٩٨).

رسول الله ﷺ، ثم إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وهكذا إلى صاحب الزمان علیه السلام، وصعوداً الأمر كذلك، فالإمام علیه السلام هو المباشر لأمور الناس لمكان إمامته الفعلية، وهم عليه السلام وسائل صعود الأمور منه علیه السلام وسائل نزولها.

وقد صرّحت بعض النصوص في ذلك سؤالاً وجواباً، وبيّنت الترتيب المتقدّم في الأمور، فقد روى الشيخ الطوسي في كتاب (الغيبة)، قال: أخبرني الحسين بن عبيد الله، عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن سفيان البروفري عليهما السلام، قال: حدثني الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح عليهما السلام، قال: اختلف أصحابنا في التقويض وغيره، فمضى إلى أبي طاهر بن بلال في أيام استقامته فعرفته الخلاف، فقال: أخرني، فآخرته أياماً، فعدت إليه، فخرج إلى حدثنا ياسناه إلى أبي عبد الله عليهما السلام، قال: إذا أراد الله أمراً عرضه على رسول الله عليهما السلام، ثم أمير المؤمنين عليهما السلام وسائل الأئمة واحداً بعد واحداً إلى أن يتهمي إلى صاحب الزمان عليهما السلام، ثم يخرج إلى الدنيا، وإذا أراد الملائكة أن يرفعوا إلى الله يجك عملاً عرض على صاحب الزمان عليهما السلام، ثم يخرج على واحد بعد واحد إلى أن يعرض على رسول الله عليهما السلام، ثم يعرض على الله يجك، فما نزل من الله فعل أيديهم، وما عرّج إلى الله فعل أيديهم، وما استغنووا عن الله يجك طرفة عينٍ<sup>(١)</sup>، وهو صريح في عرض الأمور صعوداً ونزاولاً على إمام الزمان علیه السلام.

وكذلك روى الشيخ المفيد في (الاختصاص) بسنده عن يوئس بن عبد الرحمن، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليهما السلام، قال: «ليس شيء يخرج من عند الله إلا بداع برسول الله، ثم بأمیر المؤمنين، ثم بمن بعده، ليكون علم آخر لهم من عند أو لهم، ولا يكون آخر لهم أعلم من أو لهم»<sup>(٢)</sup>، وكان الحديث جاء

(١) الغيبة للطوسي (ص ٣٨٧ / ٣٥١).

(٢) الاختصاص (ص ٢٦٧).

لدفع دخل مقدر من أنَّ الإمام الأخير سوف يكون أعلم ممَّن تقدَّمه، لإحاطته بها عند من تقدَّم وزيادة، وفي هذا المضمون عدَّة روايات جاء في بعضها: «... ثُمَّ الْأَدَمَى فَالْأَدَمَى حَتَّى يَتَهَيَّإِ إِلَى صَاحِبِ الْأَمْرِ الَّذِي فِي زَمَانِهِ»<sup>(١)</sup>.

وفي (بصائر الدرجات) بسنده عن سليمان، قال: ... قُلْتُ: فَتَرَادُونَ شَيْئًا يَخْفَى عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: «لَا، إِنَّمَا يَخْرُجُ الْأَمْرُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فَتَأْتِيهِ بِهِ الْمَلَكُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، رَبُّكَ يَأْمُرُكَ بِكَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: إِنْطَلِقْ بِهِ إِلَى عَلَيِّ، فَيَأْتِي عَلَيَا عَلِيَّا عَلِيَّا، فَيَقُولُ: إِنْطَلِقْ بِهِ إِلَى الْحَسَنِ، فَيَقُولُ: إِنْطَلِقْ بِهِ إِلَى الْحَسَنِ، فَلَمْ يَرَلْ هَكَذَا يَنْطَلِقُ إِلَى وَاحِدٍ بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَيْنَا»، قُلْتُ: فَتَرَادُونَ شَيْئًا لَا يَعْلَمُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: «وَيْحَاكَ كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَعْلَمَ الْإِمَامُ شَيْئًا لَمْ يَعْلَمْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْإِمَامُ مِنْ قِبَلِهِ؟»<sup>(٢)</sup>.

وروىُّ الشِّيخُ الطُّوسيُّ رض في (أمالِيهِ) بسنده عن أبي بصير، قال: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عَلِيَّا يَقُولُ: «لَوْلَا أَنَا نُزِّادُ لَأَنْفَدْنَا»، قَالَ: قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، تُرْدَادُونَ شَيْئًا لَيْسَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: «إِنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ أَنِّي الْبَيِّنُ رض فَأَخْبَرَ، ثُمَّ إِلَى عَلِيِّ عَلِيَّا، ثُمَّ إِلَى وَاحِدٍ بَعْدَ وَاحِدٍ، حَتَّى يَتَهَيَّإِ إِلَى صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ»<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

«أَيْنَ السَّبَبُ الْمُتَصَلُّ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ».

يتحدَّث هذا المقطع الشريف عن جملة من المعاني السامية التي حملها أهل البيت عَلِيَّا بإمامتهم للأُمَّةِ وخلافتهم عن الله تعالى في الكون، والإمام

(١) بصائر الدرجات (ص ٤١٤ / ج ٨ / باب ٩ / ح ٧).

(٢) بصائر الدرجات (ص ٤١٣ / ج ٨ / باب ٩ / ح ٥).

(٣) أمالِي الطُّوسيِّ (ص ٤٠٩ / ح ٩٢٠ / ح ٦٨).

المهدي ﷺ هو خاتم الأنبياء الطاهرين عليهما السلام، وهو حامل هذه الألقاب ومجسدها في زماننا هذا.

فهو يعطي دلالة أنَّ الاتصال بين الأرض والسماء - وليس المراد بالأرض المعنى المبادر منها عند إطلاقها، بل المراد بها الجهة الأدنى والسماء الجهة الأعلى - إنما يحتاج إلى سبب، وهذا السبب من جنس مَنْ يربطهم بالسماء، فالبشر يحتاجون إلى شخص من جنسهم يكون الاتصال بالسماء عن طريقه ﴿... بَنَّتْ رَسُولاً﴾، ولكنَّه يُوحى إليه، وقال تعالى: ﴿فُلِّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ (الكهف: ١١٠).

وأنَّ هذا الاتصال الذي اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون بواسطة بشرٍ، اقتضت في ذات الوقت أنْ يحمل مؤهلات ومواصفات خاصة تُمكّنه من أداء هذه الوظيفة، وهو ما يُعرف بالعصمة.

فالإمام ﷺ هو الجبل المتصل بين الأرض والسماء، وهو الوحيد في زماننا الذي عن طريقه يصل للبشرية مقدراتٍ أُمورهم، على ما تقدَّم في المقطع السابق. ولكن مع الأسف أنَّ هذا الجبل الموجود والذي اقتضته الضرورة ولا بدَّ منه بين السماء والأرض لا يمكن لنا أنْ نراه ونبادر معه ما نحتاج ونريد بسبب غيابه عنَّا، وسيأتي في فقرة «بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُغَيِّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَازِحٍ مَا نَزَحَ عَنَّا» الحديث عن الغيبة وأدلةها وأثارها، ولكن هذا لا يمنع من حصول أثر الارتباط به بالسماء، لأنَّ الطريق الوحيد للاتصال بها.

\* في (كمال الدين) بسنده عنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَهْرِيَارَ آنَّهُ وَرَدَ الْعَرَاقَ شَاكِّا مُرْتَاداً، فَخَرَجَ إِلَيْهِ: «قُلْ لِلْمَهْرِيَارِيِّ: قَدْ فَهَمْنَا مَا حَكَيْتُهُ عَنْ مَوَالِيَنَا بِنَاحِيَتِكُمْ، فَقُلْ لَهُمْ: أَمَا سَمِعْتُمُ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ﴾» [النساء: ٥٩]، هَلْ أُمِرَ إِلَّا بِمَا هُوَ كَائِنُ

إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟ أَوْ لَمْ تَرَوْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ جَعْلَ لَكُمْ مَعَالِمَ تَأْوِيلَنَّ إِلَيْهَا، وَأَعْلَمَ مَا تَهْتَدُونَ بِهَا مِنْ لَدُنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَنْ ظَهَرَ الْمَاضِي (أَبُو مُحَمَّد) (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، كُلَّمَا غَابَ عَلَمٌ بَدَا عَلَمٌ، وَإِذَا أَفَلَ نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَلَمَّا قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ظَنَّتُمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ قَدْ قَطَعَ السَّبَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، كَلَّا مَا كَانَ ذَلِكَ وَلَا يَكُونُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، وَيَظْهَرَ أَمْرُ اللَّهِ يَعْلَمُ وَهُمْ كَارِهُونَ. يَا مُحَمَّدُ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، لَا يَدْخُلُكَ الشَّكُّ فِيمَا قَدِمْتَ لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ لَا يُخْلِي الْأَرْضَ مِنْ حُجَّةٍ...»<sup>(١)</sup>.

### الوسائل بين السماء والأرض منهج إلهي:

حقيقة الارتباط بالسماء كانت لغاية، وإنَّ هذه الغاية التي يتَّجهُ إليها الإنسان تكوينيًّا، «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَذِحًا فَمُلَاقِيهِ» (١)، (الانشقاق: ٦)، لا تَمُّ إِلَّا أَنْ يكون هناك وسائل يقع على عاتقهم تأمِّنُ هذه المهمَّة، قال تعالى: «وَلَقَدْ وَصَلَنَا لَهُمُ الْقُولَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» (٦) (القصص: ٥١)، وقال تعالى: «مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا» (٨) (النساء: ٨٠)، وقال تعالى: «يَوْمَئِذٍ يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوِّيَ بِهِمُ الْأَرْضَ» (النساء: ٤٢)، وقال تعالى: «قُلْ أَطِيعُ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلُّو فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ» (٢٦) (آل عمران: ٣٢).

وقد حفلت كُتب الأخبار بأشكال مختلفة من الآثار لبيان هذه الحقيقة، وإليك جملة منها:

\* في (الكافي) بسنده عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِم، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ أَجَلُ وَأَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُعْرَفَ بِخَلْقِهِ، بَلْ أَخْلَقَ يُعَرَّفُونَ بِاللَّهِ، قَالَ: «صَدَقْتَ»، قُلْتُ: إِنَّ مَنْ عَرَفَ أَنَّ لَهُ رَبًّا، فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ لِذَلِكَ الرَّبَّ رِضَاً وَسَخْطًا،

(١) كمال الدين (ص ٤٨٦ و ٤٨٧ / باب ٤٥ / ح ٨).

وَأَنَّهُ لَا يُعْرَفُ رِضَاهُ وَسَخْطُهُ إِلَّا بِوَحْيٍ أَوْ رَسُولٍ، فَمَنْ لَمْ يَأْتِهِ الْوَحْيُ فَقَدْ يَبْغِي  
لَهُ أَنْ يَطْلُبَ الرُّسُلَ، فَإِذَا لَقِيَهُمْ عَرَفُ أَنَّهُمْ الْحَجَّةُ، وَأَنَّهُمُ الطَّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ.  
وَقُلْتُ لِلنَّاسِ: تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ هُوَ الْحَجَّةُ مِنَ اللَّهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ؟  
قَالُوا: بَلَى، قُلْتُ: فَحِينَ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ مِنْ كَانَ الْحَجَّةَ عَلَىٰ خَلْقِهِ؟ فَقَالُوا:  
الْقُرْآنُ، فَنَظَرْتُ فِي الْقُرْآنِ فَإِذَا هُوَ يُخَاصِّمُ بِهِ الْمُرْجِعَ وَالْقَدَرِيُّ وَالزَّنْدِيقُ الَّذِي لَا  
يُؤْمِنُ بِهِ حَتَّىٰ يَغْلِبَ الْرَّجَالَ بِخُصُومَتِهِ، فَعَرَفْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَكُونُ حَجَّةً إِلَّا  
بِقِيمٍ، فَمَا قَالَ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ كَانَ حَقًّا، فَقُلْتُ لَهُمْ: مَنْ قِيمُ الْقُرْآنِ؟ فَقَالُوا: إِنْ  
مَسْعُودٍ قَدْ كَانَ يَعْلَمُ، وَعُمَرُ يَعْلَمُ، وَحَدِيفَةُ يَعْلَمُ، قُلْتُ: كُلُّهُ؟ قَالُوا: لَا، فَلَمْ  
أَجِدْ أَحَدًا يُقَالُ: إِنَّهُ يَعْرِفُ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَّا عَلَيْهِ عَلَيْهِ، وَإِذَا كَانَ الشَّيْءُ بَيْنَ الْقَوْمِ  
فَقَالَ هَذَا: لَا أَدْرِي، وَقَالَ هَذَا: لَا أَدْرِي، وَقَالَ هَذَا: لَا أَدْرِي، وَقَالَ هَذَا: أَنَا  
أَدْرِي، فَأَشْهَدُ أَنَّ عَلَيْهِ عَلَيْهِ كَانَ قِيمُ الْقُرْآنِ، وَكَانَتْ طَاعَتُهُ مُفْتَرَضَةً، وَكَانَ  
الْحَجَّةَ عَلَىٰ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ، وَأَنَّ مَا قَالَ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ حَقٌّ، فَقَالَ:  
«رَحِمَكَ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

\* وفي (الغيبة للنعماني): قال أمير المؤمنين ع: «أَلَا إِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي هَبَطَ  
بِهِ آدَمُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ وَجَمِيعَ مَا فُضِّلَتْ بِهِ النَّبِيُّونَ إِلَىٰ خَاتَمِ النَّبِيِّنَ فِي عِثْرَةِ  
خَاتَمِ النَّبِيِّنَ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ، بَلْ أَيْنَ تَذَهَّبُونَ يَا مَنْ سُبَّخَ مِنْ أَصْلَابِ أَصْحَابِ  
السَّفِيفَيْنَ هَذَا مَثَلُهَا فِيْكُمْ، فَكَمَا نَجَّا فِي هَاتِيكَ مَنْ نَجَّا فَكَذَلِكَ يَنْجُو مِنْ هَذِهِ مَنْ  
يَنْجُو، وَيُلْمَنْ تَحَلَّفَ عَنْهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

إِنَّ هَذِهِ الْوَسَائِطُ تُمْثِلُ الْمَرَآةَ الَّتِي تَعْكِسُ لَنَا إِرَادَةَ اللَّهِ سَبَبَانَهُ وَتَعْلَىٰ  
وَمِنْهُجِهِ الَّذِي وَضَعَهُ لِإِيصالِنَا إِلَيْهِ، وَإِنَّ هَذِهِ الْمَهْجُونَ حَصْرِيُّ، وَمَنْ يَرِيدُ أَنْ يَأْمُنْ

(١) الكافي (ج ١ / ص ١٦٨ و ١٦٩) / باب الاختصار إلى الحجّة / ح ٢).

(٢) الغيبة للنعماني (ص ٥١).

على نفسه من الهالك وينجو يوم القيمة، عليه أن يصل من خلاله، فعليه تقبل ما يقوله الأولياء وطاعتهم.

جاءت هذه الفقرة المباركة لتُحدّثنا عن هذه الحالة التي زرعتها السماء في الأرض وقد اقتضتها تكوينية الإنسان وعجزه عن إدراك ما به يرتبط بالله سبحانه وتعالى، فلم يبق له من سبيل إلا أن يلجم لتلك الوسائل التي بمقدار ارتباطه بها تعكس في مرآة روحه صور العبودية، ليُجسّدَها بعد ذلك عملاً تطبيقياً.

\* \* \*

### «صاحب يوم الفتح».

تحدّث القرآن الكريم وكذا الروايات الشريفة عن الفتح ويومه في عدّة آيات وروايات من بينها:

\* في (تفسير القمي): «وآخرٍ تُحبونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ» [الصف: ١٣]، يعني في الدنيا بفتح القائم، وأيضاً قال: فتح مكة<sup>(١)</sup>.

\* وفي (كمال الدين) بسنده عن ثابت بن دينار، عن سيد العابدين عليه بن الحسين، عن سيد الشهداء الحسين بن علي، عن سيد الأوصياء أمير المؤمنين عليه بن أبي طالب عليه السلام، قال: قال رسول الله عليه السلام: «الآئمة من بعدي إثنا عشر، أو هم أنت يا علي، وآخرونهم القائم الذي يفتح الله تعالى على يديه مشارق الأرض وغارتها»<sup>(٢)</sup>.

\* وفي رواية ثالثة قيدت النفع تبعاً لآية الشريفة: «قُلْ يَوْمَ الْفَتْحٍ لَا يَنْفَعُ

(١) تفسير القمي (ج / ٢ ص ٣٦٦).

(٢) كمال الدين (ص ٢٨٢ / باب ٢٤ / ح ٣٥).

الَّذِينَ...» (السجدة: ٢٩)، بِأَنَّ النَّفْعَ إِنَّمَا يَحْصُلُ مِنْ هَذَا الْفَتْحِ لِمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ وَيُوقِنُ بِأَنَّ الْإِمَامَ صَاحِبَ الْفَتْحِ<sup>(١)</sup>.

وَهُذَا الْمَقْطُوعُ الشَّرِيفُ مِنْ دُعَاءِ النَّدْبَةِ الْمَبَارَكَ يَتْسَاءَلُ عَنْ صَاحِبِ هَذَا الْفَتْحِ وَعَنِ الْيَوْمِ الَّذِي طَالَ انتِظَارَهُ، رَغْمَ أَنَّ الْآيَاتِ وَالرَّوَايَاتِ الشَّرِيفَةِ وَصَفَتَهُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ، وَأَنَّهُ مَبْيَنٌ مَحْبُوبٌ.

نَعَمْ حَلُولُ ذَلِكَ الْيَوْمِ قَرِيبًا مَشْرُوطٌ بِالْإِبَيَانِ وَالتَّقْوَىِ، فَعُسْتُ هَذِهِ النَّفْسَ تَرَكَنُ إِلَيْهَا لِيَأْتِيَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ بِصَاحِبِ يَوْمِ الْفَتْحِ.

### خطوات في طريق يوم الفتح:

اعلم أَنَّهُ سَيُسْبِقُ ظَهُورَ الْإِمَامَ جَمْلَةً مِنَ الْعَالَمَاتِ - سَنُشِيرُ إِلَيْهَا بَعْدَ قَلِيلٍ -، وَتَنْتَهِي بِظَهُورِهِ فَتَرَةُ الْغَيْبَةِ التَّامَّةِ الْكَبِيرِ.

تَبْدِأ تَدْرِيْجِيًّا أَحَدَاثُ الْظَّهُورِ بِالْتَّكْشِفِ، وَيَنْتَهِي بِذَلِكَ عَصْرٍ طَوِيلٍ عَاشَتْهُ الْبَشَرِيَّةُ بَعِيْدَةً عَنْ مَبَاشِرَةِ إِمَامَهَا، وَحُرِّمَتْ طِيلَةُ قَرْوَنَ عَدِيْدَةً مِنْهُ.

**كيف يُعْرَفُ الْإِمَامُ أَنْ وَقْتُ خَرُوجِهِ قَدْ حَانَ؟**

هُنَاكَ الْعَدِيدُ مِنَ الْطُّرُقِ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَرَّفَ الْإِمَامُ مِنْ خَلَالِ أَيِّ مِنْهَا عَلَى وَقْتِ ظَهُورِهِ، وَمِنْهَا:

- ١ - بِتَحْقِيقِ الْعَالَمَاتِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى أَوَانِ الْظَّهُورِ، فَهُوَ جَزْمًا عَارِفٌ بِانْطِبَاقِهَا عَلَى مَصَادِيقِهَا الْحَقِيقِيَّةِ.

- ٢ - أَنَّهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ خَلَالِ النَّدَاءِ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ عَلَيْهِ الْمَدْحُورُ، وَهُوَ الْأَقْدَرُ عَلَى مَعْرِفَةِ هَذَا النَّدَاءِ وَتَمْيِيزِهِ، فَعَنْ أَبِي بَصِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ: «يُنَادِي بِاسْمِ الْقَائِمِ: يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ، قُمْ»<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع: ينابيع المودة (ج ٣ / ص ٢٤٦ / باب ٧١ / ح ٣٧).

(٢) الغيبة للنعماني (ص ٢٨٧ / باب ١٤ / ح ٦٤).

٣ - قتل النفس الزكية التي يُرسلها الإمام عليه السلام إلى مكة المكرمة حيث وردَ عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل إلى أن قال: «يقول القائم عليه السلام لاصحابه: يا قوم إن أهل مكة لا يريدونني، ولكنني مُرسل إليهم لاحتاج عليهم بما ينبغي لمني أن يختج علىهم. فيدعون رجلاً من أصحابه فيقول له: امض إلى أهل مكة، فقل: يا أهل مكة، أنا رسول فلان إليكم، وهو يقول لكم: إنما أهل بيته الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذريه محمد وسلالة النبيين، وإنما قد ظلمتنا وأضطهدنا وقهرنا وأبترنا حقنا منذ قبض نبينا إلى يومنا هذا، فنحن نستنصركم فانصرونا. فإذا تكلم هذا الفتى بهذه الكلام أتوا إليه فدبحوه بين الركين والمقام، وهي النفس الزكية، فإذا بلغ ذلك الإمام قال لاصحابه: ألا أخبرتكم أن أهل مكة لا يريدوننا، فلا يدعونه حتى يخرج فيهط من عقبة طوى في ثلاثة وثلاثة عشر...»<sup>(١)</sup>.

٤ - لو لم يكن بيدنا نص يدل على كيفية معرفته عليه السلام بزمان خروجه، فإنما نجزم بعد القطع بعصمته وإمامته أن اتصاله بالغيب يقتضي أن يعلم بزمان خروجه إذا حان موعده على نحو الجزم. وليس حصول هذه الأمور على نحو مانعة الجموع، فقد تجتمع مع بعضها وقد تحصل واحدة منها.

### كيف يمكن لنا أن نعرفه عليه السلام إذا خرج؟

١ - بانطباق العلامات التي تقدم الحديث عنها على نحو الجزم أو الاطمئنان، قال الشيخ النعmani رحمه الله: (هذه العلامات... وتواترها واتفاقها موجبة ألا يظهر القائم عليه السلام إلا بعد مجئها وكونها)<sup>(٢)</sup>.

(١) بحار الأنوار (ج ٥٢ / ص ٣٠٧ / ح ٨١)، عن سرور أهل الإيمان (ص ٩٣ و ٩٤).

(٢) الغيبة للنعماني (ص ٢٩١).

- ٢ - أن لا يُسئل عن شيء إلا أجاب عنه، كما ورد ذلك عن الإمام الباقر عليه السلام: «... وَلَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ بَيْنَ صَدَقَيْهَا إِلَّا أَجَابَ»<sup>(١)</sup>.
- ٣ - أن يظهر الإعجاز على يديه<sup>(٢)</sup>.
- ٤ - انتشار العلم من نفسه ونطقه للإمام عليه السلام بالخروج، وكذا نطق السيف:

\* في (كمال الدين) بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل جاء فيه: «... وَهَكَذَا يَكُونُ سَيْلُ الْقَائِمِ عليه السلام لَهُ عَلَمٌ إِذَا حَانَ وَقْتُ خُرُوجِهِ اِنْتَشَرَ ذَلِكَ الْعَلَمُ مِنْ نَفْسِهِ، وَأَنْطَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَنَادَاهُ: أُخْرُجْ يَا وَلَيَّ اللَّهِ فَاقْتُلْ أَعْدَاءَ اللَّهِ، وَلَهُ سَيْفٌ مُعْمَدٌ إِذَا حَانَ وَقْتُ خُرُوجِهِ اِقْتَلَعَ ذَلِكَ الْسَّيْفُ مِنْ غِمْدِهِ، وَأَنْطَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَنَادَاهُ السَّيْفُ: أُخْرُجْ يَا وَلَيَّ اللَّهِ فَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَقْعُدَ عَنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ...»<sup>(٣)</sup>.

### علامات الظهور من أين جاءت؟ وما هي دلالتها؟

ذكر لمعرفة ظهور الإمام عليه السلام عدّة علامات، وجاءت الأخبار بذكرها، قال الشيخ المفيد رض: (قد جاءت الأخبار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدى عليه السلام وحوادث تكون أمام قيامه وآيات ودلائل، فمنها: خروج السفياني، وقتل الحسني...)، ثم ذكر العشرات من العلامات إلى أن قال: (كما جاءت بذلك الأخبار، ومن جملة هذه الأحداث محتمة ومنها مشترطة، والله أعلم بما يكون، وإنما ذكرناها على حسب ما ثبت في الأصول وتضمنها الأثر المنقول)<sup>(٤)</sup>.

(١) الغيبة للنعماني (ص ٢٤٩ و ٢٥٠ / باب ١٣ / ح ٤١).

(٢) المسائل العشر في الغيبة (ص ١٢٢).

(٣) كمال الدين (ص ١٥٥ و ١٥٦ / باب ٧ / ح ١٧).

(٤) الإرشاد (ج ٢ / ص ٣٦٨ - ٣٧٠).

كما وذكر الشيخ الطبرسي عليه السلام عين عبارته المتقدمة<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ النعmani عليه السلام: (هذه العلامات التي ذكرها الأئمة عليهم السلام مع كثرتها واتصال الروايات وتوترها واتفاقها موجبة ألا يظهر القائم عليه السلام إلا بعد مجئها وكونها، إذ كانوا قد أخبروا أن لا بد منها، وهم الصادقون، حتى إله قيل لهم: نرجو أن يكون ما نؤمن من أمر القائم عليه السلام ولا يكون قبله السفياني، فقالوا: «بَلَى وَاللَّهُ، إِنَّهُ لِمَنِ الْمَحْتُومِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ»، ثم حقّقوا كون العلامات الخمس التي أعظم الدلائل والبراهين على ظهور الحقّ بعدها، كما أبطلوا أمر التوقيت، وقالوا: «مَنْ رَوَى لَكُمْ عَنَّا تَوْقِيَّةً فَلَا تَهَبُوا أَنْ تُكَذِّبُوهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ، فَإِنَّا لَا نُوقِّتُ»، وهذا من أعدل الشواهد على بطلان أمر كل من ادعى أو ادعى له مرتبة القائم ومنتزله، وظهر قبل مجيء هذه العلامات...)<sup>(٢)</sup>.

فما أدقّها من عبارة، وألخصه من تعبير عن أمور عديدة. وبذلك يتبيّن لنا أنّ معنى العلامات وما هيّتها في كونها حوادث تكون قبل قيام الإمام عليه السلام أو معه، وتكون دالة على ظهوره.

### تقسيم العلامات إلى المحتوم وغيره:

ذكرت الروايات عدّة تقسيمات للعلامات من أهمّها انقسامها إلى المحتومة وغير المحتومة، وما دلّ على ذلك:

ما روي عن معلى بن حنيس، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

(١) تاج المواليد (ص ٧٠ - ٧٤).

(٢) الغيبة للنعماني (ص ٢٩١ و ٢٩٢).

(٣) من أجمل ما تمتاز به المهدوية أن الاستدلال عليها متعدد الجوانب أو الجهات، وتعود روايات العلامات قبل قيام الإمام عليه السلام من أدلة صحتها.

«مِنَ الْأَمْرِ مَحْتُومٌ، وَمِنْهُ مَا لَيْسَ بِمَحْتُومٍ، وَمِنَ الْمَحْتُومِ حُرُوجُ السُّفِيَّانِيِّ فِي رَجَبٍ»<sup>(١)</sup>.

وفي نص آخر عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام في قوله تعالى: ثم قضى أجالاً وأجل مسمى عنده فقال: «إنهما أجالان: أجل محتوم، وأجل موقوف»، فقال له حمران: ما المحتوم؟ قال: «الذى الله فيه المшиة»، قال حمران: إني لأرجو أن يكون أجل السفياني من الموقوف، فقال أبو جعفر عليهما السلام: «لا والله إنه لمن المحتوم»<sup>(٢)</sup>.

وفي نص ثالث: «وَإِنَّ السُّفِيَّانِيَّ مِنَ الْمَحْتُومِ الَّذِي لَا يُبَدِّلُ مِنْهُ»<sup>(٣)</sup>.

وتلاحظ تعريف الإمام عليهما السلام للمحتوم بأنه لا بد منه، وقسمه على كون السفياني منه.

#### العلامات المحتومة:

- 1 - روى الشيخ الصدوق عليهما السلام بسنده تاماً<sup>(٤)</sup> عن عمر بن حنظلة، قال: سمعت أبا عبد الله عليهما السلام يقول: «قبل قيام القائم حمس علامات محتومات: إليها، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكية، والحسف بالبيداء»<sup>(٥)</sup>.
- 2 - روى الشيخ الطوسي عليهما السلام عن أبي حمزة الشمالي، قال: قلت لأبي عبد

(١) الغيبة للنعماني (ص ٣١٠ و ٣١١ / باب ١٨ / ح ٢).

(٢) الغيبة للنعماني (ص ٣١٢ و ٣١٣ / باب ١٨ / ح ٥)؛ هذا ولكن الصحيح ما ورد في بحار الأنوار (ج ٥٢ / ص ٢٤٩ / ح ١٣٣) عن الغيبة للنعماني، وفيه: قال له حمران: ما المحتوم؟ قال: «الذى لا يكون غيره»، قال: وما الموقوف؟ قال: «هو الذى الله فيه المшиة...»، فراجع.

(٣) الغيبة للنعماني (ص ٣١٣ / باب ١٨ / ح ٦).

(٤) سوى الحسين بن الحسن بن أبان، ويمكن توثيقه بعدد وجوه ذكرت في محلها. أما عمر بن حنظلة فقد تقدّمت وجوه توثيقه، فراجع.

(٥) كمال الدين (ص ٦٥٠ / باب ٥٧ / ح ٧).

الله عَلَيْهِ السَّلَامُ : «إِنَّ أَبَا جَعْفَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ : خُرُوجُ السُّفِيَّانِ مِنَ الْمَحْتُومِ، وَالنَّدَاءُ مِنَ الْمَحْتُومِ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنَ الْمَغْرِبِ مِنَ الْمَحْتُومِ»، وَأَشْبَاءُ كَانَ يَقُولُهُ مِنَ الْمَحْتُومِ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «وَالْخِتَالَفُ بْنَيْ فُلَانٍ مِنَ الْمَحْتُومِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الْزَّرَكِيَّةِ مِنَ الْمَحْتُومِ...»<sup>(١)</sup>.

ومنه يظهر أنَّ عدد المحروم أكثر مما في النص السابق.  
هذا، ولنعلم أنَّه ليس كُلُّ ما ورد في نصٍّ هو من علامات الظهور، بل بعضها لعلَّه من علامات أشراط الساعة.

٣ - وذكرت عدة مصادر وعدة روایات بأسانيد مختلفة: «إِنَّ يَنِيَّ يَدِيْ هَذَا الْأَمْرِ إِنْكِسَافَ الْقَمَرِ لِخَمْسٍ تَبَقَّى، وَالشَّمْسِ لِخَمْسَ عَشْرَةً، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَعِنْدَهُ يَسْقُطُ حِسَابُ الْمَنْجُومِينَ»<sup>(٢)</sup>.

وفي نصٍ آخر أنها آية لم تكن منذ أهبط الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبداً، حتى إنَّ بعضهم أراد أنْ يُصْحِّحَ لِلإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ، تَنْكِسِفُ الشَّمْسُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ وَالْقَمَرُ فِي الْنَّصْفِ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «إِنِّي أَعْلَمُ مَا تَقُولُ، وَلَكِنَّهُمَا آيَاتٍ لَمْ تَكُونَا مُنْذُ هَبَطَ آدُم عَلَيْهِ السَّلَامُ»<sup>(٣)</sup>.

وهذا اللسان قد يدخل في الحتميات.

٤ - روى الشيخ النعماي رَحْمَةُ اللَّهِ بِسَنْدِ تَامٍ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَجَرَى ذِكْرُ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقُلْتُ لَهُ: أَرْجُو أَنْ يَكُونَ عَاجِلًا وَلَا يَكُونَ سُفِيَّانًا، فَقَالَ: «لَا وَاللَّهِ إِنَّهُ لِمَنَ الْمَحْتُومُ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) الغيبة للطوسي (ص ٤٣٥ / ح ٤٢٥).

(٢) الغيبة للنعماني (ص ٢٨٠ / باب ١٤ / ح ٤٦)، كمال الدين (ص ٦٥٥ / باب ٥٧ / ح ٢٥).

(٣) الكافي (ج ٨ / ص ٢١٢ / ح ٢٥٨).

(٤) الغيبة للنعماني (ص ٣١٢ / باب ١٨ / ح ٤).

٥ - وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «الَّذِي أَنْذَأَ مِنَ الْمَحْتُومِ، وَالسُّفِيَّانِيُّ مِنَ الْمَحْتُومِ، وَالْبَيْانِيُّ مِنَ الْمَحْتُومِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الْزَّكِيَّةِ مِنَ الْمَحْتُومِ، وَكَفُّ يَطْلُعُ مِنَ السَّمَاءِ مِنَ الْمَحْتُومِ» ، قَالَ : «وَفَرْعَةُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ تُوقِظُ النَّائِمَ، وَتُفْرِغُ الْيَقْظَانَ، وَتُخْرِجُ الْفَتَاهَ مِنْ خَدْرِهَا» <sup>(١)</sup> .

#### العلامات غير الحتمية:

والمراد من غير الحتمي من العلامات هو ما يمكن أن يقع وما يمكن أن لا يقع، بخلاف الحتمي الذي لا بد منه.

روى الشيخ النعmani رض بسندٍ تامٍ عن الإمام الباقر ع في حديث طويل ذكر فيه العلامات، جاء فيه: «... أَوْلَهَا اخْتِلَافُ بَنِي الْعَبَّاسِ...، وَمُنَادٍ يُنَادِي مِنَ السَّمَاءِ...، فَأَوْلُ أَرْضٍ تَخْرُبُ أَرْضُ الشَّامِ، ثُمَّ يَخْتَلِفُونَ عِنْ دَلِيلِهِ عَلَى ثَلَاثَ رَأِيَاتٍ: رَأِيَةُ الْأَصْهَبِ، وَرَأِيَةُ الْأَبَقَعِ، وَرَأِيَةُ السُّفِيَّانِيِّ، فَيُلْتَقِي السُّفِيَّانِيُّ بِالْأَبَقَعِ فَيَقْتَلُونَ، فَيَقْتُلُهُ السُّفِيَّانِيُّ وَمَنْ تَبَعَهُ، ثُمَّ يَقْتُلُ الْأَصْهَبَ، ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُ هَمَّةٌ إِلَّا الْأَقْبَالُ نَحْوَ الْعَرَاقِ، وَيَمْرُ جَيْشُهُ بِقِرْقِيسِيَا، فَيَقْتَلُونَهُ، فَيُقْتَلُ بِهَا مِنَ الْجَبَارِينَ مِائَةً أَلْفِيْ، وَيَبْيَعُ السُّفِيَّانِيُّ جَيْشًا إِلَى الْكُوفَةِ...، فَيُصَبِّيُونَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَتْلًا وَصُلْبًا وَسَيْبًا، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَتْ رَأِيَاتٍ مِنْ قِبَلِ خَرَاسَانَ...، وَمَعَهُمْ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ...، وَيَبْيَعُ السُّفِيَّانِيُّ بَعْثًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَيَنْفَرُ الْمَهْدِيُّ مِنْهَا إِلَى مَكَّةَ...، حَتَّى يَدْخُلَ مَكَّةَ خَائِفًا يَرْقَبُ عَلَى سُتُّهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ ع...، فَيَنْزِلُ أَمِيرُ جَيْشِ السُّفِيَّانِيِّ الْبَيْدَاءَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: يَا بَيْدَاءَ، بِيَدِي الْقَوْمِ، فَيَخْسِفُ بِهِمْ...»، إِلَى أَنْ يَقُولَ: «... وَالْقَائِمُ يُوَمِّدُ بِمَكَّةَ...، فَيَجْمِعُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَصْحَابَهُ ثَلَاثِمَائَةً وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا...» <sup>(٢)</sup> .

(١) الغيبة للنعماني (ص ٢٦١ و ٢٦٢ / باب / ح ١١).

(٢) الغيبة للنعماني (ص ٢٨٨ - ٢٩١ / باب / ١٤ / ح ٦٧).

وقد ذكر الشيخ المفید جملة من العلامات غير الحتمیة، بل وبعض المحتومه بما نصه: (قد جاءت الأخبار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدى عليه السلام وحوادث تكون أمام قيامه وآيات ودلائل، فمنها: خروج السفيانى، وقتل الحسنى، واختلاف بنى العباس في الملك الدنیاوي، وكسوف الشمس في النصف من شهر رمضان، وكسوف القمر في آخره على خلاف العادات، وكسوف بالبيداء، وكسوف بالمغرب، وكسوف بالشرق، وركود الشمس من عند الزوال إلى وسط أوقات العصر، وطلعها من المغرب، وقتل نفس زكية بظهور الكوفة في سبعين من الصالحين، وذبح رجل هاشمى بين أركن والمقام، وهدم سور الكوفة، وإقبال رأيات سود من قبل خراسان، وخروج اليماني، وظهور المغربي بمصر وملكه للشامات، ونزوء الترك الجزيرة، ونزوء الروم الرملة، وطلع نجم بالشرق يضيء كاما يضيء القمر ثم ينطفئ حتى يكاد يلتقي طرفاه، وحمره تظهر في السماء وتنشر في آفاقها، ونار تظهر بالشرق طولاً وتبقى في الجو ثلاثة أيام أو سبعة أيام، وخلع العرب عننتها وملكها البلاد وخرجها عن سلطان العجم، وقتل أهل مصر أميرهم، وخراب الشام، واختلاف ثلاثة رأيات فيه، ودخول رأيات قيس والعرب إلى مصر، ورأيات كندة إلى خراسان، وورود خيل من قبل المغرب حتى تربط بفناء الحيرة، وإقبال رأيات سود من الشرق نحوها، وبشق في الفرات حتى يدخل الماء أرقة الكوفة، وخروج سينين كذلك يدعى النبي، وخروج إثنى عشر من آل أبي طالب كلهم يدعى الإمامة لنفسه، وإحراف رجل عظيم القدر من شيعة بنى العباس بين جلواء وخانقين، وعقد الحسر مما يلي الكوخ بمدينته السلام، وإرتفاع ريح سوداء بها في أول النهار، وزرارة حتى ينحيف كثير منها، ونحو يشمل أهل العراق، وموت دريع فيه، ونقص من الأنفس والأموال والثمرات، وجراد يظهر في أوانه وفي غير أوانه

حَتَّىٰ يَأْتِيَ عَلَى الْزَّرْعِ وَالْغَلَّاتِ، وَقَلَةٌ رَّبِيعٌ لِمَا يَزَرِّعُهُ النَّاسُ، وَإِخْتِلَافُ صِنْفَيْنِ مِنَ الْعَجَمِ، وَسَفْكُ دِمَاءٍ كَثِيرَةٍ فِيهَا بَيْنَهُمْ، وَخَرُوجُ الْعَبِيدِ عَنْ طَاعَةِ سَادَاتِهِمْ وَقَتْلُهُمْ مَوَالِيهِمْ، وَمَسْخُ لِقَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ حَتَّىٰ يَصِيرُوا قَرَدَةً وَخَنَازِيرَ، وَغَلَبةُ الْعَبِيدِ عَلَى بِلَادِ السَّادَاتِ، وَنِدَاءُ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّىٰ يَسْمَعَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّ أَهْلٍ لِغَةٍ بِلْغَتِهِمْ، وَوَجْهٌ وَصَدْرٌ يَظْهَرَا مِنَ السَّمَاءِ لِلنَّاسِ فِي عَيْنِ الْشَّمْسِ، وَأَمْوَاتٌ يُسْتَرُونَ مِنَ الْقُبُوْرِ حَتَّىٰ يَرْجِعُوا إِلَى الدُّنْيَا فَيَتَعَارَفُونَ فِيهَا وَيَتَرَوْزُونَ، ثُمَّ يُخْتَمُ ذَلِكَ بِأَرْبَعَ وَعِشْرِينَ مَطْرَةً تَتَّصِلُ، فَتُتْحِيَّا بِهَا الْأَرْضُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا، وَتُعْرَفُ بِرَكَاتُهَا، وَتَنْزُولُ بَعْدَ ذَلِكَ كُلُّ عَاهَةٍ عَنْ مُعْتَقِدِي الْحُكُّ مِنْ شِيَعَةِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ لَهْلَكَةُ، فَيَعْرِفُونَ عِنْدَ ذَلِكَ ظُهُورَهُ بِمَكَّةَ، فَيَنْوَجُّهُونَ نَحْوَهُ لِنُصْرَتِهِ، كَمَا جَاءَتْ بِذَلِكَ الْأَخْبَارُ<sup>(١)</sup>.

### أين يكون الإمام عليه السلام أوائل ظهوره؟

تذكرة الروايات أنَّ الإمام عليه السلام يكون في المدينة، ومنها ما رواه الشيخ النعماي رحمه الله بسند صحيح عن الإمام الباقي عليه السلام: «... وَيَبْعَثُ الْسُّفِيَّانِيُّ بَعْثًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَيَنْفَرُ الْمَهْدِيُّ مِنْهَا إِلَى مَكَّةَ، فَيَلْعُغُ أَمِيرَ جَيْشِ الْسُّفِيَّانِيِّ أَنَّ الْمَهْدِيَّ قَدْ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، فَيَبْعَثُ جَيْشًا عَلَى أُثْرِهِ، فَلَا يُدْرِكُهُ حَتَّىٰ يَدْخُلَ مَكَّةَ خَائِفًا يَتَرَّقَبُ عَلَى سُنْنَةِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام...»<sup>(٢)</sup>.

اجتماع الـ (٣١٣):

بعد عدَّةِ أحداث، ومنها إرسال الإمام عليه السلام النفس الزكية إلى أهل مكَّةَ وقتلهم له، يتحرَّك الإمام عليه السلام، فقد ورد: «... فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ الْإِمَامَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ:

(١) الإرشاد (ج / ٢) ص ٣٦٨ - ٣٧٠.

(٢) الغيبة للنعماني (ص ٢٨٨ - ٢٩١ / باب ١٤ / ح ٦٧).

أَلَا أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ لَا يُرِيدُونَا، فَلَا يَدْعُونَهُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ فِيهِبِطُ مِنْ عَقَبَةِ طُوْيِ  
فِي ثَلَاثَيَّةٍ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا عِدَّةَ أَهْلِ بَدْرٍ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ الْمَسْجَدَ الْحَرَامَ، فَيُصْلِي فِيهِ  
عِنْدَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، وَيُسْنِدُ ظَهَرَهُ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ، ثُمَّ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيُثْنِي  
عَلَيْهِ، وَيَذْكُرُ النَّبِيَّ ﷺ وَيُصْلِي عَلَيْهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ،  
فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَصْرِبُ عَلَىٰ يَدِهِ وَيَبَايِعُهُ جَبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ ...»<sup>(١)</sup>.

### خطبة الإمام ﷺ في مكة:

في نصٍّ صحيح جاء فيه: «... فَيَقُومُ الْقَائِمُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ فَيُصْلِي  
وَيَنْصَرِفُ وَمَعَهُ وَزِيرُه...»، ثم يخطب بالناس وهي خطبة مجاجحة يذكر فيها  
صلته بالأنبياء عليهما السلام والقرآن إلى أن يقول: «... أَلَا إِنَّا نَسْتَنْصِرُ اللَّهَ الْأَيُّومَ وَكُلَّ  
مُسْلِمٍ، وَيَحْيِيُّهُ وَاللَّهُ ثَلَاثَيَّةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فِيهِمْ خَمْسُونَ إِمْرَأَةً يَجْتَمِعُونَ  
بِمَكَّةَ عَلَىٰ غَيْرِ مِيعَادٍ، قَرَاعًا كَفَرَعَ الْخَرِيفِ، يَتَبَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا...، يُبَايِعُونَهُ بَيْنَ  
الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ ، وَمَعَهُ عَهْدُ نَبِيِّ اللَّهِ وَرَائِتُهُ وَسَلَاحُهُ وَوَزِيرُهُ مَعَهُ، فَيُنَادِيَ الْمُنَادِي  
بِمَكَّةَ بِاسْمِهِ وَأَمْرِهِ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّىٰ يَسْمَعَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ، إِسْمُهُ اسْمُ نَبِيِّ،  
مَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ فَلَمْ يُشْكِلْ عَلَيْكُمْ عَهْدُ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَرَائِتُهُ وَسَلَاحُهُ، وَالنَّفْسُ  
الْأَرْكَيَّةُ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ هَذَا فَلَا يُشْكِلْ عَلَيْكُمْ الصَّوْتُ مِنَ  
السَّمَاءِ بِاسْمِهِ وَأَمْرِهِ...»<sup>(٢)</sup>.

والأحداث كثيرة والبحث في تفاصيلها يُخرِجُ جنَا عن رسم الشرح.

### بلغ ملكه جميع الأرض:

فقد روی عن رسول الله ﷺ: «... وَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيِّجِرِي سُنْتُهُ

(١) بحار الأنوار (ج ٥٢ / ص ٣٠٧ / ح ٨١)، عن سرور أهل الإيمان (ص ٩٤).

(٢) تفسير العياشي (ج ١ / ص ٦٤ - ٦٦ / ح ١١٧).

فِي الْقَائِمِ مِنْ وُلْدِي، فَيُبَلِّغُهُ شَرْقَ الْأَرْضِ وَغَرْبَهَا...، فَيَمْلأُ الْأَرْضَ بِهِ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا<sup>(١)</sup>.

**أيُّهَا الْمَوَالِي لَا تُوقِّتْ وَتُطْبِقْ مَا لَمْ تَجْزُمْ:**

من الطبيعي أن يستعجل الإنسان، فهو قد خلق من عجل، ومن الطبيعي أن يستعجل المؤمن الخير ويسارع إليه، إذ قد ندبه الله تعالى لذلك، لكنَّ في عدَّة روايات ورد الذُّمُر للاستعجال!

من هنا ينفتح أمامنا باب صعب لمن وله غير منهج ودرأة، وسهل لمن سار على نهج الهدىيَّة باتباعه آثار أهل الولاية.

نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّا نَعِيشُ فِي زَمَانٍ غَيْبِيَّةٍ وَانتِظَارٍ، وَهِيَ حَالَةٌ بَطِيعَتَهَا تُورِثُنَا صَفَةَ التَّرْقُبِ، فَيُولَدُ لِدِينِنَا الْاسْتَعْجَالُ لِلْمُتَرْقَبِ، وَهُنَّا جَاءَ مِنْهُجُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بِذَمِّ الْمُسْتَعْجِلِينَ رَغْمَ مَدْوِحَيَّةِ الانتِظَارِ وَمَحْبُوبَيَّةِ أَنْ يُعْجِلَ اللَّهُ تَعَالَى بِفَرَجِ الْعَدْلِ الْغَائِبِ، وَأَيُّهَا يُكَرِّهُ أَنْ يُرَى الْعَدْلُ مُنْتَشِرًا؟

إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ لِلْاسْتَعْجَالِ آفَاتِ جَسَامٍ وَأَمْرَاضٍ فَتَّاكَةٌ تُهْلِكُ الْإِنْسَانَ وَمَنْ سَارَ خَلْفَهُ، فَقَدْ جَاءَ النَّهْيُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنِ الْاسْتَعْجَالِ مَوَائِمًا لِلْحَالَةِ الَّتِي نَعِيشُهَا، فَنَحْنُ فِي زَمَانِ التَّمْحِيصِ نَعِيشُ بَيْنَ زَوَاياَ ثَلَاثَةٍ:

الْأُولَى بِكَذْبِ الْوَقَاتِينَ، وَالثَّانِيَةُ بِهَلاكِ الْمُسْتَعْجِلِينَ، وَالثَّالِثَةُ بِنَجَاهَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتِ النَّتِيْجَةُ: وَإِلَيْنَا يَصِيرُونَ.

فَالْوَقَاتُ رَغْمَ أَنَّهُ يُنْظَرُ إِلَّا أَنَّ الْخَيْرَ جَاءَ بِتَكْذِيْبِهِ لِلْاسْتَعْجَالِهِ.

فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ

(١) كمال الدين (ص ٣٩٤ / باب ٣٨ / ٤).

مَهْزُومٌ، فَقَالَ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَخْبِرْنِي عَنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي نَتَظَرُ مَتَىٰ هُوَ؟ فَقَالَ: «يَا مَهْزُومٌ، كَذَبَ الْوَقَّاتُونَ، وَهَلَكَ الْمُسْتَعْجِلُونَ، وَنَجَا الْمُسْلِمُونَ»<sup>(١)</sup>.

أمّا المنظر للاستعجال والمتلبس به فهو هالك، لأنّه سيصير إلى غير أهل البيت عليهما السلام اتّباعاً وانحرافاً، إذ لم يأنّ أو انهم، وهو مستعجل في النتيجة، فلا بدّ أن يتّبع أشخاصاً آخر غيرهم، فيكون قد أهلك نفسه وأضلّ غيره، وهو الصفة العملية لهذا المرض.

فيما يكون المسلم صائراً مع أهل البيت عليهما السلام، وهو كما قلنا من معاني حديث الثقلين في الاتّباع والتسليم والتمسّك.

فلمَ العجلة<sup>(٢)</sup> إذا كان غير المستعجل هو الناجي والمستعجل هالك ومنحرف وضالّ؟

أفيعقل أنْ يطلب العاقل استعجالاً فيه هالك نفسه ومنْ يسير خلفه؟  
ألا ينبغي لنا أنْ نتروّى ونلتمس من معين ما رفدنـا به أهل البيت عليهما السلام  
خارج نجاة، فنبعد بذلك عن تيه الأفكار والنظريّات؟

لا شيء إلّا للاستعجال الخير من البساطة وترويج النظريّات من غير العلماء، إذ الصالح العاقل قاصد للنجاة، فلا يرُوّج لنظرية باطلة يكون بها ضالّاً لنفسه ومضالّاً بتصديرها لغيره إلّا للاستعجال، فلمَ العجلة؟

### التوقيت وأدلة ذمه:

**التوقيت:** هو ذكر وقت محدّد بيوم أو شهر من سنة معينة أو غيرهما من

(١) الكافي (ج ١ / ص ٣٦٨) / باب كراهيّة التوقيت / ح (٢).

(٢) قال الراغب في مفرداته (ص ٣٢٣ / مادة عجل): (العجلة طلب الشيء وتحريّه قبل أوانه، وهو من مقتضي الشهرة، فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن، حتّى قبل: العجلة من الشيطان).

الألفاظ الدالة عليهم، كالعقد والقرن، أو ما يفهم العرف أنه تحديد، وهذا يتنافى وما ذكرته الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

فعن أبي خالد الكابلي يسأل الإمام الباقي عليه السلام عن التوقيت، فيجيبه عليه السلام:

«... سأله يا أبا خالد عن سؤال مجهول، ولقد سأله عن أمر ما كنت محدثا به أحدا، ولو كنت محدثا به أحدا لحدثك...»<sup>(١)</sup>.

وفي نص آخر: «... من أخبرك عنا توقيت فلما تهاب أن تكذبه، فإنما لا يوقت لأحد وقتا»<sup>(٢)</sup>.

وعندما سُئل الإمام الحجة عليه السلام عن ذلك، أجاب عليه في توجيه إسحاق بن يعقوب: «... وأما ظهور الفرج فإنه إلى الله تعالى ذكره، وكذب الوقاthon»<sup>(٣)</sup>.

من أدلة بطلان التوقيت: ما يمكن أن يستدل به على بطلان التوقيت من وجوه من غير ما روي أعلاه أمور، منها:

١ - الأصل في معرفة المستقبل على نحو الجزم واليقين ممنوعة، لأنه من الغيب، والاطلاع عليه ليس متيسراً لكل أحد، قال تعالى: **﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾** (الأحزاب: ٦٣)، وقال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾** (لقمان: ٤).

وفي خصوص الإمام الحجة بن الحسن عليهما السلام وظهوره، فقد روي في أنه عليهما السلام من الغيب، وأنه عليهما السلام كالساعة، فعن الإمام الرضا عليه السلام: «... وأما متى فإخبار عن الوقت، فقد حذبني أبايه، عن أبيه، عن أبيه عليه السلام أن النبي عليه السلام قيل له: يا رسول الله، متى يخرج القائم من ذرتك؟ فقال عليه السلام: مثله مثل الساعة التي لا

(١) الغيبة للنعماني (ص ٢٩٩ و ٣٠٠ / باب ١٦ / ح ٢).

(٢) الغيبة للنعماني (ص ٣٠٠ / باب ١٦ / ح ٣).

(٣) كمال الدين (ص ٤٨٣ - ٤٨٥ / باب ٤٥ / ح ٤).

يُجَلِّيْهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ تَقْلِيْتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيْكُمْ إِلَّا بَعْتَةً ﴿١﴾

﴿الْأَعْرَافُ: ١٨٧﴾<sup>(١)</sup>.

٢ - أَنَّ الْوَقْتَ كَانَ مَعْلُومًا عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ، وَلَكِنَّ النَّاسَ أَشَاعُتْهُ وَكَشَفَتْهُ فَرَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَمَمَّا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ مَوْجُودًا عِنْدَهُمْ عَلَيْهِ نَصْوُصُهُ، مِنْهَا:

أ - عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ الصَّيْرِيفِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ الْكَلَمَ يَقُولُ:

«قَدْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ وَقْتُ، وَكَانَ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، فَحَدَّثْتُمْ بِهِ وَأَذْعُمُوهُ، فَأَخَرَّهُ اللَّهُ عَزَّلَهُ»<sup>(٢)</sup>.

ب - عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ الْكَلَمِ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا هَذَا الْأَمْرُ أَمْ دُ

يُنْتَهِي إِلَيْهِ وَيُرِيْحُ أَبْدَانَنَا؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنَّكُمْ أَذْعُمُ فَأَخَرَّهُ اللَّهُ»<sup>(٣)</sup>.

ج - عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَاقِرَ عَلَيْهِمُ الْكَلَمَ يَقُولُ: «يَا ثَابِتُ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَانَ وَقَتَ هَذَا الْأَمْرُ فِي سَنَةِ السَّبْعِينَ، فَلَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ اسْتَدَّ عَصَبُ اللَّهِ فَأَخَرَّهُ إِلَى أَرْبَعِينَ وَمِائَةٍ، فَحَدَّثْنَاكُمْ بِذَلِكَ فَأَذْعُمُ وَكَشَفُتُمْ قِنَاعَ السَّرِّ، فَلَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرُ بَعْدَ ذَلِكَ وَقْتًا عِنْدَنَا، 『يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ』 ﴿٣٩﴾ [الرعد: ٣٩]<sup>(٤)</sup>.

٣ - مَا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَوْمَ يَقِنُّ مِنَ الدِّينِ إِلَّا يَوْمَ وَاحِدٍ لِطَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى يُخْرِجَ الْمَهْدِيَ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ، وَهُوَ يَدْلُلُ عَلَى تَعْذُرِ التَّوْقِيتِ لِهِ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ.

وَمَمَّا رُوِيَّ فِي ذَلِكَ مَا نَقْلَهُ الشِّيْخُ الصَّدُوقُ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ فِي بَابِ الْوَصِيَّةِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ حِيثُ قَالَ: (... وَقَدْ وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيَّةُ بِالْأَسَانِيدِ الْقَوِيَّةِ أَنَّ

(١) كمال الدين (ص ٣٧٢ و ٣٧٣ / باب ٣٥ / ح ٦).

(٢) الغيبة للنعماني (ص ٣٠٣ / باب ١٦ / ح ٨).

(٣) الغيبة للنعماني (ص ٢٩٩ / باب ١٦ / ح ١).

(٤) الغيبة للنعماني (ص ٣٠٣ و ٣٠٤ / باب ١٦ / ح ١٠).

رسول الله ﷺ أوصى بأمر الله تعالى (...)، إلى أن يقول: (وأوصى الحسن بن علي إلى ابنه حجّة الله القائم بالحق الذي لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملاها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً<sup>(١)</sup>. فكونه ﷺ يخرج حتى ولو في آخر يوم يكشف عن عدم القدرة على تحديد هذا اليوم بنحو الجزم والعلم.

#### تطابق الأسماء لا يعني العلامية:

وقد ادعى الانطباق جماعة، ظناً منهم أنَّ التطابق في الأسماء أو الصفات أو الألقاب كالهاني أو الخراساني أو غيرهما كافٍ في إثبات ذلك، فإنَّ المشابهة في الاسم أو اللقب أو بعض الصفات الجسدية غير كافية، إذ يوجد في زمانٍ واحدٍ منها المئات بل أكثر، فيكون الجزم بها لبعضهم دون غيرهم ترجيح بلا مرجح. وممَّا ورد عن أهل البيت ع في مقام تعجبهم ممَّن يقوم بتطبيق الأشخاص والأولياء والأحداث خطأً، ما روي عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه قال: «قَبْلَ هَذَا الْأَمْرِ السُّفِينَيُّ وَالْيَمَانِيُّ وَالْمَرْوَانِيُّ وَشُعَيْبُ بْنُ صَالِحٍ، فَكَيْفَ يَقُولُ هَذَا هَذَا؟!»<sup>(٢)</sup>، وذكر المحقق في هامش الحديث تفسيراً له: (أي كيف يقول محمد بن إبراهيم بن إسماعيل المعروف بابن طباطبا: إني القائم?).

وفي (الغيبة للنعماني) في سؤال ابن حازم للإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ وزعم أحد المغيرة أنَّ محمد بن عبد الله بن الحسن هو القائم، والدليل على ذلك أنَّ اسمه اسم النبي ﷺ واسم أبيه اسم أبي النبي ﷺ، فجاء الجواب: إنْ كُنْتَ تَأْخُذُ بالأسْمَاءِ فَهُوَ ذَا فِي وُلْدِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلَيٍّ، فَقَالَ لِي: إِنَّ هَذَا

(١) من لا يحضره الفقيه (ج / ٤ / ص ١٧٧ / ح ٥٤٠٢).

(٢) الغيبة للنعماني (ص ٢٦٢ / باب ١٤ / ح ١٢).

ابنُ أُمّةٍ - يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَيْهِ -، وَهَذَا ابْنُ مَهِيرَةَ - يَعْنِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ -، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ: «فَمَا رَدَدْتَ عَلَيْهِ؟»، فَقُلْتُ: مَا كَانَ عِنْدِي شَيْءٌ أَرْدُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «أَوْ لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُ ابْنُ سَيِّدِنَا الْقَائِمِ عَلَيْهِ؟»<sup>(١)</sup>.

### الإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو السَّاعَةُ

وَمَا رُوِيَ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا رَوَاهُ الشِّيخُ الصَّدُوقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زِيَادِ بْنِ جَعْفَرٍ الْهَمَدَانِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلَيْهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ صَالِحٍ الْهَرَوِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ دِعِيلَ بْنَ عَلَيِّ الْأَخْزَاعِيَّ يَقُولُ: أَنْشَدْتُ مَوْلَايَ الرَّضَا عَلَيَّ بْنَ مُوسَى عَلَيْهِ قَصِيدَتِيَّ...، بَكَى الرَّضَا عَلَيْهِ شَدِيداً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ فَقَالَ لِي: «... وَبَعْدَ الْحَسَنِ ابْنِهِ الْحَجَّةِ الْقَائِمِ الْمُتَنَظِّرِ فِي غَيْبِتِهِ، الْمُطَاعُ فِي ظُهُورِهِ، لَوْلَمْ يَقِنَّ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ وَاحِدٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ عَزَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَخْرُجَ فَيَمْلَأَ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا، وَأَمَّا مَتَى فِي خَبَارٍ عَنِ الْوَقْتِ، فَقَدْ حَدَّثَنِي أَبِيهِ، عَنْ أَبَائِهِ عَلَيْهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى يَخْرُجُ الْقَائِمُ مِنْ ذُرْرِتِكَ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ: مَثْلُهُ مَثْلُ السَّاعَةِ الَّتِي لَا يُجَلِّيهَا لَوْقَتُهَا إِلَّا هُوَ ثَقْلُهَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِي كُمْ إِلَّا بَعْتَدَةً» [الأعراف: ١٨٧]<sup>(٢)</sup>.

ففي جملة من النصوص ومنها ما تقدم أنَّ الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ مثله مثل الساعات التي لا يجيئها لوقتها إِلَّا هو، ولا تأتي إِلَّا بُغْتَةً، وأنَّ ظهوره مَا يُتَوقَّعُ صباحاً ومساءً، جاء عنصر المفاجئة من أبرز عناصر الظهور، ورَكَّزَتْ عليه النصوص مع أنَّ هناك عناصر أخرى لا ينبغي إغفالها بحال من الأحوال،

(١) الغيبة للنعماني (ص ٢٣٥ / باب ١٣ / ح ١٢).

(٢) كمال الدين (ص ٣٧٢ و ٣٧٣ / باب ٣٥ / ح ٦).

الظهور منظومة تعتمد على عناصر كثيرة وكواشف متعددة من أهمها الإيمان أنَّ الغيب هو الفاعل المؤثر في الأحداث.

### عنصر المفاجأة في الظهور:

عنصر المفاجأة قد نتحير به، ونتحير في فرضه، كما قد نتحير أنَّ الله كيف سيظهر بشكل مفاجئ، وبأنَّ الحدث خارج عن سياقاته الطبيعية، وأثاره لا يمكن احتسابها في إطار أفضل الإمكانيات المتاحة، مثلاً لو نظرنا إلى فايروس كورونا وما حصل في أيامه وأصاب العالم وأقعد الدول المقدرة عن اتخاذ مواقف حقيقة وأصابها بالعجز والخمول، لماذا؟ لأنَّ عنصر المفاجأة فيه كان سريعاً، وليس معنى ذلك أنَّ لم يكن معلوماً سابقاً، كيف وقد تقدَّم الحديث بها يناسب عن وضع العلامات له الله من قبل أهل البيت عليهم السلام؟

شاهد ممَّا شاهدناه من حدث - فايروس كورونا - وكيف وقع وكيف تمَّ التعامل معه، هذا ينبغي أنْ يُشكّل لنا نافذة نتعلم منها كيفية التعامل مع الأحداث برويَّة وضمن أصول معتمدة، وليس بالاعتماد على أفكار ارتجالية وتصرُّفات وليدة الحدث.

إذا رجعنا إلى النصوص مرَّةً أخرى نجدها عالجت نظائر هذه الأحداث بشكل كليٍّ، ووضعت ضوابط محددة لضبط التعامل مع الواقع الجزئيّ وفي أيِّ زمان أو مكان حصلت.

### علمية الصيحة بعيدة عن التلاعُب:

وليكن معلوماً أنَّ الصيحة من أهم العلامات إنْ لم تكن أهمها، فهي بعيدة عن يد التلاعُب والادعاء، لأنَّها سماوية ومرتبطة بالغيب مباشرةً، في ذات

الوقت حدّدت النصوص محدّدات غاية في الضبط والإتقان لمن يلاحظها، فهي من حيث الزمان محدّدة، ومن حيث الكيف محدّدة.

فهي بلسان مثل الغيب إلى الأرض جبرئيل عليه السلام.

وعندما يُسأَل الإمام عليه السلام عن السبيل لمعرفة الصيحة المحقّة من البطلة، فإنَّه عليه السلام يجيب أنَّ مَنْ يُعرفها هو مَنْ عُرِفَ مسبقاً بها!

أي مَنْ تعامل معها وفق الضوابط المحدّدة من قِبَل أهل الغيب المطلعين على جزئياتها وأدق تفاصيلها، وليس من المنطقي أنْ نعرف الصيحة تفصيلاً دون أنْ نعرف الأحداث الأخرى المؤثرة فيها، أو أنها عالمة لأجل ماذا، هذا هو معنى المعرفة ضمن الآليات والضوابط - أي من خلال المعرفة بروايات أهل البيت عليهما السلام، ومنه ننطلق إلى فهم عنصر المفاجأة في القضية المهدوية حتى لا تكون عرضة للتفسيرات المنفلتة والتطبيقات المستعجلة والانفعالية.

إنَّ القضية المهدوية على عاتقها رسم النهاية السعيدة للعالم، والتي تقدّمها الآلاف من الأنبياء والصلحاء كُلُّهم كانوا في دائرة الإعداد لهذا الحدث، فليس من المنطقي أنْ تُوضع أدواتها بيد أشخاص انفعاليين أو أصحاب نزعات مصلحية، إنَّها الفاعل الأول في الأحداث وليس المنفعل الأخير المترجم على لسان الجهال والمسترسلين، هذا الحدث العالمي المشاهد من قبَلنا جميعاً دون تميُّز في أي شيء بجميع حيَّاته رسالة لفهم تأثير الغيب الفاعل ينبغي أنْ نُدرِّكه ونقرأه كما يُراد لنا قراءته ضمن آلياته ومحكماته.

### الاستعداد التام لظهور الإمام عليه السلام بلا توقيت وتطبيق:

نسمع في المجالس والأندية أنَّ الأحداث تسير باتجاه قرب ظهور الإمام عليه السلام، وهي مقوله صادقة إلى حدٍ كبير، فإنَّ الأحداث من زمن الرسول صلوات الله عليه وآله وسلامه تسير باتجاه النهاية، وإنَّما قبل النهاية هو حتميَّة ظهور الإمام عليه السلام، فمن الطبيعي أنَّ

يكون لكل حَدَثٍ مُدْخِلَّةٌ فِي ظَهُورِ الْإِمَامِ ﷺ، وَلَكِنَّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُلْتَفَتَ إِلَيْهِ وَبِعِنَاءٍ عَامِلَانِ: الْأَوَّلُ مِنْهُمَا - وَهُوَ الْأَهْمَّ -: مَا هُوَ مَقْدَارٌ حَظْنَا مِنْ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ إِيجَابًا فِي ظَهُورِهِ ﷺ.

وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ فَرَدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لَهُ دُورٌ إِيجَابِيٌّ فَعَالٌ، عَلَى الْمَسْتَوِيِّ الْفَرْدِيِّ وَالنُّفُسِيِّ فِي عَلَاقَتِهِ مَعَ الْإِمَامِ ﷺ، وَمَقْدَارُ ذَلِكَ فِي تَقْرِيبِ فَرْجِ الْإِمَامِ ﷺ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ دُورٌ اجْتِمَاعِيٌّ فِي هَذِهِ الْحَدَثَ الْكُوْنِيِّ الْكَبِيرِ. وَهُنَّا تَأْتِي مَرْحَلَةُ الْإِعْدَادِ وَالْإِسْتَعْدَادِ، فَلَا بَدَّ عَلَى الْفَرَدِ أَنْ يَعْدَ نَفْسَهُ بِشَكْلٍ دَقِيقٍ لَأَنْ يَكُونَ عَنْصَرًا فَعَالًا وَمُؤْثِرًا بِحَرْكَةِ الظَّهُورِ مِنْ خَلَالِ عَدَّةِ عَوَامِلٍ شَرِيعَةٍ وَأَخْلَاقَيَّةٍ وَسُلُوكَيَّةٍ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَلْتَزِمَ بِمَضَامِينِ الشَّرِيعَةِ التَّزَامًا حَرْفِيًّا وَلَا يَجِدُ عَنْ ذَلِكَ، فَضْلًا عَنْ خُلُقِهِ الرَّفِيعِ الْمُؤْثِرِ فِي الْمُجَمَّعِ، الْمُتَرَجِّمُ كُلُّ ذَلِكَ إِلَى سُلُوكِ عَمَلِيٍّ يَنْهَضُ بِالْأَفْرَادِ الْآخَرِينَ إِلَى حَالَةِ التَّائِسِيِّ بِهَا الْفَرَدُ الَّذِي مَا انْفَأَكَ يَعْدُ نَفْسَهُ إِسْتَعْدَادًا لِلظَّهُورِ الْمَقْدَسِ.

فَالْإِنْسَانُ الْمُؤْمِنُ الَّذِي تَقَعُ فِي رَأْسِ قَائِمَةِ الْأَوْلَوَيَاتِ - بَعْدِ نِعْمَةِ الْإِتَّبَاعِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَالْتَّسْلِيمِ لِهِمْ وَالْإِنْقِيادِ وَالْطَّاعَةِ لِمَا صَدَرَ عَنْهُمْ عَلَيْهِمُ الْأَكْبَارُ - مَسْأَلَةُ الظَّهُورِ لِلْحَجَّةِ الْمُتَنَظَّرِ ﷺ، يَبْحَثُ عَنْ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ تُؤْثِرُ إِيجَابًا فِي تَفْعِيلِ هَذِهِ الْعِقِيدَةِ لِدِيْ نَفْسِهِ، كَمَا أَنَّهُ يَسْعَى جَاهِدًا لِإِزَالَةِ مَا يُؤْثِرُ عَلَى ضَعْفِهَا أَوْ خُوْلِهَا فَضْلًا عَنْ انْحِسَارِهَا بِسَبَبِ الْعَوَامِلِ السَّلَبِيَّةِ، دَاخِلِيَّةٌ كَانَتْ فِي نَفْسِهِ، أَوْ خَارِجِيَّةٌ مِنْ مُحِيطِهِ.

### تأثير الفرد المهدوي في المجتمع:

أَمَّا الْعَوْاْمِلُ الْآخِرُ فَهُوَ عَوْاْمِلُ اجْتِمَاعِيٍّ، فَكَمَا يُطَلَّبُ مِنَ الْفَرَدِ أَنْ يُؤْسِسَ لِنَفْسِهِ عِقِيدَةً وَثِقَافَةً وَسُلُوكًا يُؤْثِرُ إِيجَابًا فِي تَعْجِيلِ فَرْجِ الْمُوْلَى، فَكَذَلِكَ عَلَى الْمَسْتَوِيِّ الْاجْتِمَاعِيِّ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَذِهِ الْفَرَدُ مُؤْثِرًا فِي تَشْكِيلِ بَيْتَةِ مَهْدُوَيَّةٍ تُؤْثِرُ

إيجاباً في دفع الناس اتجاه الاهتمامات المهدوية، ونشر ثقافة الانتظار من خلال المجالس والأندية التي تفتقر كثيراً لهذه الثقافة.

فالفرد الذي أعد لنفسه منهاجاً صحيحاً في هذا المضمار لا بد أن لا يجعله حبيساً في أدراج أفق النفس، بل لا بد من إخراجه من خلال سلوك يمارسه، أو فكر ينشره، لتكون بذلك حظوظه عند إمامه عليه السلام كحظوظة إبراهيم الخليل عليه السلام عند ربّه، إذ جعل أمةً رغم فردية، لأنّه حمل على مستوى الفكر والسلوك هموم إنقاذ الأمة بأسرها من براثن ما كانت تعشه.

وهكذا المأمول من الفرد المهدوي الذي أعد نفسه إعداداً صحيحاً للظهور.

فكُل حَدَثْ نراه اليوم له مدخلية، ولكنَّه لا بد أن ينضبط في إطار الشريعة المقدّسة، ولا بد أن يتحدَّد بحدود ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام.

وسيأتي عند شرح الفقرة: «بَأَبِي أَنْتَ وَأَمْيٰنَ وَنَفْسِي» ما يرتبط بالمقام من جهة وجوب نصرته وإن قبل قيام دولته.

\* \* \*

«ناشر رأيَةَ أَهْدَى».

يتحدّث هذا المقطع النبوي المبارك عن الرأي وأهميّتها في أدبيات الولاء، حيث تمثّل الرأي قديماً، بل ولا زالت رمزاً من رموز العزة والإباء، وتجسّد عقيدة الانتهاء.

أعلام الدول يُضحي لأجل رفعتها وعلوّها الكبار والصغر، ولا يسمحون بإهانتها أو التجاوز عليها وإنْ كلف ذلك المال والنفس.

ليس للراية أو العَلَم أيُّ قيمة إذا جُرِّد عن الإضافة، وتبرز قيمته بِها يُضاف إِلَيْهِ، وإنَّما يُعدُّ مظهُر العَلَم الْخَارِجي سُوِّي قطعة قماش ذات قيمة زهيدة ماليًّا، ولكن بعد إضافته لشيء مقدَّس يتقَدَّس بِذلِكَ، فإذاً إضافتها لِلْوَطَن يُصَرِّرُّها تُمثِّلهُ، وإضافتها لشَّخص يَجْعَلُها تُمثِّلهُ، وهكذا.

تُطلق الراية مجازاً على ذوات وأشخاص بعد انصهارهم في العقيدة أو الفكرة التي يؤمنون بها، فيكونون راية للحقّ وعلامة عليه، بهم يُعرف الحقُّ والهدى والعدل كما تجسَّد ذلك في كون النبيِّ الْأَكْرَم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علامَة للرحمة ومكارم الأخلاق، وأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ علامَة للحقّ والهدى، وكذلك الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ علامَة للكرم، والإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ علامَة للإباء والعزَّة، والإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ علامَة للعدل والقسط، وهكذا.

هذا، ولا يخفى أنَّ جَمِيعَ الْأَئمَّة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هُم راية الهدى ومصباح الدجى، فَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَلَيٍّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَاهَدَ إِلَيَّ عَهْدًا، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ بَنِيَّ لِي، قَالَ: إِسْمَعْ، قُلْتُ: سَمِعْتُ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ عَلَيَّ رَايَةُ الْهَدَى بَعْدَكَ، وَإِمَامُ الْأُولَى إِيَّاهُ، وَتُبُورُ مَنْ أَطَاعَنِي، وَهُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَلْزَمَهَا اللَّهُ الْمُتَقْبِلُونَ، فَمَنْ أَحَبَّهُ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، فَبَشِّرْهُ بِذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

فجعل الله تعالى على لسان نبيِّه الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راية الهدى وعلامة على الطاعة وحُبِّ المؤمنين له.

إنَّ المقطع الشريف - كما جملة من الروايات - يتحدث عن كون الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ هو ناشر راية الهدى، بولادة أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي هو راية الهدى لدین محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما تقدَّم في بيان هداية المهدى وإلى ماذا يهدى.

(١) أمالى الطوسي (ص ٢٤٥ / ح ٤٢٨ / ٢٠).

هذه الرأية التي يتحدد عنها الإمام زين العابدين عليه السلام، فيقول: «... أَمِّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَلَهُ الْحَمْدُ إِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ بِيَلَاءِ، حَسَنٌ حَيْثُ جَعَلَ رَأْيَهُ أَهْدَىٰ وَالْعَدْلِ وَالْتَّقْيَىٰ فِينَا، وَجَعَلَ رَأْيَهُ الْضَّالَّةِ وَالرَّدَّةِ فِي غَيْرِنَا...»<sup>(١)</sup>.

هذا، وتحدثت أخبار أخرى عن رأية لها قدرة تكوينية بالإضافة لبعدها العقائدي في الهدایة، فعن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لَمَّا أَتَقْنَىٰ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ الْكَفَافُ وَأَهْلُ الْبَصْرَةِ نَسَرَ أَكْرَاهَةً - رَأْيَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَزُنْزَلَتْ أَقْدَامُهُمْ، فَمَا اصْفَرَرَتِ الشَّمْسُ حَتَّىٰ قَالُوا: أَمِنَّا يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ...، وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ صِيفٍ سَأَلُوهُ نَسَرَ أَكْرَاهَةً، فَأَبَى عَلَيْهِمْ، فَتَحَمَّلُوا عَلَيْهِ بِالْحَسَنِ وَالْحُسْنَىٰ عَلَيْهِمَا وَعَمَّارٌ بْنٌ يَاسِرٌ رَجُلُهُ، فَقَالَ لِلْحَسَنِ: يَا بُنَيَّ، إِنَّ لِلْقَوْمِ مُدَّةً يَلْعُونُهَا، وَإِنَّ هَذِهِ رَأْيَةً لَا يَنْسُرُهَا بَعْدِي إِلَّا الْقَائِمُ (صلواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ)»<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

### «مُؤَلَّفُ شَمْلِ الْصَّالِحِ وَالرَّضَا».

يتحدد هذا المقطع الشري夫 عن المهمة التي يقوم بها الإمام المهدى عليه السلام، وتعد من أولى أولويات قيامه بالعدل والقسط، حيث يقوم بجمع الناس وشامل الأمة على كلمة صالحة - كلمة التوحيد -، وبها يصلح أمر الأمة، ويرضى بعضها على بعض، ويرضى الله تعالى عنها بهذا.

يقوم عليه السلام بعد ظهوره وبعد انتشار الفرق والنزاعات بين الناس بشكل كبير حتى يصعب أن تجد فرداً من أفراد الأمة ليس له منازعة في دين أو فكر أو

(١) مناقب آل أبي طالب (ج / ٣ / ص ٣٠٥).

(٢) الغيبة للنعماني (ص ٣١٩ / باب ١٩ / ح ١).

دنيا، هذا لا يعني أنَّ هذه الحالة لم تكن موجودة مسبقاً إلَّا أنها ستكون على أشدّها قبل أوان ظهوره، فيقوم بالمهمة التي ادْخَرَ من أجلها، وهي لم شمل الناس والتأليف بينهم.

وفي المقطع دلالة لطيفة على أنَّه لا يقوم بجمع الشمل بين الناس وأفراد الأُمَّةِ وحسب، بل إنَّه يقوم بتأليف قلوب هذه الأُمَّةِ، وكأنَّ المقطع يقول: إنَّ الجمع الذي سوف يحصل في زمانه ظاهري وواقعي، شمل تراه العين وتأليف وتألف في أعماق النفس وداخل القلوب.

اعلم أنَّ جمع الناس ليس بالأمر العسير لمن له إمكانات ولديه قدرات، ولكن أنْ يجمع جميع الناس ويُؤلِّف بين قلوبهم هذه مهمَّة نادرة، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ (الأنفال: ٦٣).

وجمع الناس وتأليف قلوبهم يتَّبع الأمر الذي عليه يجتمعون ويتَّألفُ لأجله قلوبهم، والمقطع الشريف يُبيِّنُ أنَّ ما يتَّألفون عليه هو الصلاح - مطلق الصلاح وعلى مختلف الأصعدة وفي جميع الميادين -، فإنَّ الاجتماع على كلِّ أمر صلاح هو ما سيقوم به، وليس ذلك وحسب، بل إِنَّه يقومون بذلك وهم على الرضا والقبول لوجود الإمام المهدى عليه السلام بين ظهريَّنِهم، فهو الذي يهديهم إلى هذا الجمع الفريد والنادر، حيث لم يسبق للكون أنْ شاهد هذه الحالة من الجمع على الصلاح والرضا.

### بعض خصائص دولة الصلاح والرضا:

بعد أنْ تضع الحرب أوزارها، بل وفي أثوابها، تبدأ مرحلة بناء الدولة المهدوية، ودلَّت الأخبار على الدولة وملحقاتها والأحكام والآثار التي ستتضمَّنُها، ومنها:

\* إقامة العدل، والحكم بين أهل الأديان في بداية الدولة بكتابهم:

وممّا دلّ على ذلك ما رواه الشيخ النعماي رحمه الله بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «... إِذَا قَامَ قَائِمٌ أَهْلَ الْبَيْتِ قَسَمَ بِالسُّوَيْةِ، وَعَدَلَ فِي الرَّعِيَّةِ، فَمَنْ أَطَاعَهُ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَاهُ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَإِنَّا سُمِّيَ الْمَهْدِيُّ مَهْدِيًّا لِأَنَّهُ يَهْدِي إِلَى أَمْرٍ خَفِيٍّ، وَيَسْتَخْرُجُ التَّوْرَاةَ وَسَائِرَ كُتُبَ اللَّهِ يُعْلِمُ مِنْ غَارِ بَأْنَاطِيَّةَ، وَيَحْكُمُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْرَاةِ بِالْتَّوْرَاةِ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِالْإِنْجِيلِ، وَبَيْنَ أَهْلِ الزَّبُورِ بِالْزَّبُورِ، وَبَيْنَ أَهْلِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ، وَتَجْمَعُ إِلَيْهِ أَمْوَالُ الْدُّنْيَا مِنْ بَطْنِ الْأَرْضِ وَظَهَرِهَا، فَيَقُولُ لِلنَّاسِ: تَعَالَوْا إِلَى مَا قَطَعْتُمْ فِيهِ الْأَرْحَامَ، وَسَفَكْتُمْ فِيهِ الْدَّمَاءَ الْحَرَامَ، وَرَكِبْتُمْ فِيهِ مَا حَرَمَ اللَّهُ يُعْلِمُ، فَيُعْطِي شَيْئًا لَمْ يُعْطِهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ، وَيَمْلأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا وَنُورًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا وَشَرًا»<sup>(١)</sup>.

\* اكتمال العقول وانتشار دين الإسلام:

وممّا دلّ على ذلك ما رواه الشيخ الكليني رحمه الله بسنده عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إِذَا قَامَ قَائِمٌ وَضَعَ اللَّهُ يَدُهُ عَلَى رُؤُوسِ الْعِبَادِ، فَجَمَعَ بِهَا عُقُولَهُمْ، وَكَمَلَتْ بِهِ أَحْلَامُهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

وروى الشيخ المفيد رحمه الله: (إِذَا قَامَ الْقَائِمُ عليه السلام حَكَمَ بِالْعَدْلِ، وَارْتَفَعَ فِي أَيَّامِهِ أَجْلُورُ، وَآمَنَتْ بِهِ السُّبُلُ، وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ بَرَكَاتِهَا، وَرُدَّ كُلُّ حَقٍّ إِلَى أَهْلِهِ، وَمَبَيِّقَ أَهْلُ دِينِهِ حَتَّى يُظْهِرُوا إِلِّيَّاسَمَ، وَيَعْتَرِفُوا بِإِيمَانِهِ، أَمَّا سَمِعْتَ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، وَحَكَمَ بَيْنَ النَّاسِ بِحُكْمِ دَاؤَدَ وَحُكْمِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام...)<sup>(٣)</sup>.

(١) الغيبة للنعماني (ص ٢٤٢ و ٢٤٣ / باب ١٣ / ح ٢٦).

(٢) الكافي (ج ١ / ص ٢٥ / كتاب العقل والجهل / ح ٢١).

(٣) الإرشاد (ج ٢ / ص ٣٨٤).

\* كثرة البركات وطول الأعماр:

وما ورد في ذلك ما روي عن المفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور رجها، واستغنى العباد عن صورة الشمس، وذهبت الظلمة، وعمر الرجل في ملوكه حتى يولد له ألف ذكر لا يولد فيهم اثنى، وتنظر الأرض كنوزها حتى يراها الناس على وجهها، ويطلب الرجل منكم من يصله بهاله ويأخذ منه زكاته فلا يجد أحداً يقبل منه ذلك، استغنى الناس بما رزقهم الله من فضله»<sup>(١)</sup>.  
 وعنه عليه السلام، قال: «إذا قام قائم آل محمد عليهما بنى في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب، واتصلت بيوت أهل الكوفة بنهر يربلاع»<sup>(٢)</sup>.  
 \* يعلم الأحكام والقرآن كما نزل:

وما ورد في ذلك ما رواه الشيخ المفيد قي شرطه أيضاً عن جابر، عن أبي جعفر عليهما أنّه قال: «إذا قام قائم آل محمد عليهما ضرب فساطيطاً لمن يعلم الناس القرآن على ما أنزل الله به...»<sup>(٣)</sup>.

\* إخراج العلم المكنون وبثه بين الناس:

وما ورد في ذلك ما رواه قطب الدين الرواندي عليهما بسنده عن أبي جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «العلم سبعة وعشرون جزءاً، فجميع ما جاءت به الرسل جزءان، فلما يُعرَف الناس حتى اليوم غير أجزاءين، فإذا قام القائم آخرَ الخمسة والعشرين جزءاً فبئها في الناس، وضم إليها أجزاءين حتى يُثبَّتها سبعة وعشرين جزءاً»<sup>(٤)</sup>.

(١) الإرشاد ج ٢ / ص ٣٨١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الإرشاد ج ٢ / ص ٣٨٦.

(٤) الخرائج والجرائح (ج ٢ / ص ٨٤١ / ح ٥٩).

\* اختلاف حساب السنين ونزول الملائكة على المؤمنين وخدمتهم لهم:  
وما ورد في ذلك ما رواه الشيخ المفيد ت عن عبد الكريما الحنفمي، عن أبي عبد الله عليهما السلام، قال: «... تطول له الأيام والليالي حتى تكون السنة من سنين مقدار عشر سنين من سنينك...»<sup>(١)</sup>.

وروى الطبرى الشيعي ت بسنده عن محمد بن فضيل، عن أبي الحسن الرضا عليهما السلام، قال: «إذا قام القائم يأمر الله الملائكة بالسلام على المؤمنين، وأجللوه معهم في مجالسهم، فإذا أرادوا حاجة أرسل القائم من بعض الملائكة أن يحمله، فيحمله الملك حتى يأتي القائم، فيقضي حاجته، ثم يرده، ومن المؤمنين من يسير في السحاب، ومنهم من يطير مع الملائكة، ومنهم من يمشي مع الملائكة مشياً، ومنهم من يسقى الملائكة، ومنهم من تتحاكم الملائكة إليه، والمؤمنون أكرم على الله من الملائكة، ومنهم من يصير القائم قاضياً بين مائة ألف من الملائكة»<sup>(٢)</sup>.

وروى الشيخ المفيد ت عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليهما السلام، قال: «... مقدار كل سنة عشر سنين من سنينك هذه، ثم يفعل الله ما يشاء»، قال: قلت له: جعلت فداك، فكيف تطول السنون؟ قال: «يأمر الله تعالى الفلك باللبوث وقلة الحركة، فتطول الأيام والسنون»، قال: قلت له: إنهم يقولون: إن الفلك إن تغير فسد، قال: «ذلك قول الزنادقة...»<sup>(٣)</sup>.

### شبهة حكم المهدى ع بغير شريعة الإسلام وجوابها:

قال بعض السلفية: (... بل إن الحكم والقضاء في دولة المتظر يقام على غير شريعة المصطفى...، إذا قام قائم آل محمد حكم داود وسليمان ولا

(١) الإرشاد ج ٢ / ص ٣٨١.

(٢) دلائل الإمامة (ص ٤٥٤ و ٤٥٥) / ح ٤٣٤ / ٣٨.

(٣) الإرشاد ج ٢ / ص ٣٨٥.

يسأل بيّنة...، ولا يحتاج إلى بيّنة...، أنظر كيف يحمل واضعو هذه الروايات - الذين ليسوا ثوب التشيع زوراً وهماناً - بدولة تحكم بغير شريعة الإسلام<sup>(١)</sup>.

قلت: في مقام دفع هذه الفريدة، الحديث يقع في نقاط:

١ - أن النصوص التي ذكرت حكم الإمام عليه السلام بحكم داود عليه السلام فسرت وجه هذا الحكم: «لَا يَسْأَلُ بَيْنَهُ، يُعْطَى كُلُّ نَفْسٍ حَقَّهَا»<sup>(٢)</sup>.

ووجه التشبيه بداود أنه كان يحكم بعلمه لا يحتاج إلى بيّنة، كذلك هو عليه السلام كما ورد: «حَكَمَ فِيهِمَا بِحُكْمِ اللَّهِ لَا يُرِيدُ عَلَيْهِمَا بَيْنَهُ»<sup>(٣)</sup>، وهذا النص يفسّر حكم داود أنه حكم الله، ولأنه واعي لا يحتاج إلى بيّنة.

٢ - في باب القضاء يجوز للقاضي أن يحكم بعلمه فكيف بالمعصوم، وعما ورد في ذلك:

أ - قال البهوي: (وله عليه السلام أن يقضي ويفتي وهو غضبان، وأن يقضي بعلمه ويحكم لنفسه وولده، ويشهد لنفسه وولده، ويقبل شهادة من يشهد له عليه السلام أو لولده، لحديث خزيمة، ولأنه معصوم)<sup>(٤)</sup>.

ب - قال ابن قدامة: (... بناءً على أن القاضي هل له أن يقضي بعلمه؟ على روایتين، لأن قاضي دمشق أخبره به في علمه، ومذهب الشافعی في هذا كقول القاضی هاهنا)<sup>(٥)</sup>.

(١) أصول مذهب الشیعه الإمامیة الاثنی عشریة (ج ٢ / ص ٨٧٢).

(٢) الكافی (ج ١ / ص ٣٩٧ و ٣٩٨) / باب في الأئمة عليهم السلام أنهم إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود... / ح ٢).

(٣) الكافی (ج ٣ / ص ٥٠٣) / باب منع الزکاة / ح ٥).

(٤) كشف القناع (ج ٥ / ص ٣٧).

(٥) المغني (ج ١١ / ص ٤٧٨).

- ج - قال ابن رشد: (إنَّ الْعُلَمَاءَ أَجْمَعُوا عَلَىٰ أَنَّ الْقَاضِيَ يَقْضِي بِعِلْمِهِ) <sup>(١)</sup>.
- د - قال ابن عبد البر: (... ففي هذا الخبر قضاء عمر بعلمه فيما قد علمه قبل ولادته) <sup>(٢)</sup>، وفيه قصة ينبغي عدم تفويت مراجعتها.

### شَبَهَةُ أَنَّ دُولَةَ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ تَخَالَفُ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ:

إِنْ قِيلَ: إِنَّ دُولَةَ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ تَخَالَفُ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ فِي عَدَّةِ مَوَارِدٍ، مِنْهَا مَا نَقَلَهُ هَذَا الْمُسْتَشْكِلُ، قَالَ الْقَفَارِيُّ: (... وَكَذَلِكَ يُغَيِّرُ مُتَنَظَّرَهُمْ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْجُزْيَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَتَنَصُّ رَوَايَاتُهُمْ أَنَّ مُتَنَظَّرَهُمْ بِهَذَا الْمَهْجُورِ يَخَالِفُ هَدِيَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَقُولُ: «وَلَا يَقْبَلُ صَاحِبُ هَذَا الْأَمْرِ الْجِزْيَةَ، كَمَا قَبِلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»)، انتهى كلامه.

وَلِيَتَهُ أَكْمَلَ الرِّوَايَةَ حِيثَ قَالَتْ: «وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩].

ثُمَّ قَالَ: (وَيَكْفِيُ هَذَا الاعْتَرَافُ فِي تَأكِيدِ خَرْوَجَهُ عَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَبْدِيلِهِ لَهَا عَمَدًا...).

### وَالْجَوابُ عَنْهَا:

١ - أَنَّ وَضْعَ الْجُزْيَةِ مِنْ مُخْتَصَّاتِ الْحَاكِمِ الْمَعْصُومِ، فَلَهُ فَرْضُهَا وَلَهُ رَفْعُهَا.

٢ - أَنَّ خَصْوَصِيَّةَ الْإِمَامِ ﷺ فِي هَذَا الْحُكْمِ ظَاهِرَةٌ فِي النَّصِّ الَّذِي بَرَهَ صَاحِبُ الشَّبَهَةِ، فَلِخَصْوَصِيَّةِ إِظْهَارِ الدِّينِ لَا يَأْخُذُ الْجُزْيَةَ.

(١) بِدَايَةِ الْمُجْتَهِدِ (ج٢ / ص ٣٨٥).

(٢) الْإِسْتَدْكَارِ (ج٧ / ص ٩٥).

(٣) تَفْسِيرُ الْعَيَّاشِيِّ (ج٢ / ص ٦٠ / ح ٤٩).

(٤) أُصُولُ مَذَهَبِ الشِّعْعَةِ الْإِمَامَيَّةِ الْأَثْنَيْ عَشَرَيَّةِ (ج٢ / ص ٨٧١ و ٨٧٢).

٣ - أنَّ هناك نصوصٌ أخرىٌ تدلُّ على أنَّ اليهودي والناصبي وغيرهم يعطون الجزية<sup>(١)</sup>، فإذا لم تُقيِّد تلك بزمان معين، فالتعارض ثُمَّ التساقط وترجع للأصل في المسألة.

**شبهة أنَّ الإمام المُهدي عليه السلام سيُغيِّر كتاب الله عليه السلام:**

إنْ قيل: كيف يُسُوَّغ لكم متابعة الإمام المُهدي عليه السلام وهو سيُغيِّر كتاب الله تعالى، وهذا ما قاله نفس المستشكل السابق: (وتصف روایات أخرى عندهم ما يقوم به متظَّرهم من محاولة لصرف الناس عن القرآن بدعوى أنَّه محرَّف، وإخراج كتاب آخر مخالف له، وسعيه لتضليل الناس بدعوى أنَّ كتابه هو الكتاب الكامل الذي أُنْزِلَ عَلَى رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيام (العجم) بالسعي لنشره بين الناس، وتعليمهم إِيَّاهُ، ومواجهتهم صعوبة بالغة لتبديل ما في أفئدة الناس وأذهانهم من كتاب الله...، أَنَّها تفصح عن مكنون نفوس وأضعيفها وأهدافها ضدَّ شريعة الإسلام...، وأنَّ منازعاتهم لحكم ولاة المسلمين...، يرمي إلى إِزالة الحكومة الإسلامية لإقامة دولة أخرى في مكانها تحكم بحكم القائم الموعود<sup>(٢)</sup>). ويقول: (... وهكذا يقوم المزعوم بأمر جديد، وكتاب جديد، وسُنَّة جديدة، وقضاء جديد...<sup>(٣)</sup>).

**والجواب عنها:**

١ - لنسأل صاحب الشبهة: ألم تروِّ مصادر الحديث عنك: «يُوشَك الإسلام أنْ يُدرَس فلا يَقِنُ إِلَّا اسمه، ويُدرَس القرآن فلا يَقِنُ إِلَّا رسمه»<sup>(٤)</sup>،

(١) راجع: تفسير فرات الكوفي (ص ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٥ ح ٨/٣٩٥).

(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية الثانية عشرية (ج ٢ / ص ٨٧٤).

(٣) أصول مذهب الشيعة الإمامية الثانية عشرية (ج ٢ / ص ٨٨٢ و ٨٨٣).

(٤) كنز العمال (ج ١١ / ص ١٨١ ح ٣١١٣٧).

وفي نصٌ آخر: «يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلَّا اسمه، ولا من القرآن إلَّا رسمه»<sup>(١)</sup>؟

فما معنى اندراس القرآن والإسلام وعدم بقاء شيء منها؟ والنصُ الآخر يُعبّر: «لا يبقى»، فهل من يُرجع الإسلام إلى عهد رسول الله ﷺ يكون قد أتى بدين جديد؟!

روى مسلم في صحيحه: «إنَّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»<sup>(٢)</sup>، مع أنَّ عدد المسلمين الآن أضعاف مضاعفة بالقياس إليه حينما بدأ، فليست الغربة المقصودة هنا غربة عدد وإنَّما غربة أحكام وتعاليم، وهو ما يؤكّد أنَّ المهدي ﷺ عندما يخرج هو الذي سيرجع الإسلام جديداً، ويخرجه من غربته ويعيد سُنّة رسول الله ﷺ كما صدرت منه.

فما سيأتي به الإمام المهدي ﷺ نحن مذعنون له مسلِّمون به، لأنَّ ساكن السماء قبل ساكن الأرض عنه راضٍ.

وقد كان بإمكان صاحب الشبهة أنْ يراجع تفسير الآية: **﴿لِيُظْهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كُلُّهُ﴾** (التوبة: ٣٣)، في كُتبه ليعرف ما يقوم به المهدي ﷺ<sup>(٣)</sup>. والغريب أنَّ هؤلاء يتهموننا بما في كُتبهم، وكأنَّ هناك داءً فيهم لا دواء له، وقد لاحظنا في شبّهات مرَّت نظير هذا.

يقول الطبرى: (... ذلك عند خروج عيسى حين تصير الملل كلُّها واحدة...، إذا خرج عيسى عليه أهل كُلِّ دين)<sup>(٤)</sup>، فلا ينقضي العجب أنَّ

(١) خلق أفعال العباد للبخاري (ص ٤٨).

(٢) صحيح مسلم (ج ١ / ص ٩٠).

(٣) يُراجع: تفسير الطبرى، والسمعاني، والواحدى، والشعلبي، وغيرها.

(٤) تفسير الطبرى (ج ١٠ / ص ١٥٠).

المهدي ﷺ إذا قضى بحکم داود عليه السلام صار يهودياً وعلمانيًّا وناسونيًّا، أما إذا أتّعوا عيسى عليه السلام فهم موحّدون مسلمون، ولا أدرى لماذا عيسى وليس المهدي؟!

٢ - الإسلام الجديد والكتاب الجديد والقضاء الجديد، هو على من لم يسمع به يكون جديداً وليس ابتداعاً في الدين، وهو إنما جاء لنشر الدين وهدایة الكون إليه.

وهو جديد لأن الناس لم يطبّقوه بشكل صحيح وإنْ كان أصله موجوداً بين ظهارانيّهم.

\* \* \*

«أَيْنَ الظَّالِبُ بِدَمِ الْمَقْتُولِ بِكَرْبَلَاءِ».

هذا المقطع النبوي هو مقطع الحزن والعاطفة، وفي ذات الوقت هو بصيص الأمل للمحزونين المكلومين والمظلومين، والذي من خلال الإيمان بها سيتحقق على يد المنتقم، فإنّهم يأملون في أن ينصر كل مؤمن مظلوم في المستقبل تحقّق الوعد الإلهي في تحسيد الوفاء بالاقتصاص.

ومن المعلوم أن تحقّق النتائج مرهون بالمقدّمات المستقيمة والمفاهيم الصحيحة.

وأنَّ آية عمليَّة إصلاح لا بدَّ أن تأخذ في مسارها بعدين:

البعد المفاهيمي: وهذا ما قام به الرسول الأكرم ﷺ.

والبعد العملي: المتمثّل بسلوك الإمام الحسين عليه السلام حيث خرج يطلب الإصلاح في أمّة جده ﷺ بعد انحراف المفاهيم ليترتب على هذا انحراف

السلوك على أيدي أصحاب الأغراض النفعية، فتمثلت ثورة الحسين عليهما  
بعملية إرجاع المفاهيم الإنسانية والإسلامية إلى نصاها الصحيح من خلال  
عملية الإصلاح التي خرج عليهما من أجلها.  
ليكتمل كل ذلك على يد صاحب العصر والزمان عليهما.  
ومن هذا المنطلق يجب أن نفهم القضية الحسينية وارتباطها بالقضية  
المهدوية.

**إشكالية الثأر بطلب دم الإمام الحسين عليهما من قبل الإمام الحجة عليهما:**  
تدل جملة من الروايات الشريفة على أن الإمام المهدى عليهما عندما يخرج  
سيطلب بالقصاص والثأر من قتلة الإمام الحسين عليهما، وواجهت هذه  
الروايات جملة من النقود، وحاولت أن تُوَجِّد بيئة تستهدف مفهوم الثأر إلى الحد  
الذي يُوَجِّب التشنيع والاستهجان على من يستعمل هذا المفهوم.  
وفي ثانياً شرح هذه الفقرة نقوم بتسليط الضوء بشكل مناسب لما يثار  
حول مقوله الثأر ودفع ما أثير عليها.

الثأر: (الطلب بالدم، وقيل: الدم نفسه...).<sup>(١)</sup>

والظاهر أن مفهوم الثأر مختلف عند المجتمعات رغم أنه من أقدمها لديهم.  
ولعل الأنسب أن يقال: الثأر حق عند شخص أو جهة يؤخذ قصاصاً.  
ويُعَدُّ الأخذ بالثأر - ضمن نطاق (الجروح قصاص) - من العادات  
الاجتماعية، فلا تخلو أمة من وجود حالات الثأر، يتجلّى ذلك بأدبيّ مطالعة  
لتاريخ الأمم القديم والحديث، فإنّ مفردة الثأر من أدبيات كلّ أمّة، وما ينبغي  
أن يقال: هل هو ثأر انتقام أم ثأر نظام؟

(١) لسان العرب (ج ٤ / ص ٩٧ / مادة ثأر).

فثار أمّة للدفاع عن عرضٍ مغتصب هو ثار مقدّس ودفاع مشروع، وثار أمّة للدفاع عن السيادة والعلم والوطنيّة والأمن ومقام الجلالـة وما إلى ذلك هو دفاع مشروع تقرّه القوانـين ويتبعـه العـقـلـاء في كـلـ الـبـلـدـانـ. وكـمـا أنـّ للـدـولـ مـقـدـسـاتـ، وكـذـا لـلنـظـمـ الـاجـتـمـاعـيـةـ وـالـعـقـلـائـيـةـ سـيـادـةـ وـهـيـةـ، كـذـلـكـ توـجـدـ مـقـدـسـاتـ لـلنـظـمـ الـدـيـنـيـةـ وـالـدـسـاتـيرـ الـشـرـعـيـةـ، وـالـأـشـخـاـصـ الـقـائـمـوـنـ عـلـىـ حـفـظـ هـذـاـ النـظـامـ - أـبـرـزـهـمـ الـأـنـبـيـاءـ وـالـأـئـمـةـ عـلـيـهـلـاـ - فـانـتـهـاكـ حـقـوقـهـمـ وـالـتـعـدـيـ عـلـيـهـمـ منـ أـوـضـحـ مـصـادـيقـ اـنـتـهـاكـ الـسـيـادـةـ الـدـيـنـيـةـ، وـالـمـطـالـبـ بـحـقـوقـهـمـ - أـخـذـ الثـارـ - منـ أـوـضـحـ مـصـادـيقـ الـدـفـاعـ الـمـقـدـسـ وـحـفـظـ النـظـامـ.

### الثار عند الأمم ومراحل تطوره:

ثقافة الثار في المجتمعات من القضايا الواضحة، فإنَّ التاريخ البشري شهد العديد من الصراعات التي نجمت عن طلب الثار، وهذا الثار نجم عنه صراع آخر، وهكذا.

فالثار غريزة بشرية لا يخلو منها أحد، وإنْ كان العـقـلـاءـ وـالـحـكـمـاءـ يـرـوـضـونـ هذهـ الـغـرـيـزةـ وـيـجـعـلـونـهـاـ فـيـ دائـرـةـ النـفـعـ وـالـفـائـدـةـ.

ثقافة الثار موجودة لدى جميع المجتمعات الإنسانية، نعم هي تتعـنـونـ بـعـنـوانـ الـقـانـونـ فـتـكـونـ قـصـاصـاـ، وـبـعـنـوانـ الـانتـقـامـ فـتـكـونـ ثـارـاـ، فـلـوـلاـ الثـارـ الـقـانـوـنـيـ أوـ الـانتـقـامـيـ لـمـ اـنـتـظـمـتـ الـحـيـاـةـ وـلـأـصـبـحـتـ غـابـةـ، وـلـكـانـ الـطـغـاـةـ وـالـمـجـرـمـونـ وـالـسـرـاقـ هـمـ السـادـةـ عـلـىـ الـبـشـرـيـةـ.

نعم تجاوزُ الحدّ في الانتقام خلَفَ العديد من الكوارث في الصراعات وعلى جميع الجغرافيات.

فإذاقرأنا التاريخ الإنساني فإنـّا لا نجد أـيـ استثنـاءـ، فـلـمـ يـخـلـ زـمـانـ أوـ مـكـانـ مـنـ حـوـادـثـ الثـارـ.

حتى في التاريخ الحديث للأمم التي تدعى الرقي والتطور نجد حالات الثأر والانتقام بوضوح، ويكتفي في هذا الصدد ما حصل من قبل الأميركيين مع اليابانيين والانتقام منهم بسبب الهجوم على (بيرل هاربور)<sup>(١)</sup>. كما أنَّ أغلب ما قام به النازي هتلر هو عمليات ثأر وانتقام لما لحق بألمانيا من ذلٌّ وهوان في معاهدات سابقة، وهكذا من يتصفَّ تاريخ الأمم الأوروبية والأمريكية وغيرها سواء الحديثة منها أم القديمة<sup>(٢)</sup>.

أما الأمثلة على واقع ذلك في القبائل العربية التي كان يحكمها النظام القبلي فكثيرة، قد سطّرها التراث الشعري والشري للعرب قبل الإسلام، أما بعده فمنْ تسلّطَ على رقاب المسلمين بعد النبي ﷺ جسَّد مبدأ الثأر والانتقام من العائلة النبوية بوضوح، وواقعة الطفُّ أجلٌ مصدق.

هذا من أجل مصاديق الظلم والخروج عن الحق.

ويبدو أنَّه عندما نرجع إلى أوليات مبدأ الثأر نجد أنَّه وضعَ قانون يحمي الفرد من أنْ يؤخذَ غيلةً وغدرًا من قبل أقرب مقربيه<sup>(٣)</sup>.

فظام الثأر قانون يحمي الفرد، وتطور بتطور الأفراد والمجتمعات، فتوسَّع ليدخل في نطاق العشيرة أو القبيلة أو السلطة لكي تحميه من وقوع الأذى والإهانة أو التعذيب على حقوقه أو الاعتداء عليه، فالثأر الذي سنه الأفراد لحفظ نفوسهم وممتلكاتهم واعتباراتهم، تطور إلى قانونٍ عامٍ ينشده وينادي به الجميع

(١) غارة جوية نفذتها القوات اليابانية عام (١٩٤١م) على الأسطول الأميركي في المحيط الهادئ، أسفَر الهجوم عن قتل ما يقرب من (٣٠٠٠) شخص، فكان الردُّ الأميركي ثاراً فاسياً.

(٢) تشير بعض الدراسات إلى أنَّ حُمسَ الكرة الأرضية كان يعيش النزاعات وحروب الأخذ بالثأر في منتصف القرن الماضي.

(٣) الثأر طبيعة بشرية أم نظام اجتماعي للدكتور قاسم عبده قاسم، مقال منشور من قبل دار عين للدراسات، بتصُّرف.

ليتحقق العدالة لهم، فعامل حفظ التوازن في هذه الحياة يكمن في القانون الذي ترجع بنيته إلى حفظ الحقوق المتمثل بأخذ الثأر من يتطاول على الآخرين بعقوبات جزائية مختلفة حسب القوانين والأعراف والتقاليد، فالثأر في وجه من وجوهه هو في الحقيقة الوجه غير المرئي للقصاص الذي به حياة الأفراد والمجتمعات.

### الثأر مقوله حقٌّ:

قال تعالى: **﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلَنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾** (الإسراء: ٣٣)، وقال تعالى: **﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾** (البقرة: ١٧٩)، وقال تعالى: **﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾** (المائدة: ٤٥).

يظهر من هذه الآيات وأمثالها أنَّ شرع الإسلام - بل كُلُّ شرع - قد سنَّ في قانونه نظام العقوبة، بل إنَّ العقوبة هي حياة النظام، ولإقامة نظام القصاص أصول وقواعد من الشهود والبيانات والثبت في إثبات الحقوق، ثمَّ يأتي دور القصاص في استرداد الحقوق.

### الثأر والقصاص عند أهل الكتاب:

الكتاب المقدس يقول الكثير بشأن الانتقام، وتحمل الكلمات العبرية واليونانية المترجمة (نقطة) أو (ثأر) فكرة العقاب في معناها الأصلي، ومتىًّا ورد بشأن ذلك في وصيَّة الرَّبِّ لموسى وأمره بالانتقام: (وأمر الرَّبُّ موسى): انتقم نقطة لبني إسرائيل من المدينين<sup>(١)</sup>، وفي سفر صموئيل الأول (٣٢ - ١٤): (وثار الشعب على الغنيمة، فأخذوا غنيًّا وبقرًا وعجولاً، وذبحوا على الأرض

(١) موقع إجابات أسئلة كتابية (gotquestions)، حول سؤال: (ماذا يقول الكتاب المقدس بشأن الانتقام؟).

وأكل الشعب على الدم)، وتنقل لنا بعض عبارات المزامير عبارات الانتقام: (خاصم يا رب مخاصمي، قاتل مقاتلي، امسك بمحناً وترساً وانهض إلى معونتي، واسرع رحماً وصدّ تلقاء مطاردي، اقض لي يا الله، وخاصم مخاصمي، بك ننطح مضايقينا بسمك ندوس القائمين علينا) <sup>(١)</sup>.

وفي معجم الالهوت الكتابي يقول: (الانتقام في لغتنا اليوم يعني إيقاع العقاب على التعدي بالردد على الشر بالشر، أمّا في لغة الكتاب فيشير الانتقام أو لا إلى استعادة البر، وإلى الانتصار على الشر... كان على أعضاء القبيلة، في المجتمعات الرحل التي كان إسرائيل منها عند نشأته، أن يتبدلوها تولّي الحماية والدفاع عن ذواتهم، أمّا عند حدوث قتل إنسان فكان ولي الدم ويعُرف عندهم باسم (جويل) هو الذي يأخذ بثار القبيلة فيقتل القاتل (عدد ٣٥ / ٢١) غير أنه بجانب باعث التضامن، كان ثمة اقتناع بأنّ الدم المسفوك، كدم هابيل، يقتضي الثأر (راجع: تكوين ٤ / ١٠، أيوب ١٦ / ١٨) على هذا النحو كان ينبغي صيانة العدل، وحتى بعد أن صار إسرائيل شعباً حضريّاً فقد حافظ على هذه العادة (راجع: صموئيل ٣ / ٢٢ - ٢٧)، وقد يقال عن يوم الرب: إنّه يوم الانتقام (إرميا ٤٦ / ١٠)، حينئذ سيثار الله للعدل كما سيثار لشرفه، وبهذا المعنى يمكن القول بأنّ الله وحده يستطيع أن ينتقم (لنفسه) بُرّ، عدل، خلاص، انتقام: ذلك ما سيأتي به يوم الرب (إشعياء ٥٩ / ١٧ - ١٨)، فقدر ما يكون شعب إسرائيل أميناً على العهد، يستطيع أن يرفع شکواه إلى (جويل) إلى (إله النقمات) <sup>(٢)</sup>.

(١) المزמור (٤٤ / ٥) و (٤٣ / ١) و (٣٥ / ١ - ٣).

(٢) في موقع البشارة، الموسوعة المسيحية العربية الإلكترونية.

### روايات القصاص في كتاب (وسائل الشيعة)<sup>(١)</sup>:

ومن بين تلك الأحاديث الكثيرة التي تضمّنتها الأبواب الآنفة الذكر:

١ - عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ، قال: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا ضَرَبَ رَجُلًا سَوْطًا لَضَرَبَهُ اللَّهُ سَوْطًا مِنْ نَارٍ»<sup>(٢)</sup>.

٢ - وعن علي بن الحسين عليهما في قوله تعالى: «ولكم في القصاص حياءً يا أولي الألباب» [البقرة: ١٧٩]، «... لأنَّ مَنْ هَمَ بالقتل فَعَرَفَ أَنَّهُ يُقتَصُّ مِنْهُ فَكَفَّ لِذَلِكَ عَنِ القَتْلِ كَانَ ذَلِكَ حَيَاةً الَّذِي هَمَ بِقَتْلِهِ، وَحَيَاةً لِهَذَا الْجَنَّانِ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يُقْتَلُ، وَحَيَاةً لِغَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ إِذَا عَلِمُوا أَنَّ الْقِصاص وَاحِدٌ لَا يَجِدُونَ عَلَى الْقَتْلِ مُخَافَةً الْقِصاص»<sup>(٣)</sup>.

٣ - وعن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ في حديث يقول فيه الرَّاوي: سأله عن رجل قتله القصاص، له دية؟ فقال: «لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ يُقتَصَّ مِنْ أَحَدٍ»، وقال: «من قتله الحُدُفَ لَا دِيَةَ لَهُ»<sup>(٤)</sup>، وفي نص آخر: «مَنْ أُقْتَصَّ مِنْهُ فَهُوَ قَتِيلُ الْقُرْآنِ»<sup>(٥)</sup>.

وهذه الأحاديث ظاهرة، بل بعضها صريح في أنَّ الشريعة الإسلامية أقرَّت القصاص، وأنَّ به حياة الناس ونظام المجتمع ورداً للاعتداء، وأنَّها نظمَت عملية العقاب وردع المخالفه وحفظ النظام الفردي والاجتماعي بدقة عالية، ووضعت لكل اعتداء منها صغر حجمه عقاباً يناسبه وبعقوبات مختلفة ذكرتها الروايات مفصلاً، وأشارت النصوص السابقة إلى بعض منها.

(١) وسائل الشيعة (ج / ٢٩ / ص ٩ - ٤٠٤).

(٢) وسائل الشيعة (ج / ٢٩ / ص ٢٢ و ٢٣ و ٢٣٥٠٥٥ ح / ٧ / ٣٥٠٥٥).

(٣) وسائل الشيعة (ج / ٢٩ / ص ٥٣ و ٥٤ ح / ٦ / ٣٥١٣٤).

(٤) وسائل الشيعة (ج / ٢٩ / ص ٦٣ ح / ١ / ٣٥١٥٧).

(٥) وسائل الشيعة (ج / ٢٩ / ص ٦٤ ح / ٢ / ٣٥١٥٨).

### الثار وعقوبة الإعدام في مسلات القوانين:

نعتمد في هذه القراءة على ما صدر من الأمم المتحدة في إطار سلسلة اجتماعات - بين عامي (٢٠١٤ - ٢٠١٢م) - عقدتها المفوضية السامية لحقوق الإنسان، تناولت فيها عقوبة الإعدام وخلفياتها وما إلى ذلك، وجاء من ضمن البحوث المنشورة<sup>(١)</sup> بحث حمل عنوان (أديان العالم وعقوبة الإعدام) نقتبس منه عدّة مواضع:

عند البوذية: (... تشير الأدلة إلى أنَّ معظم دول جنوب شرق آسيا طبَّقت عقوبة الإعدام قبل وقت طويل منذ نشوء البوذية وانتشارها في الهند في فترة (٤٠٠) إلى (٥٠٠) سنة قبل الميلاد).

(توموكو ساساكي)، وهو عضو سابق في البرلمان الياباني تناول موضوع القصاص بقوله: (يُعدُّ القصاص أحد التعاليم الأساسية في البوذية اليابانية، فإذا ما ارتكب شخص عملاً شرِّيراً فعليه أنْ يُكفر عن ذلك من حياته، فإذا أزهقت روحًا فعليك أنْ تُقدم حياتك مقابل ذلك).

يقول (شريلا براهوبادا) مؤسس حركة (هاري كريشنا): (إنَّ السبب وراء معاقبة القاتل بالقتل هو كي لا يعاني في حياته الأخرى الذنب العظيم الذي اقترفه...).

### مقوّمات بناء الدولة في الإسلام وعلاقتها بما جرى على سيد الشهداء عليه السلام:

جاء الإسلام كشريعة مكملة لما سبق من الشرائع، وامتداد لها لبناء

(١) الابتعاد عن عقوبة الإعدام (الحجج، التوجّهات، الآفاق) لإيفان شيمونوفيتش (ص ١٧٥ - ١٨٥). يُراجع بحث أديان العالم وعقوبة الإعدام لماريو مارازيني، المتحدثة باسم جمعية سانت إيجيدو، وعضو حالي في البرلمان الإيطالي.

الإنسان، حيث تكفلت قوانينه بجميع مناحي الحياة، فما من حادثة أو حركة إلا ولها الحكم المناسب والتقين الذي يتکفل حفظ الحقوق والواجبات.

فمنذ بدايات الإسلام، كان دور النبي الأكرم ﷺ في بناء المسلمين يقوم على أساس كون الإسلام ديناً يُنظم الحياة، وما إن وطأت قدماء الشريفتان المدينة المنورة حتى شرع ببناء الأسس التي تقوم عليها الدولة، وتسليم هو بنفسه المناصب القيادية العليا من القضاء والإدارة المدنية والعسكرية والمالية، وبنى المنظومة الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والعقائدية للMuslimين، وفي ظرف (١٠) سنوات أصبحت دولته من أقوى الدول وأعدها وأحفظها لحقوق الإنسان وكرامته، وهيأ أفضل السُّبُل وأسهلها لبسط العدل وأخذ الحقوق والالتزام بالواجبات، منطلاقاً من منظومة إلهية متكاملة أعطته الصالحيات الكاملة.

ولنا أن نسأل: ما هي مقومات بناء الدولة التي أرادها الإسلام وأسس لها النبي الأكرم ﷺ؟

مما لا شك فيه أنَّ من المقومات الأساسية لأيّ دولة هو وجود شعب وأرض وسلطة، إذ لا يمكن قيام دولة بدونها، والسلطة هي التي تُنظِّم شؤون الشعب على تلك الأرض ضمن أنظمة وقوانين وعلى مستويات مختلفة، وبمقدار حفظ الدولة للعدل تتميَّز، وبمقدار إخفاقها فيه تنحدر وتتلاشى.

### انحراف مسار الدولة بعد رحيل النبي ﷺ:

بعد النبي الأكرم ﷺ تعرض المسلمين إلى انتكاسة كبيرة من عدَّة جهات، ومنها تنصيب مَنْ ليس بأهل لإدارة شؤون الدولة، ومن هذا المنطلق تأسَّست لدى المسلمين جملة من المفاهيم الخاطئة والمنحرفة عن جادَّة العدل في بناء الدولة.

استُبدَلت مفاهيم (العدل، القسط، حرمة الظلم، كره الظالمين) بمفاهيم مغايرة لها تماماً «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ وَإِنْ ضَرَبَ ظَهَرَكَ وَأَخْذَ مَالَكَ، فَأَسْمَعْ وَأَطِيعْ»<sup>(١)</sup>، حتى إنَّ جملة من الصحابة وبعد واقعة الحَرَّة في المدينة وتسلُّط يزيد ابن معاوية على الرقاب - وأخذه البيعة من المسلمين على أنْ يكونوا عبيداً -، وأنَّ الخروج عليه وخلع طاعته يوجب المية الجاهلية.

فدخل الإسلام في حالة من غياب الوعي لم يستفق منها الأغلب إلى يومنا هذا، حيث بُنيت المنظومة المعرفية والسلوكية تحت نظر الحاكم الظالم وسياطه.

ولعلَّ أغلب ما يُثار حول الإسلام في زماننا من شبهات وتشكيكات منشؤها المنظومة الفكرية الخاطئة التي تأسست على مفاهيم مغلوبة، فنشأ من ذلك تراث منسوب للدين مبنيٌ على أساس محجوجة عقلاً وعقلاً، كان الهدف من ورائها تثبيت سلطة الحاكم الظالم مهما كان الثمن، حتى إنَّ أبواب السلطة آنذاك كانت تخشى أنْ تبوح بعض الحقائق الواضحة<sup>(٢)</sup>.

لقد تمَّ استخدام الدين أسوأ استخدام لتحصيل مآرب السلطة وديموميَّة بقائها، فانقلبت المفاهيم رأساً على عقب، وصدقَت على ذلك الزمان مقولَة النبي الأكرم ﷺ التي نقلها الخبر الصحيح عن مسَعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ، عنْ أَبِي عَبْدِ الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: كَيْفَ يُكْمِنُ إِذَا فَسَدَتْ نِسَاءُكُمْ، وَفَسَقَ شَبَابُكُمْ، وَلَمْ تَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَلَمْ تَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، فَقِيلَ لَهُ: وَيَكُونُ ذَلِكَ، يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَشَرٌّ مِنْ ذَلِكَ، كَيْفَ يُكْمِنُ إِذَا أَمْرَثُمْ بِالْمُنْكَرِ وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ، فَقِيلَ

(١) صحيح مسلم (ج ٦ / ص ٢٠).

(٢) عن أبي هريرة، قال: (حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين، فأما أحدهما فبنته، وأما الآخر فلو بنته قُطع هذا البلعوم). صحيح البخاري (ج ١ / ص ١٠١ / ح ١١٢).

لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ وَشَرُّ مِنْ ذَلِكَ، كَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا<sup>(١)</sup>.

فتغيّرت المنظومة من **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ** (النحل: ٩٠)، إلى (أنَّ العدل هو ما يراه السلطان)، هذا هو فعلاً ما حصل، فقد بَنَت السلطنة بالمال والسلاح منظومة معرفية دينية أحادية الطرف، ليس فيها مجال لسماع الرأي الآخر فضلاً عن العمل به، ومن يحرب على المخالفه فسوف تقوم الدولة بسحقه واستخدام أشدّ وسائل الإقصاء والتنكيل به وبنمن يتبعه. من هنا صار الخروج على الدولة - وإنْ كانت تمارس أشدّ وأقسى أنواع الظلم - ظلماً ومحرماً وغير مشروع.

وقد قادت الدولة الفاسدة مشروعها من خلال حروب إعلامية منظمة انتهت إلى تكذيب مَنْ يَدَعُونَ أنَّ لدِيهِ القدرة على إقامة العدل.

فلاحظ أنَّ الإمام الحسين بن عليٍّ عليه السلام سبط نبِيِّ الإسلام عليه السلام وابن فاطمة عليها السلام يخرج للحرب ومعه حريمها وأولاده وإخوته ولا يخرج معه إلَّا نفر قليل، فأيُّ ماكنة إعلامية ضخمة منعت الناس عن اللحوق به والقتال معه دفعاً للظلم عن أنفسهم.

في الحقيقة مَنْ ينظر إلى الأحداث التاريخية في تلك الفترة، يؤمن أنَّ الإسلام لم يبق منه شيء على الأرض سوى الاسم.

من هنا رفع الأئمَّة عليهم السلام من بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام شعار النصرة لحركته عليه السلام فقط، ولم يدخلوا ميدان الحرب العسكرية، فمنْ هو الذي يكون أفضل من الحسين عليه السلام ليقود الإصلاح في أمَّة جَدَّه؟! ومع ذلك يُقتل شَرَّ قتلة عرفتها البشرية.

(١) الكافي (ج ٥/ ص ٥٩/ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر/ ح ١٤).

## الحركة الحسينية والبناء الديني لإصلاح المنظومة الفكرية والسلوكية للمجتمع:

بعد الانهيار الكبير لمنظومة الدين على مختلف الصعد، لم يكن من بد إلا أن يخرج الإمام الحسين عليه السلام ليرفع رأية الإصلاح وإرجاع الأمور إلى نصابها التي كانت على عهد النبي الكريم عليه السلام، ولم يكن مهما له أن يتحقق الانتصار العسكري، بل كان يعلم بعدم تحققه، وأنه مقتول ومن معه لا محالة.

فقد ورد في جملة من الروايات ما يفيد هذا المعنى، ومنها ما رواه الشيخ المفيد في كتابه عن أم سلامة رضي الله عنها أنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندنا ذات ليلة، فغاب عنا طويلاً، ثم جاءنا وهو أشعث أغبر ويده مضمومة، فقلت: يا رسول الله، ما لي أراك شعثاً مغبراً؟ فقال: «أسرى بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له: كربلاء، فأريت فيه مصرع الحسين إبني وجماعة من ولدي وأهلي بيتي، فلما أزل القطف دماءهم، فها هي في يدي»، وبسطها إلى، فقال: «خذنيها واحتفظ بيها»، فأخذتها، فإذا هي شبه تراب أحمر...<sup>(١)</sup>.

خرج عليه السلام وهو يعلم بمصيره وأنه مقتول ويقول: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجمت لطلب الإصلاح في أمم جدي عليه السلام، أريد أن أمر بالمعروف وأنهي عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي عليه بن أبي طالب عليه السلام، فمن قلبي يقبوْل الحق فالله أولى بالحق»<sup>(٢)</sup>.

إنَّ الحسين عليه السلام رسم خارطة إصلاح واضحة المعالم.

من هنا نفهم أنَّ الأئمَّة عليهما السلام عندما كان يُعرض عليهم القيام والنهوض،

(١) الإرشاد (ج ٢ / ص ١٣٠)؛ وهناك نصوص عديدة في هذا الصدد من المناسب مراجعة كتاب كامل الزيارات للشيخ جعفر بن محمد بن قولويه من (ص ١٢١ - ١٦٠)، للاطلاع عليها.

(٢) بحار الأنوار (ج ٤٤ / ص ٣٢٩ و ٣٣٠).

وذلك عندما يتراهى البعض أنَّ الوقت قد حان، فإنَّهم يقولون: «ما أنت مِنْ رجَالٍ، وَلَا أَلَّا زَمَانٌ زَمَانِي»<sup>(١)</sup>، وفي ذات الصدد عندما يأتي أحدهم إلى الإمام الصادق عليه السلام بكتاب أبي مسلم، فيقول عليه السلام له: «لَيْسَ لِكِتَابِكَ جَوَابٌ»<sup>(٢)</sup>، وفي نص آخر أجمل من سابقيه يقول المعلى بن خنيس: «دَهْبَتْ بِكِتَابِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ نُعَيْمٍ وَسَدِيرٍ وَكُتُبِ غَيْرِ وَاحِدٍ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام حِينَ ظَهَرَتِ الْمُسَوَّدَةُ قَبْلَ أَنْ يَنْظَهَرَ وُلْدُ الْعَبَّاسِ بْنَ أَبِي قَدْرَنَا أَنْ يَؤُولَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَيْكَ، فَمَا تَرَى؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِالْكُتُبِ الْأَرَضَ، ثُمَّ قَالَ: «أَفَ أَفَ، مَا أَنَا لَهُوَ لَاءٌ بِإِيمَامٍ، أَمَّا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَقْتُلُ الْسُّفِيَّانِيَّ»<sup>(٣)</sup>.

يقول الشيخ المفيد عليه السلام في سيرة الأئمة عليهم السلام على عدم الخروج بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام إلى أن يقوم الإمام الحجَّة بن الحسن عليه السلام: (إنَّ ملوك الزمان إذ ذاك كانوا يعرفون من رأي الأئمة عليهم السلام التقىَة، وتحريم الخروج بالسيف على الولاة، وعيوب من فعل ذلك من بنى عَمِّهم ولوهمهم عليه، وأنَّه لا يجوز عندهم تحرير السيف حتَّى تركد الشمس عند زوال، ويُسمَع نداء من السماء باسم رجل بعينه، ويُحَسَّفُ باليدياء، ويقوم آخر أئمَّة الحق بالسيف ليزيل دولة الباطل، وكانوا لا يكثرون بوجود مَنْ يوجد منهم، ولا بظهور شخصه، ولا بدعة مَنْ يدعوه إلى إمام، لأَمَانِهِم مع ذلك من فتق يكون عليهم به، ولا اعتقادهم قلة عدد مَنْ يصغي إليهم في دعوى الإمامة لهم، ويُصدِّقُهم فيما يُخْبِرون به من متَّظرٍ يكون لهم)<sup>(٤)</sup>.

(١) المِلَلُ وَالنَّحْلُ للشهرستاني (ج ١ / ص ١٥٤)، ردُ الإمام الصادق عليه السلام على كتاب أرسله أبو مسلم إليه.

(٢) الكافي (ج ٨ / ص ٢٧٤ / ح ٤١٢).

(٣) الكافي (ج ٨ / ص ٣٣١ / ح ٥٠٩).

(٤) الفصول العشرة (ص ٧٤).

فكان دور الأئمة عليهما منصبًا على بيان أنَّ الإمام الحسين عليهما قتيل الله وقتل رسوله عليهما، وأنَّه مصلح هذه الأئمة على امتداد الزمان، فينبغي أن يكون حاضرًا عند الناس في كل زمان ومكان، فكانوا عليهما يؤكّدون - كلَّما سُنحت فرصة - على ارتباط الإمام الحسين عليهما برسول الله عليهما وأنَّه امتداد له، وأنَّ الله تعالى وأنبياءه وملائكته قد لعنوا قاتل الحسين بن علي عليهما، وأنَّ قتله كان معلومًا لدى جميع الأنبياء والملائكة، وبكى لذلك جميع ما خلق الله تعالى حتَّى السماء والأرض، وأكَّدوا عليهما على إحياء ذكر الحسين عليهما بمختلف درجات الإحياء<sup>(١)</sup>.

فالروايات الشريفة التي نطالعها في هذا الصدد تُبرِّز هذه الصورة، وأنَّ الحركة الحسينية هي الحركة الوحيدة القادرة على بناء المنظومة الدينية الصالحة لقيادة البشرية نحو الأفضل، وأنَّ ركيزة هذه الحركة هو العدل، وأنَّ الاعوجاج الموجود في كل زمان إنَّما هو في الابتعاد عن هذه المنظومة.

فإنَّه وإنْ كان التعتيم شديداً وقاسياً، إلَّا أنَّ الأئمة عليهما استطاعوا وبجدارة إيصال المنظومة الحسينية إلينا، بل وإلى البشرية - لو اطلعت -، فما علينا سوَى تفعيل المقدار الذي يقع علينا والباقي بعهدة الإمام عليهما الذي ينتظر أنْ يقوم الآخرون بأدوارهم في الاستمداد من العطاء الحسيني.

نعم لا زال التعتيم وبحجم كبير يمنع الكثير من أصحاب القلوب النقية من الوصول إلى هذه المنظومة الإلهية، وهنا يأتي دور الرائدين والمخلصين من

(١) من المناسب جدًا الاطلاع على فهرست كتاب كامل الزيارات للشيخ جعفر بن محمد بن قولويه عليهما، وهو من أعظم الكتب تأليفاً ومؤلفاً، فإنَّ فيه أبواباً كثيرة تُوضح الصورة التي أبرزها الأئمة عليهما لمقام الإمام الحسين عليهما وأهميَّته في الإصلاح الديني والارتباط القليبي وتحسيد المبادئ التي خرج من أجلها.

العارفين بالحسين عليه السلام ونهايته في تعريفها للناس بالأسلوب والطريقة المؤثرة والنافعة.

وهذا ما يحتاج إلى وجود الإمام عليه السلام - في إطار منظومة عقائدية متكاملة -، فيكون الطلب بثأر الإمام الحسين عليه السلام هو طلب بالثأر للعدل المستلب على مر الزمان، فهل يبقى لقوله: (إنه انتقام شخصي) وغيرها مما سمعناه من مقولات و شبّهات معنى؟

### ال شبّهات المثارية حول الثأر المهدوي:

أُشيرت حول النصوص التي دلت على أنَّ الحجَّة بن الحسن عليه السلام يأخذ بثأر الإمام الحسين عليه السلام عدَّة أسئلة وإشكالات يرجع في الغالب غيرها من الإشكالات وال شبّهات الأخرى إلى واحدة منها.

#### الشبّهـة الأولى: الثأر المهدوي نزاع بين قبيلتين:

الصراع بين العلوين والأمويين صراع متَّدٌ إلى زمان النبي الأكرم صلوات الله عليه، بل ما قبله، وهذه النصوص التي تتحدث عن الثأر المهدوي إنما تتحدث عن هذا الصراع الشخصي، ولا علاقة لها بالعقيدة والدفاع عنها.

#### والجواب عن ذلك:

١ - أنَّ الصراع بين بيت النبوة وبني أمية ليس صراعاً قبلياً، بل هو صراع مبادئ، فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنا وآل أبي سفيان أهل بيتهنَّ تعادينا في الله، قلنا: صدَّقَ اللهُ، وَقَالُوا: كَذَّبَ اللهُ، قَاتَلَ أَبُو سُفِيَّانَ رَسُولَ اللهِ صلوات الله عليه، وَقَاتَلَ مُعَاوِيَةَ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، وَقَاتَلَ يَرِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ أَخْسِيَّ بْنَ عَلَيَّ عليه السلام، وَالسُّفِيَّانِيُّ يَقَاتِلُ الْقَائِمَ عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

(١) معاني الأخبار (ص ٣٤٦ / باب معنى قول الصادق عليه السلام: «إنا وآل أبي سفيان أهل بيتهنَّ تعادينا في الله صلوات الله عليه» / ح ١).

٢ - لو تنزلنا فما المانع أن يكون الصراع القبلي صراع مبادئ وقيم - مع ذلك يُسمّيه البعض قبلياً -، فليس كُلُّ صراع قبلي باطلًا، فهناك من الصراعات القبلية ما يتشرّف به أبناؤها كقبيلتي همدان ومذحج اللتين أبليتا بلاءً قلَّ نظيره في نصرة الإسلام، فحميّة أبناء القبيلة ونصرتهم للدين والمبادئ حميّة قيميّة وليس تعصيّة. ويؤكّد هذا المعنى أنَّ القبائل في المجتمع الإنساني منطلق لبناء المنظمات التي أسّست الدول والقوانين، وتقديم أنَّ هذه الأنظمة وُجدت لحفظ النظام وعدم التعدي على الحقوق وتحجيم أو إهانة أفعال الظلمة، ولو لا هذا الوجود القبلي لما كان للوجود الإنساني أنْ يرى التطور والرقي المدني، فقوانين القبائل هي نواة بناء المجتمعات، ولا زالت تتمتع بمساحة واسعة من الاحترام والدور في بناء النظم وحفظ الحقوق، فليس كُلُّ ما يمثّل إلى القبيلة مقوتاً ومذموماً.

الشّبهة الثانية: أهل البيت عليهما السلام بيت الرحمة والعفو، وهذا لا ينسجم مع

الثأر والانتقام:

صدور روایات عن أهل بيت الرحمة والعفو عليهما السلام طالب بالانتقام والثأر لا نتعّله، فمنْ كانت سماتهم العفو عن ظالمهم وكظم الغيض عمّن اعتدى عليهم كيف يُتصوّر في حقّهم أنْ يمارسوا الانتقام والثأر؟ إنَّ هذه المقوله لا يصحُّ الحديث فيها أمام هذه الذوات الملؤة عطفاً ولطفاً ورحمةً، فهم فيض الوجود وأوسع أبواب الرحمة الإلهية. فلا بدَّ من رفض هذه الروایات، ولعلّها افتُعلَت في أزمنة متأنّرة من قبل الغلاة لتحقيق أهداف ضيّقة.

قبل الجواب عن هذه الشّبهة نستعرض جملة من الروایات الواردة في هذا الصدد والتي تحدّث عن الثأر لشهادة الإمام الحسين عليهما السلام على يد الحجّة بن الحسن عليهما السلام، وهي:

١ - عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْبَرَىءَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلَنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]، قَالَ:

«ذَلِكَ قَائِمُ آلِ مُحَمَّدٍ، يَحْرُجُ فِي قِتْلُ بَدْمَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ الْبَرَىءَةُ، فَلَوْ قَتَلَ أَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكُنْ مُسْرِفًا، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ لَمْ يَكُنْ لِيَصْنَعَ شَيْئًا يَكُونُ سَرَفًا»، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْبَرَىءَةُ: «يُقْتَلُ وَاللَّهُ ذَرَارِيَّ قَتْلَةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ الْبَرَىءَةُ بِفَعَالِ آبَائِهَا»<sup>(١)</sup>.

فَعَظِيمُ الْمُصِيَّبَةِ يَسْتَدِعِي هَذَا الْفَعْلُ، أَيْ إِنَّهُ إِنْ فَعَلَ، فَلَيْسَ فِي فَعْلِهِ إِسْرَافٌ لَعَظِيمٌ مَا وَقَعَ، وَلَكِنَّهُ لَا يَفْعُلُ إِلَّا بِمَا يَنْسَبُ مَقَامَهُ وَشَانَهُ، فَلَا يَأْخُذُ بِالْجُرْمِ إِلَّا مَنْ يَرْتَضِي فَعَالَ الْآبَاءِ الَّذِينَ لَوْ أُتْيَحْتُ لَهُمُ الْفَرْصَةُ لِكَرَّرُوهَا.

٢ - عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مَهْرَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْبَرَىءَةِ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا عُدُوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]، قَالَ: «أَوْلَادُ قَتَلَةِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ الْبَرَىءَةُ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَدْ أَفْرَدَ الشَّيْخُ جَعْفَرُ بْنُ حَمْدَ بْنُ قَوْلُوِيِّهِ عَلَيْهِ الْبَرَىءَةُ فِي كِتَابِهِ الْقِيمِ (كَامِلُ الْزِيَاراتِ) بَابًا تَحْتَ عَنْوَانِ (مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ الْبَرَىءَةُ وَانتِقَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) وَلَوْ بَعْدَ حِينَ)، وَمَمَّا جَاءَ فِيهِ بِسْنَدِهِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ الْبَرَىءَةِ، قَالَ: «... وَاللَّهُ لَقَدْ قُتِلَ قَتْلَةُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ الْبَرَىءَةُ وَلَمْ يُطْلَبْ بِدَمِهِ بَعْدُ»<sup>(٣)</sup>.

فَالِانتِقَامُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

٣ - عَنْ حُمَّادِ بْنِ حُمَّارَانَ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْبَرَىءَةُ: «لَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ الْبَرَىءَةِ مَا كَانَ ضَاجَّتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَيْهِ اللَّهِ بِالْبُكَاءِ، وَقَالَتْ: يُفْعَلُ هَذَا بِالْحُسَيْنِ صَفِيِّكَ وَابْنِ نَبِيِّكَ؟»، قَالَ: «فَأَفَقَامَ اللَّهُ لَهُمْ ظِلَّ الْقَائِمِ عَلَيْهِ الْبَرَىءَةُ، وَقَالَ: إِهْدَا أَنْتَقِمُ لَهُمَا»<sup>(٤)</sup>.

(١) كامِلُ الْزِيَاراتِ (ص ١٣٥ و ١٣٦ و ١٥٧ ح ٥/١٥٧).

(٢) كامِلُ الْزِيَاراتِ (ص ١٣٦ ح ٦/١٥٨).

(٣) كامِلُ الْزِيَاراتِ (ص ١٣٤ ح ٢/١٥٤).

(٤) الْكَافِي (ج ١ / ص ٤٦٥ / بَابُ مُولَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ الْبَرَىءَةُ / ح ٦).

فالمتقم هو الله تعالى بواسطة الإمام عليه السلام.

٤ - عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «القائم والله يقتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهما»<sup>(١)</sup>.

٥ - وفي الحديث الصحيح عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: قلتُ لـ أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله، ما تقول في حديث روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهما»، فقال عليه السلام: «هو كذلك»، فقلتُ: فقول الله تعالى: «ولَا تَزِرُ وَازْرَةً وِزْرَ أَخْرَى» [الأنعام: ١٦٤]، ما معناه؟ فقال: «صدق الله في جميع أقواله، لكن ذراري قتلة الحسين يرثون أفعال آبائهم ويفتخرُون بها، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاها، ولو أن رجلاً قُتل في المشرق فرضي بقتله رجل في المغرب لكان الراضي عند الله شريك القاتل، وإنما يقتلون القائم إذا خرج لرضاهما بفعل آبائهم...»<sup>(٢)</sup>.

وتجيئ هذا المضمون يظهر جلياً من استعمالات العرب، فهو من يخاطبهم بلغتهم، فمثلاً يقال للرجل الذي غزا قومه قوماً آخرين وقتلواهم: أغرتكم وفعلتم كذا، فيقول العربي: فعلنا ببني فلان وسيناهم، ولا يريد أنه باشر ذلك بنفسه، ولكن يفخر، ولأنه هؤلاء الخلف راضون بفعال السلف ويرون صواب فعلهم، فصح أن يقال: أنت فعلتم.

٦ - وفي بعض نصوص الأدعية والزيارات وردت مضامين مشابهة لما ذكرته الروايات بصيغة الدعاء والطلب، منها:

أ - ما في مقطع من زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «... فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي أَكْرَمَ

(١) ثواب الأعمال (ص ٢١٧).

(٢) علل الشرائع (ج ١ / ص ٢٢٩ / باب ١٦٤ / ح ١).

مَقَامَكَ أَنْ يُكْرِمَنِي بِكَ، وَيَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكَ مَعَ إِمَامٍ مَنْصُورٍ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ...»، وَفِي مَقْطُوعٍ أَخْرَى مِنْهُ: «... وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكُمْ مَعَ إِمَامٍ مَهْدِيٍّ نَاطِقٍ لَكُمْ...»<sup>(١)</sup>.

ب - وَفِي مَقْطُوعٍ أَخْرَى مِنْ زِيَارَةِ الْإِمَامِ الْحَسِينِ عَلَيْهِ الْكَلَامُ: «... وَأَنْ يُوَفِّقَنِي لِلِّطَّلِبِ بِشَارِكُمْ مَعَ الْإِمَامِ الْمُنْتَظَرِ الْهَادِيِّ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ...»<sup>(٢)</sup>.

بَعْدَ هَذَا الْإِسْتِعْرَاضِ يَتَبَيَّنُ لَنَا:

١ - أَنَّ جَمْلَةَ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ نَطَّمَنُ بِصُدُورِهَا، فَإِنْكَارُهَا دُونَ مُبَرِّرٍ مَجَازِفَةٍ وَقُولَّ بَلَّا دَلِيلٍ.

٢ - لَا يَصُحُّ رَفْضُ رِوَايَةٍ صَحَّ صُدُورُهَا إِلَّا لِسَبَبِ وَجْهِهِ، وَمِنْهُ أَنْ تَكُونُ مُخَالِفَةً لِلْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ، فَيُسْتَكَشِّفُ صُدُورُهَا تَقْيِيَّةً مُثْلًا، وَفِي الْمَقَامِ لَا يَوْجِدُ مُبَرِّرٌ لِرَفْضِ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ لِمَوْافِقَتِهَا لِلْكِتَابِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ (الْبَقْرَةُ: ١٧٩).

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ هَذَا يَخْالِفُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الْأَنْعَامُ: ١٦٤).

قَلَنَا: إِنَّ الْإِمَامَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ تَكَفَّلُ بِجَوَابِ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «لِرِضَا هُمْ بِفِعْلِ آبَائِهِمْ».

٣ - جَمِيعُ الْإِلَهِيِّينَ يَعْتَقِدونَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ مُنْتَهِيُّ الرَّحْمَةِ وَاللَّطْفِ وَالرَّأْفَةِ، وَفِي ذَاتِ الْوَقْتِ يَعْتَقِدونَ بِأَنَّهُ أَعْدَلُ الْعَادِلِينَ وَأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَأَنَّهُ لَا يَضِيِّعُ حَقًّا، بَلْ ذَرَّةً مِنْ عَمَلٍ، وَمَا حَصَلَ مَعَ الْحَسِينِ عَلَيْهِ الْكَلَامُ بِوَصْفِهِ امْتِدَادًا طَبِيعِيًّا لِلنَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ يَقْتَضِي إِنْزَالَ أَشَدَّ الْعَقَوْبَاتِ فِي مَنْ أَجْرَمَ بِهِ فَعَلًا أَوْ قَوْلًا.

(١) كَامِلُ الْزِيَاراتِ (ص ٣٢٩ و ٣٣٠ ح ٥٥٦/٩).

(٢) مُسْتَدِرُكُ الْوَسَائِلِ (ج ١٠ / ص ٤١٣ ح ١٢٢٧٣/١٦).

وقد تقدّم وصف قتله وانتهاك حرمته في بعض النصوص السابقة أَنَّه قتل للإسلام، وتعطيل للحلال والحرام، وَأَنَّ عَلَى هذا المصاب حزن جميع الوجود، أَفَلا يَحْقُّ هذه الوجودات الحزينة أَنْ تسترَدَّ حَقَّهَا المسلوب طيلة قرون ودهور؟ أَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْعَدْلُ؟

٤ - تقدّم في نصوص عديدة أَنَّ ما خرج من أجله الحسين عَلَيْهِ الْكَلَّا ليس منفعة شخصية أو حَقًّا مُعْتَصِبًا، إِنَّما هو إصلاح إنساني ديني، فهو خرج من أجل إرجاع المبادئ إلى نصابها وإعطاء الحقوق لأهلهَا، فالدفاع عن مظلّمته والاقتصاص من قتله هو دفاع عن النظام الإنساني والديني ومبادئ العدل والحق.

**الشَّبَهَةُ الْثَالِثَةُ: لَوْ قُتِلَ أَهْلُ الْأَرْضِ لَمْ يَكُنْ مُسْرَفًا وَجَوَابُهَا:**

بعض الروايات تقول: لَوْ قُتِلَ أَهْلُ الْأَرْضِ لَمْ يَكُنْ مُسْرَفًا، وهذا لا يُعقل، إِذ لَوْ سَلَّمَنَا أَنَّ الرَّاضِيَ بِقُتْلِهِ شَرِيكَ فِي الْجَرْمِ، فَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَرْضِ مُشَتَّرُكُونَ فِيهِ، فَكَيْفَ سَاعَ تَحْوِيزِ قُتْلِ أَهْلِ الْأَرْضِ جَمِيعًا اِنْتَقامًا؟

**وَالْجَوابُ عَنْ ذَلِكَ:**

١ - أَنَّ مَا وَرَدَ فِي هَذَا النَّصْ فِرْضٌ «لَوْ قَتَلَ»، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ مُقَيَّدٌ بِتَقْيِيدَاتٍ كَثِيرَةٍ ذُكِرْنَاها فِي الرَّوَايَاتِ الْمُتَقْدِمَةِ، مِنْ قَبْلِ التَّقْيِيدِ بِ«رِضَا هُمْ بِهِ فِعْلٌ آبَائِهِمْ»، كَمَا ذُكِرَ الْمُسْتَشْكَلُ، فَهُوَ مِنْ بَابِ ذُكْرِ الْعَامِ وَالْمُطْلَقِ اِعْتِدَادًا عَلَى وَجْهِ الْمُخَصّصِ وَالْمُقَيَّدِ.

٢ - أَنَّ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا النَّصْ أَنَّ كُلَّ مَنْ رَضِيَ بِهِذَا الْفَعْلِ، فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ رَضُوا كَانُوا مُسْتَحْقِقِينَ لِلْقَصَاصِ.

٣ - الْاعْتِدَاءُ عَلَى الْمَعْصُومِ لَيْسَ هُوَ الْاعْتِدَاءُ عَلَى ذَاتِهِ فَقْطُ، بَلْ عَلَى مَقَامِهِ، وَمَنْ لَهُ مَقَامٌ لَا يَضَاهِي فَيَكُونُ قَتْلُ الْعَالَمَ أَيْسَرُ مِنْ قَتْلِهِ وَالْتَّجَازُ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ نَجَدَ الْإِمَامَ عَلَيْهِ الْكَلَّا فِي نَفْسِ الْحَدِيثِ بَعْدَ أَنْ قَالَ: «فَلَوْ قَتَلَ أَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكُنْ

مسِرِفًا»، أي إنَّ واقع ما حصل على الحسين عليه السلام لا يضاهيه شيء، ولا يُسمَّى الانتقام له إسراًفًا ولو كان بقتل كُلَّ أهل الأرض إنْ كانوا راضين بفعل القتل، ولكنَّه في ذات الوقت يقول عليه السلام: «لَمْ يَكُنْ لِيَصْنَعْ شَيْئًا يَكُونُ سَرَفًا»، أي هذا منه ليس سرَفًا لواقع ما حصل على الحسين عليه السلام.

الشَّيْهَةُ الرَّابِعَةُ: رجحان العفو واستحبابه ينافي الأَخْذُ بالثَّأْرِ وجوابها:

دَلَّتِ الروايات على رجحان العفو واستحباب العفو عن القاتل من قِبَلِ المؤمنين، وأهل البيت عليهم السلام أولى بذلك منهم، وهذا يتنافى مع مقوله الثَّأْرُ والانتقام التي ينسبها أتباع المذهب إليهم.

والجواب عن ذلك:

١ - أنَّ الروايات التي تحدَّث عن العفو هي تتحدَّث عن مقام آخر غير مقام إثبات الحقّ، فبعد أنْ يثبت الحقُّ ويتجَلِّ حجم الاعتداء ويعترف المعتدي يأْتِي دور العفو، أمَّا مَنْ لا يعترف بذلك ويتمادِي ويرضي بفعل الآباء والأجداد، فإنَّ العفو عن أمثال هؤلاء يُعدُّ جيناً وتحاذلاً، وهو نقص في كمالات الإنسان فضلاً عن المقصوم، فالذي يُعدُّ كهالاً ورفعةً هو العفو بعد اعتراف المذنب وإقراره. نعم، لا بدَّ أنْ يكون الإقرار في ظرف مناسب، وليس بعد فوات الأوان كما حصل مع فرعون ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الآنَّ وقد عصيَتْ قَبْلَ وَكَنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿يُونس: ٩٠﴾.

٢ - أنَّ الحقَّ الذي يطالب بإسقاطه صاحب الشَّيْهَةِ ليس هو حقًا تابعًا لشخص إنَّما هو حقٌّ عامٌ، حقُّ الاعتداء على منصب الإمامة.

الشَّيْهَةُ الْخَامِسَةُ: الثَّأْرُ يُشكِّلُ أَزْمَةً خطاب عالِيٍّ:

سَلَّمَنَا أَنَّ ما سيقوم به الإمام المُهَدِّي عليه السلام هو من الأمور الحسنة عقلاً

وشرعًا، بل هو لازم لما تقدم من وجوه، ولكن ذلك لا ينفي أنَّ التصريح به منفرٌ على مستوى الخطاب العالمي، فإنَّ الجمهور العريض من الناس بعيدون عن الدين ولا يرغبون به لما يتصورونه من تقييد لحرّياتهم، فإذا انضمَّ إليه أمثال هذا الخطاب العدوانى، فإنه سيؤكّد ما في أذهانهم من شبّهات حول الدين، فكان الراجح على المشرع ترك مثل هكذا خطاب لما فيه من المنفِّرية الظاهرية.

**والجواب عن ذلك:**

١ - إذا سلَّمنا أنَّ هناك حسناً في أخذ الثأر، بل هو كذلك لما فيه من إقامة للعدل ونظم الحياة، فلا وجه للإشكال على ذلك بأنَّ إثارته منفرة منه، مع أنَّ أمثال هذه العبارات لا زالت مستعملة إلى يومنا هذا من أكثر الدول والمنظّمات العالمية التي تتقدّر المشهد الحقوقى العالمي، كما تقدّم.

٢ - الخطاب الديني خاضع لضوابط وآليات، هي في العادة تلاحظ العرف ومرتكزاته وما يتعامل به في خطاباته، فهو يستخدم نفس الأدوات والمواد التي يستعملها الناس في التعبير عن مقاصدهم، واستعماله لهذه المفردات يعني أنَّ الطابع العامَّ من الناس يألفها ويأنس بها، أمَّا أمَّا لاتروق للبعض، فالإشكال حينئذٍ في هذا البعض ونظرته الضيّقة تجاه الخطاب الديني، وفي العادة منها كان الخطاب موزوناً فإنَّه لا يكون مرضيًّا من قبل الجميع، نعم قد يكون مرضيًّا من قِبَل الغالب.

٣ - أنَّ الخطاب الديني كما يلاحظ عنصر اللفظ وأدائه للمعنى، أيضًا يلاحظ في بعض خطاباته الْبُعْد المشاعري للخطاب، إذ يقصد من ورائه إيجاد حالة من الارتباط الروحي بقضية معينة فيُصدر جملة من الخطابات الوجданية، فالقضية مقصودة للشارع المقدَّس وإنْ لم ترق للبعض.

٤ - لو فرضنا أنَّ الشارع أراد أنْ يُغيّر الخطاب، فما هو اللفظ المناسب لواقع هذه القضية مع المحافظة على بعدها القانوني والوجданى؟ فإنَّ أمثال هذه

القضايا ليست توقيفية، فلكلّ شخص حرّيّة التعبير بما يراه مناسباً شريطة الحفاظ على المعنى وحيثّاته الدخلية فيه، ولعلّنا لا نجد لفظة مناسبة لتأدية هذين الأمرين كالتالي استعملها الشارع المقدّس.

٥ - سُلِّمْ أَنَّ بعضاً من الألفاظ التي استعملها الشارع المقدّس في التعبير عن مقاصده هي منحصرة بزمن معين أو أكثر مناسبة للزمن الذي صدر فيه النص والقريب منه، كما في لفظة (السيف) كسلاح عند ظهور الإمام عليه السلام، فإنَّ المتداول - زمان النص - هو هذا، ولو تصدّى الشارع لبيان السلاح في زمان الظهور فقد يكون منفراً لعدم فهمه من الناس آنذاك، فجاء بلفظة تتناسب والمستعمل في زمان النص، ولا خصوصية لها، لما نجزم من أَنَّه لا يريدها بعينها، وإنَّما هي تعبير كنائي عن الآلات العسكرية المستعملة، ولعلَّ الأمر كذلك في مقامنا بالنسبة للفظة (الثار).

الشّيّهة السادسة: لماذا لا يثار الشّيّعة لرسول الله صلوات الله عليه وسلم ويقتصرن على الثار

للحسين عليه السلام؟

الشّيّعة تنادي دائماً بالثار للحسين عليه السلام «يا لثَارَاتِ أَحْسَينِ»، ولا تنادي بالثار لرسول الله صلوات الله عليه وسلم، فهم يرون أَنَّه انتهكَ مقامه وحرّفَ الإسلام من بعده، كما أَنَّهم لا ينادون بالثار لفاطمة عليها السلام مع أَنَّهم يعتقدون أَنَّ الاعتداء الذي وقع عليها كبير جدّاً، كما ولا ينادون بالثار للإمام علي عليه السلام مع أَنَّهم يرون أَنَّ كُلَّ المصابين ناشئة من مصيبة إقصاء الإمام علي عليه السلام، كما ولا ينادون بالثار للإمام الحسن عليه السلام المظلوم، وهكذا بقية الأئمّة عليهم السلام، فلماذا لا يكون هناك ثار لهم كما للإمام الحسين عليه السلام، فهل هو أفضل منهم؟ أو إِنَّ ذلك حالة انتقائية؟

والجواب عن ذلك:

١ - الأحكام الصادرة من الشريعة بهدف تنظيم حياة الإنسان استُعملت فيها عدّة أساليب، وبعضاً من الأحكام جاء بيانها مع بيان عللها، وبعضاً منها الآخر

أرجع فيها الشارع المقدّس إلى العرف بين الناس، وبعض ثالث تعبدنا بالحكم دون أدنى معرفة بالأسباب الموجبة له، ونحن نأخذ به تعبدًا، إيماناً مناً بكبريٰ حكمة الشارع المقدّس وهادفيته، وأنه بصدق تقديم الأفضل في مقام التشريع للإنسان، فالإيمان بمشرع بهذا المستوى يسدُّ الباب عن السؤال عما وراء الحكم من دواعٍ، وهذا موجود لدى الكثير من الدول في تشريعاتها، فجهاز المخابرات في أغلب الدول يُشرع ويمارس قوانين قد يراها الناس أنها تُقيّد حرّيّتهم أو تضرُّ بمصالحهم الشخصية، بل وبعض النوعية، ولكنّهم لا يسألون عن ذلك بعد الفراغ عن أنَّ هناك مصلحة عليا وراء هذا التشريع أو تلك الممارسة.

فإنما ملاكيات التشريعات في بعض الأحيان هو بذاته حكمة، وهذا في قطاعات عديدة كالجيش أو الصناعات الحربية الدقيقة، بل حتّى جملة من الصناعات الطبيّة أو الهندسيّة أو الإلكترونيّة، يتمُّ كتمان المالك وراء التشريع، ويُكتفى بقاعدة أنَّ المصلحة العامة تقتضي ذلك. وهنا لعلَّ المصلحة العامة للدين تقتضي ذلك، فما المانع أن يكون الخطاب الديني موجَّهاً تجاه قضيّة واحدة ولا يعني ذلك بحال من الأحوال عدم أهميّة القضايا الأخرى؟!

٢ - أنَّ الذي وقع على الحسين عَلَيْهِ الْكَلَّالَةِ في حقيقته عظيم جدًا، ولا يبالغ إذا قلنا: إنَّه لم يقع مثل ما وقع عليه على أحد أبداً، باعتبار مقامه السامي من جهة، وذناءة مقام عدوه من جهة ثانية، وتنوع الظلم عليه من جهة ثالثة، واستخفاف عدوه بكلٍّ مبدأ إنساني وديني في هذه الواقعة، فكُلُّ ما يمكن تصوُّره من فضائع وفجائع قد وقعت في واقعة واحدة عليه عَلَيْهِ الْكَلَّالَةِ.

فهذه الجهة وجهات أخرى قد لا نلحظها وغيرها ممَّا هو في ذهن القارئ وهي ما كانت وراء إبراز هذه القضيّة كشخاص في المظلوميّة وضرورة النظر إليها والمطالبة بها على طول الزمان.

٣ - أنَّ الحسين عليه السلام تجسَّدت فيه المظلوميَّة السابقة واللاحقة، والحادثة المروَّعة في كربلاء هي بحقِّ تُمثِّلُ أسوة المظلوميَّة، فالحسين عليه السلام اجتمع في مظلوميَّاتٍ مَنْ سبقَ وسَيَّلَ حقَّه حتَّى عَرَّفَ بعض النصوص المتقدِّمة أنَّه ثَأَرَ الله

تعالٰى، وبالتأثر له يتمُّ الثأر للأنبياء والأولياء.

٤ - لو كانت الخطابات الشرعية موجَّهة باتجاهات متعددة فخطاب منها باتجاه أخذ الثأر لرسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأخرٍ باتجاه أخذ الثأر لأمير المؤمنين عليه السلام، وثالث باتجاه أخذ الثأر لفاطمة  عليها السلام، وهكذا، فإنَّ أفراد الأُمَّة سوف تتبادر وتشتَّت جهودهم، فلا بدَّ من وجود شخصيَّة تكون فيها المظلوميَّة بارزة وجليةً إلى حدٍ يصعب إنكارها من قِبَلِ الأغلب إنْ لم نقل الجميع.

٥ - لا دليل على أنَّ الروايات أغفلت أو أهملت الأخذ بالثأر لهم، كما ورد في النصِّ: «أَيْنَ الْطَّالِبُ بِذُحُولِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَبْنَاءِ الْأَنْبِيَاءِ»، بل هو كما ترى عامٌ يشمل جميع الأنبياء عليهم السلام.

#### الشبيهة السابعة: الثأر مخالف للسيرة العقلائيَّة:

أغلب الأُمَّم تعرَّضت لحوادث مروَّعة، وقصص الظلم وانتهاك الحقوق للأفراد والمجتمعات تملأ التاريخ، ومع ذلك فإنَّ العالم اليوم تناسى تلك الأحداث التي مرَّت عليه وتغلَّب على الصعاب والظلم الذي مرَّ ليعيش بسلام مع الظالمين له، فسيرة العقلاء تقضي بترك الثأر والابتعاد عن تجسيد حالة الانتقام.

#### والجواب عن ذلك:

١ - أنَّ قَصَصَ الثأر المنسية لم يمسحها التاريخ من سجلاته، ولا زالت تُقرَأُ في اليوم الواحد آلاف المرات، فالظلم لا يمسحه التغاضي عنه. إنَّ المظلومين عبر التاريخ لم يتناسوا ظالميَّهم، ولا يزالون يطالعون بحقوقهم، ولكنَّ

الظالمين لا زالوا إلى اليوم يمارسون ظلمهم بمنع المظلومين من المطالبة بحقوقهم، وتهديدهم عسكرياً أو اقتصادياً.

٢ - أن هناك ظلماً على فرد، وآخر على أفراد ومجتمع، وثالثاً على مبدأ، ولا نظن أن أحداً يفرط بالأول أو الثاني، فكيف يُفرط بالثالث؟ فهل فرطت دولة من الدول في حقها الأولى والأصلي على أرضها أو في سيادتها؟

نجزم أن أيّاً من ذلك لا وجود له، فلماذا يطالب من يستميت بالدفاع عن حقه بالتعاضي عن مبدأ وعقيدة مبنية على إرجاع الحق المستلّب لشخص فيض الوجود وقطب عالم الإمكان؟

٣ - إنّها يكون للشبهة وجه لو سلّمنا أنّ الظلم الذي وقع على الإمام الحسين عَلَيْهِ الْمُتَّقَبُوا قد انتهى ولا أثر له اليوم، ولكن هذا الظلم لا زال مستمراً على أيدي من يرضون بالفعال السابقة، فلو كان قد انتهى لكان هناك وجه في التغاضي عنه، أمّا مع استمراره كيف يطلب التغاضي عنه؟

٤ - أنّ صاحب الحق والمخلوّل في التنازل عنه موجود، فليس من الصحيح التحدث نيابةً عنه في قضيّة هي من مهماته، وهو أعرف بما يقوم به، وما ينبغي له فعله أو تركه.

#### الخاتمة:

أنّ من يتبع حركة الإمام الحسين عَلَيْهِ الْمُتَّقَبُوا وما صدر عنه من أقوال وأفعال يلاحظ أنّه عَلَيْهِ الْمُتَّقَبُوا يضع إصلاحاً انتظارياً: «اللَّهُمَّ فَخُذْ لَنَا بِحَقِّنَا، وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»<sup>(١)</sup>، بعد أن حصر خروجه بـ«إِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ»<sup>(٢)</sup>،

(١) بحار الأنوار (ج ٤٤ / ص ٣٨٣).

(٢) بحار الأنوار (ج ٤٤ / ص ٣٢٩ و ٣٣٠).

فهذا الخروج معلوم أنه لا يعطي ثماره إلا بعد انتظار وصبر، ولذلك سيبقى محرّكاً للحسن البشري، وداعياً له أن يمهد للإصلاح الشامل.

فذلك المصلح المظلوم خرج للإصلاحنا، فلا بد أن نرفع من ظلامته ونأخذ بثأره «... إِنِّي سَلَّمْ لِمَنْ سَالْمَكُمْ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...، وَأَسَأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارَكُمْ مَعَ إِمَامٍ مَهْدِيٍّ نَاطِقٍ لَكُمْ...»<sup>(١)</sup>، فطلب الثأر رزق من الله تعالى نحصل عليه عندما نستحضر القضية ونتظرها ونمهّد لها، فما لم تفهم حركة الإصلاح الحسيني لا تفهم حركة الإصلاح المهدوي، فالدم الحسيني لا يسكن حتى يحصل الثأر من سفكه مع يد مصلح آخر الزمان، يقول الإمام الحسين عليه السلام عن ذلك مخاطباً ولده السجاد عليه السلام : «يا ولدي يا علي، والله لا يسكن دمي حتى يبعث الله المهدى فيقتل على دمي من المُنافِقِينَ الْكُفَّارَةِ...»<sup>(٢)</sup>.

لذلك نجد الروايات المتكررة المحت إلى هذا الترابط كما في اختيار يوم عاشوراء للقیام المهدوي «... يَقُولُ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ أَحُسَّنُ بْنُ عَلَيٍّ عَلَيْهِمَا، لَكَانَ يَهُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ الْعَاشِرِ مِنَ الْمُحَرَّمِ قَائِمًا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ وَالْمَقَامِ...»<sup>(٣)</sup>.

وفي نص آخر في معرض تفسير قوله تعالى: «وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوْقِبَ بِهِ ثُمَّ بُعْنَى عَلَيْهِ لَيَنْصُرَهُ اللَّهُ» (الحج: ٦٠) فإن الله تعالى سوف ينصر الحسين عليه السلام «يعني بالقائم من ولده»<sup>(٤)</sup>، وهذا توصيف جميل جداً لتجسيد حالة الأخذ بالثأر التي تشمل ثقافة الانتظار رجاء ظهور القائم عليه السلام.

(١) كامل الزيارات (ص ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٢٣٠ ح / ٥٥٦ ح / ٩).

(٢) مناقب آل أبي طالب (ج ٣ / ص ٢٣٨).

(٣) الإرشاد (ج ٢ / ص ٣٧٩).

(٤) تفسير القمي (ج ٢ / ص ٨٧).

فلا بدّ من إيقاظ حالة الشعور الدائم بالتقدير والاستعداد للنصرة على حدّ عبارة الإمام عليه السلام: «فَإِنْ أَخْرَجْنِي الْدُّهُورُ، وَعَاقَنِي عَنْ نَصْرِكَ الْمَدْوُرُ...، فَلَا تُدْنِنَكَ صَبَاحًا وَمَسَاءً، وَلَا يُكَيِّنَ عَلَيْكَ بَدَلَ الْدُّمُوعَ دَمًا، حَسْرَةً عَلَيْكَ وَتَأْسِفًا عَلَى مَا دَهَاكَ وَتَلَهُفًا، حَتَّى أَمُوتَ بِلَوْعَةِ الْمُصَابِ وَغَصَّةِ الْأَكْتِيَابِ»<sup>(١)</sup>. فالثار المهدوي للحسين عليه السلام قضية عقلائية ولغة دينية في استرداد الحقوق وإيقاف عجلة الظلم المستمر على الذوات المقدسة.

\* \* \*

«أَيْنَ الْمَنْصُورُ عَلَى مَنِ اعْتَدَى عَلَيْهِ وَأَفْتَرَى».

جاء في (تفسير فرات الكوفي) بسنده عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا»، قال: «أَخْسِنْ عليه السلام»، «فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا»<sup>(٢)</sup> [الإسراء: ٣٣]، قال: «سَمَّى اللَّهُ الْمَهْدِيَّ مَنْصُورًا كَمَا سَمَّى أَحْمَدَ وَمُحَمَّدًا مُحْمُودًا، وَكَمَا سَمَّى عِيسَى الْمَسِيحَ»<sup>(٣)</sup>. البحث عن نصرة الإمام عليه السلام وحدودها يقع في عدة عناوين:

#### مراتب النصرة:

لنصرة الإمام عليه السلام عدة مستويات تختلف باختلاف زمان وجوده بين الناس، وباختلاف الظروف وما يريده عليه السلام من الناس، ففي زمان ظهور رسول الله عليه السلام كانت النصرة مطلوبة بكلّ مراتبها، كاللسان والمال والنفس وكلّ شيء، ومتى دلّ على وجوب نصرة النبي عليه السلام، بل الأنبياء عليهم السلام عدة آيات، منها:

(١) المزار لابن المشهدى (ص ٥٠١).

(٢) تفسير فرات الكوفي (ص ٢٤٠ / ح ٣٢٤).

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِنَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَفَرَرْتُمْ وَأَخَدْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَفْرَرْنَا قَالَ فَأَشَهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران: ٨١).

إنْ قلتَ: إِنَّ النَّصْرَةَ الَّتِي كَانَتْ مَطْلُوبَةً فِي زَمَانِ الْأَئمَّةِ وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمْ سَلَامٌ مُخْتَصَّةً بِزَمَانِ حَيَاتِهِمْ وَلَا تَشْمِلُ حَالَ الْغَيْبَةِ، لِعدَمِ ظُهُورِ الْإِمَامِ الْوَاجِبِ نَصْرَتِهِ فِيهَا.

قلْتُ: صَحِيحٌ أَنَّ الْإِمَامَ فِي زَمَانِ الْغَيْبَةِ لَيْسَ بِظَاهِرٍ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ هَذَا لَا يَعْنِي اِنْتِفَاءً جَمِيعِ مَرَاتِبِ النَّصْرَةِ، فَإِنَّ النَّصْرَةَ لَهَا مَرَاتِبٌ عَدِيدَةٌ، وَفِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْهَا أَدْوَارٌ مُخْتَلِفَةٌ تَنْتَسِبُ مَعَ حَالِ الْأَشْخَاصِ وَالظَّرُوفِ الْمُحِيطَةِ بِهِمْ وَإِمْكَانَاتِهِمْ وَاسْتِعْدَادَهُمْ، وَمَا لَا يُدْرِكُ كُلُّهُ لَا يُتَرَكُ كُلُّهُ، وَمِنْ مَرَاتِبِ النَّصْرَةِ: الْلِسَانُ، وَإِنْ لَمْ يَتِيسِّرْ فَنَصْرَةُ الْقَلْبِ مَقْدُورَةٌ لِلْجَمِيعِ وَبِدُونِ اسْتِشَاءٍ.

وَهُلْ يَا تَرَى يَصْحُحُ أَنْ يُقَالُ: إِنَّ الْإِمَامَ عَلَيْهِمْ سَلَامٌ غَايَةً، فَلَا تَجُبُ مَعْرِفَتُهُ، وَلَا يَلْزَمُ الْإِيَّانَ بِهِ؟

فَكَمَا أَنَّ لِمَعْرِفَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِمْ سَلَامٌ مَرَاتِبٌ، فَكَذَا لَنْصَرَتِهِ.

### لَيْسَ النَّصْرَةُ غَيْبِيَّةً مَحْضَةً:

إِنَّ مَرَاتِبَ النَّصْرَةِ وَظَرُوفَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا وَإِنْ اخْتَلَفَتْ، وَهِيَ حَسْبُ قَدْرَةِ الْأَفْرَادِ وَمَقْدَارِ نَصْرَتِهِمْ، إِلَّا أَنَّهَا حَاضِرَةٌ وَبِقُوَّةٍ فِي عَدَّةِ مَفَرَّدَاتٍ مَهْدُوَيَّةٍ كَالْأَنْتَظَارِ وَالْتَّمَهِيدِ وَالْإِعْدَادِ، وَهَذِهِ مَفَرَّدَاتٌ مَرْضِيَّةٌ وَمَقْبُولَةٌ، وَتُعْبَرُ عَنْ وَاقِعِ يَعِيشُهُ الْمُؤْمِنُ بِخُرُوجِ الْإِمَامِ ﷺ، وَمَنْ يَتَرَقَّبُ حَصْوَلَ ظُهُورِ الْإِمَامِ ﷺ - صَبَاحًاً وَمَسَاءً - حَتَّىٰ وَإِنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ ذَلِكَ فِي زَمَانِهِ فَأَمْلَهُ لَا يَنْقُطُعُ عَنْدِ الرُّجْعَةِ.

بعض الروايات الشرفية عَلَقَتْ ظُهُورَهُ ﷺ عَلَىٰ وجود حلقة يَقُولُونَ بِهَا،

وهي على طوائف، منها ما جعلت الخروج معلقاً عليها مطلقاً، ولعلها الأكثر اعتباراً من جهة سندها، ومنها ما قيدت ذلك بالخروج من مكة، والأمر لا يؤثر كثيراً، لأنَّ كلامنا في توقف ظهور الإمام عليه السلام وقيامه على العنصر البشري، وهذا التوقف الذي لا شكَّ فيه يستتبع أنْ يكون كُلُّ فرد من أفراد هذه الحلقة بمواصفات خاصة، وأنْ يتلبَّس بها في إطار القاعدة العامة من الاختيار، وأنَّ الناس لا يُجبرون على كمالاتهم وملكاتهم خصوصاً المؤثرة في عقيدتهم وتدينيهم.

### النصرة للإمام عليه السلام في كلمات الأعلام:

ذُكرت مفردة (النصرة) على لسان العديد من علماء الطائفة، وليس في خصوص الخطاب الخاص بالموالين، بل حتَّى في موارد الحاج مع الخصوص، مما يعكس كونها مفردة من المفردات الراسخة والمعروفة في الطائفة حتَّى عُدَّت لوضوحاً من المفردات التي يصحُّ الاحتجاج بها مع الخصوم، ومن ذكر ذلك جماعة، منهم:

\* **السيد المرتضى** عليه السلام، قال في (الشافي): (وبَيَّنَ أَنَّ سبب الغيبة هو فعل الظالمين وتقديرهم فيما يلزم من تمكين الإمام فيه والإفراج بينه وبين التصرف فيهم، وبَيَّنَ أَنَّهم مع الغيبة متمكنون من مصلحتهم بأنْ يزيلوا السبب الموجب للغيبة ليظهر الإمام ويتغافلوا بتدبيره وسياسته<sup>(١)</sup>).

\* **أبو الصلاح الحلبي** عليه السلام، قال في (تقريب المعرفة): (كيفية الجمع بين فقد اللطف بعدم ظهوره وثبوت التكليف: وأمَّا فقد اللطف بظهوره متصرِّفاً ورهاةً لرعايته مع ثبوت التكليف الذي وجوده مرهوباً لطف فيه مع عدمه، فإنَّ اختصاص هذا اللطف بفعل المكلَّف لتمكنه من إزاحة علة نفسه بمعرفة الحجة

(١) الشافي في الإمامة (ج ٣ / ص ١٥٠).

المدلول على وجوده وثبوت إمامته وفرض طاعته وما في ذلك من الصلاح وقدرته على الانقياد، وحسن تكليفه مع تمكين الإمام وإرهابه أهل البغي لطف فيه...، وتكليفه لازم له وإن فقد لطفه بالرئاسة، لوقف المصلحة في ذلك على إيثاره معرفة الإمام والانقياد له باختياره دون إجائه<sup>(١)</sup>.

\* **الشيخ الطوسي** رض، قال في (تلخيص الشافى): (وما يرجع إلى الإمام هو قبول هذا التكليف، وتوطينه نفسه على القيام به. وما يرجع إلى الأمة هو تمكين الإمام من تدبيرهم، ورفع الحوائل والموانع عن ذلك، ثم طاعته والانقياد له والتصرُّف على تدبيره. فما يرجع إلى الله تعالى هو الأصل والقاعدة، ولا بد من تقدُّمه وتمهُّده. ويتلوه ما يرجع إلى الإمام، ويتلوه الأمرين ما يرجع إلى الأمة<sup>(٢)</sup>).  
إن قلتَ: وجوب تمكين الإمام عليه السلام ونصرته على الأمة عامًّا، وينصرف إلى

خصوص زمان حضوره، فلا يشمل زمان الغيبة وقبل الظهور.

قلتُ: هذا الانصراف لا معنى له بعد عموم الدليل وعدم وجود مخصوص صريح يُخصّص زمان النصرة بزمان دون زمان أو حال دون حال ولو في القدر المتيقَّن من النصرة، بل صريح كلام السيد المرتضى وشيخ الطائفة قدهما لزوم النصرة للإمام الغائب عليه السلام.

نعم مراتب النصرة تختلف باختلاف الأزمان.

### نصرة العاجز:

وردت عدَّة أسئلة إلى أهل البيت عليهم السلام عن الأشخاص مَنْ لا يتمكَّن من نصرتهم ويعجز عنها، وهذا الحديث متفرَّع على لزومها - ولو في بعض مراتبها - وإنَّا فلا معنى للسؤال عن مرتبة العجز عن النصرة ما لم تكن هناك مراتب أخرى

(١) تقريب المعرف (ص ٤٤٢ و ٤٤٣).

(٢) تلخيص الشافى (ج ١ / ص ١٠٧).

ولازمة. وما جاء من روایات بیّنت جواب هذا السؤال ووظيفة الناس تجاه النصرة ما ورد في التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قَالَ جَعْفُرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ۝ا هَدَنَا الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ۝» [الفاتحة: ٦]، يقول: أَرْشَدْنَا لِصَرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، أَرْشَدْنَا لِنُزُومِ الْطَّرِيقِ الْمَوْدِيِّ إِلَى مَحْبَبِكَ، وَالْمُتَلَقِّعِ إِلَى جَبَّتِكَ، وَالْمَانِعِ مِنْ أَنْ تَسْتَعِيْ أَهْوَاءَنَا فَنَعْطَبَ، أَوْ أَنْ تَأْخُذَ بِإِرَائِنَا فَنَهْلِكَ...»، ثم قال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: طُوبَى لِلَّذِينَ هُمْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَإِنْتَهَى الْمُبْطَلِينَ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ، إِنِّي عَاجِزٌ بِيَدِي عَنْ نُصْرَتِكُمْ، وَلَسْتُ أَمْلِكُ إِلَّا الْبَرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِكُمْ، وَاللَّعْنَ عَلَيْهِمْ، فَكَيْفَ حَالِي؟ فَقَالَ لَهُ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: حَدَّثْنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ ضَعُفَ عَنْ نُصْرَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَلَعَنَ فِي خَلْوَاتِهِ أَعْدَاءَنَا، بَلَغَ اللَّهُ صَوْتَهُ جَمِيعَ الْأَمْلَاكِ مِنَ الشَّرِّ إِلَى الْعَرْشِ، فَكُلَّمَا لَعَنَ هَذَا الرَّجُلِ أَعْدَاءَنَا لَعْنًا سَاعَدُوهُ فلَعَنُوا مَنْ يَلْعَنُهُ، ثُمَّ ثَوَّا فَقَالُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ هَذَا، الَّذِي قَدْ بَذَلَ مَا فِي وُسْعِهِ، وَلَوْ قَدَرَ عَلَى أَكْثَرِ مِنْهُ لَفَعَلَ، فَإِذَا الْنَّدَاءُ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعَالَى: قَدْ أَجْبَتُ دُعَاءَكُمْ، وَسَمِعْتُ نِدَاءَكُمْ، وَصَلَّيْتُ عَلَى رُوحِهِ فِي الْأَرْوَاحِ، وَجَعَلْتُهُ عِنْدِي مِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ»<sup>(١)</sup>.

ورواه العلّامة المجلسي عَلَيْهِ السَّلَامُ في (بحار الأنوار)، والميرزا التقى عَلَيْهِ السَّلَامُ في (مكيال المكارم)<sup>(٢)</sup>.

فلو لم تكن النصرة واجبة - ولو في بعض مراتبها - لكان الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول له: لا يجب عليك، ولا معنى لسؤالك عن النصرة في حالة العجز. فنصرته عَلَيْهِ السَّلَامُ في زمان غيته ثابتة وإن حصل كلام في مقدارها.

\* \* \*

(١) تفسير الإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ (ص ٤٤ - ٤٧).

(٢) بحار الأنوار (ج ٣٧ / ص ٢٢٢ و ٢٢٣ / ح ١١)، مكيال المكارم (ج ٢ / ص ٣٩٠ و ٣٩١).

«أَيْنَ الْمُضْطَرُ الَّذِي يُجَابُ إِذَا دَعَا».

هذا المقطع من دعاء الندبة هو من أكثر الماقطع لهياً وامتلاءً بالأمل والشوق، إذ يُلقى المؤمن بنفسه في بحر الانتظار الموجع، ويُطلق من قلبه صيحة الباحث عن مخلصه عليه السلام الغائب، قوله: «أَيْنَ الْمُضْطَرُ الَّذِي يُجَابُ إِذَا دَعَا...» هو نداء وجوديٌّ يتجاوز حدود اللغة والمكان، ليُعبر عن ترُّق الإنسان المتضرر بين وعيه بعظمة الإمام المهدى عليه السلام، وحقيقة غيبته التي تُشَقِّل الوجود بأسره. الإمام عليه السلام هو الواسطة بين الخلق والخالق في إيصال الفيض الإلهي، وهو الذي بوجوده تُحفظ الأرض ومن عليها، لكنه الآن في غيبة، غيبة اقتضتها الحكمة الإلهية صوناً له من بطش الظالمين، وتحيصاً للأمة.

هذه الغيبة جعلت الإمام عليه السلام، من حيث موقعه الكوني، في حالة (اضطرار)، لأنَّ مهمَّته الكبرى في إقامة العدل معطلة قهراً، لا عجزاً ذاتياً. فالمضطَرُ هنا ليس إنساناً مكروباً في زاوية مظلمة، بل هو قلب العالم الذي اختُرِنَ فيه الأمل والعدل والفرج، لكنه ينتظر أمر الله تعالى.

أما قوله: «الَّذِي يُجَابُ إِذَا دَعَا»، فيضمننا أمام المفارقة المؤلمة: هو المضطَرُ الذي لو رفع يديه بالدعاء لزُلزلت السماء، ولا جاب الله تعالى نداءه، لأنَّه خليفة الله عليه السلام وحْجَته ومحْجُري إرادته في الأرض، وهو الذي لا يُرَدُّ له دعاء. ومع ذلك، فإنَّ الدعاء الذي تتضررُه البشرية جماعة، دعاء الإذن بالظهور، لم يُؤَذَن له به بعد! وهذا من أعظم ألوان البلاء للإمام عليه السلام والأمة معاً. وهكذا تتشَكَّل دائرة وجدانية رهيبة: نحن ندعوه للإمام، وهو يدعونا لنا، ونحن نشعر باضطراره كما يشعر هو بآلامنا، وعيوننا على السماء نتضرر أمر الله عليه السلام.

على المستوى الوجداني، هذه العبارة تخرج من حيز الدعاء إلى حيز الصرخة، إنَّها ليست مجرَّد جملة تُقال، بل جرحٌ مفتوحٌ في قلب كلِّ مؤمن. حين

ينطق بها المتظر، يشعر أنها تجري من قلبه لا من لسانه، كأنها احتزال لكل مشاعر الغربة والوحدة والخوف من أن يطول الانتظار. يشعر بأن العالم متوقف، معطل، مسلول، لأن المضرر الذي يملك مفاتيح الفرج ما زال غائباً. وكلما ردّ هذه العبارة، تحول قلبه إلى مقام حضور الإمام عليه السلام، يحاكيه، يبكي معه، يتظره لا كمتظر خارجي، بل كجزء من منظومة الاضطرار التي تملأ الوجود كله.

هذه الجملة أيضاً تحمل بعدها أخلاقياً، فهي دعوة للمؤمن لأن يشعر بالمسؤولية تجاه زمن الغيبة، لا أن يكتفي بالنوبة والحزن. فالمضطر الذي يُحاب إذا دعا يتضرر جيلاً يستحق الدعاء، وأمة مهياً لنزول الفرج. فكلما نطق المؤمن بهذه العبارة، سمع صداحها يردد عليه سائلاً: هل أنت من المتظرين الصادقين؟ هل أنت من يمهدون للفرج أم من يطيلون زمن الغيبة بأفعالهم؟

### حديث من قلب كل مؤمن:

إلهي ..

أين المضرر الذي يُحاب إذا دعا؟

أين القلب الذي واسع هم الأرض فلم يضيق به صدره، بل صبه على اعتابك دموعاً خفية؟

أين العين التي لا تناوم في جوف الغيب، ترقب عيدهك المتلوين بألم فقد، المشرئين إلى شمسهم التي حجبتها سحب الامتحان؟

أين المضرر الذي لولا اضطراره، لركدت السماوات، وانطفأت النجوم، وغفت الأرض في سبات العدم؟

إلهي ..

كيف أشتكي فقدك، وهو الشاكي إليك فقرنا إليك؟

كيف أقول: مضى العمر في الانتظار، وأنا ما ذقتُ من الانتظار سوى  
قشره، أمّا لبّه، ففي صدره الذي ضاقَ على وسعته، اتَّسَعَ لنا وضاقَ عليه؟  
إلهي ..

أَأَبْكِي نفسي، أَمْ أَذْوَبُ في بكاءٍ مَّنْ بُعِثَ لِيَكُونَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَغَابَ  
عَنِّي، لَا جَزْعًا مِّنْ قَضَاءٍ، بَلْ امْتَشَالًا لِأَمْرِكَ، انتَظَارًا لِأَمْرِكَ، تَهْبِيًّا لِمَشْهِدِكَ؟  
إلهي ..

أَلِيسْ هُوَ الْمُضْطَرُ الَّذِي وَعَدْتَ أَنْ تُحْبِبَ إِذَا دَعَا؟  
فَأَيْنَ وَعْدُكَ؟  
أَيْنَ إِجَابْتُكَ؟

أَوْ تَأْذُنُ لِي أَنْ أَقُولُ: عَجَّلْ - يَا رَبَّ - فَرَجَهُ، فَإِنَّهُ وَلِيُّكَ فِي الْأَرْضِ، وَهُوَ  
شَهِيدُكَ الْحَيُّ فِينَا؟  
مَوْلَايِ الْغَائِبِ ..

مَوْلَايِ الَّذِي مَا غَبَتْ إِلَّا عَنْ عَيْوَنَنَا، لَا عَنْ قُلُوبِنَا ..  
يَا بَنَ فَاطِمَةَ، يَا جُرْحَ اللَّهِ الْمُفْتَوِحِ فِي الْكَوْنِ ..  
أَمَّا آنَّ لَنَا أَنْ نَسْمَعَ دُعَوَاتَكَ الْمَجْهُولَةَ فِي جَوْفِ الْلَّيْلِ؟  
أَمَّا آنَّ لِدَمْعِكَ أَنْ يَنْهَمِرَ مَطْرًا عَلَيْنَا، يَغْسِلُ أَدْرَانَ الْغَيَابِ مِنْ قُلُوبِنَا؟  
أَمَّا آنَّ لِلْكَوْنِ أَنْ يَسْمَعَ صُوتَكَ الَّذِي لَوْ خُيِّرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كُلِّ أَصْوَاتِهِ،  
لَاخْتَارَكَ نَطْقًا أَبْدًا؟

اللَّهُمَّ ..

عَجَّلْ لَوْلَيْكَ الْفَرْجَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ شَيْعَتِهِ الصَّادِقِينَ، وَمِنْ الْمُنْتَظِرِينَ الَّذِينَ  
لَا يَمْلُّهُمْ طُولُ الْغَيَابِ، وَلَا يُنْسِيَهُمْ لِلْشَّوَّقِ وَجْهَ النَّهَارِ.

«أَيْنَ صَدْرُ<sup>(١)</sup> الْخَلَائِقِ».

يسأل الداعي عن الإمام الذي تجب عليه طاعته، وبه تمام صلاته وصيامه وجميع أعماله على ما تقدم في عدة مواضع من هذا الشرح، يسأل عن صدر الخلائق وأوّلهم وإمامهم، وكيف يتصل به ويأخذ منه البر والخير.

فهذه الفقرة من جهة ثيّن أهميّة الإمامة وأئمّة الأوّل من الدين وصدر كُلّ شيء، فإنّه ممّا لا شكّ فيه أنَّ الإمام عليه السلام هو القائد والمبيّن للحق والعدل، بل هو الحق والعدل. وممّا لا شكّ فيه أنَّه في زماننا هذا قد غاب عن الأُمّة، فيجب على المكلَّف أن لا يخل بوظيفته وإنْ حصلت الغيبة، لأنَّ الإخلاص بها إخلال بالتوحيد، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى الفقرة مرتبطة بما تقدم من حديث عن غيبة الإمام عليه السلام، فحيث هو إمام الأُمّة وصدرها فلا بدّ من وجوده بين أفراد الأُمّة، والسيرة قائمة على الاتّصال المباشر ورؤيه الأئمّة عليهما مَنْ سبقو الإمام عليه السلام، في حين أنَّ الغيبة منعت من ذلك.

الحالة القائمة قبل الغيبة هي أنَّ منْ كان من المؤمنين يرغب في لقاء الإمام عليه السلام كان يامكانه ذلك رغم الصعوبات التي تواجهه اللقاء خصوصاً بالنسبة للإمامين العسكريين عليهما، إلا أنَّ الحال اختلف بعد رحيل الإمام العسكري عليه السلام.

وترتب على هذا الاختلاف تكوين نظام دقيق يفي بحاجة الناس ويُقلّل الضرر بقدر ما يمكن، فتسلّم زمام أمر إدارة بعض شؤون الناس جماعة من أعيان الطائفة عُرِفُوا بالسفراء والتُّواب الخاصّين للإمام عليه السلام - بتعيين مباشر من قبل الإمام عليه السلام -، واستمرّت نيابتهم الخاصة ما يقرب من (٧٠) سنة، مارسوا

(١) جاء في العين للفراهيدي (ج ٧ / ص ٩٤) مادة صدر: (الصدر: أعلى مقدم كُلّ شيء، وصدر القناة أعلاها، وصدر الأمر أوّله).

خلالها عدّة أدوار من بين أهمّها حفظ المجتمع الشيعي وحفظ عقائده ودينه. وعُرِفت هذه الفترة بالنيابة الخاصة، التي أعقبها فترة النيابة العامة حيث يُنوب عن الإمام عليه السلام في بعض وظائفه وما تصحُّ النيابة فيه جماعة من الفقهاء ضمن شرائط دقيقة ومحكمة بُحثت في محلّها من كُتب علم الكلام والفقه وغيرهما.

\* \* \*

«أَيْنَ إِنْ أَنَّىٰ الْمُصْطَفَىٰ، وَإِنْ عَلَىٰ الْمُرْتَضَىٰ،  
وَإِنْ خَدِيجَةَ الْغَرَاءِ، وَإِنْ فَاطِمَةَ الْكُبْرَىٰ».

هذا المقطع تقدّم الحديث عنه في عدّة مواضع من هذا الشرح حيث أثبّتنا انتساب الإمام عليه السلام إلى العترة الطاهرة، ومن بين ما يذكّر في هذا المقام، الآتي:

\* ما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «المهديُّ مِنْ وُلْدِي، إِسْمُهُ اسْمِي، وَكُنْيَتُهُ كُنْيَتِي، أَشْبَهُ النَّاسَ بِي خَلْقَهُ وَخُلْقَهُ، تَكُونُ بِهِ غَيْرَهُ وَحَيْرَهُ تَضَلُّ فِيهَا الْأَمْمُ، ثُمَّ يُقْبَلُ كَالشَّهَابِ الْتَّاقِبِ يَمْلُؤُهَا عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا»<sup>(١)</sup>.

\* عن أمير المؤمنين عليه السلام: «... وَلَيَعْنَّ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ وُلْدِي فِي آخِرِ الْزَّمَانِ يُطَالِبُ بِدِمَائِنَا، وَلَيَغْيِنَّ عَنْهُمْ تَمْيِيزًا لِأَهْلِ الْضَّالَّةِ حَتَّىٰ يَقُولَ أَجْنَاهُلُ: مَا اللَّهُ فِي آلِ مُحَمَّدٍ مِنْ حَاجَةٍ»<sup>(٢)</sup>.

\* قال رسول الله صلوات الله عليه وسلم: «المهديُّ مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةٍ»<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

(١) كمال الدين (ص ٢٨٦ / باب ٢٥ / ح ١).

(٢) الغيبة للنعماني (ص ١٤٣ / باب ١٠ / ح ١).

(٣) الغيبة للطوسي (ص ١٨٥ و ١٨٦ / ح ١٤٥).



المبحث الثاني:

ارتباط الإمام المهدى عليه السلام

بأجداده الطاهرين عليهم السلام



## الفقرة الثانية والثلاثون

«يَا إِنَّ السَّادَةَ الْمُقَرَّبِينَ، يَا إِنَّ النُّجَابَاءَ الْأَكْرَمِينَ، يَا إِنَّ الْهَدَاةَ الْمُهَتَّدِينَ [الْمَهَدِّيَّينَ]، يَا إِنَّ الْحَيَّةَ الْمُهَدَّبِينَ، يَا إِنَّ الْعَطَارِفَةَ<sup>(١)</sup> الْأَنْجَبِينَ، يَا إِنَّ الْخَضَارَمَةَ<sup>(٢)</sup> الْمُتَسْجِبِينَ، يَا إِنَّ الْقَمَاقِمَةَ<sup>(٣)</sup> الْأَكْرَمِينَ [الْأَكْيَرِينَ]، يَا إِنَّ الْأَطَابِ الْعُظَمَمِينَ الْمُطَهَّرِينَ [الْمُسْتَظَهَرِينَ]، يَا إِنَّ الْبُدُورِ الْمُذَيَّرَةَ، يَا إِنَّ السُّرُجَ الْمُضَيَّتَةَ، يَا إِنَّ الشُّهُبَ الْثَّاقِيَةَ، يَا إِنَّ الْأَنْجُمَ الْزَّاهِرَةَ، يَا إِنَّ السُّبُلَ الْوَاضِحَةَ، يَا إِنَّ الْأَعْلَامَ الْلَّائِحَةَ، يَا إِنَّ الْعُلُومَ الْكَامِلَةَ، يَا إِنَّ السُّنَنَ الْمَشْهُورَةَ، يَا إِنَّ الْمَعَالِمَ الْمَأْتُورَةَ، يَا إِنَّ الْمُعْجِرَاتِ الْمَوْجُودَةَ، يَا إِنَّ الدَّلَائِلَ الْمَشْهُودَةَ، يَا إِنَّ الْصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمَ،

(١) الغطريف السيد الشريف، قاله غير واحد، راجع: العين (ج ٤ / ص ٤٦٥ / مادة غطرف). وفي تهذيب اللغة (ج ٨ / ص ١٩٨): (السخنُ السريُ الشابُ). وعلى هذا فيكون معناه إما شرفاء السادة وإما سخاتهم. وهذا ما تقدم ذكره في عدة مواضع، وهكذا في جملة من الفقرات التي يتكرر فيها ذكر عدة أوصاف لأهل البيت عليهما السلام، لبيان سمو مقامهم وعلو شأنهم وحيازتهم لأعلى المقامات وأسمى الصفات وأعلاها.

(٢) الخضم يأتي بمعنى كثير الماء، على ما ذكره غير واحد، منهم الخليل عليهما السلام في العين (ج ٤ / ص ٣٢٩ / مادة خضم).

(٣) تأتي بعدة من المعاني، منها: السيد، ومنها: البحر، ومنها: الكثير. يراجع لذلك عدّة مصادر، منها: العين في عدة مواضع، وتهذيب اللغة، وغيرهما. ولعل المقصود منها هنا إما السيد أو البحر أو المركب منها كما لو أريد به الكنية عن السيد صاحب الخير الكبير كالبحر ب فهو تعدد الدال والمدلول.

يَا إِبْنَ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ، يَا إِبْنَ مَنْ هُوَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْهِ اللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ، يَا إِبْنَ الْآيَاتِ وَالْبَيِّنَاتِ، يَا إِبْنَ الدَّلَائِلِ الظَّاهِرَاتِ، يَا إِبْنَ الْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَاتِ الْبَاهِرَاتِ، يَا إِبْنَ الْحُجَّاجِ الْبَالِغَاتِ، يَا إِبْنَ النَّعَمِ السَّابِغَاتِ، يَا إِبْنَ طِهِ وَالْمُحْكَمَاتِ، يَا إِبْنَ يَسَّاً<sup>(١)</sup> وَالْدَّارِيَاتِ، يَا إِبْنَ الْطُورِ وَالْعَادِيَاتِ، يَا إِبْنَ مَنْ دَنَا فَتَدَلَّ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى دُؤُواً وَأَقْرِبَاً مِنَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى...».

هذه الفقرة تتضمن عدة مقاطع تم التطرق إلى معظمها في طيات بحوث الفقرات المتقدمة من جهة أوصاف الأئمة عليهما السلام وانتسابهم للنسب الظاهر المعظم، وبيان حقائقهم الملكوتية بمقدار ما بيته الروايات الشريفة، وكيفية تفرّعهم وعلومهم وخصائصهم وغير ذلك.

وممّا تضمنته أيضاً بنحو التأكيد أو التأييد أو التوسيعة، هو الحديث عن العديد من الألقاب والمفاهيم التي توضح عظمة الإمام عليهما السلام ومقامه الرفيع عند المولى عَزَّلَهُ، هذه الألقاب تؤكّد على سمو مكانته، وترمز إلى صفاته الإلهية وعلاقته العميقة بالله تعالى ورسالته.

\* ابن مَنْ دَنَا فَتَدَلَّ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى: عبارة تشير إلى مقام عظيم للإمام عليهما السلام، وهي مأكولة من سورة النجم حيث وصف الله تعالى ما حصل من قرب النبي عليهما السلام إلى الحضرة الإلهية بقوله (جلّ من قائل): «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۝ (النجم: ٩)، فهي تُعبّر عن القرب اللامتناهي بلحاظ بقية المخلوقات، وليس هو من القرب المكاني، على ما مرّ عليك في بحث عوالم الأكون.

(١) ذكرنا في شرح زيارة آل يس في معرض بيان جملة من هذه المعاني العديد من المفاهيم اللغوية والقرآنية، فراجع.

وعندما نقول: ابن مَنْ دَنَ فَتَدَلَّ فَكَانَ قَابِ قَوْسَيْنَ أَوْ أَدْنَى، نُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ الْمَعْنَى مِنَ الْقَرْبِ، فَالإِمامُ عليه السلام هُوَ بِتَلْكَ الْمَثَابَةِ مِنَ الْقَرْبِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَالإِمامُ - وَبِمَقْتَضِيِّ مَا تَقْدَمَ مِنْ مَقَامَاتِ مَرَّتْ عَلَيْكَ فِي هَذَا الدُّعَاءِ - قَدْ ارْتَقَى إِلَى مَقَامِ رُوحِيٍّ وَمَعْنَوِيٍّ عَظِيمٍ لَا يَمْكُنُ أَنْ يَدْانِيهِ أَحَدٌ، حِيثُ جَسَّدَ الْقَرْبَ الْكَامِلَ وَالْمُطْلُقَ مِنَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَحْقَّ بِهَذَا الْقَرْبِ أَنْ يَنْالَ هَذَا الْمَقَامُ الَّذِي تَحْدَثَ عَنْهُ الدُّعَاءُ الْمَبَارِكُ.

الْفَقْرَةُ تُشِيرُ إِلَى الْعَلَاقَةِ الْعُمِيقَةِ وَالْفَرِيدَةِ بَيْنِهِمَا، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ التَّجْسِيدُ الْحَيُّ لَهُ، وَهُوَ الْامْتِدَادُ الْطَّبِيعِيُّ لِمَقَامِهِ وَصَفَاتِهِ وَخَصَائِصِهِ - سَوْيَ مَا دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَىِ اخْتِصَاصِهِ بِهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَلَيْسَ فَقْطُ يُرَادُ مِنَ الْقَرْبِ هُوَ الْقَرْبُ النَّسَبِيُّ، بَلْ مُطْلُقُ الْقَرْبِ.

فَتَدَلَّ، مَعْنَىْ عَمِيقٍ وَعَجِيبٍ قَدْ لَا يُفَهَّمُ بِهَذِهِ السَّهُولَةِ، هَذِهِ الْكَلْمَةُ تُبَرِّزُ حَرْكَةَ تَدْنُّ أوْ اقْتِرَابٍ بِشَكْلٍ لَا يُخْطَرُ عَلَىِ الْقَلْبِ، هَذَا الْقَرْبُ يُعْبِرُ عَنْ مَقَامٍ لَا نَظِيرٍ لَهُ.

فَقَابِ قَوْسَيْنَ أَوْ أَدْنَى، اسْتِعْارَةٌ عَنْ دَرْجَةِ الْقَرْبِ الَّتِي لَا يَمْكُنُ لَأَيِّ كَائِنٍ بَشَرٍ أَنْ يَصْلِي إِلَيْهَا سَوْيَ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الْفَقْرَةُ بِجَمِيعِ مَقَاطِعِهَا تَحْمِلُ دَلَالَاتٍ كَبِيرَةً عَلَىِ الْمَكَانَةِ السَّامِيَّةِ لِلإِمامِ عليه السلام، وَتَكْشِفُ عَنْ عَظِيمَةِ نَسَبِهِ، وَصَفَاتِهِ، وَعَلَاقَتِهِ بِاللهِ تَعَالَى، وَالْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام، وَالنَّبِيِّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْخَاتَمِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْعَتَرَةِ الطَّاهِرَةِ عليهم السلام.

وَمِمَّا يَنْسَبُ تَأْكِيدهُ وَبِحْثُهُ فِي إِطَارِ مَقَاطِعِ هَذِهِ الْفَقْرَةِ الْأُمُورُ التَّالِيَّةُ:

### الأنساب أصول هذا العالم:

بِهَا يُحْتَرَزُ عَنِ الْخَطَأِ فِي نَسَبِ النَّاسِ، وَتَحْظَى بِأَهْمَىَّةٍ بِالْغَةِ لِدِيِّ الْأَمَمِ وَالشَّعُوبِ عَلَىِ امْتِدَادِ الزَّمَانِ، خَصْوَصًا لِدِيِّ الْعَرَبِ حِيثُ كَانُ لَهُمْ اهْتِمَامٌ بِالغَةِ

بها، إذ كانوا يُقسّمون النَّسَب إلى ما عُرِفَ عندهم بطبقات الأنساب، حتَّى تميَّزوا عن غيرهم بذلك، حتَّى بلغ أمر اهتمامهم أنَّ لكُلِّ قبيلة منهم نسَابة خاصَّاً بهم. وفي الأديان بُرِزَ الاهتمام جليًّا بالنَّسَب حتَّى وردت فيه العديد من النصوص، فقد أشار القرآن الكريم إلى أهميَّة الأنساب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣).

ويبدو أنَّ لدى الإنسان غريزة تدفعه لمعرفة جذوره وأصوله، حيث يترتب عليها العديد من الآثار الاجتماعية والدينية والمالية، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤)، وقال تعالى: ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ حَيْرٍ فَلِلَّهِ الْدِيْنُ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ (البقرة: ٢١٥).

معنى النَّسَب:

اتصال شيء بشيء وانتسابه إليه من القرابة والعُلَّة، ومن خلاله يتعارف الناس فيما بينهم ويعرفون درجة القرابة والعُلَّة مع بعضهم. ومن شدَّة الاهتمام به تشكَّل ومنذ الْقِدَم علم خاصٌ به يُعرَف بعلم الأنساب له قواعده وأصوله، وعلى أساس هذه الأصول بُنيت التراكيب الاجتماعية التي تطَوَّرت من العائلة والأُسرة إلى البطون والعشائر والقبائل وغيرها، حتَّى انتهى نَسَب العرب مثلاً إلى رجلين: عدنان وقططان.

من الآثار المترتبة على النَّسَب:

هو اعتباره في إمامية الأئمة عليهما السلام، قال أمير المؤمنين عليهما السلام: «إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ، غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَادُ مِنْ غَيْرِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

(١) نهج البلاغة (ص ٢٠١ / الخطبة ١٤٤).

من هنا نجد الأئمَّةَ عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ عندما كانوا يتحدَّثون عن خصائص الإمام وصفاته كانوا يذكرون الأنساب الظاهرة، وأنَّ الإمام عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ بما له من وظيفة لا بدَّ أنْ تكون فيه خاصيَّة النسب الظاهر في الأصلاب إلى آدم عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ، فَعَنْ رَسُولِ الله عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ : «إِنِّي وَأَهْلَ بَيْتِي كُنَّا نُورًا يَسْعَى بَيْنَ يَدَيِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَحْلُقَ الله عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ آدَمَ عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ بِأَرْبَعَةَ عَشَرَ الْفَ سَنَةِ، فَلَمَّا خَلَقَ الله عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ آدَمَ عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ وَضَعَ ذَلِكَ النُّورَ فِي صُلْبِهِ وَاهْبَطَهُ إِلَى الْأَرْضِ...، ثُمَّ لَمْ يَزِلْ الله عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ يَنْقُلُنَا مِنَ الْأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الظَّاهِرَةِ، وَمِنَ الْأَرْحَامِ الظَّاهِرَةِ إِلَى الْأَصْلَابِ الْكَرِيمَةِ مِنَ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ، لَمْ يَلْتَقِي وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَى سَفَاحِ قَطٍّ»<sup>(١)</sup>.

وفي عَدَّة زيارات للأئمَّةَ عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ، ومنها زيارة الإمام الحسين عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ ورد هذا التعبير: «أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُورًا فِي الْأَصْلَابِ الشَّامِخَةِ وَالْأَرْحَامِ الْمُطَهَّرَةِ»<sup>(٢)</sup>. وفي زيارة أخرى لهم عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ : «لَمْ تَرَوْلَا بِعِينِ الله يَنْسَخُكُمْ فِي أَصْلَابِ كُلِّ مُطَهَّرٍ، وَيَنْقُلُكُمْ فِي أَرْحَامِ الْمُطَهَّرَاتِ»<sup>(٣)</sup>.

إِلَّا أَنَّا نجد - مع الأسف - بعضاً مِنَ لا يعي ما يقول أو يتربَّص بأهل الطهارة في أنسابهم تغطيةً على دناءة أنساب غيرهم مِنْ تقدُّمهم بغير وجه حقٍّ، نجد من هؤلاء الطعن في إيمان أطهر نَسَب عرفته البشرية، فينال من عبد المطلب وعبد الله وأمنة وأبي طالب والسيَّدة نرجس والدة الحجَّة بن الحسن عَلَيْهِمُ الْكَفَافُ. القراءة الأولى للموروث الديني تُنبئ بوضوح أنَّ هذه الأسماء نقية طاهرة من الدنس أو الشك أو غير ذلك<sup>(٤)</sup>.

\* \* \*

(١) كمال الدين (ص ٢٧٥ / باب ٢٤ / ح ٢٥).

(٢) مصباح المتهجد (ص ٧٢١).

(٣) الكافي (ج ٤ / ص ٥٥٩ / باب زيارة مَنْ بالقيع).

(٤) وسيأتي التعرُّض لإثبات طهارتها وإسلامها بعدَّة أدلة في فقرة لاحقة.



المبحث الثالث:

افتداء الداعي للإمام عليه السلام بنفسه، ولو عة  
الفارق والشوق إلى اللقاء وتهيئة نفسه  
لاستقبال الإمام عليه السلام وتصوير ظهوره



### الفقرة الثالثة والثلاثون

«لَيْتَ شَعْرِي أَيْنَ إِسْتَقَرْتُ بِكَ الْنَّوْىِ، بَلْ أَيُّ أَرْضٍ تُقْلِلُكَ  
أَوْ ثَرَى [أَوِ الْثَّرَى]، أَبْرَضْتَهَا أَمْ غَيْرِهَا أَمْ ذِي طُوْى، عَزِيزٌ  
عَلَيَّ أَنْ أَرَى الْخَلْقَ وَلَا تُرَى، وَلَا أَسْمَعُ لَكَ حَسِيسًا وَلَا  
نَجْوَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ لَا تُحِيطَ بِي دُونَكَ الْبَلْوَى [تُحِيطَ بِكَ  
دُونِي الْبَلْوَى]، وَلَا يَنَالُكَ مِنِّي ضَحِيجٌ وَلَا شَكْوَى، بِنَفْسِي  
أَنْتَ مِنْ مُعَيْنٍ لَمْ يَكُلُّ مِنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَازِحٍ مَا يَنْزَحُ  
[نَازَحٌ] عَنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ أَمْنِيَّةً شَائِقٌ تَمَّى [يَتَمَّنَى] مِنْ مُؤْمِنٍ  
وَمُؤْمِنٍ ذَكْرًا فَحَنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ عَقِيدٍ عَزٌّ لَا يُسَامِي،  
بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ أَشْلِلٍ مَجْدٍ لَا يُحَازِي [يُحَازِي] [يُحَازِي]، بِنَفْسِي  
أَنْتَ مِنْ تِلَادِ نَعْمٍ لَا تُضَاهِي، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَصِيفٍ شَرَفٍ  
لَا يُسَاوِي، إِلَى مَتَّى أُجَارُ [أَحَارُ] فِيكَ يَا مَوْلَايَ، وَإِلَى مَتَّى  
وَأَيَّ خِطَابٍ أَصِفُّ فِيكَ وَأَيَّ نَجْوَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أُجَابَ  
دُونَكَ وَأَنْأَغَى [أَوْ أَنْأَغَى]، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَبْكِيكَ وَيَخْذُلَكَ  
الْوَرَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيَكَ دُونَهُمْ مَا جَرَى، هَلْ مِنْ  
مُعِينٍ فَأُطِيلَ مَعَهُ الْعَوِيلَ وَالْبُكَاءَ، هَلْ مِنْ جَزْوَعٍ فَأُسَاعِدَ  
جَرَاعَهُ إِذَا خَلَا، هَلْ قَذَيْتُ عَيْنِ فَتَسْعَدُهَا [فَسَاعَدَهُمَا] عَيْنِي  
عَلَى الْقَدَى، هَلْ إِلَيْكَ يَا بْنَ أَحْمَدَ سَيِّلُ فَتَلَقَّى، هَلْ يَتَصِلُّ  
يَوْمُنَا مِنْكَ بِغَدِهِ فَنَحْظَى، مَتَّى نَرِدُ مَنَاهِلَكَ الْرَّوِيَّةَ فَرَوَى

[فَنَرَوْيِ]، مَتَىٰ نَتْفِعُ [نَنْقَعُ] مِنْ عَذْبِ مَائِكَ فَقَدْ طَالَ  
الصَّدَىٰ، مَتَىٰ نُغَادِيكَ وَنُرَأِوْحَكَ فَنَقَرَ عُيُونُنَا [فَنَقَرَ مِنْهَا  
عَيْنَاً]، مَتَىٰ تَرَانَا [نَرَانَا] وَنَرَاكَ وَقَدْ نَشَرْتَ لِوَاءَ الْنَّصْرِ، تُرَىٰ  
أَتَرَانَا [أَتَرَانَا] تَحْفُّ بِكَ وَأَنْتَ تَوْمُ الْمَلَأَ، وَقَدْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ  
عَدْلًا، وَأَذَقْتَ أَعْدَاءَكَ هَوَانًا وَعِقَابًا، وَأَبْرَتَ الْعُتَّا وَجَحَدَةَ  
الْحَقِّ، وَقَطَعْتَ دَابِرَ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَاجْتَسَتَ أُصُولَ الظَّالِمِينَ،  
وَنَحْنُ نَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

تعتبر هذه الفقرة من الدعاء من أعمق الفقرات في التعبير عن شدة الحنين والتعلل لظهور الإمام عليه السلام حيث تظهر فيها المشاعر عند الداعي، وهي تعبّر عن الألم والحزن العميق، وعن الأسى واللوامة لغياب الإمام عليه السلام، ويعكس الداعي من خلال مقاطع الدعاء مشاعره في فقدان والتوق إلى اللقاء به عليه السلام. وإليك توضيحاً لبعض المقاطع الرئيسية في هذه الفقرة:

«لَيْتَ شَعْرِي أَيْنَ اسْتَقَرَتْ بِكَ النَّوَىٰ».

تنطلق هذه الكلمات من قلب يعتصره الشوق والألم والأسى والتفجّع، فالداعي يتمنّى لو يعلم أين انتهى بمولاه المسيطر، وأيّ أرض تخفيه عن أبصار المؤمنين. لكن كيف للأرض أن تخفيك عن قلوب المؤمنين، وأنت النور الذي لا يُحاجب؟!

إنَّ غيابك سيّدي عن الأعين لا يعني غيابك عن القلوب التي تنبض بحبك، ولا الأرواح التي تتوق للقياك، فالجهل بمكانك يزيد من وطأة الغيبة، ويعمق الجراح والآلام في النفوس المثقلة بألم الفراق والخيرة.

وكانَه كُتب على هذه النفس أن تتخبط في ظلمات الْبُعْد عنك، عاجزة عن الاهتداء إلى طريقك، فتظل متعلقةً بحضورك، متعطشةً لظهورك. سيدي إنَّه سؤال يُعبر عن الحيرة والأسى، وكأنَّ الجهل بمكانتك يزيد من وطأة الغيبة على قلوبنا.

هذه الكلمات من دعاء الندبة تغيب بسوق عميق وحنين موجع للإمام الغائب عليه السلام حيث يقف المؤمن المحروم القلب أمام غيابه حائراً بين ألم الفقد وأمل اللقاء، فهي كلمات تُعبّر عن غربتين: غربة الإمام عليه السلام في غيابه، وغربة المؤمن في انتظاره.

يُجسّد السؤال: «أَيْنَ اسْتَقَرْتِ بِكَ النَّوْيُ، بَلْ أَيُّ أَرْضٍ تُقْلِكَ أَوْ ثَرَيُ، أَبِرَضْتَ أَمْ غَيْرَهَا أَمْ ذِي طُوَّي» حيرة المشتاق الذي يبحث في كل مكان عن حسيس إمامه عليه السلام، إنَّها ليست مجرد كلمات عاطفية، بل صرخة وجданية تعكس حاجة الإنسان إلى عدالة رجل السماء الموعود، وتحمل في عمقها رجاءً حاراً وثقةً مطلقةً بوجوده وتديريه لنا، بل ويعودته وظهوره الذي سيعيد العدل والقسط إلى الكون.

حين يسأل المؤمن فهذه الكلمات ليست مجرد استفسار مكاني، بل تعبر عن حيرة عاطفية وروحية كبيرة وعميقة لا تسعها الكلمات يبحث من خلالها هذا الداعي المؤمن عن أثر الإمام في كل زاوية من الأرض، وقد مررت عليك في عدّة فقرات من هذا الشرح الوجود والألم والحنين إلى الإمام وطلب بعض المؤمنين اللقاء به عليه السلام، نحن نعلم يقيناً أنَّ الإمام الحجَّة عليه السلام يتردّد بيننا ويمشي في أسواقنا ويطأ فرشنا ولكن لا نعرفه.

هذه الفقرة من الدعاء كالبركان الذي يغلي في روح المتضرر للإمام عليه السلام، وهو يُعبّر عن علاقة إيمانية وجدانية أعلى من مستوى العلاقة العلمية والمعرفية

ال مجردة - والتي هي حسنة ومطلوبة جزماً ، فهو ينبع بروح التعلق بالإمام عليه السلام كما تعكسه روایات عديدة من بعضها ، و ممّا جاء فيها : «إِذَا أَدْرَكْتَ هَذَا الْزَّمَانَ فَادْعُ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ عَرَّفْنِي نَفْسَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي نَفْسَكَ لَمْ أَعْرِفْ نَبِيَّكَ، اللَّهُمَّ عَرَّفْنِي رَسُولَكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي رَسُولَكَ لَمْ أَعْرِفْ حُجَّتَكَ، اللَّهُمَّ عَرَّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَّتْ عَنْ دِينِي»<sup>(١)</sup> .  
فهذا الدعاء يشير إلى أنّ معرفة الإمام ليست مسألة فكرية فقط ، بل هي مسألة وجدانية .

وَعَنْ عَلَيْ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَخِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قَالَ: قُلْتُ: مَا تَأْوِيلُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَأْوِيُّكُمْ عَوْرَأً فَمَنْ يَأْتِيَكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ»<sup>(٢)</sup> [الملك: ٣٠]، فَقَالَ: «إِذَا فَقَدْتُمْ إِمَامَكُمْ فَلَمْ تَرُوهُ، فَمَاذَا تَصْنَعُونَ؟»<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

«أَيُّ أَرْضٍ تُقْلِكَ أَوْ ثَرَى».

هذا التعبير يرتفع إلى مستوى الانهيار الروحي والكارثة النفسية ، فهو تصوير وجداني بالغ التأثير ، يجسّد حالة العجز والانكسار أمام غياب الإمام عليه السلام .

أيُّ تراب ينال شرف قربك؟

هذه هي نفوس المؤمنين التي أضناها فقد ، وأظمأها غيابك ، فازدادت شوقاً واحترافاً بنورك الموعود .

(١) الكافي (ج ١ / ص ٣٣٧ / باب في الغيبة / ح ٥) .

(٢) الإمامة والتبصرة (ص ١٢٥ / ح ١٢٤) .

أما نفوس أهل الظلم والانحراف، فهي منذ أن حادت عن هديك، لا تزال غارقة في ظلمات الجور والابتعاد، تتخبّط في أودية العصيان، بعيدة كلّ البعد عن سبيل الحقّ والنور.

إنَّ غيتك يا سيدِي ليست غياباً فقط عن المكان، بل هي ألم حاضر في الزمان، جرح مفتوح في قلوب المحبّين، لا يلتئم إلَّا بظهورك الذي تنتظره الأرض والسماء ليعود للكون أتزانه، وللحقّ نوره، وللإنسانية خلاصها. الحياة - في ظلّ هذه الغيبة - امتلأت ظلماً وجوراً، فغابت معاني الطمأنينة، وتكاثرت الآلام، ولو لا وصيَّة أهل البيت عليهما بالصبر والانتظار لكان هذا الألم الحارق اللَّاهِب كافياً ليهوي بنفوسنا وأرواحنا إلى الهلاك. وكيف لا يكون كذلك وهو غيبات للطف الله ورحمته ورأفته عناً.

الداعي يعُجُّ متسائلاً عن المكان الذي يوجد فيه الإمام عليه السلام، وهل هناك أرض معينة اختارها لتكون موضع غيته، كي يذهب إليها ويسكن فيها عسىًّا أنْ يحظى بنظرة منه عليه السلام، أو أَنَّه في مكانه بعيد عن الأعين، تخفيه حكمة الباري تعالى؟

إنَّه تساؤل تملئه الحيرة والشوق، حيث يودّ قلب كل مؤمن أنْ يُدرك أين يستقرُّ مولاه، وأين محطُّ تلك الرحمة الإلهيَّة التي تحملها روحه، كي تكون ملاداً للأرض ومنْ عليها.

\* \* \*

«عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَى الْخَلْقَ وَلَا تُرَى».

يُعبّر هذا النداء عن ألم لا يُوصَف يعتصر قلب الداعي حيث شعورٌ مريرٌ حين يرىُ الخلق يمضون في حياتهم، بينما الإمام عليه السلام - الذي هو النور الإلهي

والقائد الربّاني - غائب عن أنظاره. إِنَّهُ عذاب يمزج بين البعد عن الإمام عليه السلام والخسارة على حرمي العالم من حضوره الذي يحمل معه الهدایة والعدل.

\* \* \*

«بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنَّا».

آهٍ.. يا صاحب الغيبة، يا غائبًا حاضرًا، يا ساكناً في طيّات الأرواح، وإنْ حُجِّبَت عنك الأبصار.. أُفديك بنفسِي، أُسلِّمك روحي، أُضيّع وجودي كله بين يديك، لا عن تصنُّع، بل عن حُبٍ استغرقني حتّى ما عدْتُ أرى لنفسي وجوداً إِلَّا بك، ومتّك، وإِلَيْك.

أنت غائبٌ، نعم، لكنك حاضرٌ فينا بما لا تُدرِّكه العيون، حاضرٌ في أقدارنا، في لطف الله تعالى الساري في تفاصيل حياتنا، حاضرٌ في تأييدهك، حاضرٌ في لطفك الخفي الذي يمنع الأرض أنْ تميد بأهلها، حاضرٌ كالشمس إذا جلَّها السحاب، نراها بنورها وإنْ حجبتها عيوننا.

غيبتك امتحانٌ لنا، لكنَّ حضورك رحمةً مَدَّحْرَةً في غيابك، أنت الغائبُ الحاضر، الذي لا تخلو منه القلوبُ المتيقّنة، ولا الأرواحُ المستظلّة بظلِّ الله عليه السلام، ولا الأيامُ التي تحملُ في باطنها خيوط تدبيركَ المتظرَ.

أيُّ مقامٌ هذا الذي يُسِّنِدُهُ إِلَيْكَ الدعاء؟

مقامٌ مَنْ غابَ عن أعيننا، لكنَّهُ لم يغب عن ذواتنا، مقامٌ مَنْ احتجبَ ستراً، لا بُعداً، مقامٌ مَنْ لو خلا مَنَا هلكنا، ولو خلا قلبٌ مؤمنٌ من ذِكْرِه لترزلت عليه دنياه.

إِنَّهُ غيابٌ مزوج بالحضور، وإنَّه احتجابٌ لا يقطعُ شعاعَ الوصل، بل يُربّينا، يُربّي أشواقنا، يُعظّمُ لفتنا، يُنْضِجَ انتظارنا.

وهنا تتجلى اللوعة:

يا مولاي.. غبت عنّا لتكونَ فيناً أعظم حضوراً، واحتجبت لتكونَ في القلوب أرسخ سلطاناً. لو لا غيبتك، لرکنا إلى العيان، ولو لا غيبتك، ما عرفنا قيمة السوق، ولو لا غيبتك، ما ذفنا طعم الرجاء.

غيبتك امتحانٌ، لكنّها نعمة، لأنك ما غبت إلا لستَ مشيئة الله تعالى في نصرك، وما احتجبت إلا لتشرق في قلوبنا شمسُ الولاء الخالص، وما احتجبت إلا ليكون ظهورك عيداً لا يُضاهيه عيد.

سيّدي أنت أولى بي من نفسي، أنت معنـي حيـاتي، أنت الغائب الذي بدونك أشعر بالغربة وإنْ كنتُ بين أهـلي، وبـلـقـيـاـكـ أـشـعـرـ بـالـوـطـنـ وإنْ كنتُ في المـنـافـيـ.

أنت الذي لم يخلُ منـا..

لأنـكـ فيـ صـلـواتـنـاـ،ـ فيـ دـعـائـنـاـ،ـ فيـ بـكـائـنـاـ،ـ فيـ رـجـائـنـاـ،ـ فيـ أـحـلـامـنـاـ،ـ فيـ هـوـاجـسـ قـلـوبـنـاـ،ـ فيـ تـفـاصـيـلـ يـوـمـنـاـ..ـ

بنـفـسيـ أـنـتـ..ـ

أـيـ كـلـمـةـ هـذـهـ التـيـ تـقـفـ فـيـهـ النـفـسـ خـاـشـعـةـ،ـ كـأـنـهـ تـسـلـخـ نـفـسـهـاـ مـنـ ذـاـتـهـاـ لـتـقـولـ:ـ أـنـتـ،ـ لـأـنـاـ..ـ

أـنـتـ الرـوـحـ حـيـنـ تـجـفـ الأـرـوـاحـ.

أـنـتـ النـبـضـ حـيـنـ يـنـطـفـيـ القـلـبـ.

أـنـتـ الرـجـاءـ الـذـيـ لـاـ يـمـوتـ،ـ وـإـنـ مـاتـ الـآـمـلـ الصـغـيرـةـ فيـ درـوـبـ الـانتـظـارـ.

بنـفـسيـ أـنـتـ مـنـ مـغـيـبـ لـمـ يـخـلـ مـنـا..ـ

لـمـ تـخـلـ الـأـرـضـ مـنـ أـثـرـ قـدـمـكـ،ـ وـإـنـ غـابـتـ خـطـاـكـ عـنـهـاـ.

لَمْ تَخُلِّ الْقُلُوبُ مِنْ بَرِدِ الظَّلَّكَ، وَإِنْ لَمْ تَرَكَ الْعَيْنُ.  
لَمْ تَخُلِّ الْأَرْوَاحُ مِنْ اسْمَكَ، وَإِنْ نَسِيَتِهِ الْأَلْسُنُ.  
آهْ يَا مُولَّاي ..

أَيُّ غِيَابٍ هَذَا الَّذِي صَارَ فِيهِ الْغَائِبُ أَقْرَبَ مِنْ كُلِّ حَاضِرٍ.  
أَيُّ حِجَابٍ هَذَا الَّذِي صَارَ فِيهِ الْمَحْجُوبُ شَمْسًا لَا تَخْبُو تَحْتَ سُحُبِ  
الْغِيَابِ.

أَيُّ ابْتِلَاءٍ هَذَا الَّذِي صَارَ فِيهِ الْفَقْدُ مِيدَانَ الْحَضُورِ الْخَالِصِ، لَا حَضُورَ  
الْجَوَارِحِ، بَلْ حَضُورَ الْأَرْوَاحِ.  
مُولَّاي ..

فِي كُلِّ رَكْعَةٍ أَسْجَدُهَا، تَسْرِي أَسْمَاوِكَ فِي وَجْدَانِي.  
فِي كُلِّ دَمْعَةٍ أَذْرَفُهَا، يَرْتَسِمُ وَجْهُكَ فِي قَلْبِيِ.  
فِي كُلِّ انتِظَارٍ أَعِيشُهُ، تَكْتَمِلُ صُورَتُكَ الَّتِي لَمْ أُبْصِرْهَا قُطُّ، لَكِنَّنِي أَحْمَلُهَا  
نَقْشًا عَلَى جَدَارِ النَّفْسِ.  
مُولَّاي ..

لَمْ تَخُلِّ مَنَا، بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ خَلَوْنَا مِنْ أَنْفُسِنَا حِينَ نَسِينَاكَ.  
نَحْنُ الَّذِينَ غَيَّبْنَا عَنْكَ حِينَ اعْتَقَدْنَا أَنَّنَا نَرَاكَ فِي الْمَحْسُوسَاتِ فَقَطِ.  
أَنْتَ حَاضِرٌ، حَضُورُ الرِّمْزِ فِي التَّارِيْخِ، حَضُورُ الرِّجَاءِ فِي قُلُوبِ الْيَائِسِينِ،  
حَضُورُ الْأَمْلِ فِي صَلَوَاتِ الْمُتَعَيْنِ.

هَذَا، وَتَتَحَدَّثُ جَمِيلَةُ مِنَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ عَنْ رِقَابَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالنَّبِيِّ  
الْأَكْرَمِ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ - وَكَذَا عَنْ رِقَابَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ رَغْمُ غِيَابِهِ فَهُوَ الرَّقِيبُ  
الْشَّاهِدُ -، مِنْ قَبْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النِّسَاءُ: ١)،  
وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (الْبَقْرَةُ: ١٤٣).

عين الله تعالى في خلقه:

ويجدر بنا قبل الحديث عن الذي يراقبنا أن نبحث عن مسألة أخرى في  
غاية الأهمية حاصلها: هل نحن بحاجة إلى مَنْ يراقبنا؟  
قد يقول بعضنا: إنّي أملك شهادةً عاليّةً أو سلطةً ونفوذاً أو جاهماً، وما  
إلى ذلك من الأمور التي تغيني عن أنْ أقع تحت سلطة الرقابة.  
فالعلم مثلاً قد يصوّر لصاحبـه - أي العالم - أنّك لا تحتاج لمن يراقبـك!  
وحسـنُ الـخُلـق قد يصوـر للـشـخص أنه لا يحتاج إلى مَنْ يراقبـه ليضبطـ  
إيقـاعـات تصـرـفـاته!  
وهـكـذا قد يـردـ هـذـا التـسـاؤـلـ.

## والجواب:

في الحقيقة لا يمكن أنْ نتصوّر شخصاً مهماً كانت مكانته يستغني عن وجود رقيبٍ يضبط له مفاهيمه وتصرُّفاته. وقد يطالِب البعض بالدليل على هذه المقوله. وإنَّما هو الوجهان، فإنَّا نشعر بوجداننا أنَّنا مهماً امتلكنا من علم أو سلطة

وَمَا سِيرَةُ الْعَقَلَاءِ بَيْنَا فِي جَعْلِ جَمِيعِ إِدَارَاتِ مُفَاصِلِ الدُّولَةِ تَحْتَ الرِّقَابَةِ  
إِلَّا لِاستِشْعَارِ بَضْرُورَةِ ذَلِكَ.

إذا اتفقنا على ضرورة الرقابة، فتعالوا معي لنلقي نظرة على أصنافها المختلفة، ونلاحظ حاجتنا وإلى أيٍ رقيبٍ نثق أن نركن وبرقابته نأمن؟ إنَّ للرقابة أصنافاً مختلفة:

- ١ - إلهيّة أشارت إليها الآية الأولى.
  - ٢ - نبوّة أشارت إليها الآية الثانية.

٣ - وتنبئ من هذه الرقابة رقابة ولوية للإمام عليه السلام بمقتضى ولايته على الأمة وهدايتها لها.

وقد دللت نصوص عديدة على ذلك، منها هذا المقطع: «السلام عليك يا عَبْدَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ»، وهو جزء من زيارة الإمام المهدى عليه السلام يوم الجمعة <sup>(١)</sup>.

٤ - وهناك رقابة ذاتية ينبغي أن يكون عليها الإنسان، تشير إليها جملة من الآيات أيضاً، كقوله تعالى: «بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرٌ» ﴿١٤﴾ (القيامة: ١٤).

بل إنَّ القرآن الكريم يُحدِّثنا عن شهادة بعض جوارحنا على أنفسنا ولو لا كون هذه الجوارح تُدرك أفعالنا وتسجّلها علينا ما كان من وجه للحديث عن شهادتها علينا، إذ يقول تعالى: «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهُدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» ﴿٦٥﴾ (يس: ٦٥).

فالآلية ظاهرة في أنَّ الجارحة تراقب تصرفات الإنسان وتضبط حركاته وسكناته، بل وتضبط وجهة الحركة ومقصدها.

والذي يتبع هذا المضمار يجد أنَّ علم الاجتماع بتناول هذه المسألة بشكل جدي أكثر، واستفید منها في الواقع الاجتماعي فضلاً عن الفردي بشكل أكبر، ونتج عن ذلك أفكار رائعة في التخلص من مشاكل ذاتية أو اجتماعية كان يصعب إلى حد كبير السيطرة عليها.

فضَّلُّ الإنسان لِيقاعاته يدخل في هذا المضمار، سواءً كان هذا الضبط ناشئاً من أعماقه من دون أن يكون هناك مؤثر خارجي، أو كان بوازع المؤثر الخارجي، لا فرق من هذه الجهة.

ونستعين هنا لأجل ذلك بجملة من الآداب التي تتحلى بها في قضايا دينية

(١) جمال الأسبوع (ص ٤١).

أو اجتماعية لتقرير فكرتنا في ضرورة استشعار رقابة الإمام المهدي  في زماننا، وجعلها مؤشرًا يضبط الواقع أفكارنا ومعتقداتنا وسلوكياتنا. تنصُّ جملة من الآداب الدينية في كثير من العبادات الشرعية على أنَّ هناك تصريحات وهيئات ينبغي أنْ يتحلى بها الشخص ليحصل على الرتبة السامية من عمله الذي يقوم به.

مثلاً في الصلاة بعد تجاوز مرحلة أداء الواجبات والشرط التي بها يكون امثال التكليف من قبل العبد.

تأتي مرحلة الآداب التي تسمو بهذا العمل إلى أعلى رتبة، أو تنخفض به إلى أدنى رتبة، وهو ما يعبر عنها في اللسان الفقهي بمستحبات الصلاة ومكروهاها، فهذا الحدّان يقومان بتغيير الحقيقة الصلاوية من كونها فعلاً يلْفَ بخرقٍ - كما روى ذلك عن النبي  : «إِنَّ مِنَ الصَّلَاةِ يُقْبَلُ مِنْهَا نِصْفُهَا، وَيُرْكَبُ مِنْهَا لَمَّا يُلْفُ كَمَا يُلْفُ الثُّوبُ الْحَلْقُ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا»<sup>(١)</sup>، بل في بعض الأخبار أنَّ الصلاة تدعوه عليه وتقول له: «ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعَكَ اللَّهُ»<sup>(٢)</sup> - إلى كونها فعلاً يوجب أنْ يكون العبد يسمع بسم الله ويبصر ببصره وينظر بنظره<sup>(٣)</sup>، وإنَّ لفارقَ كبيرٍ. وليس هذا الفارق الكبير إلا بسبب آداب هي إلى حدٍ ما تشكّل مظاهر خارجية للصلاة. ومن هذه الحالة نطلق إلى الآداب الاجتماعية التي انعقدت عليها عادات المجتمعات وتقاليدهم فصارت أعرافاً ملزمة يُستهجنَ، بل يُعاقب من يتجاوزها، وهي في ذات الوقت مظاهر خارجية على مستوى الحديث أو الملبس وأمثالها.

(١) عوالي الثنائي (ج / ١ / ص ٤١١ / ح ٧٨).

(٢) الكافي (ج / ٣ / ص ٢٦٨ / باب من حافظ على صلاته أو ضياعها / ح ٤).

(٣) راجع: الكافي (ج / ٢ / ص ٣٥٢ و ٣٥٣ / باب من آذى المسلمين واحتقرهم / ح ٧ و ٨).

إنَّ المجتمع يهتمُّ ولا أقلَّ يراقب:

١ - المظهر الخارجي للأشخاص.

٢ - الكلام والألفاظ المعبرة عن المعاني.

فهما يُشَكِّلان عندنا - بل حتَّى عند الشريعة - قيمةً عاليةً، ولعلَّ ذلك لأجل أنَّ للمظهر والألفاظ قابلية الكشف عن الحقائق الداخلية بنسبة ما، ولذا قال تعالى: **﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُود﴾** (الفتح: ٢٩).

ولا يخفى على مَنْ لامس علم البيان والبديع أنَّ الألفاظ لها آداب، ولحسن الحديث وأدبها مَا شغل أهل هذا الفن طويلاً، وجعلهم يضبطون أوضاعه وينظمونه في إطار قواعد كُلُّها طبقناها أكثر اقتربنا من الهدف.

وكذلك فيما يرتبط بالمظهر وخصوصاً في زماننا هذا نجد أنَّ هناك مؤسَّسات تُدرِّسُ هذا الفنَّ، وأنَّ الشخصيات الكبيرة اجتماعياً تخضع لنظام تدريسي وتدربي، وأنَّ هناك أموالاً طائلة تُصرف في سبيل ضبط المظهر.

وهنا سؤال: لماذا نقصد المظاهر والألفاظ ونتابعها؟

في الحقيقة إنَّنا نجهل الأشخاص المحظوظين بنا، ولأجل التعرُّف عليهم أكثر نتشبَّث بالمظاهر والألفاظ لتكشف لنا بعض حقيقة هؤلاء.

ومن زاوية أخرى فإنَّ الانجذاب للمظهر الحسن والكلام الجميل يُعدُّ من الأمور الوجданية، لاحظ معنِّ قوله تعالى في هذه الآية: **﴿وَرَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾** (البقرة: ٢٤٧)، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يتحدث في مقام التفضُّل على عبده أنَّه زاده بسطةً في جسمه، بل إنَّ في قوله تعالى: **﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِيَّتِهِ﴾** (القصص: ٧٩) إشعاراً لما للزينة من أثر في النفس والانجذاب والميل إلى صاحبها والتأثير به، وعنْ أَمِيرِ الْأُرْمَانِ عَلَيْهِ: **«تَكَلَّمُوا أُتُّرُّكُمْ بِمَنْ تَحْتَ لِسَانِهِ»**<sup>(١)</sup>.

(١) نهج البلاغة (ص ٥٤٥ / ح ٣٩٢).

فالمظهر غالباً كما الألفاظ كاشفٌ عن الأشخاص.

ومن هنا يحسنُ بنا إدارة الكلمات كما المظهر ونعرف متى نتكلّم، وكيف نتكلّم، وبهذا نتكلّم، لأنَّه بضبط ذلك نضبط مقدار تأثيرنا في الناس.

والسؤال الآخر: كيف لي أنْ أملك هذه الأشياء؟

في الحقيقة أنَّ رقابة المجتمع كلَّما كانت صارمة ومنضبطة كانت قادرة على إيجاد هذه الأشياء في الناس المتفاعلين معها، فلو أنَّ شخصاً طُلبَ منه أنْ يتكلَّم في مجتمع معين، تراه يقوم باستعدادات وتهيئة مقدَّمات وتدريبات كثيرة لكي ينجح في هذه المهمَّة، لماذا؟ لأنَّنا نراقبه.

ول يكن، وما تأثير رقابتنا عليه؟!

في الحقيقة أنَّ الرقابة التي يتمتَّع بها المجتمع تُشكِّل أهميَّة كبيرة، لأنَّ هذا الشخص لو فشل في هذه المهمَّة فإنَّه سيخسر وضعًا اجتماعيًّا ونفسياً وربما مالياً.

لو حاولنا نقل هذه الحقيقة التي نمارسها لمرات عديدة في اليوم الواحد إلى علاقتنا بالإمام المهدي عليه السلام، فما الذي سنرى؟

نحن نعرف جيداً أنَّ الإمام عليه السلام هو المرأة التي تعكس وجودنا بجميع حبيباته إلى الله سبحانه وتعالى، لأنَّه هو العين التي تراقبنا، فعلَّم هذا الأساس إذا أردنا أنْ نعرف صحة فعلٍ من أفعالنا أو بطلانه أو رفض عمل أو قبوله فإنَّنا لا بدَّ أنْ نستكشف ذلك من خلال علاقتنا بالإمام عليه السلام، ومتى ضُيِّضَت هذه العلاقة حقيقةً وشكلاً ولفظاً فإنَّها ستتجلَّ أطيب التائج المرجوَّة، وعلى سبيل المثال، فإنَّ الإمام الرضا عليه السلام عندما أراد أنْ يتحدَّث عن أثر الإمام في الأعمال - وبطبيعة الحال أنَّ الإمام عندما يتحدَّث وانطلاقاً من وظيفته فإنَّه يتحدَّث عمَّا يؤثِّر على ضبط

العلاقة بين الإنسان وربّه في الجانب العبادي -، فنراه يقول ﷺ: «بِالْإِمَامِ تَمَامُ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحُجَّةِ...»<sup>(١)</sup>.

إذا سألنا: لماذا به تام الأعمال؟ لماذا لا يكون تام الصلاة بالظاهر الذي نلقى به الله تعالى عندما نكون في الصلاة، وباللفاظ التي نأتي بها عندما نؤديها؟ لماذا يكون الإمام ﷺ هو تام الصلاة والزكاة والصيام؟ فإذا نجد الجواب على لسان الإمام الصادق ﷺ حيث يقول: «نَحْنُ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ»<sup>(٢)</sup>.

فلا بدّ لنا عند القيام بأيّ عملٍ أن نستشعر رقابة الإمام ﷺ علينا وعينه الناظرة إلينا على مستوى روحنا وضبط العلاقة معه، وعلى مستوى مظهرنا وما يؤثّر في تلك العلاقة، وعلى مستوى ألفاظنا وكيف تكون مقوية لتلك العلاقة وضابطةً ومؤثرةً فيها.

والله تعالى يقول: «وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» (التوبة: ١٠٥)، فالإمام ﷺ يرى كلّ ما نقوم به من أعمال ويراقب حقيقة العمل ومظاهره، وينبغي بعد استحضار هذه الحقيقة في نفوسنا أن نجعل أعمالنا من أجمل ما يمكن أن يراه الإمام ﷺ حتى نصير مصداقاً لقول الإمام الرضا ﷺ عندما سأله ابن الجهم: جعلتْ فداكَ، أشتبهِي أَنْ أَعْلَمَ كَيْفَ أَنَا عِنْدَكَ، قالَ: «أُنْظُرْ كَيْفَ أَنَا عِنْدَكَ»<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*

(١) الكافي (ج ١ / ص ٢٠٠) / باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته / ح ١).

(٢) الكافي (ج ١ / ص ١٩٠) / باب في أنَّ الأئمَّةَ شهداهُ الله يُعَلِّمُ على خلقه / ح ٢).

(٣) عيون أخبار الرضا ﷺ (ج ٢ / ص ٥٤) / باب ٣١ / ح ١٩٢).

«عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ تُحِيطَ بِكَ دُونِيَ الْبَلْوَى».

لفظة تتكسر على مذاق الشفاه كقطرة المطر على شفير الوجود، تحمل في طيّاتها أسرار العقيدة وأشواق القلب.

ليست الكلمة تقال، بل هي دمعة الكون على خدّ الزمان، وصرخة الروح في مهبط الغيبة.

«عَزِيزٌ عَلَيَّ» تتنزل هذه الكلمة كالندى على أوراق القلب اليابسة، فتحمل في حرفها الأول أسرار الوجود، وفي حرفها الأخير دمعة الماضي الحائر بين يدي المصير. هي زفراة القدر تتدفق بين ضلوع الزمان، وأنشودة الحنين تردد في أزقة الغيبة الطويلة.

«عَزِيزٌ عَلَيَّ» هذا النداء الموجع يحمل في طيّاته حقيقة الوجود بأكمله: أن تكون الحقيقة غائبة والأمل حاضراً، أن تكون القدوة محجوبة والولاية ظاهرة. الإمام عليه السلام في غيبته كالشمس وراء السُّحب، يُنير ولا يُرى، يحفظ ولا يُحاط به، يشعر بألمنا ونحن نعجز عن إدراك ألمه.

المفارقة العميقية تكمن في أنَّ هذه الإحاطة بالبلوى ليست إلَّا اختباراً لقدرنا على الفهم والصبر.

فكَلَّا ازدادت المحنَّة حول الحجَّة عليه السلام، كان ذلك دليلاً على عمق حاجتنا إليه، وكلَّا عظمت الغيبة، كان ذلك برهاناً على ضعفنا و حاجتنا للتكامل. في هذا المشهد الأسير بين الألم والأمل، تتجلى أسمى درجات العبوديَّة: أنْ تشعر بالعجز فتُسلِّم، وأنْ ترى البلوى فتصبر، وأنْ تُدرك الغيبة فتشكر. فالغيبة ليست عقوبة عند البعض، بل هي رحمة متجددَة، لأنَّها تحمل في طيّاتها درساً عميقاً في معنى الولاية الحقيقية: أنْ تؤمن بها لا ترى، وأنْ تُحبَّ مَنْ لا تلتقي.

«عَزِيزٌ عَلَيْهِ» ليس شكوىٌ من قدر، بل هي صرخة إيمان بأنَّ هذا الفراق لن يدوم.

إِمَّا دموعٌ تُروي أرض الانتظار، فكُلُّ دموعٍ تُسقِّي بِهَا الْأَرْضَ تُبْتِ زَهْرَةَ أَمْلٍ بِقَرْبِ الْلَّقَاءِ.

في عمق هذا النداء، يُولَد سُرُّ عجيب: فكُلُّما اشتدَّ الحصار، ازدادت القلوب تعلُّقاً. وكلَّما طال الانتظار، تعمَّقَ الإيمان. الغيبة ليست غياباً، بل حضورٌ مختلف. البلوى ليست نهاية، بل بدايةً لصحوة. الألم ليس عقوبة، بل مَحْكُمٌ يُظْهِر صدق العبوديَّةِ.

«عَزِيزٌ عَلَيْهِ» هذه الكلمة العظيمة تحمل في داخلها جميع أصوات العُشاق على مَرْ التاريخ: صرخة زينب عليها السلام في كربلاء، وأين الصادقين في زمن الغيبة، ودعاء المؤمنين على أظافر السحر.

جميعها تجتمع في هذه العبارة التي تصف ألم الوجود وحسرة العجز. إنَّ البلوى المحيطة بالإمام عليه السلام هي امتداد لبلوى الأُمَّةِ، فما يعانيه هو يعكس ما تعانيه الرعية. هذه العلاقة التبادلية تكشف عن سُرُّ العقيدة في ارتباط مصير الإمام بالأُمَّةِ.

والعجز عن حماية الإمام عليه السلام ليس نقصاً في المؤمن، بل هو جزء من حكمة الابلاء الإلهي، حيث يصبح الشعور بالعجز دافعاً للتكامل الروحي والعملي.

«أَنْ تُحِيطَ بِكَ دُونِيَ الْبَلْوَى» الإحاطة هنا تحمل بُعداً وجودياً، فكما أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ محيط بكلِّ شيء، فإنَّ الإمام - بحسب معتقدنا - محيط بأمور الأُمَّةِ والناس وغير ذلك، وهذه الإحاطة تكشف عن عمق العلاقة الوجودية بين الإمام والمأمور.

وهذا النداء يعكس إشكالية العلاقة بين القدرة الإلهية والإرادة البشرية، حيث يبقى المؤمن في حالة توازن دقيق بين التسليم لقضاء الله ﷺ والسعى لنصرة إمامه.

إذا رجعنا إلى المفهوم من مقوله الداعي «تحيط بي ذوني» نجد لها تطرح إشكالية الغيبة من منظور علم الكلام، إذ كيف يجمع الإمام بين كونه حجّة الله على خلقه وكونه غائباً عنهم؟

الجواب يكمن في أنَّ الغيبة ليست غياباً عن الوظيفة، بل هي تحول في كيفية أدائها.

ومفهوم «البلوى» يتجاوز المعنى اللغوي إلى المعنى الكلامي، حيث يصبح الابتلاء وسيلة لإثبات حاجة الأمة إلى الإمام، والإمام إلى الأمة، في دائرة من التكامل الوجودي.

في زاوية من زوايا الروح والوجودان نجد أنَّ هذا المقطع يرسم لوحة بأنامل الحنين وألوان الشوق الممزوج بالدموع، حيث يقف المؤمن على شاطئ الغيبة، يرى سفينة النجاة - إمام زمانه ﷺ - تتمايل في بحر من المحن، وهو واقفٌ على الشاطئ مكتوف اليدين. يا للقصوة! أنْ ترى الشمس تحجب بالسُّحب، وأنْ تعلم أنَّ بإمكانك إزالة السُّحب، لكن الأقدار قيَّدت يديك! أَيُّها الوله المستنقع أعلم أنَّ البلوى ليست حدثاً عابراً، بل هي زلزالٌ يهزُ أركان الولاية. فكيف يُحاصر البحر بقطراته؟

وكيف تحيط الظلامُ بالنور المبين؟

إنَّها معجزة المعاناة، حيث يصبح الحجاب نفسه محنَّة، والغيبة عين البلاء. الألم ليس في ابتلاء الإمام ﷺ، بل في أنَّ نكون نحن سبب بلواه، بأنْ نكون غائبين عنه وهو الحاضر، ضائعين وهو الاهادي، عاجزين وهو القويُّ.

وهنا تساقط الكلمات كنجومٍ في ليل الغيبة الطويل، كلُّ كلمةٍ منها شهادةٌ حُبٌّ ترفض اليأس.

هذه الكلمات هي مرآة تعكس أسمى معاني الولاية: أنْ تُحِبَّ حتَّى لو لم تلمس، أنْ تنتظر حتَّى لو طال الزمن، أنْ تؤمن حتَّى لو احتجبت الأنوار. إنَّها قصيدةٌ قلبٌ ينفق بين جرح الحاضر وأمل المستقبل، بين ألم الفراق ووعد اللقاء. في النهاية، تتحول الآلة إلى نشيد، والدموع إلى بصائر، والغيبة إلى شمسٍ تُشرق من وراء الأفق. فما كان النداء إلا بداية الطريق، وما كان الألم إلا مقدمة الفرج. فليستمرُ النداء، وليتواصل العطش، فكلُّ صرخة شوقٍ تُقرِّب موعد اللقاء، وكلُّ دمعة حنينٍ تُسْرِع بزمان الظهور.

وحقٌّ لكلٌّ متلهفٍ وليه أنْ يقول: اللَّهُمَّ اجعلني من الذين إذا اشتَدَّ بحَجَّتك البلوِيُّ، كانوا أحقَّ بحملها دونه، وإذا احتجب نوره، كانوا أولى باستضاءة ذكره. واجعل غيتيه لي ميراث صبر، وانتظاره لي وسيلة قرب، حتَّى أُلْج من باب الحُبِّ إلى رحاب اللقاء، ومن ظلمات الغيبة إلى نور الظهور.

\* \* \*

«بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَازِحٍ مَا يَنْزَحُ [نَزَحَ عَنَّا].»

«بِنَفْسِي أَنْتَ»، يا مَنْ حضورك في الأرواح لا يغيب..  
 «بِنَفْسِي أَنْتَ»، يا مَنْ فيك تطمئنُ الأرواح وتسكن الأوجاع، يا مَنْ إذا ذكرته القلوب انتفضت، وإذا نادته الأفئدة استجاب صداتها من أقصى الوجود.

«بِنَفْسِي أَنْتَ»، يا مَنْ كنت الشوق الذي لا ينطفئ، ومني العيون التي لا تكتمل إلا بلقائك.

أنتَ المعنىُ الذي يعجز الفهم عن إدراكه، والعطر الذي يملأ الأرجاء رغم المسافات، وأنت في غيتك أزهى من كُل بزوع، وأظهر من كُل نور، يا من قلب الأرض يشاق لرؤيتك، وعيون الناس تترقب طلعتك، وكُل نفس تؤمن أنَّك النور الذي يُبَدِّد الظلام.

مولاي.. كيف للسماء أنْ تغلق أبوابها إذا تنفسَت أنفاسك في جنباتها؟  
يا مَنِ اشتاقت إليك الأكون، فكيف إذا تساءل الزمان: متى يكون الفرج؟!

يا مَنْ غَيَّبَ الزمان، وما غبت عن قلوب المحبين..  
أنت سُرُّ الوجود الذي لا يُدْرِكه غير القلب الظاهر..  
يا مَنْ سكنت في كُل مهْبٍ من مهاب الرياح، وفي كُل ثنيَّة من زوايا الأرض.

«بنَفْسِي أَنْتَ»، يا مَنْ عشت في ضمير الكون، وتغلغلت في كُل فكرة حيَّة،  
وملأت أفق الزمان بأطيافك.

أنت الغائب الذي إذا حضر امتلأ الزمان به، وإذا غاب امتلأ المكان  
لשוקك، ولا يغفل عنك قلب إلَّا اشتاقت.

أنت الحقيقة المخفية في خبايا الحياة، والتي لا تنكشف إلَّا لعين أضاءها  
نورك.

«بنَفْسِي أَنْتَ»، لأنَّك السُّرُّ الذي به حياة كُل موجود، وأنت اليقين الذي لا يُخْطِئُ العقل، لأنَّك الغيب الذي تراه العيون بين ثنياً الظلام، وأنت في كُل لحظة، في كُل شوق، في كُل أمنية.

«بنَفْسِي أَنْتَ»، يا سَرَّ الله في أرضه، يا عين الله الناظرة، يا باب الله الذي منه يُؤْتَى.

«بِنَفْسِي أَنْتَ»، يا مَنْ تَحْمِلَتْ جفَاعَنَا، وَجُبِتَ فِي لِيَالِي الْغَيْبَةِ تَنْظُرُ إِلَيْنَا،  
تَخَافُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ لَا نَخَافُ عَلَى أَنفُسِنَا، تَشْتَاقُ إِلَيْنَا وَنَحْنُ فِي هُونَ غَافِلُونَ.  
«بِنَفْسِي أَنْتَ»، يا مَنْ بِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْقُلُوبَ بَعْدَ مَوْتَهَا، وَبِكَ يَبْصُرُ الْعَيْنَوْنَ  
بَعْدَ عَيْاهَا.

مولاي.. أَنْتَ الْغَائِبُ أَمْ نَحْنُ؟!  
أَنْتَ الْمَهَاجِرُ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ هَجَرْنَاكَ؟!  
وَاللَّهُ مَا غَبَتْ إِلَّا عَنْ عَيْنِ أُغْشَى عَلَيْهَا، وَمَا نَزَحَتْ إِلَّا عَنْ قَلْبِ خَرْبَ لَاهٍ  
تَيْهَانَ، وَمَا احْتَجَتْ إِلَّا مِنْ نَفْسٍ غَاصَتْ فِي وَحْلِ الْعَصِيَانِ.  
سَيِّدِي، لَوْ انْجَلْتْ حُجْبَنَا لِرَأْيِنَاكَ مَعْنَا، بَيْنَ أَنفَاسِنَا، فِي زَوَايا وَحَدَّتْنَا، فِي  
قَلْقِ لِيْلَنَا وَسَكِينَةِ سَحْرَنَا.

مولاي، «بِنَفْسِي أَنْتَ»، أَيْ نَفْسِي الَّتِي لَا قِيَامَ لَهَا إِلَّا بِذِكْرِكَ، وَلَا أَمَانَ لَهَا  
إِلَّا تَحْتَ جَنَاحَكَ، نَفْسِي الَّتِي تَاهَتْ فِي مَفَاوِزِ الْعُمَرِ وَمَا اهْتَدَتْ إِلَّا إِلَيْكَ، نَفْسِي  
الَّتِي لَمْ تَعْرِفْ الرَّكُونَ إِلَّا فِي ظَلِّ حُبِّكَ، نَفْسِي الَّتِي تَتَقْطَعُ شَوْقًا إِلَيْكَ وَتَتَلَظَّلُ  
انتِظارًا لِنُورِ طَلْعَتِكَ.

«بِنَفْسِي أَنْتَ»، يا بَقِيَّةِ اللَّهِ، يا مَنْ تُحْيِي الْمَوْتَ بِنَظَرَةِ، وَتَسْكُبُ عَلَى الْجَرَاحِ  
شَفَاءً، يا مَنْ يَمْلأُ الْأَرْضَ قَسْطًا كَمَا مُلِئَتْ جُورًا، يا مَنْ نَنْتَظِرُهُ لَا انتِظَارِ الْغَائِبِ  
فَحُسْبَ، بل انتِظَارِ الْغَايَةِ الْكَبْرِيِّ، انتِظَارِ النُّورِ الَّذِي يُعْثِثُ فِي الْعَرُوقِ فَيُعِيدُ  
لِلْوُجُودِ بِهَاءَهُ، انتِظَارِ الْكَلْمَةِ الَّتِي سُتُّصْفِي بِهَا الْأَرْضَ مِنْ شَائِبَةِ ظَلْمَهَا.

سَيِّدِي، اغْفِرْ لِي تَقْصِيرِي، وَاغْفِرْ لَوْجُودِي الْمُشْوَبِ بِالنَّفْصِ، وَعَلَّقْنِي  
بِحُبِّكَ حَتَّى لَا أَرَى لَنْفَسِي ذَاتًا إِلَّا فِي ظَلَّكَ، وَلَا أَرْجُو فَوْزًا إِلَّا بِلَقَائِكَ، وَلَا  
أَرْتَقِبْ صَبَحًا إِلَّا طَلَوعَكَ، وَلَا أَرْتَلْ دُعَاءً إِلَّا بِاسْمِكَ، وَلَا أُقِيمْ صَلَاةً إِلَّا  
بِخُشُوعِ حَضُورِكَ.

مولاي، علّقني بكَ حتّى لا أحتاج إلى دليل، واملأني بنور حضورك وإنْ طالت الغيبة، فقد علمتُ أنكَ ما غبت عن قلب أحياك، ولا نزحت عن قلب سكن هواك، بل كنت دائماً أقرب من القريب، وأحن من الأُمّ، وأرافق من الأب، وأعطيكَ من كلّ ناصح وولي.

«بنفسي أنت»، يا منْ لو علمتُ أنكَ تغيب طرفة عين عنّي، لانطفأ كلّ قنديل في داخلي، وارتجّ كياني حتّى لا أستقيم بعدها أبداً.

«بنفسي أنت»، لأنكَ سرُّ اشتعال قلوب المحبّين، يا منْ سُمّيت غائباً وما غبت، بل نحن الذين غبنا عنك، حجبنا بغفلتنا، وسجّتنا جهلنا، وطوقنا عجزنا، فصرنا نفتّش عنكَ بين الأزمنة، وأنّ حضورك لا يفاس بالمسافة، بل يفاس بالبصيرة. «بنفسي أنت»، لأنكَ معنى الوجود الخالص، النور الذي تشعُّ به خزائن الغيب، اليد التي تتدبر بالرحمة للقلوب المستوحشة، القلب الذي يحقق لكلّ مظلوم ومهموم، أنت ملاذ كلّ منْ ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وأفق كلّ منْ استحکم اليأس في صدره.

يا منْ لا يغيب عنك صوت ملهوف ولا أنين موجوع، يا منْ صبرت على شيعتك، وتحمّلت أعباء الغيبة من أجلهم.

«بنفسي أنت»، لأنكَ بقيّة الله في أرضه، واليد المدّخّرة لنصرته.

«بنفسي أنت»، لأنكَ البرهان الناطق بأنَّ الله لم يخلق الخلق عبثاً، ولم يتركهم سداً، لأنكَ الشاهد القائم بينا وبين الغيب، لأنكَ ميزان العدل، ومكيال الحقّ، وسراج الهدى.

أنت الغائب الذي بتوقك يتهجّد الصالحون، وباسمك ترتفع الأدعية والأنات، في كلّ خلوة وسحر ومحضر.

يا منْ إذا ذكرتُكَ، طابت لي الدنيا، وإنْ نسيتُكَ، استوحشت الأرض وإنْ

ازدحمت، يا مَنِ اشتياقي إليك ليس نزق نفس، بل توق روح عرفت مقامها،  
وفهمت سرَّ انشدادها إليك.

فإِنِّي بك وإِلَيْكَ، وقلبي ما عرف الأمان إِلَّا حين ارتبط بِذِكرك، ولا طمع  
في النجاة إِلَّا في ظُلُّ رايتك.

مولاي.. يا شمساً لا تأفل، يا بدرًا لا يحتجب، يا أمل الأرض والسماء،  
«بِنَفْسِي أَنْتَ»، يا مَنْ سكنت شغاف القلب حتَّى صار خافقه باسمك، «بِنَفْسِي  
أَنْتَ»، يا مَنْ لا تهدأ روحِي إِلَّا عند تذَكُّرك، ولا تطمئنُ نفسي إِلَّا حين أُنْاجيك،  
ولا تشرق شمسِي إِلَّا إذا رفعت إليك ندائِي.

مولاي.. كيف لا أُذيب ذاتي في حُبِّك، وأنت عطر كُلِّ المعاني الجميلة،  
وصوت كُلِّ الصلوات الصاعدة، وأمل كُلِّ مهموم في ظلماء ليله؟

مولاي.. ما بال الدهور تتعاقب، وأنت ما زلت موعداً نُرِدُّ اسمك في  
قلوبنا، وتبكيك أعيننا، وتشتاق إليك أرواحنا؟ ما بال الأرض تضيق بما رحبت،  
وما بال السماء تنتظر أمر ربهَا، ونحن بين هذا وذاك نذيب أعمارنا في انتظارك؟!  
مولاي.. هل تأذن لنا بلحظة بوح لا يقاطعها ظُنُّ، ولا يشوبها وجُلُّ، ولا  
يحجبها شيءٌ من شوائب الدنيا؟

مولاي.. «بِنَفْسِي أَنْتَ»، يا مَنْ إِنْ حللت في الزمان فتحت خزائن الغيب،  
وانكشفت الأسرار، واستوَى علَى سوقه حلم الأنبياء، ويا مَنْ إِذَا أقبلتَ،  
اكتملت حلقات الحقّ، وانجبر كسر المظلومين، ومُدَّت يد العدل إلى القلوب  
المحطَّمة، ورفرت راية النور على هامات الناس أجمعين.

مولاي.. علِّمني أنْ أكون من المتظرين حقاً، لا بلسان يُرِدُّ اسمك ثم  
ينساك، بل بقلب يحييُّ بك في كُلِّ نبضة، وجوارح ت سابق الساعات في نصرتك.

«**بِنَفْسِي أَنْتَ أُمِّيَّةٌ شَائِقٌ يُتَمَّنِي**».

تعبير يفيض بالوجود والشوق، حيث يضع الداعي نفسه في مقام الفداء للإمام المهدى عليه السلام الذي يمثل أمل الحياة الكبرى، والحلم الذي يراود القلوب المتعطشة لرؤيته.

هذه الفقرة تختزل في كلماتها القليلة كلّ معاني الولاء والتقديس، وأعلى قيم الفداء والتضحية، فالإمام عليه السلام ليس مجرد قائد غائب، بل هو الأمانة الأسمى والغاية القصوى التي يتمنى تحقيقها كلُّ مؤمن، وتسكن في أعماق قلوبهم، وتظلّ حاضرة في كلّ لحظة من حياتهم، مهما طالت غيبة إمامهم عليه السلام. فالإمام عليه السلام هو الرمز للأمل الذي لا ينطفئ، والنور الذي لا يغيب.

إنَّ التمني هنا ليس مجرد رغبة عابرة، بل هو تضحية دائمة وحبٌّ عميق ينساب في أرواح المحبين الصادقين، وكأنَّ حياتهم ذاتها معلقة على تحقيق هذه الأمانة التي تمثل لقاء الإمام في ظهوره.

هذا التعبير يُبرِّز مدى التعلق الروحي والعاطفي بالإمام عليه السلام، حيث يصبح الحلم بلقائه - في ظلّ غيابه الطويلة - مصدراً للقوّة والصبر، ورمزاً لاستمرار الأمل والانتظار وسط الظلمات والآلام التي يعيشها المؤمن في غيابه. إنَّ نداء ينبعض بالولاء، يردد صداته كلُّ قلب شائق، متلهف لليوم الذي تتجلى فيه أمنيته برؤية إمامه عليه السلام المنقذ.

\* \* \*

«**بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ عَقِيدِ عِزٍّ لَا يُسَاقِي**».

هذا التعبير يُجسّد مكانة الإمام عليه السلام كرمز للعزّة المطلقة والقوّة الإلهيَّة التي

لا تُدنِيَها أَيُّ قُوَّةٍ بشرَّيَّةٍ أو مَكَانَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ، فَهُوَ عَزَّوَجَلَّ قَمَّةُ الْمَجَدِ وَالْفَخْرِ، عَقِيْدَةُ وَإِيمَانًا، وَمثَلًاً أَعُلُّ لَا يَمْكُنُ لِأَيِّ شَخْصٍ أَنْ يَلْعَلِّهُ أَوْ أَنْ يَقْرَبَ مِنْهُ.

فَقُولُ الدَّاعِيِّ: «عَقِيْدَةِ عِزٍّ»، يَبْرُزُ مِنْ خَلَالِهِ الْمَعْنَى الْعَمِيقُ لِارْتِبَاطِهِ بِعَزَّةِ اللهِ تَعَالَى الَّتِي تَرْفَعُ أَوْلِيَّاهُمْ، فَهُوَ عَزَّوَجَلَّ لِيُسَمِّعَ فَقْطًا رَمْزًا لِلْعَدْلِ، بَلْ تَجْسِيدُ لِلْعَزَّةِ الإِلَهِيَّةِ الَّتِي تُنِيرُ دُرُوبَ الْمُؤْمِنِينَ وَتَدْفَعُهُمْ لِلْتَّمْسِكِ بِالْحَقِّ وَالثِّبَاتِ أَمَامَ الْمَحْنِ.

وَقُولُ الدَّاعِيِّ: «لَا يُسَامِي»، هَذَا يُؤكِّدُ عَلَى تَفْرُدِ هَذِهِ الْعَزَّةِ وَعَلَوْ مَقَامِ الْإِمَامِ عَزَّوَجَلَّ، فَلَا شَيْءٌ فِي هَذَا الْعَالَمِ يَمْكُنُ أَنْ يَضَاهِي مَكَانَتَهُ، وَلَا أَحَدٌ يَسْتَطِعُ أَنْ يَدْنُو مِنْ سُمُوٍّ، إِنَّهُ مَصْدِرُ الْفَخْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ، تَاجُّ يُزِّيْنُ رُؤُسَهُمْ، وَقُوَّةٌ تَجْعَلُهُمْ صَادِمِينَ فِي وِجْهِ الظُّلْمِ وَالْجُورِ، بَانتِظَارِ ظَهُورِهِ الْمَبَارِكِ الَّذِي سَيُعِيدُ لِلْكُوْنِ عَدْلَهُ وَلِلْإِنْسَانِيَّةِ كِرَامَتَهَا.

بِهَذَا التَّعْبِيرِ يَتَجَسَّدُ الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ عَزَّوَجَلَّ كِرْمَزٌ لَا يُضَاهِي لِلْعَزَّةِ الرِّبَّانِيَّةِ الَّتِي تَنْحَى أَتَّبَاعُهَا الْأَمْلَ في تَحْقِيقِ النَّصْرِ وَالْخَلَاصِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ، لِيَظْلِمَ مِنَارًا مُضِيَّاً فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ، وَعَنْوَانًا لِلْعَزَّ الَّذِي لَا يَنْقُطُ.

\* \* \*

«إِلَى مَتَّىٰ أَحَادُرُ فِيكَ يَا مَوْلَايَ».

هَذَا التَّعْبِيرُ يَفِيْضُ بِالشُّوْقِ وَالْتَّلْهُفِ، حِيثُ يَرْفَعُ الدَّاعِيُّ صَوْتَهُ مُتَسَائِلًا، مُتَأْلِمًا مِنْ طُولِ الْغِيَابِ، وَمُشْتَاقًا لِلْحَظَةِ الظَّهُورِ.

إِنَّهُ سُؤَالٌ يَحْمِلُ بَيْنَ كَلِمَاتِهِ مَعْانِيَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَئْنُونَ تَحْتَ وَطَأَةِ الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ، مُتَطَلِّعِينَ إِلَى مُنْقَذِهِمْ وَمُخْلِصِهِمْ. هَذَا التَّسَاؤلُ لِيُسَمِّعَ مُجَرَّدًا اسْتِفْسَارًا عَنِ الْوَقْتِ، بَلْ هُوَ نَدَاءٌ يَحْمِلُ وَجْدَانًا مَلِيئًا بِالْحُبُّ وَالْاحْتِرَاقِ، وَكَانَ الْقَلْبُ يَخَاطِبُ

الإمام عليه السلام مباشرةً: إلى متى ستظل الغيبة جاثمة على أرواحنا؟ وإلى متى سنبقى ننتظر عودتك يا سيد يلتما الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً؟

\* \* \*

«هَلْ مِنْ مُعِينٍ فَأَطْيَلُ مَعَهُ الْعَوِيلَ وَالْبُكَاءَ».

تساؤل يفيض بالألم والوحدة، حيث يعبر الداعي عن شعور عميق بالعجز في مواجهة المحنـة الطويلة التي طالت بغياب الإمام عليه السلام، إنه نداء يبحث فيه الداعي عن رفيق في الحزن، ومعين يواجه معه هذه الغيبة الموجعة، ليشاركه البكاء والتضرع، وكأنـ البكاء نفسه يصبح وسيلة للتخفيف من ثقل هذه المعانـة، إنـ هذا السؤـال ليس مجرد طلب للمساعدة، بل هو تصوير لحـالة وجـدانـية من الوحدـة التي يـشعر بها المؤمن في غـيـابـ الإمام عليه السلام، وكـأنـه يقول: هل هناك من يـشارـكـنيـ هذهـ الحـرقـةـ؟ هلـ هناكـ منـ يـعـينـيـ فيـ هـذـهـ المـحـنـةـ الـتـيـ تـكـادـ تـسـهـلـكـنـيـ؟

إـنهـ شـعـورـ بـالـضـيـاعـ فـيـ عـالـمـ يـفـتـقـدـ الـعـدـالـةـ وـالـقـسـطـ، حيثـ يـصـبـحـ البـكـاءـ تـعبـيراـ عـنـ الشـوـقـ وـالـاحـتـيـاجـ الـلـحـ لـعـودـةـ الـإـمـامـ عليه السلام، وـفـيـ هـذـاـ التـعبـيرـ أـيـضاـ تـكـمـنـ دـعـوـةـ لـلـتـازـرـ، فالـدـاعـيـ لاـ يـبـحـثـ فـقـطـ عـنـ مـنـ يـشـارـكـهـ الـأـلـمـ، بلـ أـيـضاـ عـنـ مـنـ يـعـيـنـهـ عـلـىـ الـبـكـاءـ وـالـعـوـيلـ، ليـحـمـلـ مـعـهـ عـبـءـ الـانتـظـارـ وـالـخـنـينـ، فيـكـونـ الـبـكـاءـ صـورـةـ مـنـ صـورـ التـضـامـنـ الـرـوـحـيـ وـالـوـجـدانـيـ فـيـ وـجـهـ المـحـنـةـ.

هـذـاـ النـدـاءـ يـبـرـزـ بـوـضـوحـ كـيـفـ أـنـ الغـيـبةـ لـيـسـ مـجـرـدـ غـيـابـ جـسـديـ، بلـ مـحـنـةـ وـجـودـيـةـ تـحـمـلـ أـثـقـالـاـ النـفـوسـ الـمحـبـةـ، وـتـحـوـلـ مـعـهـ الدـمـوعـ إـلـىـ لـغـةـ مـشـترـكـةـ تـعـبـرـ عـنـ الـخـنـينـ، وـالـأـلـمـ، وـالـأـمـلـ الـذـيـ لـاـ يـنـطـفـئـ فـيـ قـلـوبـ الـمـتـظـرـيـنـ.

\* \* \*

«مَتَىٰ نَرِدُ مَنَاهِلَكَ الرَّوِيَّةَ فَنَرَوْيٰ».

عبارة تحمل شوقاً عميقاً وتوقاً صادقاً إلى تلك اللحظة التي يلتقي فيها الداعي بإمامه عليه السلام، ليغترف من معين علمه وحكمته، ويُشبع ظمأ روحه التي أنهكتها طول الغياب.

فالمناهل الروية، هي منابع الحكمة والمعرفة التي يمتلكها الإمام عليه السلام، وهي منابع عذبة، متداقة، لا تنضب، يرتوى منها كل من تاقت نفسه للحق وأرهقه التي في ظلمات الجهل والباطل، وهي ليست مجرد معرفة عقلية، بل هي نور يحيي الأرواح، وعدل يروي العطشى من منهل نهر اليقين بعد ظمأ طويل. وهنا الداعي يرى في الإمام عليه السلام ذلك الغيث الموعود الذي سيحيي قلوب الأمة، فيمنحها حياة جديدة مليئة بالعدل، والرحمة، والهدى.

هذا المقطع، تعبير عن توق عميق إلى اليوم الذي تعود فيه الأرض إلى استقامتها بظهور الإمام عليه السلام، وأن هذا الارتواء المرتقب سيمحو آثار العطش الذي طال أمده، ليبقى الأمل مشرقاً في القلوب، رغم كل محن الغياب.

\* \* \*

«مَتَىٰ تَرَانَا وَنَرَاكَ وَقَدْ شَرَتْ لِوَاءَ النَّصْرِ».

هذا التعبير ينبض بالشوق والرجاء، حيث يطرح الداعي تساؤلاً ملؤه الأمل والتوق إلى اللحظة التي يلتقي فيها بالإمام عليه السلام، في ظل عودته الظافرة التي يرفع فيها لواء النصر، ويتحقق العدل في الأرض.

إنه تساؤل ينبعق من أعماق قلب مؤمن يشتاق إلى رؤية إمامه المتظر عليه السلام وهو يقود الأمة إلى الفتح الكبير، ويستعيد الحقوق المسلوبة، ويُعيد التوازن للعالم الذي احتل بفعل الظلم والفساد.

هذا المقطع، يشير إلى لحظة تحقق النصر الإلهي، حيث يحمل الإمام عليه السلام راية الحقّ، ويفتح طريق العدل الذي يغمر الأرض ويُطهّرها من جور الطغاة. يقول المقطع على لسان الداعي: إِنَّه لِيُسْ مُجَرَّد نَصْر سِيَاسِيٍّ أَوْ دِينِيٍّ، بل هُوَ نَصْرٌ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ، نَصْرٌ يَعْثُثُ فِي الْقُلُوبِ السَّكِينَةَ، وَيُطَهِّرُ النُّفُوسَ، وَيُعِيدُ لِلْأُمَّةِ كِرَامَتَهَا وَسُؤَدَّهَا.

الداعي يتمنّى أنْ يعيش هذه اللحظة المرتقبة، التي يجتمع فيها الحقّ والعدل، وينطمس فيها الجور والظلم، ويُطّوّق فيها عنق الأرض لواء النصر الإلهي، إِنَّه أَمْلَى يُحِبِّي فِي الرُّوحِ، وَتَسْتَجِيبُ لَهُ أَعْقَمُ أَمَانِي الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَرْقِبُونَ ظَهُورَ الْإِمَامِ عليه السلام لِيَضْعُوا أَقْدَامَهُمْ عَلَى أَرْضِ تَمَلُّهَا الْعَدْلَةُ، وَتَغْمُرُهَا الرَّحْمَةُ، وَتَشْرُقُ فِيهَا شَمْسُ الْغَائِبِ. هَذَا النَّدَاءُ يُعبِّرُ عَنْ حَالَةِ انتِظَارٍ مُلِيَّةٍ بِالْيَقِينِ، بِأَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ سَيَتَحَقَّقُ، وَأَنَّ النَّصْرَ الَّذِي يُتَنَظَّرُ لَيْسَ بَعِيدًا، بَلْ هُوَ وَعْدٌ قَرِيبٌ سَيَأْتِي عَلَى أَيْدِي الْإِمَامِ عليه السلام، لِيَشْرُقَ الْعَالَمُ مِنْ جَدِيدٍ بِنُورِ الْهُدَى الإِلَهِيَّةِ.

\* \* \*

«أَتَرَانَا نَحْفُظُ بِكَ وَأَنْتَ تَؤْمُمُ الْمَلَأَ».

هذه الفقرة تحمل بين ثناياها أسمى آمال الداعي وأعمق أماناته، حيث يُعبّر عن حلمه الكبير في أنْ يكون من الذين يحيطون بالإمام عليه السلام، يرافقونه ويسيرون في ركب نصره وعزّته، هو يتمنّى أنْ يراه عليه السلام وهو يقود العالم إلى العدل، يُحقّق النصر الذي طال انتظاره، ويقضي على كلّ مظاهر الجور والفساد. الفقرة تُعبّر عن الرغبة العميقه في أنْ يكون المؤمن قريباً من الإمام عليه السلام، يعيش لحظات الظهور ويشارك في تحقيق هذه المرحلة العظيمة المنتظرة، وفي الروايات ما يُعبّر عن بعض ذلك، ومنها ما رواه العلّامة المجلسي رحمه الله: عَنْ

الْعُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: «لَهُ كَنْزٌ بِالْطَّالِقَانِ مَا هُوَ بِذَهَبٍ، وَلَا فِضَّةٍ، وَرَأْيَهُ لَمْ تُشَرِّفْ مُنْذُ طُوَيْتُ، وَرَجَالٌ كَانَ قُلُوبُهُمْ زُبُرُ الْحَدِيدِ، لَا يَشُوُّهُمَا شَكٌّ فِي ذَاتِ اللَّهِ، أَشَدُّ مِنَ الْحَجَرِ، لَوْ حَمَلُوا عَلَى الْجِبَالِ لَأَرَوْهَا، لَا يَقْصِدُونَ بِرَأْيَاتِهِمْ بَلْدَةً إِلَّا خَرَبُوهَا، كَانَ عَلَى خُيُولِهِمُ الْعِقبَانَ، يَتَمَسَّحُونَ بِسَرْجِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَطْلُبُونَ بِذَلِكَ الْبَرَكَةَ، وَيَحْمُمُونَ بِهِ، يَقُولُونَ بِأَنفُسِهِمْ فِي الْأَحْرُوبِ، وَيَكْفُونَهُ مَا يُرِيدُ فِيهِمْ، رِجَالٌ لَا يَأْمُونُ الْلَّيْلَ، هُمْ دَوِيٌّ فِي صَلَاتِهِمْ كَدَوِيٌّ الْنَّحْلِ، يَسْتُوْنَ قِيَاماً عَلَى أَطْرَافِهِمْ، وَيُصْبِحُونَ عَلَى خُيُولِهِمْ، رُهْبَانٌ بِاللَّيْلِ لَيُوْتُ بِالنَّهَارِ، هُمْ أَطْوَعُ لَهُ مِنْ أَلْأَمَةٍ لِسَيِّدِهَا، كَالْمَصَابِيحِ كَانَ قُلُوبُهُمْ أَقْنَادِيلُ، وَهُمْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ مُشْفِقُونَ، يَدْعُونَ بِالشَّهَادَةِ، وَيَتَمَنَّونَ أَنْ يُقْتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، شِعَارُهُمْ: يَا لَثَارَاتِ الْحُسَيْنِ، إِذَا سَارُوا يَسِيرُ الْرُّعْبُ أَمَامَهُمْ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، يَمْشُونَ إِلَى الْمَوْلَى إِرْسَالاً، بِهِمْ يَنْصُرُ اللَّهُ إِمَامُ الْحَقِّ»<sup>(١)</sup>.

إنَّ الحَفَّ بالإِمامِ عليهِ السَّلَامُ لا يعني مجرد التواجد الجسدي حوله، بل يعني الانخراط في مشروعه الإلهي، واحتضان قيمه من العدالة والإصلاح والمساواة والقسط، والوقوف في صفة تحقيق الأمن والسلام ونشر الإسلام الأصيل على الأرض.

هناك – قريراً إنْ شاء اللَّهُ تَعَالَى – حيث الإِمامُ عليهِ السَّلَامُ هو قائد الملا، يحكم بالعدل ويفود العالم.

الداعي لا يتمنّى فقط أنْ يكون قريراً من الإِمامِ عليهِ السَّلَامُ، بل يتمنّى أنْ يكون جزءاً من هذه الملهمة الكبرى، التي يرى فيها الإِمامُ عليهِ السَّلَامُ وهو يسود الأرض بالعدل، ويعيد الحقَّ إلى نصابه.

هذه الكلمات الندية المباركة تُمثّل أسمى درجات التمني والانتظار، فهي

(١) بحار الأنوار (ج ٥٢ / ص ٣٠٧ و ٣٠٨ / ح ٨٢)، عن سرور أهل الإيمان (ص ٩٦ و ٩٧).

تعبير عن الفخر والشرف الكبير الذي يتظره المؤمنون في اللحظة التي سيقف فيها الإمام ﷺ، قائداً للعدل، ومنقذاً للبشرية، ويكونون هم من المقربين والحافيين حوله، يشاركونه في بناء العالم الجديد، والذي تتنسم فيه الأرض عبر السلام والإيمان والإسلام الحق.

### نظرة المؤمن للحياة:

وُجِدَ الناس في هذه الدنيا ومصيرهم إلى غيرها، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٤).  
يُدرك هذه الحقيقة جميع الناس، إلا أنَّ مَنْ يَعْمَلُ لَهَا هُمْ أَقْلَى الْقَلِيلِ.  
نَحْنُ عَلَى يقينٍ تَامٍ أَنَّنَا سَنَغَادِرُ هَذِهِ الْحَيَاةِ إِلَى حَيَاةٍ أُخْرَىٰ رَغْمَ شَدَّةِ تَمُسُّكِنَا بِهَا.

نَسِيرُ جَمِيعاً إِلَى تِلْكَ الدَّارِ، وَكُلُّ سَاعَةٍ تَنْقُضُّنِي مِنْ أَعْمَارِنَا تُقْرِبُنَا إِلَى دَارِ مَسْتَقْرِرِنَا.

هَذِهِ الْحَقِيقَةُ النَّاصِعَةُ الْحَاضِرَةُ فِي وَجْدَانِ وَمَرْتَكَزَاتِ جَمِيعِ بَنِي آدَمَ، يَتَمُّ تَغْيِيبِهَا بِقَصْدِ أَوْ بِغَيْرِهِ.

وَكَمْ مِنْ نَظِيرٍ لَهُذَا فِي الْكَثِيرِ مِنْ قَضَايَا الْإِنْسَانِ الْعُلْمَيَّةِ وَالْعَلْمَيَّةِ، الْدِّينَيَّةِ أَوِ الدِّينِيَّةِ. وَمِنْ بَيْنِ تَلْكُمِ الْقَضَايَا الْوَاضِحَةِ الْحَضُورِ وَالْأَرْتَكَازِ، وَالْمَغْيِبةُ فِي ذَاتِ الْوَقْتِ، هِيَ الْعِقِيدَةُ بِالْإِمَامِ الْحَجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ عليه السلام، فَهُوَ الْإِمَامُ الْحَاضِرُ الَّذِي يَحِبُّ عَلَى النَّاسِ الْإِيمَانَ بِإِمَامَتِهِ الْفَعْلَيَّةِ وَالْيَقِينَ بِحُضُورِهِ مَعْنَا، وَلَكِنْ بَعْضُ مَنْ يُؤْمِنُ بِهَذِهِ الْعِقِيدَةِ لَا يَسْتَحْضُرُهَا، وَلَا يَرَى حُضُورَ الْإِمَامِ عليه السلام فِي نَفْسِهِ وَوَجْدَانِهِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَتَعَامِلُ مَعَهُ عليه السلام بِأَنَّهُ حَاضِرٌ وَيَرَاقِبُ النَّاسَ وَيُوَجِّهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْغَيْبِ بِهَا فِي صَلَاحِهِمْ، قَالَ عليه السلام: «نَحْنُ وَإِنْ كُنَّا نَأْوِينَ بِمَكَانِنَا الْنَّائِي عَنْ مَسَاكِنِ الظَّالِمِينَ، حَسَبَ اللَّذِي أَرَانَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا مِنَ الصَّلَاحِ»

وَلِشِيعَتَنَا الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ مَا دَامَتْ دَوْلَةُ الدُّنْيَا لِلْفَاسِقِينَ، فَإِنَّا نُحِيطُ عِلْمًا بِأَبْنَائِكُمْ، وَلَا يَعْزُبُ عَنَّا شَيْءٌ مِّنْ أَخْبَارِكُمْ، وَمَعْرِفَتُنَا بِالذُّلُّ الَّذِي أَصَابَكُمْ مُذْ جَنَاحَ كَثِيرٍ مِّنْكُمْ إِلَى مَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ عَنْهُ شَاسِعًا، وَنَبَذُوا الْعَهْدَ الْمَأْخُوذَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّا غَيْرُ مُهْمَلِينَ لِرَاعَاتِكُمْ، وَلَا نَاسِينَ لِذِكْرِكُمْ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَنَزَّلَ بِكُمُ الْأَلَّوَاءُ أَوْ اصْطَلَمْتُمُ الْأَعْدَاءَ، فَاتَّقُوا اللَّهَ جَلَّ جَلَلَهُ، وَظَاهِرُونَا عَلَى إِنْتِيَاسِكُمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَدْ أَنَّافَتْ عَلَيْكُمْ، يَهْلِكُ فِيهَا مَنْ حُمِّلَهُ، وَيُحْمِي عَنْهَا مَنْ أَدْرَكَ أَمْلَهُ، وَهِيَ أَمَارَةٌ لِأَزْوَافِ حَرَكَتَنَا، وَمُبَاشِتُكُمْ بِأَمْرِنَا وَنَهْيِنَا، وَاللَّهُ مُتِمٌ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ...»<sup>(١)</sup>.

ورغم أنَّ المهدوَيَة قد دَلَّتْ عليها الأدلة اليقينية القطعية، إلَّا أنَّنا نُشرِّع بالوجودان غيابها عند بعض الناس.

حتَّى عَبَرَتْ بعْضُ الرِّوَايَاتِ بِأَنَّ جَمْلَةَ مِنْ هُؤُلَاءِ يَصِلُّ بِهِ التَّشْكِيكُ إِلَى حدٍّ إِنْكَارِ الولادةِ وَعَدَمِ الإِيمَانِ بِهَا، كَمَا جَاءَ فِي مَا رَوَاهُ الْمُفَضَّلُ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَالْتَّنْوِيَةِ، أَمَّا وَاللَّهِ لَيَغْيِيَنَّ إِمَامَكُمْ سِنِينَ مِنْ دَهْرِكُمْ، وَلَيَمْحَصَنَّ حَتَّى يُقَالَ: مَاتَ، قُتِلَ، (هَلَكَ)، بِأَيِّ وَادٍ سَلَكَ؟ وَلَتَدْمَعَنَّ عَلَيْهِ عُيُونُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَتَكَفَّانَ كَمَا تُكْفَأُ السُّفَنُ بِأَمْوَاجِ الْبَحْرِ، فَلَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُ، وَكَتَبَ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ، وَأَيَّدَهُ بِرُوحِ مِنْهُ، وَلَتُرْفَعَنَّ إِشْتَانَ عَشْرَةَ رَأْيَةً مُشْتَبِهَةً لَا يُدْرِكُ أَيُّ مِنْ أَيِّ»، قَالَ: فَبَكَيْتُ، وَقُلْتُ: فَكِيفَ نَصْنَعُ؟ فَقَالَ: «يَا أبا عَبْدِ اللَّهِ»، وَنَظَرَ إِلَى الشَّمْسِ دَاخِلَةً إِلَى الْصُّفَةِ، قَالَ: «فَتَرَى هَذِهِ الشَّمْسَ؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «وَاللَّهِ لَأَمْرُنَا أَبْيَنُ مِنْ هَذِهِ الشَّمْسِ»<sup>(٢)</sup>.

في مقابل هُؤُلَاءِ هُنَاكَ مَنْ يَرِيُّ وجودَ الْإِمَامِ عَلَيْهِ حَاضِرًا في كُلِّ زَاوِيَةٍ

(١) الْاحْتِجاجُ (ج / ٢ ص ٣٢٢ و ٣٢٣).

(٢) الْغَيْبَةُ لِلْطَّوْسِيِّ (ص ٣٣٧ و ٣٣٨ / ح ٢٨٥).

ومقطع من وجوده، فيرى ما لا يراه غيره، ويستشعر ما لا يستشعره الناس، ويعامل مع وجود الإمام الغائب على أنه عين الله تعالى في الخلق، والرقيب عليهم، فعن أبي جعفر , قال: «نَحْنُ الْمَثَانِي الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ تَبَيَّنَاهُ مُحَمَّدًا ، وَنَحْنُ وَجْهُ اللَّهِ نَتَقَلَّبُ فِي الْأَرْضِ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ، وَنَحْنُ عَيْنُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، وَيَدُهُ الْمَبْسُوْطَةُ بِالرَّحْمَةِ عَلَى عِبَادِهِ، عَرَفَنَا مَنْ عَرَفَنَا، وَجَهَنَّمَ مَنْ جَهَنَّمَ...»<sup>(١)</sup>.

وفيزيارة المخصوصة به  في يوم الجمعة: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَيْنَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نُورَ اللَّهِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ الْمُهَتَّدُونَ، وَيَرْجِعُ بِهِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْمُهَدَّبُ الْخَاتِفُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْوَلِيُّ الْنَّاصِحُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا سَفِينَةَ النَّجَاهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَيْنَ الْحَيَاةِ...»<sup>(٢)</sup>.

وهؤلاء القلة من الناس ممن يملك هذا الإيمان، قد وصفتهم بعض الروايات بأنهم أعز من الكبريت الأحمر، لأنهم يؤمنون به سواداً على بياض، ولكن هذا الإيمان العلمي كان حافزاً لهم على تجسيده وتحقيقه في كل زاوية من زوايا وجودهم، فإنهم يرون ما لا يرى الناس بسبب عقيدتهم بالإمام  على حد تعبير أمير المؤمنين  حينما قال: «فَكَانُوا قَطَّعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، فَكَانُوا اطْلَعُوا عُيُوبَ أَهْلِ الْبَرَزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَانُوا يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ...»<sup>(٣)</sup>.

العين الثانية، هكذا يجب أن تقرأ القضايا ذات الاهتمام الكبير، والتي تؤثر

(١) الكافي (ج ١ / ص ١٤٣ / باب النوادر / ح ٣).

(٢) جمال الأسبوع (ص ٤١).

(٣) نهج البلاغة (ص ٣٤٢ و ٣٤٣ / ح ٢٢٢).

على تغيير مسار الإنسان من زاوية الواقع لا بعين واحدة، أي إنَّ الإنسان لا بدَّ أنْ يقرأ ما يؤثِّر في بناء عقيدته وسلوكه بعين ثانية.

ولا يبالغ إذا قلنا: إنَّ هذه الحالة هي التي تجرف الإنسان وتجعله أسير أفكار لا تمتُّ بصلة للعقيدة التي ينبغي أنْ يتحلى بها، وينظم على أساسها ممارسات تقوده إلى طريق النجاة.

فينبغي لنا لوزن الأحداث وضبط الأفكار وعدم انفلات أيٌّ منها وابعاث أفكار متأثرة بواقع آنيٍّ، أنْ ننظر بعين ثانية.

\* \* \*

«وَقَدْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ عَدْلًا، وَأَذَقْتَ أَعْدَاءَكَ هَوَانًا وَعِقَابًا، وَأَبْرَأْتَ الْعُتَّاَةَ وَجَحَدَةَ الْحَقِّ، وَقَطَعْتَ دَابِرَ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَاجْتَثَثْتَ أُصُولَ الظَّالَّمِينَ، وَنَحْنُ نَنْقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمَيْنَ».

هذه الفقرة تُعبِّر عن الأمل العميق في أنْ يشهد الداعي لحظة ظهور الإمام عليه السلام، حيث يملأ الأرض بالعدل الذي يُطفئ نيران الظلم، ويعيد حقوق المظلومين. كما يتمنى أنْ يرى أعداء الحق قد نالوا جزاءهم العادل، معذَّبين ومهزومين، إذ إنَّ هذا العقاب ليس مجرد عقوبة دنيوية، بل هو انتصار لحق إلهي يُستعاد، وذلٌّ على الطغاة الذين ظلموا البشرية وعبثوا بالأرواح والحقوق طيلة عهود متَّدية.

وفي النهاية، تكتمل الصورة التي يرثون إليها الداعي: لحظة النصر والتسليم الكامل لله تعالى، حيث تُرفع الأفواه بالشكر والامتنان لله الذي قضى بهذا الفرج، واستجواب لدعوات المؤمنين وانتظارهم.

«الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»، هذا التعبير عن الشكر العميق للرحمة الإلهية التي جلبت النصر، وإعلانٌ عن رضا المؤمنين وسعادتهم برؤيه الحق قد تحقق، وملاً الأرض بركاتٍ وسلاماًً بعد فترة طويلة من الشدائِد والانتظار. إنها لحظة نهاية الظلم وبداية الحق، حيث تتنفس الأرض هواءً جديداً، وتستعيد البشرية طهارتها وأمانها وسلامها وإسلامها الأصيل.

## حكومة المستقر و خاتمة الأمر:

لا يمُرُّ يوم من الأيَّام في زماننا هذا إلَّا ونجد للقُفَّزات العلميَّة والتَّطْوُر النوعي الهائل صدًى أو خبراً يُحدِّثنا عن زاوية حصل فيها ابتكار، أو برنامج لو أخبرنا به قبل مشاهدته لكان ضرباً من الخيال، واتَّهاماً للمتَّحدُث به بالجنون. فيَنِيَّ أَيَّدِينَا التَّطْوُر الهائل في وسائل الاتِّصال ونقل المعلومات إلَى الكترونيَّا، وفي مجال الفضاء واكتشاف الكواكب والمجَّارات، إذ يقف العقل مذهولاً لما توصلَ إلَيْه الإنسان من اكتشافات وحصل عليه من معلومات، والمسيرة في تقدُّم متسارع منقطع النظير، فلا يكاد يمُرُّ يوم، بل ساعة إلَّا وهناك قفزة علميَّة واكتشاف في مجالٍ ما.

وإذا رجعنا إلى الروايات التي تتحدث عن التقدّم العلمي في زمان الظهور المبارك لصاحب الزمان عليه السلام نجد أنَّ بعضًا منها تتحدث عن نسبة ما يصل إليه العالم من العلم قبل الظهور، ونسبة ما سيصل إليه بعده، وأخرى تحدّثنا عن جوانب من ذلك التطوُّر أو الانقلاب الكوني الهائل في عصر الظهور.

وأبحاث من هذا القبيل لا يمكن الوقوف عليها والتماس نتائجها إلا بالاستعانة بالروايات التي تمثل بالنسبة لها المجلّسات والكواشف التي تطلُّ على الواقع ويُبصِّر من خلاها بمقدار ما تحدّث عنه الروايات، إذ بمعزل عن ذلك لا يمكن للفرد أن يلتمس الحقائق مجرّدة عنها.

وإذا سرّ حنا النظر في هذين النموذجين من الروايات، نجد أنَّ النموذج الأول الذي يجري عمليَّة المقايسة بين ما قبل وما بعد الظهور يعطي نسبة الأربعة عشر ضعفاً لما وصل إليه العالم قياساً بها قبل، فخذ أيَّ نموذج من النماذج التي تلحظ فيها تطُوراً متزايداً، ويقاد كُلُّ نحو من أنحاء هذا التطُور يُوقف العقل ذهولاً، فإذا أردت مقاييسها بها بعد الظهور فاضربها بأربعة عشر مرَّة تطُوراً لتلتمس الحالة التي سيكون عليها التطُور في عصر الظهور المبارك. والأمر متزوك لك في اختيار النماذج ومقاييسها بهذه النسبة، وهي في حد ذاتها نسبة لا يمكن الجزم بأنَّها هي فقط دون غيرها زيادة، إذ إنَّ الأحاديث التي أرادت المقايسة بين ما قبل وما بعد تحدَّث بعضها عن أنَّ للعلم سبعاً وعشرين جزءاً، وقالت: إنَّ جميع ما قبل الظهور هو بجزئين سينضمان إلى الخمسة والعشرين جزءاً وسيُبَيَّنُها القائم عليه السلام جميعاً في العالم حين ظهوره، وتلك الأجزاء - غير الاثنين - فسَرَّ عنان الفكر في استخراج التتائج.

فَعَنْ أَبْيَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «الْعِلْمُ سَبْعَةُ وَعِشْرُونَ جُزْءاً، فَجَمِيعُ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ جُزْءاً، فَلَمْ يَعْرِفِ النَّاسُ حَتَّى الْيَوْمِ غَيْرَ الْجُزْءَيْنِ، فَإِذَا قَامَ الْقَائِمُ أَخْرَجَ الْحُمْسَةَ وَالْعُشْرِينَ جُزْءاً فَبَيَّنَاهَا فِي النَّاسِ، وَضَمَّ إِلَيْهَا الْجُزْءَيْنِ حَتَّى يُبَيَّنَ سَبْعَةً وَعِشْرِينَ جُزْءاً»<sup>(١)</sup>.

بينما نجد النموذج الثاني الذي يتحدَّث عن زوايا ضيقة جدًا في لوحة الظهور الكبيرة، فيعطي لنا صوراً نلتمس بها الواقع آنذاك، فانخفض كلُّ مرتفع وارتفاع كلُّ منخفض يعني زلزلة جميع الموازين، ولكنَّها زلزلة علمية حتى يصل الحال إلى أنْ يُصوَّر لك الكون - بل هو الواقع وليس صوراً - آنَّه كشارة في راحة يده.

(١) الخرائج والجرائح (ج ٢ / ص ٨٤١ / ح ٥٩).

عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنه إذا تناهيت الأمور إلى صاحب هذا الأمر رفع الله تبارك وتعالى كل منخفضٍ من الأرض، وخفضَ له كل مُرتفعٍ منها حتى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته...»<sup>(١)</sup>.

ثم تعطينا الأحاديث صورة أخرى لما سيكون عليه التطور في زمن الظهور، فتبرز لنا أن الرؤية بالعين المجردة بعد الظهور تختلف عنها عمّا قبله، فالذي هو بالشرق سيتجاوز نظره إلى الظهور المشرق كله إلى المغرب.

فَعَنْ أَبِي الرَّبِيعِ الشَّامِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: «إِنَّ قَائِمَنَا إِذَا قَامَ مَدَّ اللَّهُ بِعَلْكَ لِشَيْعَتِنَا فِي أَسْمَاعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ حَتَّى لَا يَكُونَ بِيَهُمْ وَيَنْ أَقْلَامِ بَرِيدٍ...» الْحَدِيثُ<sup>(٢)</sup>.

ثم تنقلنا روایات أخرى إلى مقطع آخر، إلى اللباس وشئونه، فتحدثنا بأنَّ لباس المؤمن يختلف عمّا قبل، فهو يتغير بتغيير الذي يلبسه، فإذا طال الإنسان طالت ملابسه معه، وكذا إذا قصر، ويتغير لونها تغييرًا حُبِّه ومشيئته وإرادته، فإذا أراد الملابس السوداء تحولت ملابسه إلى اللون الأسود، وإذا أراد البيضاء فكذلك، وهي على هذا المنوال تتغير تلوًناً ومقاساً ونوعيةً حسب رغبته وإرادته<sup>(٣)</sup>.

(١) كمال الدين (ص ٦٧٤ / باب ٥٨ / ح ٢٩).

(٢) الكافي (ج ٨ / ص ٢٤٠ و ٢٤١ / ح ٣٢٩).

(٣) عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إذا قام القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ إِسْتَنْرَلَ الْمُؤْمِنُ الْطَّيِّرُ مِنَ الْمُوَاءِ، فَيَدْبُحُهُ، فَيُشُوِّهُ، وَيَأْكُلُ لَحْمَهُ، وَلَا يُكْسِرُ عَظْمَهُ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: إِحْيِي يَادْنِ اللَّهِ، فَيَحْيِي وَيَطِيرُ، وَكَذَلِكَ الظَّبَاءُ مِنَ الصَّحَّارِيِّ، وَيَكُونُ ضَوْءَ الْبَلَادِ نُورَهُ، وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى شَمْسٍ وَلَا قَمَرٍ، وَلَا يَكُونُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْذِنٌ، وَلَا شَرٌّ، وَلَا إِثْمٌ، وَلَا فَسادٌ أَصْلًا، لِأَنَّ الدَّعْوَةَ سَمَّا وَيَهُ، لَيَسْتُ بِأَرْضِيَّةٍ، وَلَا يَكُونُ لِلشَّيْطَانِ فِيهَا وَسَوَاسٌ، وَلَا عَمَلٌ، وَلَا حَسْدٌ، وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْفَسَادِ، وَلَا تَشُوكُ الْأَرْضُ وَالشَّجَرُ، وَتَبَقَّى زُرُوعُ الْأَرْضِ قَائِمَةً، كُلُّمَا أُخِذَ مِنْهَا شَيْءٌ بَتَ مِنْ وَقْتِهِ،

تلك الصور المتلوّنة التي هي جزء صغير، ونافذة محدودة، عكسها لنا أهل البيت عليهما السلام عن شكل ما سيكون عليه الكون أيام الظهور المبارك. والظاهر أن ذلك يكون في إطار الأسباب والسبّابات، ولا يحتاج إلى الكرامات إلّا بمقدار استدعاء الضرورة به. فهذا التطوّر الهائل سيحدث في نطاق الحالة الطبيعية للرقي الحاصل في ذلك الزمان المبارك.

### اليوم العالمي للقيم المهدوي:

إدارة شؤون الكون وتنصيب الأفراد المؤهلين لها حقيقة نزعـت إليها النفس البشرية منذ وجدـت على هذه البسيطة، دونـها حاجة إلى تشـريع وإيجـاد، وإذا كان ثـمة ما يستدعي ذلك فإـنـا هو موازـين الاختـيار وضـوابـط تـلـية تـلك الحاجـة، فإذا ما رـوـعيـت تـلك المـوازـين وـنـصـبـتـ الفـردـ المؤـهـلـ لها تـحـقـقـتـ للـبـشـرـيـةـ الحـيـةـ الرـغـيدـةـ وـالـسـعـادـةـ المـشـوـدـةـ.

وعـلـىـ هـذـاـ النـمـطـ،ـ وـلـأـجـلـ هـذـاـ النـزـوـعـ جـرـتـ سـيـرـةـ النـاسـ وـالـسـنـنـ الـإـنـسـانـيـةـ عـلـىـ اـعـتـبـارـ يـوـمـ التـنـصـيبـ،ـ وـالـخـاـذـ الـقـادـةـ منـ أـعـيـادـهـ.ـ فـلـاـ نـجـدـ أـمـةـ أـوـ شـعـبـاـ تـتـاحـ لـهـ فـرـصـةـ الـوـقـوفـ خـلـفـ قـائـدـهـ المـخـتـارـ،ـ إـلـاـ وـيـتـخـذـ ذـلـكـ الـيـوـمـ عـيـداـ وـرـمـزاـ وـطـيـباـ أـوـ دـيـنـيـاـ أـوـ قـومـيـاـ.

وـنـحـنـ أـتـابـعـ أـهـلـ الـبـيـتـ عـلـيـهـاـ يـنـبـغـيـ عـلـيـنـاـ أـنـ نـدـأـبـ عـلـىـ ذـلـكـ لـمـ فـيـ هـذـاـ

⇒ وـعـادـ كـحـالـهـ،ـ وـإـنـ أـرـجـلـ لـيـكـسـوـ إـنـهـ الـثـوـبـ فـيـطـوـلـ مـعـهـ كـلـمـاـ طـالـ،ـ وـيـتـأـلـونـ عـلـيـهـ أـيـ لـوـنـ أـحـبـ وـشـاءـ،ـ وـلـوـ أـنـ أـرـجـلـ الـكـافـرـ دـخـلـ جـحـرـ ضـبـ،ـ أـوـ تـوـارـىـ خـلـفـ مـدـرـةـ،ـ أـوـ حـجـرـ،ـ أـوـ شـجـرـ،ـ لـأـنـطـقـ أـلـهـ ذـلـكـ الـسـنـرـ الـذـيـ يـتـوـارـىـ فـيـهـ،ـ حـتـىـ يـقـوـلـ:ـ يـاـ مـؤـمـنـ،ـ خـلـفـيـ كـافـرـ فـخـذـهـ،ـ فـيـأـخـذـهـ وـيـقـتـلـهـ،ـ وـلـاـ يـكـوـنـ لـإـنـلـيـسـ هـيـكـلـ يـسـكـنـ فـيـهـ،ـ وـأـهـمـكـلـ:ـ الـبـدـنـ،ـ وـيـصـافـحـ الـمـؤـمـنـوـنـ الـمـلـائـكـةـ،ـ وـيـوـحـيـ إـلـيـهـمـ،ـ وـيـعـيـشـونـ وـيـجـمـعـونـ الـمـوـتـىـ بـيـاـذـنـ الـهـ،ـ قـالـ:ـ (يـأـيـ قـيـمـةـ عـلـىـ الـنـاسـ زـمـانـ لـاـ يـكـوـنـ الـمـؤـمـنـ إـلـاـ بـالـكـوـفـةـ،ـ أـوـ يـحـيـنـ إـلـيـهـاـ).ـ دـلـائـلـ الـإـلـامـةـ (صـ ٤٦٢ـ وـ ٤٦٣ـ حـ ٤٧ـ /ـ ٤٤ـ).

التجسيد من تجذير وتعميق لروح الولاء وعقد الطاعة في يوم تنصيب وليّ الله الأعظم ﷺ واتّخاذه من قبل السماء قائداً وإماماً للبشرية، لتحقيق الأمانة العالمية في سيادة العدل.

فإنَّ يوم تنصيب مهدي آل محمد عليهما السلام خليفة الله على عباده هو العيد العالمي واليوم الأُممي.

وهو اليوم الذي اجتمعت فيه أحلام البشرية، واقتربت من التحقق.  
وعلى المحبِّ التوّاق لهذا الفتح الإلهي، والانقلاب الكوني أنْ يُجدد العهد مع هذا القائد السماوي، وأنْ يتَّخذ من هذا اليوم عيده.

\* \* \*



المبحث الرابع:

التوسُّل بالنبيِّ صلوات الله عليه وآله وسلامه والأئمَّة عليهم السلام والصادِّقة

الطاهرة عليها السلام لتعجِّيل فرج المولى صلوات الله عليه وآله وسلامه والدُّعاء

لامثال أو امره وطاعته وتحقيق رغبته صلوات الله عليه وآله وسلامه،

والختم بالدُّعاء لقبول الأَعْمَال وقضاء الحوائج

الدُّنيويَّة والأخرويَّة بوساطة الإمام صلوات الله عليه وآله وسلامه



## الفقرة الرابعة والثلاثون

«اللَّهُمَّ أَنْتَ كَشَافُ الْكُرْبَ [الْكُرُوبُ] وَالْبُلْوَى، وَإِلَيْكَ أَسْتَعْدِي فِينَدَكَ الْعَدُوِّ، وَأَنْتَ رَبُّ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، فَاغْتِ يَا غِيَاثَ الْمُسْتَعْشِينَ عَيْدَكَ الْمُبْتَلَى، وَأَرِهِ سَيِّدَهُ يَا شَدِيدَ الْقُوَى، وَأَرِزْلَ عَنْهُ بِهِ الْأَسَى وَالْجَوَى، وَبَرِّدَ غَلِيلَهُ يَا مَنْ هُوَ عَلَى الْعَرْشِ إِسْتَوْى، وَمَنْ إِلَيْهِ الرُّجُعَى وَالْمُسْتَهْى، اللَّهُمَّ وَنَحْنُ عَيْدُكَ الْتَّائِقُونَ إِلَى وَلِيْكَ، الْمُذَكَّرُ بِكَ وَنَبِيْكَ، خَلْقُتَهُ لَنَا عِصْمَةً وَمَلَادًا، وَأَقْمَتَهُ لَنَا قَوَاماً وَمَعَاذًا، وَجَعَلْتَهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَّا إِمَاماً، فَبَلَّغْهُ مِنَّا تَحِيَّةً وَسَلَامًا، وَزِدْنَا بِذَلِكَ يَا رَبَّ إِكْرَاماً، وَاجْعَلْ مُسْتَقْرَهُ لَنَا مُسْتَقَرًا وَمُقَاماً، وَأَتْمِمْ نِعْمَتَكَ بِتَقْدِيمَكَ إِيَّاهُ أَمَانًا حَتَّى تُورِدَنَا جِنَانَكَ [جَنَانِكَ] وَمُرَاقَّةَ الشُّهَدَاءِ مِنْ خُلُصَائِكَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى حُجَّتِكَ وَوَلِيِّ أُمْرَكَ، وَصَلِّ عَلَى جَدِّهِ مُحَمَّدٍ رَسُولَكَ السَّيِّدِ الْأَكْرَبِ، وَصَلِّ عَلَى عَلِيٍّ أَبِيهِ السَّيِّدِ الْقَسُورِ، وَحَامِلِ اللَّوَاءِ فِي الْمَحْشَرِ، وَسَاقِي أُولَائِهِ مِنْ نَهْرِ الْكَوَافِرِ، وَالْأَمِيرُ عَلَى سَائِرِ الْبَشَرِ، الَّذِي مَنْ آمَنَ بِهِ فَقَدْ ظَفَرَ [شَكَرَ]، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ فَقَدْ [وَمَنْ أَبَا فَقَدْ] خَطَرَ وَكَفَرَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى أَخِيهِ وَعَلَى نَجْلِهِمَا الْمَيَامِينِ الْغُرْرِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَا أَضَاءَ قَمَرٌ، وَعَلَى جَدَّهِ الْصَّدِيقَةِ الْكُبْرَى فَاطِمَةَ الرَّهْرَاءِ بِنْتِ مُحَمَّدِ الْمُصْطَفَى، وَعَلَى مَنْ إِصْطَفَيْتَ مِنْ آبَائِهِ الْبَرَّةِ، وَعَلَيْهِ

أَفْضَلَ وَأَكْمَلَ وَأَنَّمَ وَأَدْوَمَ وَأَكْبَرَ وَأَوْفَرَ مَا صَلَيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْفِيَائِكَ وَخَيْرِتَكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ صَلَادَةً لَا غَايَةَ لِعَدَدِهَا، وَلَا نَهَايَةَ لِمَدِهَا، وَلَا نَفَادَ لِأَمْدِهَا، اللَّهُمَّ وَأَقِمْ [أَعَزَّ] بِهِ الْحَقَّ، وَأَدْحِضْ بِهِ الْبَاطِلَ، وَأَدْلِ [أَدْلَ] بِهِ أُولَيَاءَكَ، وَأَذْلِلْ بِهِ أَعْدَاءَكَ، وَصِلِّ اللَّهُمَّ يَبْنَنَا وَبَيْنَهُ وُصْلَةً تُؤْدِي إِلَى مُرَافَقَةِ سَلَفِهِ، وَاجْعَلْنَا مِنْ يَأْخُذُ بِحُجْزَتِهِمْ، وَيُمْكَنُ [وَيُمْكُثُ] فِي ظَلَّهُمْ، وَأَعِنَا عَلَى تَأْدِيَةِ حُقُوقِهِ إِلَيْهِ، وَالْأَجْتِهَادِ فِي طَاعَتِهِ، وَالْأَجْتِنَابِ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَأَمْنِنْ عَلَيْنَا بِرِضَاهُ، وَهَبْ لَنَا رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَدُعَاءَهُ وَخَيْرَهُ مَا نَتَّالْ بِهِ سَعَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَفُوزًا عِنْدَكَ، وَاجْعَلْ صَلَاتَنَا [صَلَوَاتَنَا] بِهِ مَقْبُولَةً، وَذُنُوبَنَا بِهِ مَغْفُورَةً، وَدُعَائَنَا بِهِ مُسْتَجَابَةً، وَاجْعَلْ أَرْزَاقَنَا بِهِ مَبْسُوَطَةً، وَهُمُومَنَا بِهِ مَكْفِيَّةً، وَحَوَائِجَنَا بِهِ مَقْضِيَّةً، وَأَقِيلْ إِلَيْنَا بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، وَأَقِيلْ تَقْرِبَنَا إِلَيْكَ، وَأَنْظُرْ إِلَيْنَا نَظَرَةً رَحِيمَةً نَسْتَكْمِلُ بِهَا الْكَرَامَةَ عِنْدَكَ، ثُمَّ لَا تَضْرِفْهَا عَنَّ بِجُودِكَ، وَاسْقِنَا مِنْ حَوْضِ جَدِّهِ اللَّهُ بِكَاسِهِ وَبِيَدِهِ رَيَا رَوِيَا هَبَيْنَا سَائِغاً لَا ظَمَأً [أَطْمَأْ] بَعْدَهُ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

فقرات لا تحتاج إلى شرح نكتفي بذكر بعض معانيها، ونعتمد على ما تقدم من بحوث في بيان مضامينها:

«اللَّهُمَّ أَنْتَ كَشَافُ الْكُرْبَ وَالْبُلْوَى، وَإِلَيْكَ أَسْتَعِدِي فَعِنْدَكَ الْعَدُوَى، وَأَنْتَ رَبُّ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى».

في هذا المقطع وبهذه الكلمات العميقه التي تخرج من قلب الداعي، يلتقي التوسل باسم معاني الإيمان والتوكّل والرجاء، حيث يُظهر العبد

حالته النفسية التي تتارجح بين الألم الشديد والتطلُّع إلى رحمة الله تعالى وفضله، هو يتوجَّه إلى ربِّه سبحانه، ولا يرجو سواه، طالباً الفرج والنصر بإظهار أمر سيِّده ﷺ بعد أن اشتَدَّتْ أوقات الغمّ وتعسَّر المخرج، ليتنفس صدره بأملٍ جديد.

هذه الكلمات ليست مجرَّد دعاء، بل هي صرخة من قلب يعصره الحزن، متمنِّياً أنْ يرفع البلاء ويُستجاب الرجاء، فالذِّي لا يعجزه شيء هو الله تعالى، وهو وحده القادر على إزالة الأحزان والهموم التي تُثقل الأرواح والنفوس والأبدان، وهو (عزَّ اسمه) وحده القادر على إجابة الدعوات التي ترتفع من على شفاه قلوب المؤمنين المحزونة المغمومة.

يتوجَّه الداعي إلى مَنْ بيده وحده حلَّ الأزمات وتسكين الأوجاع، فهو القادر على رفع البلاء في أيٍّ لحظة شاء.

يتوجَّه الداعي إلى الله تعالى المالك الحقيقى لـكُلِّ الأمور في الدنيا والآخرة، والذي لا شيء يحدث إلَّا بإرادته، ولا مخرج من الضيق إلَّا بتقديره، فهو وحده (عزَّ اسمه وجلَّتْ عظمته) الذي يملك زمام التغيير، وبيده مقاليد الأمور، وإذا أراد شيئاً أنْ يقول له: كن فيكون، هذا التوسل يعكس إيماناً عميقاً بأنَّ الله تعالى هو الوحيد القادر على تغيير الحال في لحظة.

وهكذا، في قلب هذه الكلمات، يكمن أمل عميق في أنَّ الله سبحانه وتعالى سيكشف الغمَّة عن المؤمنين، ويعجل بظهور الفرج، ليخرج إمامهم ووليُّهم من غيبته، وينشر العدل في الأرض.

«فَأَغِثْ يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغْيَثِينَ عَبْدَكَ الْمُبْتَلَى، وَأَرِهِ سَيِّدَهُ يَا شَدِيدَ الْقُوَى، وَأَرْزُلْ عَنْهُ يِهِ الْأَسْى وَالْجَوَى، وَبَرِّدْ عَلَيْهِ يَا مَنْ عَلَى الْعَرْشِ إِسْتَوَى، وَمَنْ إِلَيْهِ الرُّجُعَى وَالْمُتَهَى».

في هذه الكلمات التي تفيض من أعماق وجود الداعي، تعبيراً عن أقوى أنواع التوسل وأشدّها توقاً إلى الفرج وطلب التعجيل بفرج المولى ورؤيته ظاهراً ناشراً رأية عدله وقسطه، حيث يتوجه الداعي إلى غياث المستغاثين الذي لا يلجم أحد في الشدائيد إلا أمده بالعون، فهو أقرب إلى الإنسان - خصوصاً المؤمن - من حبل وريده وروحه التي بين جنبيه، فلا يردد سائلاً، ولا يخيب رجاءً.

في هذا النداء يطلب الداعي المدد من الله تعالى والعون، بل يصرخ مستغيثاً من أعماق قلب أنهكه الزمن ووطأته غيبات الأمل، يستغيث بالله تعالى من البلاء الذي طوّقه، عليه يمدد بمعونة إلهية ترفع عنه المعاناة، وتريه الفرج عن سيده.

هنا وفي هذا الموضع من الدعاء يتوجه الداعي إلى الله سبحانه وتعالى بأسمى آيات التوسل، رافعاً يديه بالدعاء ليكشف الغمة عن الأمة، ويزيل الهم عن قلوب المؤمنين، خاصةً في غيبة إمامهم الحجّة بن الحسن عليه السلام، ففي هذه الكلمات يظهر النداء العميق من عبد مبتلى بقلب محزون ينتظر الفرج العظيم. فقد زادت وتزداد معانات المؤمنين بغياب الإمام المهدى عليه السلام الذي هو سبب الأمل والفرج.

يتوسل الداعي إلى الله تعالى ليُري إمامه وسيده عليه السلام في يوم ظهوره، حيث يتحقق العدل، وينتصر الحق، ويزول الظلم.

هذه الكلمات تترجم أسمى أمانٍ وتطمئنات من قلوب المؤمنين الذين يتوقعون لرؤيه الإمام المنتظر عليه السلام وقد أقام دولة العدل والقسط، التي سيزول بها كل ما علق في القلوب من أسى وحزن جراء الغيبة المستمرة الممتدّة للإمام عليه السلام.

في هذه الدعوة يُعبر المؤمن عن أمله العميق في انتظار الفرج، وهو أمل لا ينقطع رغم طول الغيبة، عسى أن يبرد الألم الحارق في القلب الذي لا يطفئه إلا ظهور الإمام عليه السلام.

\* \* \*

«اللَّهُمَّ وَنَحْنُ عَبْدُكَ الْتَّائِقُونَ إِلَيْكَ وَلِيْكَ، الْمُذَكَّرُ بِكَ وَبِنِيْكَ، خَلَقْتَهُنَا عِصْمَةً وَمَلَادًا، وَأَقْمَتَهُنَا قَوَاماً وَمَعَاذاً، وَجَعَلْتَهُنَا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ إِمَاماً، فَبَلَّغْهُنَا تَحْيَةً وَسَلَاماً، وَزَدْنَا بِذَلِكَ يَا رَبَّ إِكْرَاماً، وَاجْعَلْ مُسْتَقَرًّا لَنَا مُسْتَقَرًّا وَمُقَاماً، وَأَكْمِنْ نِعْمَتَكَ بِتَقْدِيمِكَ إِيَّاهُ أَمَانَنا، حَتَّى تُورِدَنَا إِنَانَكَ، وَمُرَافَقَةَ الشُّهَدَاءِ مِنْ خُلُصَائِكَ».

هذه الكلمات تفيض بالحب والولاء للإمام المهدي عليه السلام، وتُعبر عن أسمى درجات التوجّه إلى الله سبحانه وتعالى في طلب العون والفرج والنصرة.

في هذه الدعوة يظهر التوسل العميق والتضرع الصادق من المؤمنين الذين يتطلّعون إلى لقاء إمامهم عليه السلام الذي هو عصمتهم وملادهم، وهو القائم على شؤونهم والمصلح لأحوالهم.

في هذه الفقرة يظهر الخضوع التام لله تعالى، حيث يُعلن المؤمنون عن أنفسهم كعيّد مخلصين، يتّوّقون إلى الخلاص والعدل الذي يجسّده الإمام عليه السلام، هذا التوق يُعبر عن الافتقار المستمر إلى الإمام المنتظر عليه السلام، الذي هو أملهم ومرجعهم في مواجهة الظلم والفساد.

في هذا المقطع يتوجّه الداعي نحو الله سبحانه وتعالى، طالباً تذكير العالم بوجود الإمام المهدي عليه السلام الذي هو الركيزة التي تذكّر الناس بهدّي الله تعالى على ما تقدّم مكرّراً.

فإنما **الإمام** **الله** - وكما تقدم - هو العصمة التي تحمي المؤمنين من الضلال، والملاذ الآمن الذي يلتجأون إليه في زمن المحن، وهو مصدر الأمان للمؤمنين في غيبته، وهو الذي يقيهم من التشتت والفرقة، وهو الذي جعله الله تعالى لتثبت الأمة على الهدى، ليطلب الداعي من الباري (عز اسمه) إبلاغ مولاه **الله** التحيّة والسلام: «فَبَلَّغْهُ مِنَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا...»، إلى آخر مقاطع هذه الفقرة.

الختام هو أن نُسقي من حوض نبى **محمد** **الله** شربةً لا نظماً بعدها أبداً، كما ورد في الدعاء: «وَاسْقِنَا مِنْ حَوْضِ جَدِّنَا **الله** بِكَأسِهِ وَبِيَدِهِ رَيَا رَوِيَا هَنِئَا سَائِغاً لَا ظَمَأَ بَعْدَهُ».

وبهذا نختتم هذه السفرة الروحية والمعنوية، التي حملت بين سطورها ودواخلها معانٍ عميقة من الوجودان، ومن العقيدة الراسخة، ومن السلوك المستنير، وهي دعوة أن نعيش على تلك المبادئ السامية، ونأمل أن نكون على هديها في كل لحظة من حياتنا.

\* \* \*

## المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - الابتعاد عن عقوبة الإعدام (المُحجَّج، التوجُّهات، الآفاق): إيفان شيمونوفيتش.
- ٣ - إثبات الوصيَّة للإمام عليٌّ بن أبي طالب: عليٌّ بن الحسين بن عليٌّ الهمذاني المسعودي / ط ٣ / ١٤٢٦ هـ / أنصاريان / قم.
- ٤ - الاحتجاج: أحمد بن عليٌّ الطبرسي / تعليق وملحوظات: السيد محمد باقر الخرسان / ١٣٨٦ هـ / دار النعيم / النجف الأشرف.
- ٥ - الاختصاص: الشيخ المفيد / تحقيق: عليٌّ أكبر الغفاري والسيد محمود الزرندبي / ط ٢ / ١٤١٤ هـ / دار المفيد للطباعة والنشر / بيروت.
- ٦ - إرشاد القلوب: الحسن بن محمد الديلمي / ط ٢ / ١٤١٥ هـ / مطبعة أمير / انتشارات الشري夫 الرضي / قم.
- ٧ - الإرشاد: الشيخ المفيد / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهما السلام / ط ٢ / ١٤١٤ هـ / دار المفيد / بيروت.
- ٨ - الاستذكار: ابن عبد البر / تحقيق: سالم محمد عطا و محمد علي معوض / ط ١ / ٢٠٠٠ م / دار الكتب العلمية / بيروت.
- ٩ - اشتقاد أسماء الله: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي أبو القاسم الزجاجي / تحقيق: عبد الحسين المبارك / ط ٢ / ١٤٠٦ هـ / مؤسسة الرسالة.

- ١٠ - **الأصول ستة عشر**: عدّة محدثين/ تحقيق: ضياء الدين محمودي/ ط ١٤٢٣هـ/ دار الحديث.
- ١١ - **أصول مذهب الشيعة الإمامية الثانية عشرية**: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري/ ط ١٤١٥هـ.
- ١٢ - **أصوات على دعاء كميل**: السيد عز الدين بحر العلوم/ ط ٢/ دار الزهراء/ بيروت.
- ١٣ - **الاعتقادات في دين الإمامية**: الشيخ الصدوق/ تحقيق: عصام عبد السيد/ ط ١٤١٤هـ/ دار المفيد/ بيروت.
- ١٤ - **الإفصاح في فقه اللغة**: حسين يوسف موسى وعبد الفتاح الصعيدي/ ط ٤/ ١٤١٠هـ/ مكتب الإعلام الإسلامي/ قم.
- ١٥ - **إقبال الأعمال**: السيد علي بن طاوس/ تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني/ ط ١٤١٤هـ/ مكتب الإعلام الإسلامي.
- ١٦ - **الأمالي**: الشيخ الصدوق/ ط ١٤١٧هـ/ مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة/ قم.
- ١٧ - **الأمالي**: الشيخ الطوسي/ تحقيق: مؤسسة البعثة/ ط ١٤١٤هـ/ دار الثقافة/ قم.
- ١٨ - **الأمالي**: الشيخ المفيد/ تحقيق: حسين الأستادولي وعلي أكبر الغفاري/ ط ١٤١٤هـ/ دار المفيد/ بيروت.
- ١٩ - **الإمامية والتبصرة**: ابن بابويه/ ط ١٤٠٤هـ/ مدرسة الإمام الهادي عَلَيْهَا السَّلَام/ قم.
- ٢٠ - **أنوار الحقيقة وأطوار الطريقة وأسرار الشريعة**: السيد حيدر الأمالي/ تحقيق وتصحيح: السيد محسن الموسوي التبريزي/ ط ١٣٨٢ش/ الناشر: نور على نور/ قم.

- ٢١ - الأنوار الّلامعة في شرح الزيارة الجامعية (شرح آل كاشف الغطاء): عبد الله شبر / ط ١ / ط ١٤٠٣ هـ / مؤسّسة الوفاء / بيروت.
- ٢٢ - بحار الأنوار الجامعية لذرر أخبار الأئمّة الأطهار: العلّامة المجلسي / تحقيق: يحيى العابدي الزنجاني وعبد الرحيم الريّاني الشيرازي / ط ٢ / ط ١٤٠٣ هـ / مؤسّسة الوفاء / بيروت.
- ٢٣ - بداية المجتهد ونهاية المقتضى: ابن رشد / تفقيح وتصحيح: خالد العطار / طبعة جديدة منقحة ومصححة / ١٤١٥ هـ / دار الفكر / بيروت.
- ٢٤ - البداية والنهاية: ابن كثير / تحقيق وتدقيق وتعليق: عليّ شيري / ط ١ / ١٤٠٨ هـ / دار إحياء التراث العربي / بيروت.
- ٢٥ - البرهان في تفسير القرآن: هاشم البحرياني / مؤسّسة البعثة / قم.
- ٢٦ - بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد عليهما السلام: محمد بن الحسن ابن فروخ (الصفار) / تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوجه باغي / ١٤٠٤ هـ / منشورات الأعلمي / طهران.
- ٢٧ - البيان في تفسير القرآن: السيد الخوئي / ط ٤ / ١٣٩٥ هـ / دار الزهراء / بيروت.
- ٢٨ - تاج المواليد في مواليد الأئمّة ووفياتهم: الشيخ الطبرسي / ط ١٤٠٦ هـ / مكتبة آية الله المرعشي / قم.
- ٢٩ - تاريخ بغداد أو مدينة السلام: الخطيب البغدادي / دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / ط ١ / ١٤١٧ هـ / دار الكتب العلمية / بيروت.
- ٣٠ - تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة: السيد شرف الدين عليّ الحسيني الأسترابادي / ط ١ / ١٤٠٧ هـ / مدرسة الإمام المهدي (ع) / قم.

- ٣١ - التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي / تحقيق: أحمد حبيب قصیر العاملی / ط ١ / ١٤٠٩ هـ / مکتب الإعلام الإسلامي.
- ٣٢ - تُحَفَ العقول عن آل الرسول: ابن شعبة الحرّانی / تصحیح وتعليق: علیٰ أکبر الغفاری / ط ٢ / ١٤٠٤ هـ / مؤسّسة الشّریف الإسلامي التابعه لجماعتہ المدرّسین بقم المشرّفة.
- ٣٣ - تحفة الأزهار وزلال الأئمّه في نسب أبناء الأئمّه الأطهار علیّه‌اللّه‌الّمّا: ضامن بن شدقم / ط ١ / ١٣٧٨ ش / دفتر نشر میراث مکتوب / طهران.
- ٣٤ - تصحیح اعتقادات الإمامیّة: الشیخ المفید / تحقيق: حسین درکاهی / ط ٢ / ١٤١٤ هـ / دار المفید / بیروت.
- ٣٥ - تفسیر الإمام العسكري علیّه‌اللّه‌الّمّا: المنسوب إلى الإمام العسكري علیّه‌اللّه‌الّمّا / ط ١ محقّقة / ١٤٠٩ هـ / مدرسة الإمام المهدی علیّه‌اللّه‌الّمّا / قم.
- ٣٦ - تفسیر الرّازی (مفاتیح الغیب): فخر الدّین محمد بن عمر التّمیمی البکری الرّازی الشافعی / ط ٣.
- ٣٧ - تفسیر الطّبری (جامع البیان عن تأویل آی القرآن): محمد بن جریر الطّبری / تقديم: الشیخ خلیل المیس / ضبط وتوثیق وتحریخ: صدقی جمیل العطّار / ١٤١٥ هـ / دار الفکر / بیروت.
- ٣٨ - تفسیر العیاشی: محمد بن مسعود العیاشی / تحقيق: السید هاشم الرّسوی المحلّقی / المکتبة العلمیّة الإسلامية / طهران.
- ٣٩ - تفسیر القمّی: علیٰ بن إبراهیم القمّی / تصحیح وتعليق وتقديم: السید طیّب الموسوی الجزائري / ط ٣ / ١٤٠٤ هـ / مؤسّسة دار الكتاب / قم.
- ٤٠ - تفسیر المیزان (المیزان في تفسیر القرآن): العلامة الطّباطبائی / مؤسّسة الشّریف الإسلامي التابعه لجماعتہ المدرّسین بقم المشرّفة.

- ٤١ - تفسير فرات الكوفي: فرات بن إبراهيم الكوفي / تحقيق: محمد الكاظم / ط ١ / ١٤١٠ هـ / مؤسسة طبع ونشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي / طهران.
- ٤٢ - تقرير المعارف: أبو الصلاح الحلبي / تحقيق: فارس الحسون / ط ١٤١٧ هـ.
- ٤٣ - تلخيص الشافي: الشيخ الطوسي / ط ١ / ١٣٨٢ ش / انتشارات المحبين / قم.
- ٤٤ - تنقية المقال في علم الرجال: الشيخ عبد الله المامقاني / تحقيق: الشيخ محمد رضا المامقاني / ط ١ / ١٤٣١ هـ / مؤسسة أهل البيت عليهما السلام لإحياء التراث / قم.
- ٤٥ - تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسي / تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان / ط ٣ / ١٣٦٤ هـ / دار الكتب الإسلامية / طهران.
- ٤٦ - تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري / تعليق: عمر سلامي وعبد الكريم حامد / ط ١ / ١٤٢١ هـ / دار إحياء التراث العربي / بيروت.
- ٤٧ - ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق / تحقيق: محمد مهدي الخرسان / ط ٢ / ١٣٦٨ ش / مطبعة أمير / منشورات الشريف الرضي / قم.
- ٤٨ - جمال الأسبوع: ابن طاوس / تحقيق: جواد القيوبي / ط ١ / ١٣٧١ ش / مطبعة أخته شمال / مؤسسة الآفاق.
- ٤٩ - جواهر الكلام: الشيخ الجواهري / تحقيق: عباس القوجاني / ط ٢ / ١٣٦٥ ش / مطبعة خورشيد / دار الكتب الإسلامية / طهران.
- ٥٠ - حوار مع فضل الله حول الزهراء (سلام الله عليها): السيد هاشم الهاشمي / ط ٢ / ١٤٢٢ هـ / دار المهدى / قم.

- ٥١ - الخرائج والجرائح: قطب الدين الرواندي/ بإشراف: السيد محمد باقر الموحد الأبطحي/ ط ١ / ١٤٠٩ هـ/ مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام / قم.
- ٥٢ - الخصال: الشيخ الصدوق/ تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري/ ١٣٦٢ ش/ مؤسسة الشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ٥٣ - خلق أفعال العباد: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي/ ط ١ / ٤١٤٠ هـ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.
- ٥٤ - الدر المثور في التفسير بالتأثر: جلال الدين السيوطي/ دار المعرفة/ بيروت.
- ٥٥ - الدعوات (سلوة الحزين): قطب الدين الرواندي/ ط ١ / ١٤٠٧ هـ/ مطبعة أمير/ مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام / قم.
- ٥٦ - دلائل الإمامة: محمد بن جرير الطبرى الشيعي/ ط ١ / ١٤١٣ هـ/ مؤسسة البعثة/ قم.
- ٥٧ - رجال الطوسي (الأبواب): الشيخ الطوسي/ ط ١ / ١٤١٥ هـ/ مؤسسة النشر الإسلامي.
- ٥٨ - رجال الكشى (اختيار معرفة الرجال): الشيخ الطوسي/ تحقيق: السيد مهدي الرجائي / ١٤٠٤ هـ/ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
- ٥٩ - رجال النجاشي (فهرست أسماء مصنفى الشيعة): أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي الأستاذ الكوفي/ ط ٥ / ١٤١٦ هـ/ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ٦٠ - الرواوح السماوية: السيد محمد باقر الداماد (الميرداماد)/ تحقيق: غلامحسين قيسريها ونعمه الله الجليلي/ ط ٢ / ١٤٢٢ هـ/ دار الحديث.
- ٦١ - روضة الوعظين: محمد بن الفتّال النيسابوري/ تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان/ منشورات الشريف الرضي/ قم.

- ٦٢ - زاد المعاد: العلامة محمد باقر المجلسي / تعریف وتعليق: علاء الدين الأعلمی / ط ١ / ١٤٢٣ھ / مؤسسة الأعلمی / بيروت.
- ٦٣ - سرور أهل الإيمان في علامات صاحب الزمان عليه السلام: السيد بهاء الدين علي النجفي / ط ١ / ١٤٢٦ھ / دليل ما / قم.
- ٦٤ - سعد السعود: ابن طاوس / ١٣٦٣ھ / مطبعة أمیر / منشورات الشريف الرضي / قم.
- ٦٥ - سیر أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي / إشراف وتحريج: شعيب الأرنؤوط / تحقيق: حسين الأسد / ط ٩ / مؤسسة الرسالة / بيروت.
- ٦٦ - الشافی في الإمامة: الشريف المرتضی / ط ٢ / ١٤١٠ھ / مؤسسة إسماعيلیان / قم.
- ٦٧ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحیی العکری الدمشقی (ابن العماد الحنبلی) / دار إحياء التراث العربي / بيروت.
- ٦٨ - شرح أصول الكافی: مولی محمد صالح المازندرانی / تعليق: المیرزا أبو الحسن الشعراوی / ضبط وتصحیح: السيد علی عاشر / ط ١ / ١٤٢١ھ / دار إحياء التراث العربي / بيروت.
- ٦٩ - الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعیل بن حمّاد الجوهري / تحقيق: أحمـد عبد الغفور العـطار / ط ٤ / ١٤٠٧ھ / دار العلم للملـاـيين / بيـرـوـت.
- ٧٠ - صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري الجعـفـي / ط ٢ / ١٤١٠ھ / أوقاف مصر.
- ٧١ - صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري / دار الفكر / بيـرـوـت.

- ٧٢ - **الصحيفة السجّادية**: تحقيق: محمد باقر الأبطحي / ط ١ / ١٤١١ هـ / مطبعة نمونه / مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، ومؤسسة الأنصاريان / قم.
- ٧٣ - **علل الشرائع**: الشيخ الصدوق / تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم / ١٣٨٥ هـ / منشورات المكتبة الخيدرية و مطبعتها / النجف الأشرف.
- ٧٤ - **عواي اللئالي**: ابن أبي جمهور الأحسائي / تحقيق: مجتبى العراقي / ط ١ / ١٤٠٣ هـ / مطبعة سيد الشهداء عليه السلام / قم.
- ٧٥ - **العين**: الخليل الفراهيدي / ط ٢ / ١٤٠٩ هـ / مؤسسة دار المجرة.
- ٧٦ - **عيون أخبار الرضا عليه السلام**: الشيخ الصدوق / تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي / ١٤٠٤ هـ / مؤسسة الأعلمي / بيروت.
- ٧٧ - **الغارات**: إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي / تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث.
- ٧٨ - **الغيبة**: ابن أبي زينب النعmani / تحقيق: فارس حسون كريم / ط ١ / ١٤٢٢ هـ / أنوار المدى.
- ٧٩ - **الغيبة**: الشيخ الطوسي / تحقيق: عبد الله الطهراني وعليّ أحمد ناصح / ط ١ / ١٤١١ هـ / مطبعة بهمن / مؤسسة المعارف الإسلامية / قم.
- ٨٠ - **فرحة الغري** في تعيين قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام: السيد عبد الكريم بن طاوس الحسني / تحقيق: السيد تحسين آل شبيب الموسوي / ط ١ / ١٤١٩ هـ / مركز الغدير للدراسات الإسلامية.
- ٨١ - **الفردوس الأعلى**: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء / تعليق: السيد محمد علي القاضي الطباطبائي / ط ٣ / ١٤٠٢ هـ / مكتبة فيرزآبادي / قم.
- ٨٢ - **الفصول العشرة**: الشيخ المفید / تحقيق: الشيخ فارس الحسون / ط ٢ / ١٤١٤ هـ / دار المفید / بيروت.

- ٨٣ - الفصول المختارة: الشيخ المفید/ ط ٢ / ١٤١٤ هـ/ دار المفید/  
بیروت.
- ٨٤ - الفضائل: شاذان بن جبرئیل القمی (ابن شاذان)/ ١٣٨١ هـ/  
منشورات المطبعة الحیدریة ومکتبتها/ النجف الأشرف.
- ٨٥ - فقه الصادق علیہ السلام: السید محمد صادق الروحانی/ ط ٣ / ١٤١٤ هـ/ مؤسسة دار الكتاب / قم.
- ٨٦ - فلاح السائل: رضی الدین علی بن طاوس.
- ٨٧ - قاموس الرجال: الشيخ محمد تقی التستیری/ ط ٢ / ١٤١٠ هـ/  
مؤسسة النشر الإسلامي التابعه لجامعة المدرسین بقم المشرفة.
- ٨٨ - القاموس المحيط: مجد الدین محمد بن یعقوب الفیروزآبادی.
- ٨٩ - قصص الأنبياء: قطب الدین الرواندی / تحقیق: المیرزا غلام رضا  
عرفانیان الیزدی الخراسانی/ ط ١ / ١٤١٨ هـ/ انتشارات الہادی.
- ٩٠ - الكافی: الشيخ الكلینی / تحقیق: علی أكبر الغفاری/ ط ٥ / ١٣٦٣ ش/ مطبعة حیدری/ دار الكتب الإسلامية/ طهران.
- ٩١ - کامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولویه / تحقیق: الشیخ جواد  
القیومی / ط ١ / ١٤١٧ هـ/ مؤسسة نشر الفقاهة.
- ٩٢ - کتاب سلیم: سلیم بن قیس الھلالی الکوفی/ تحقیق: محمد باقر  
الأنصاری الزنجانی/ ط ١ / ١٤٢٢ هـ/ دلیل ما.
- ٩٣ - کشف الغمة في معرفة الأئمة: علی بن أبي الفتح الإربلی / ط ٢ / ١٤٠٥ هـ/ دار الأصوات/ بیروت.
- ٩٤ - کشف المحاجة لثمرة المهجحة: السید علی بن طاوس / ١٣٧٠ هـ/  
المطبعة الحیدریة/ النجف الأشرف.

٩٥ - كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر: أبو القاسم علي بن محمد الخزاز القمي الرازي/ تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي/ ١٤٠١هـ/ انتشارات بيدار.

٩٦ - كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق/ تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري/ ١٤٠٥هـ/ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسین بقم المشرفة.

٩٧ - كنز العمال في سُنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي المتّقى بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (المتّقى الهندي)/ ضبط وتفسير: الشيخ بكري حيّاني/ تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا/ ١٤٠٩هـ/ مؤسسة الرسالة/ بيروت.

٩٨ - لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ابن منظور)/ ١٤٠٥هـ/ نشر أدب الحوزة/ قم.

٩٩ - مثير الأحزان: محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نها الحلي/ ١٣٦٩هـ/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف.

١٠٠ - مجمع البحرين: الشيخ فخر الدين الطريحي/ ط ٢/ ١٣٦٢ شـ/ مرتضوي.

١٠١ - مجمع البيان في تفسير القرآن: أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي/ قدم له: السيد محسن الأمين العاملي/ ط ١/ ١٤١٥هـ/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت.

١٠٢ - مجمع الرسائل (موسوعة السيد الخوئي): السيد الخوئي/ ط ٤/ ١٤٣٠هـ/ مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي/ قم.

١٠٣ - مجموعة الفتاوى: ابن تيمية/ طبعة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

- ١٠٤ - المحاسن: أحمد بن محمد بن خالد البرقي / تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني المحدث / ١٣٧٠هـ / دار الكتب الإسلامية / طهران.
- ١٠٥ - المحضر: حسن بن سليمان الحلي / تحقيق: سيد علي أشرف / ط ١ / ١٤٢٤هـ / انتشارات المكتبة الحيدرية / مطبعة شريعت.
- ١٠٦ - مختصر بصائر الدرجات: الحسن بن سليمان الحلي / ط ١ / ١٣٧٠هـ / منشورات المطبعة الحيدرية / النجف الأشرف.
- ١٠٧ - المزار الكبير: محمد بن جعفر المشهدى / تحقيق: جواد القيومي الأصفهانى / ط ١ / ١٩١٩هـ / نشر القيوم / قم.
- ١٠٨ - المسائل العشر في الغيبة: الشيخ المفيد / تحقيق: فارس تبريزيان الحسون / مركز الأبحاث العقائدية / قم.
- ١٠٩ - مستدرک الوسائل: المیرزا النوری / ط ١ المحققة / ١٤٠٨هـ / مؤسسة آل البيت عليهما السلام لإحياء التراث / بيروت.
- ١١٠ - مسند أحمد: أحمد بن حنبل / تحقيق عدّة محققين / ط ١ / ١٤١٦هـ / مؤسسة الرسالة / بيروت.
- ١١١ - مصباح الفقاہة: تقریر بحث السيد الخوئی للتبیری / ط الاولی المحققة / مکتبة الداوري / قم.
- ١١٢ - مصباح المتهجد: الشيخ الطوسي / ط ١ / ١٤١١هـ / مؤسسة فقه الشیعة / بيروت.
- ١١٣ - المصطفى: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني / عني بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه وتعليق عليه: حبيب الرحمن الأعظمي.
- ١١٤ - معانی الأخبار: الشيخ الصدوق / تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاری / ١٣٧٩هـ / مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسین بقم المشرفة.

- ١١٥ - معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي / ١٣٩٩هـ / دار إحياء التراث العربي / بيروت.
- ١١٦ - معدن الجواهر ورياضة الخواطر: أبو الفتح الكراجكي / تحقيق: السيد أحمد الحسيني / ط ٢ / ١٣٩٤هـ.
- ١١٧ - المغني: ابن قدامة / دار الكتب العربي / بيروت.
- ١١٨ - مفاهيم القرآن: الشيخ السبحاني / ط ٤ / ١٤٢١هـ / مؤسسة الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَام / قم.
- ١١٩ - المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني / تحقيق: صفوان عدنان داودي / ط ٢ / ١٤٢٧هـ / طليعة النور.
- ١٢٠ - مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الأصفهاني / تقديم وإشراف: كاظم المظفر / ط ٢ / ١٣٨٥هـ / منشورات المكتبة الحيدريّة ومطبعتها / النجف الأشرف.
- ١٢١ - مقتل الإمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام: ابن أبي الدنيا / ط ١ / ١٤١١هـ / مجمع إحياء الثقافة الإسلامية / قم.
- ١٢٢ - مكارم الأخلاق: حسن بن الفضل الطبرسي / ط ٦ / ١٣٩٢هـ / منشورات الشريفي الرضي.
- ١٢٣ - مكيال المكارم: ميرزا محمد تقى الأصفهاني / تحقيق: علي عاشور / ط ١ / ١٤٢١هـ / مؤسسة الأعلمى / بيروت.
- ١٢٤ - ملاد الأخيار في فهم تهذيب الأخبار: العلامة المجلسي / تحقيق: السيد مهدي الرجائي / ط ١ / ١٤٠٦هـ / مكتبة آية الله المرعشي / قم.
- ١٢٥ - الملل والنحل: الشهريستاني / دار المعرفة / بيروت.

- ١٢٦ - الملهوف على قتل الطفوف: السيد علي بن طاوس / ط ١ / ١٤١٧هـ / أنوار المدى / قم.
- ١٢٧ - من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق / تصحیح وتعليق: علي أكبر الغفاری / ط ٢ / مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسین بقم المشرفة.
- ١٢٨ - مناقب آل أبي طالب: محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني / ١٣٧٦هـ / المكتبة الحیدریة / النجف الأشرف.
- ١٢٩ - المتظم في تاريخ الأمم والملوک: عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي / دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا / راجعه وصححه: نعيم زرزور / ط ١ / ١٤١٢هـ / دار الكتب العلمية / بيروت.
- ١٣٠ - نهاية الأحكام في معرفة الأحكام: العلامة الحلي / تحقيق: السيد مهدي الرجائي / ط ٢ / ١٤١٠هـ / مؤسسة إسماعيليان / قم.
- ١٣١ - النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين ابن الأثير / تحقيق: طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي / ط ٤ / ١٣٦٤ش / مؤسسة إسماعيليان / قم.
- ١٣٢ - نهج البلاغة: خطب أمير المؤمنين عليه السلام / ما اختاره وجمعه: الشريف الرضي / تحقيق: الدكتور صبحي صالح / ط ١ / ١٣٨٧هـ ويشرح محمد عبدة / ط ١ / ١٤١٢هـ / دار الذخائر / قم.
- ١٣٣ - وسائل الشيعة (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة): الحڑ العاملی / ط ٢ / ١٤١٤هـ / مؤسسة آل البيت عليهما السلام لإحياء التراث / قم.
- ١٣٤ - ينابيع المودة لذوي القربي: سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي / تحقيق: السيد علي جمال أشرف الحسيني / ط ١ / ١٤١٦هـ / دار الأسوة.



## الفهرس

٣	مقدمة المركز
٧	إهداء
٩	شكر وامتنان
١١	مقدمة المؤلف
١٥	تمهيد: أهمية الدعاء عموماً والدعاء المهدوي خصوصاً
١٧	الدعاء سبيل إلهي رغم مخالفة البعض
٢٢	الدعاء لب التوحيد ومح العبادة
٢٤	كيف يقوم الدعاء بعملية التأثير؟
٢٥	المعرفة للإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ موجبة لدعاء غير محظوظ
٢٩	نماذج صرّح فيها بدعاء الأئمَة عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ للأصحاب
٣٣	الدعاء بتعجيل الفرج
٣٣	الدعاء من الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ على الأشخاص وأثره
٣٤	الدعاء على عُروة بن يحيى النخاس الدهقان وأحمد بن هلال العبرتائي
٣٧	البحث السندي في دعاء الندبة
٤١	الفصل الأوّل: الوساطة بين السماء والأرض وخصائص الأنبياء ودرجاتهم
٤٣	النقطة الأولى: بيان معنى الحمد
٤٥	النقطة الثانية: بيان معنى الصلاة
٤٦	حقيقة سيادة النبي ﷺ

روايات السيادة ..... ٤٦
<b>المبحث الأول: المشارطة الإلهية مع الأنبياء وآثار الوفاء بها ..... ٤٩</b>
النقطة الأولى: البعد العقائدي ..... ٥١
القضاء والقدر في القرآن والروايات ..... ٥١
القضاء والقدر في عالم التشريع والاعتبار ..... ٥٤
القضاء والقدر في عالم التكوين ..... ٥٤
النقطة الثانية: البعد القيمي والأخلاقي التربوي ..... ٥٥
النقطة الثالثة: البعد المعرفي والمفاهيمي ..... ٥٦
علم الله تعالى وعالم الذر ..... ٦٠
قبول المشارطة وثبت الوفاء من أهل البيت عليهما السلام والتقديم من الله تعالى ..... ٦٢
الذكر العلي والثناء الجلي ..... ٦٥
الملائكة وجودهم وحقيقة معناهم وما هي أدوارهم، وأصنافهم؟ ..... ٦٦
هل ينزلون على غير الأنبياء؟ ..... ٦٩
محل الملائكة من الأنبياء والأولياء عليهما السلام ..... ٧٠
«وجعلتهم الذريعة إليك» ..... ٧٢
الوسيلة إلى الرضوان ..... ٧٣
<b>المبحث الثاني: خصائص الأنبياء عليهما السلام من ذكرها في الدعاء ..... ٧٧</b>
إشارات تاريخية إلى أهم خصائص ومقامات الأنبياء عليهما السلام ..... ٧٩
قصة آدم عليهما السلام وكيفية خلقه عليهما السلام ..... ٨٠
أين جنة آدم عليهما السلام التي خرج منها؟ ..... ٨٢
شبهة معصية آدم عليهما السلام وجوابها ..... ٨٣
شبهة التناسل في أبناء آدم عليهما السلام وجوابها ..... ٨٤

قصّة نوح <small>عليه السلام</small> واسمه <small>عليه السلام</small> وبعض خصائصه ..... ٨٦
رواية الوصاية في أعقاب الأنبياء وذراريم ..... ٨٧
شباهة الإمام الحجّة <small>عليه السلام</small> بالنبيّ نوح <small>عليه السلام</small> ..... ٨٩
قصّة إبراهيم خليل الرحمن <small>عليه السلام</small> ..... ٩١
قصّة إبراهيم <small>عليه السلام</small> في الروايات ..... ٩٢
فوائد من سيرة إبراهيم <small>عليه السلام</small> وشباهة الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> لإبراهيم <small>عليه السلام</small> ..... ٩٣
الإمامية في إبراهيم <small>عليه السلام</small> وذرّيته ..... ٩٤
شبهة الشك في الله تعالى وجوابها ..... ٩٨
شبهة كذب إبراهيم <small>عليه السلام</small> والجواب عنها ..... ٩٩
قصّة موسى كليم الرب <small>عليه السلام</small> ..... ١٠٠
قصّة عيسى <small>عليه السلام</small> ..... ١٠٢
علة خلقه <small>عليه السلام</small> من غير أب ..... ١٠٢
شباهة الإمام الحجّة <small>عليه السلام</small> بعيسى <small>عليه السلام</small> ..... ١٠٣
أهمية هذه الأدوار في التأثير على الإيمان واكتساب التدين ..... ١٠٣
المبحث الثالث: ضرورة إقامة المنذر في كلّ قوم ..... ١٠٧
بيان معنى الشريعة والمنهج ..... ١٠٩
قاعدة في المقام: الشريعة تحتاج إلى قانون ونظام ..... ١١٠
الاستحفاظ وتحمّل الأوصياء من مدة إلى مدة ..... ١١٢
قاعدة في المقام: وجود الشريعة سُنة إلهيَّة ..... ١١٣
بحث قرآنٍ وروائيٍ مرتبط بمقام إقامة الحجّة والهادي والمنذر ..... ١١٦
إشكاليَّة نفي عموم الإنذار والجواب عنها ..... ١١٧
المبحث الرابع: اصطفاء النبيّ الأكرم <small>عليه السلام</small> وخصائصه ووظائفه ..... ١٢١

١٢٣.....	ضرورة النبوة.....
١٢٤.....	النبيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ أَفْضَلُ الْخَلْقِ جِيَعاً.....
١٢٥.....	خصائص الأنبياء ونبوَّته ﷺ بالخصوص، وهي:.....
١٢٦.....	العصمة والوحي.....
١٢٦.....	العلمُ الْخَاصُّ، وعلم الغيب.....
١٢٦.....	التَّنْزُهُ عَنْ دَنَاءَةِ الْآبَاءِ وَعَهْرِ الْأُمَّهَاتِ.....
١٢٧.....	سلامةُ الْخَلْقَةِ وَكِمالُ الْعُقْلِ.....
١٢٨.....	وظائفُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ.....
١٢٩.....	بعثةُ النَّبِيِّ ﷺ عَامَّةً شَامِلَةً.....
١٣٠.....	صفاتُ النَّبِيِّ ﷺ وَآثَارُهَا.....
١٣١.....	وطءُ النَّبِيِّ ﷺ لِلْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ.....
١٣٣.....	البراقُ وَآلَيَّاتُ التَّسْخِيرِ الإِلَهِيَّةِ.....
١٣٥.....	العروجُ بِالنَّبِيِّ ﷺ .....
١٣٦.....	حقيقةُ الْعِلْمِ الْمَوْدَعِ فِي النَّبِيِّ ﷺ .....
١٣٩.....	المبحثُ الْخَامِسُ: الَّذِيْنَ إِلَّا مُلْكُهُمْ خَاتَمُ الْأَدِيَانِ.....
١٤١.....	التَّسْخِيرُ بِالرُّعْبِ وَالنَّصْرِ وَالْإِظْهَارِ بِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ.....
١٤٣.....	تَبُوُّءُ النَّبِيِّ ﷺ مَبْوَأَ الصَّدْقِ .....
١٤٥ .....	الفصلُ الثَّانِي: أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ فِي دَعَاءِ النَّدْبَةِ (الْخَصَائِصُ، الْآثَارُ، الْكَمَالَاتُ). .....
١٤٧ .....	تَفْرُّعُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَارْتِبَاطُهُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ.....
١٤٩.....	ما ورد عن أهل البيت عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.....
١٥٠.....	ما ورد عنهم في الروايات الشرفية.....

١٥١.....	أهمية المكان في العقيدة
١٥٢.....	في أفضلية أرض كربلاء
١٥٣.....	ارتباط الإمام <small>عليه السلام</small> بالكعبة
١٥٣.....	أهل البيت <small>عليهم السلام</small> ودعوة إبراهيم <small>عليه السلام</small>
١٥٧.....	آية التطهير وتميز أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
١٦٠.....	تفسير آية التطهير روائياً وحصرها بأهل البيت <small>عليهم السلام</small>
١٦٢.....	الإرادة الإلهية في إذهاب الرجس
١٦٤.....	هل آية التطهير تشمل غير أهل البيت <small>عليهم السلام</small> ؟
١٦٦.....	الأجر على مودة الأمة لأهل البيت <small>عليهم السلام</small>
١٦٨.....	الأجر هو للناس
١٦٩.....	الأجر هو اتخاذ الإسلام الحقيقي سبيلاً لله تعالى
١٧٠.....	التخاذ السُّبُل إلى الله تعالى وتهمة الشرك
١٧١.....	إماماً أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> هي السبيل الوحيد للارتباط بالله بعد النبي <small>صلوات الله عليه وسلم</small>
١٧٣.....	خصائص خطّ المداية
١٧٥.....	خصائص وصفات الخليفة بعد النبي <small>صلوات الله عليه وسلم</small>
١٧٥.....	أن يكون هو الهدى بعد النبي <small>صلوات الله عليه وسلم</small>
١٧٦.....	إخراج الناس عن ولادة أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> من مصاديق القتل العمد
١٧٧.....	أهل البيت <small>عليهم السلام</small> الحجّة على العباد
١٧٩.....	بقاء الحقّ في الأمة ببقاء الإمام <small>عليه السلام</small>
١٨٠.....	سُنّة إرسال الرُّسُل والهداية في كلّ أمة
١٨٢.....	الإمام علي <small>عليه السلام</small> هو الوليُّ بعد النبي <small>صلوات الله عليه وسلم</small>
١٨٣.....	أمير المؤمنين وأهل البيت <small>عليهم السلام</small> من شجرة النبي <small>صلوات الله عليه وسلم</small>

إحلال النبي ﷺ لأمير المؤمنين عليهما محله ..... ١٨٤
خصائص فاطمة الزهراء عليها ومقامها وكونها كفؤاً على عليهما ..... ١٨٧
بعض خصائص وفضائل أمير المؤمنين عليهما ..... ١٩١
اشتراك النبي ﷺ والولي عليهما في خصائص محلدة من المسجد النبوي ..... ١٩٤
إيداع العلم والحكمة النبوية في الإمام عليهما ..... ١٩٥
الإمام عليهما أخو النبي ﷺ ووصييه ووارثه ..... ١٩٧
الإيمان مخالط للحم ودم أمير المؤمنين عليهما ..... ١٩٨
الإمام عليهما خليفة النبي ﷺ، ومنجز عداته ..... ٢٠٠
مجاورة شيعة الإمام عليهما للنبي ﷺ ..... ٢٠٠
بالإمام عليهما يُعرف أهل الإيمان ..... ٢٠٢
الإمام عليهما الهادي من الضلال وحبل الله المتين وصراطه المستقيم ..... ٢٠٥
الإمام عليهما يدافع عن الدين ..... ٢٠٩
كيد أعداء الإسلام لرسول الله ﷺ في أمير المؤمنين وفي أهل بيته عليهما ..... ٢١٣
تظاهر الأمة على الإمام علي عليهما بعد رسول الله ﷺ وبكاوه عليه ..... ٢١٧
إخبار أمير المؤمنين عليهما عن صفين والنهر وان ..... ٢٢١
ما وقع على أهل البيت عليهما بعد النبي ﷺ وبعد أمير المؤمنين عليهما من أنواع البلاء ..... ٢٢٣
سُنّة قتل الهداة والأولياء سُنّة قديمة ..... ٢٢٦
أمير المؤمنين عليهما السُّدُّ المنيع عن التعذّي على أهل البيت عليهما ..... ٢٢٦
بين الأمر بلزم المتابعة لأمير المؤمنين والعترة الطاهرة عليهما وبين شدة الإقصاء ..... ٢٢٧
ما جرى على أمير المؤمنين وأهل بيته عليهما في النصوص الروائية والتاريخية ..... ٢٢٧

روایات الدفن في الغریٰ ..... ٢٣٠
أهمية استعراض مسيرة الأئمّة علیهی‌اللہ‌الجلال فی التضھیة وبناء العقیدة الحقّة ..... ٢٤٢
ما ينبغي للمؤمنین تجاه أهل البيت علیهی‌اللہ‌الجلال فی مواساتهم بما حلّ فیهم ..... ٢٤٧
البكاء علی الأطائیب من أهل البيت علیهی‌اللہ‌الجلال ..... ٢٤٩
مشروعیة البکاء علی سید الشھداء وأهل البيت والصّدیقة الطاھرة علیهی‌اللہ‌الجلال ..... ٢٥٣
الروایات الشریفۃ تُجیز البکاء ..... ٢٥٤
البكاء علی المیت مباح وجائز شرعاً ..... ٢٥٤
الإجماع علی جوازه، بل التواتر ..... ٢٥٥
ذرف الدموع علی مصائب أهل البيت علیهی‌اللہ‌الجلال ..... ٢٥٦
ضجیج النفوس المکلومة بالاّلم ..... ٢٥٨
نداء: أین الحسین علیهی‌اللہ‌الجلال؟ ..... ٢٦١
<b>الفصل الثالث: الندب للإمام علیهی‌اللہ‌الجلال</b> ..... ٢٧٥
صفات الإمام في الدعاء وما تفرّع عليها من خصائص وآثار ودلالات ..... ٢٧٧
عدم خلوّ الأرض من إمام معصوم من أهل البيت علیهی‌اللہ‌الجلال ..... ٢٨٠
هل يمكن اللقاء بالإمام علیهی‌اللہ‌الجلال؟ وأین موطن الإمام علیهی‌اللہ‌الجلال بعد غیبته؟ ..... ٢٨٣
المعدُّ لقطع دابر الظلمة ..... ٢٨٦
هل الإمام آلة للقتل وال الحرب؟ ..... ٢٨٨
حالة الانتقام في روایات الظهور لا تنسجم مع العدل الإلهي ..... ٢٨٩
هل يهاجم الدعاء العرب؟ ..... ٢٩٠
حال العرب في لسان روایات المستقبل عند السُّنّة ..... ٢٩١
انتظار خروجه علیهی‌اللہ‌الجلال صباحاً ومساءً ..... ٢٩٢
آثار تُسجّلها الروایات الشریفۃ للمنتظر والانتظار ..... ٢٩٣

٢٩٥.....	حقيقة التنزيل للانتظار
٢٩٦.....	كيف يتحقق الانتظار؟
٢٩٨.....	مقام المتظرين
٣٠٠.....	التفكير الإستراتيجي في طريق العقيدة المهدوية
٣٠٢.....	إشكالية تعطيل حدود الكتاب ومعالم الدين
٣١٣.....	طمس الإمام ﷺ لأهل الربيع لغة رجعية لا تنسجم مع تعاليم الدين
٣٢٢.....	وجه الأولياء
٣٢٢.....	الروايات الشريفة تسفر عن معنى كون الإمام ﷺ هو الوجه واليد
٣٢٤.....	نزول البركات على يد الحجّة ﷺ لا ينافي حجّية الأئمة ﷺ والرسول ﷺ
٣٢٨.....	الوسائل بين السماء والأرض منهج إلهي
٣٣١.....	خطوات في طريق يوم الفتح
٣٣١.....	كيف يعرف الإمام ﷺ أنَّ وقت خروجه قد حان؟
٣٣٢.....	كيف يمكن لنا أنْ نعرفه ﷺ إذا خرج؟
٣٣٣.....	علامات الظهور من أين جاءت؟ وما هي دلالتها؟
٣٣٤.....	تقسيم العلامات إلى المحتموم وغيره
٣٣٥.....	العلامات المحتممة
٣٣٧.....	العلامات غير الحتمية
٣٣٩.....	أين يكون الإمام ﷺ أوائل ظهوره؟
٣٣٩.....	اجتماع الـ (٣١٣)
٣٤٠.....	خطبة الإمام ﷺ في مكَّة
٣٤٠.....	بلغ ملكه جميع الأرض
٣٤١.....	أئمَّاً الموالي لا تُوقَّت وتطبَّق ما لم تجزم

التوقيت وأدلة ذمه ..... ٣٤٢
تطابق الأسماء لا يعني العلامية ..... ٣٤٥
الإمام <small>عليه السلام</small> هو الساعة ..... ٣٤٦
عنصر المفاجأة في الظهور ..... ٣٤٧
علامة الصيحة بعيدة عن التلاعب ..... ٣٤٧
الاستعداد التام لظهور الإمام <small>عليه السلام</small> بلا توقيت وتطبيق ..... ٣٤٨
تأثير الفرد المهدوي في المجتمع ..... ٣٤٩
بعض خصائص دولة الصلاح والرضا ..... ٣٥٣
إقامة العدل، والحكم بين أهل الأديان في بداية الدولة بكتابهم ..... ٣٥٤
اكتمال العقول وانتشار دين الإسلام ..... ٣٥٤
كثرة البركات وطول الأعمار ..... ٣٥٥
يعلم الأحكام والقرآن كما نزل ..... ٣٥٥
إخراج العلم المكنون وبه بين الناس ..... ٣٥٥
اختلاف حساب السنين ونزول الملائكة على المؤمنين وخدمتهم لهم ..... ٣٥٦
شبهة حكم المهدى <small>عليه السلام</small> بغير شريعة الإسلام وجوابها ..... ٣٥٦
شبهة أنَّ دولة الإمام المهدى <small>عليه السلام</small> تخالف أحكام الإسلام ..... ٣٥٨
شبهة أنَّ الإمام المهدى <small>عليه السلام</small> سيغير كتاب الله ..... ٣٥٩
إشكالية الثأر بطلب دم الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> من قبل الإمام الحجة <small>عليه السلام</small> ..... ٣٦٢
الثأر عند الأمم ومراحل تطوره ..... ٣٦٣
الثأر والقصاص عند أهل الكتاب ..... ٣٦٥
روايات القصاص في كتاب (وسائل الشيعة) ..... ٣٦٧
الثأر وعقوبة الإعدام في مسلطات القوانين ..... ٣٦٨

مقوّمات بناء الدولة في الإسلام وعلاقتها بما جرىٰ على سيد الشهداء عليه السلام ..... ٣٦٨	.....
انحراف مسار الدولة بعد رحيل النبي عليه السلام ..... ٣٦٩	.....
الحركة الحسينية والبناء الديني لإصلاح المنظومة الفكرية والسلوكية للمجتمع ..... ٣٧٢	.....
ال شبّهات المثارة حول الثار المهدوي ..... ٣٧٥	.....
الشبّهة الأولى: الثار المهدوي نزاع بين قبيلتين ..... ٣٧٥	.....
الشبّة الثانية: أهل البيت عليهما السلام بيت الرحمة والعفو، وهذا لا ينسجم مع الثار والانتقام ..... ٣٧٦	.....
الشبّة الثالثة: لو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفاً ..... ٣٨٠	.....
الشبّة الرابعة: رجحان العفو واستحبابه ينافي الأخذ بالثار ..... ٣٨١	.....
الشبّة الخامسة: الثار يشكّل أزمة خطاب عالمي ..... ٣٨١	.....
الشبّة السادسة: لماذا لا يثار الشيعة لرسول الله عليه السلام ويقتصرن على الثار للحسين عليهما السلام؟ ..... ٣٨٣	.....
الشبّة السابعة: الثار مخالف للسيرة العقلائية ..... ٣٨٥	.....
الخاتمة ..... ٣٨٦	.....
مراتب النصرة ..... ٣٨٨	.....
ليست النصرة غيبة محبة ..... ٣٨٩	.....
النصرة للإمام عليهما السلام في كلمات الأعلام ..... ٣٩٠	.....
نصرة العاجز ..... ٣٩١	.....
Hadith من قلب كل مؤمن ..... ٣٩٤	.....
ارتباط الإمام المهدى عليهما السلام بأجداده الطاهرين عليهما السلام ..... ٣٩٩	.....
الأنساب أصول هذا العالم ..... ٤٠٣	.....
معنى النسب ..... ٤٠٤	.....

الفهرس.....	٤٧٩
من الآثار المترتبة على النسب.....	٤٠٤
افتداء الداعي للإمام <small>عليه السلام</small> بنفسه، ولوحة الفراق والشوق إلى اللقاء وتبية نفسه لاستقبال الإمام <small>عليه السلام</small> وتصوير ظهوره .....	٤٠٧
عين الله تعالى في خلقه .....	٤١٧
نظرة المؤمن للحياة .....	٤٣٧
حكومة المستقر وختمة الأمر .....	٤٤١
اليوم العالمي للقيام المهدوي .....	٤٤٤
التوسل بالنبي <small>صلوات الله عليه</small> والأئمة <small>عليهم السلام</small> والصديقية الطاهرة <small>عليها السلام</small> لتعجيل فرج المولى <small>صلوات الله عليه</small> .....	٤٤٧
المصادر والمراجع .....	٤٥٥
الفهرس.....	٤٦٩

\* \* \*